262

ابو موسیٰ

۷۲۰

سورة البقرة ١ — سورة آل عمران ٩٧ — سورة نسا ١٤٧ — سورة المائدة ١٩٧ — سورة الانعام ٢٣١ — سورة الاعراف ٢٦٢

سورة الانفال ٣٠٤ — سورة التوبة ٣٢٢ — سورة يونس ٣٥٨ — سورة هود ٣٧٤ — سورة يوسف ٣٨٩ — سورة الرعد ٤١٠

سورة ابراهيم ٤١٩ — سورة الحجر ٤٢٨ — سورة النحل ٤٣٦ — سورة بني اسرائيل ٤٥٥ — سورة الكهف ٤٧٤ — سورة المريم ٤٨٧

سورة طه ٤٩٤ — سورة الانبياء ٥٠٢ — سورة الحج ٥١٤ — سورة المؤمنون ٥٢١ — سورة النور ٥٣٥ — سورة الفرقان ٥٤٨

سورة الشعرا ٥٤٢ — سورة النمل ٥٤٩ — سورة القصص ٥٥٨ — سورة عنكبوت ٥٦٥ — سورة الروم ٥٧٠ — سورة لقمان ٥٧٤

سورة السجدة ٥٧٥ — سورة الاحزاب ٥٧٧ — سورة سبا ٥٩١ — سورة فاطر ٥٩٥ — سورة يس ٥٩٨ — سورة الصافات ٦٠٢

سورة ص ٦٠٨ — سورة الزمر ٦١٥ — سورة المؤمن ٦٢١ — سورة فصلت ٦٣٦ — سورة الشورا ٦٤٣ — سورة الزخرف ٦٥٤

سورة الدخان ٦٥٨ — سورة الجاثية ٦٦٠ — سورة الاحقاف ٦٦١ — سورة محمد ٦٦٦ — سورة الفتح ٦٧١ — سورة الحجرات ٦٧٥

سورة ق ٦٧٦ — سورة الذاريات ٦٧٦ — سورة طور ٦٧٨ — سورة النجم ٦٨٠ — سورة اقتربت ٦٨٥ — سورة رحمن ٦٨٧

سورة الواقعة ٦٨١ — سورة الحديد ٦٨٤ — سورة المجادلة ٦٨٨ — سورة الحشر ٦٩٢ — سورة الممتحنة ٦٩٧ — سورة الصف ٧٠٠

سورة الجمعة ٧٠١ — سورة المنافقون ٧٠٤ — سورة التغابن ٧٠٥ — سورة الطلاق ٧٠٧ — سورة التحريم ٧٠٩ — سورة الملك ٧١٢

سورة القلم ٧١٤ — سورة الحاقة ٧١٧ — سورة المعارج ٧١٩ — سورة نوح ٧٢٠ — سورة الجن ٧٢١ — سورة المزمل ٧٢٤

سورة المدثر ٧٢٦ — سورة الدهر ٧٣١ — سورة المرسلات ٧٣٤ — سورة النبا ٧٣٤ — سورة النازعات ٧٣٦ — سورة عبس ٧٣٧

سورة كورت ٧٣٨ — سورة الانفطار ٧٣٩ — سورة المطففين ٧٤٠ — سورة الانشقاق ٧٤١ — سورة البروج ٧٤٢

سورة والطارق ٧٤٣ — سورة الاعلا ٧٤٤ — سورة الغاشية ٧٤٤ — سورة والفجر ٧٤٥ — سورة البلد ٧٤٨

سورة الشمس ٧٤٨ — سورة الليل ٧٤٩ — سورة والضحى ٧٥٠ — سورة الم نشرح ٧٥١ — سورة والتين ٧٥٢

سورة العلق ٧٥٣ — سورة القدر ٧٥٤ — سورة لم يكن ٧٥٥ — سورة الزلزلة ٧٥٧ — سورة والعاديات ٧٥٧

٢٦٠

ووقف هذه النسخة الكلية سلطانا الاعظم والخاقان المعظم
مالك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين السلطان ابن السلطان السلطان العادل
محمود خان ووقفا صحيحا شرعيا مؤبدا طالع ولي امره الله تعالى بالرشد
والحسنى حرره العبد الفقير احمد مسيح رام
المصروف الحرمين الشريفين
عفر لهما

CD 9525

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

الحمد لله الذي خلق الأشياء فقدرها تقديرا ، وصور شكل الإنسان فأحسنه تصويرا ، ومنحه بالعقل وجعله سميعا بصيرا ، وشرفه بما عرفه من العلم ونور قلبه تنويرا ، وهداه إلى معرفته فيالها نعمة وفضلا كبيرا ، وأنطق لسانه فأذن من بشكره تحميدا وتهليلا وتكبيرا ، وأرسل محمدا صلى الله عليه وسلم إلى كافة الخلق بشيرا ونذيرا ، وأنزل عليه كتابا منيرا ، وأودعه حكمة وحكما وترغيبا وتحذيرا ، وألهم حفاظه تلاوة له وتخييرا ، وعلم عباده علومه تفهيما وتبصيرا ، وضرب فيه الأمثال ليزيل جهالة وتحييرا ، وجعله برهانا واضحا وصوابا لائحا ، ووقر فضله توقيرا في الصدور محفوظا وبالألسنة متلوا وفي الصحف مسطورا ، يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا ، وجعل كل بليغ على الإتيان بمثله حسيرا ، قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا **أحمده** على تواتر إنعامه حمدا كثيرا ، وأتوكل عليه معوضا أمري إليه ومستخيرا **وأشهد** أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يعد وقلب قائلها مطمئنا مستنيرا **وأشهد** أن محمدا عبده ورسوله الذي كساه من فضله عزا ومهابة وتوقيرا ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه كما أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا **وبعد** فإن الله جل ذكره ونفذ أمره أرسل رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق رحمة للعالمين وبشيرا للمؤمنين ونذيرا للمخالفين ، أكمل به بنيان النبوة وختم به ديوان الرسالة ، وأتم به مكارم الأخلاق ، ونشر فضله في الآفاق ، وأنزل عليه نورا هدى به من الضلالة ، وأنقذ به من الجهالة ، وحكم بالفوز والفلاح لمن اتبعه ، وبالخسران لمن أعرض عنه بعد ما سمعه ، عجز الخلائق عن معارضته حين تحداهم على أن يأتوا بسورة من مثله في مقابلته ، ثم سهل على عباده المؤمنين مع إعجاز تلاوته ، ويسر على الألسن قراءة أمر فيه وزجر ، وبشر وأنذر ، وذكر المواعظ ليتذكر ، وضرب فيه الأمثال ليتدبر ، وقص فيه من الأخبار الماضين ليعتبر ، ودل فيه على آيات التوحيد

ليتفكر ، ثم لم يرض منا بسرد حروفه دون حفظ حدوده ، ولا بإقامة كلماته دون العمل بمحكماته ، ولا بتلاوته دون تدبر آياته ، في قراءته ولا بدرسه دون تعلم حقائقه وفهم دقائقه ، ولا حصول لهذه المقاصد منه إلا بدراية تفسيره وأحكامه ، ومعرفة حلاله وحرامه ، وأسباب نزوله وأقسامه ، والوقوف على ناسخه ومنسوخه في خاصه وعامه ، فإنه أرسخ العلوم أصلا ، وأسبقها فرعا ، وفضلا ، وأكرمها نتاجا ، وأنورها سراجا ، فلا شرف إلا وهو السبيل إليه ، ولا خير إلا وهو الدال عليه ، وقد قيض الله تعالى رجالا موفقين ، وبالحق ناطقين ، حتى صنفوا في سائر علومه المصنفات ، وجمعوا سائر فنون المتفرقات كل على قدر فهمه ، ومبلغ علمه ، نظرا للخلف واقتداء بالسلف ، فشكر الله سعيهم ، ورحم كافتهم **ولما** كان كتاب معالم التنزيل الذي صنفه الشيخ الجليل والحبر النبيل الإمام العالم الكامل محي السنة قدوة الأمة ، وإمام الأئمة مفتي الفرق ناصر الحديث ظهير الدين أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي قدس الله روحه ونور ضريحه من أجل المصنفات في علم التفسير وأعلاها وأنبلها وأسناها جامعا للصحيح من الأقاويل عاريا عن التشبيه والتصحيف والتبديل محلا بالأحاديث النبوية ، مطرزا بالأحكام الشرعية ، مشوبا بالقصص الغريبة ، وأخبار الماضين العجيبة ، مرصعا بأحسن الإشارات محرجا بأوضح العبارات ، مفرغا في قالب الجمال بأفصح مقال ، فرحم الله تعالى مصنفه وأجزل ثوابه ، وجعل الجنة منقلبه ومآبه **ولما** كان هذا الكتاب كما وصفت أحببت أن انتجب من غرر فوائده ، ودرر فرائده ، وزواهر نصوصه ، وجواهر فصوصه ، مختصرا جامعا لمعاني التفسير ، ولباب التأويل والتعبير ، حاويا لخلاصة منقوله ، متضمنا لنكته وأصوله ، مع فوائد تقلتها ، وفرائد لخصتها من كتب التفاسير المصنفة في سائر علومه المؤلفة ، ولم أجعل لنفسي تصرفا سوى النقل والانتخاب ، متجنبا حد التطويل والإسهاب ، وحذفت منه الإسناد لأنه أقرب إلى تحصيل المراد ، فما أوردت فيه من الأحاديث النبوية والأخبار المصطفوية على تفسير آية أو بيان حكم فإن الكتاب يطلب بيانه من السنة وعليها مدار الشرع وأحكام الدين غرة في محرجه وتبيت إسم ناقله وجعلت عوض كل اسم حرفا يعرف به ليهون على الطالب طلبه ، فما كان من صحيح أبي عبد الله محمد بن إسمعيل البخاري فعلامته قبل ذكر اسم الصحابي الراوي للحديث خ وما كان من صحيح أبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري فعلامته م وما كان مما اتفقا عليه فعلامته ق وما كان من كتب السنن كسنن أبي داود والترمذي والنسائي فإني أذكر اسمه باسمه بغير علامة ، وما لم أجده في هذه الكتب ووجدت البغوي قد أخرجه بسنده له انفرد به قلت روى البغوي بسنده ، وما رواه البغوي بإسناد الثعلبي قلت روى البغوي بإسناد الثعلبي وما كان فيه من أحاديث زائدة وألفاظ متغيرة فإني اجتهدت في تصحيح ما أخرجته من الكتب المعتبرة عند العلماء كالجمع بين الصحيحين للحميدي وكتاب جامع الأصول لابن الأثير الجزري ، ثم إني حذفت الإسناد وعوضت بشرح غريب الحديث وما يتعلق به ليكون أكمل فائدة في هذا الكتاب وأهون على الطلاب ، وسقته بأبلغ ما قدرت عليه من الإيجاز وحسن الترتيب مع التسهيل والتقريب **وينبغي** لكل مؤلف كتابا في فن قد سبق إليه أن لا يخلو كتابه من خمس فوائد إستنباط كل شيء كان مفصلا أو جمعه إن كان مفرقا أو شرحه إن كان غامضا أو حسن نظم وتأليف أو إسقاط حشو وتطويل وأرجو أن لا يخلو هذا الكتاب عن هذه الخصال التي ذكرت **وسميته** لباب التأويل في معاني التنزيل والله تعالى أسأل التوفيق لإتمام ما قصدت وإليه أرغب في تيسير ما أردت وأن يجعل

مشوبا موشيا

ك والانتهاب

ك واسهل

خالصا لوجهه الكريم وان يتقبله مني انه هو السميع العليم وهو حسبي ونعم الوكيل واليه انيب وقبل ان
اشرع في الكلام على التفسير اقدم مقدمة تتضمن ثلاثة فصول الفصل الاول في فضل القرآن وتلاوته وتعليمه
م عن زيد بن ارقم قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فينا خطيبا بماء يدعى خما بين مكة والمدينة
فحمد الله واثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال اما بعد الا ايها الناس انما انا بشر يوشك ان ياتيني رسول ربي
فاجيب واني تارك فيكم ثقلين اولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به
فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال واهل بيتي اذكركم الله في اهل بيتي اذكركم الله في اهل بيتي زاد في رواية كتاب الله
فيه الهدى والنور من استمسك به واخذ به كان على الهدى ومن اخطاه ضل وفي رواية كتاب الله هو حبل الله
من اتبعه كان على الهدى ومن تركه كان على ضلالة وفي رواية الترمذي عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اني تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدي احدهما اعظم من الاخر وهو كتاب الله
حبل ممدود من السماء الى الارض وعترتي اهل بيتي لن يفترقا حتى يردا علي الحوض فانظروا كيف تخلفوني
فيهما م عن عمر بن الخطاب قال اما ان نبيكم صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يرفع بهذا الكتاب
اقواما ويضع به اخرين د عن الحارث الاعور قال مررت في المسجد فاذا الناس يخوضون في الاحاديث فدخلت
على علي فقلت يا امير المؤمنين الا ترى الناس قد خاضوا في الاحاديث قال او قد فعلوها قلت نعم قال اما اني
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الا انها ستكون فتنة فقلت ما المخرج منها يا رسول الله
قال كتاب الله فيه من نبأ ما كان قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار
قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره اضله الله وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم
وهو الذي لا تزيغ به الاهواء ولا تلتبس به الالسنة ولا تشبع منه العلماء ولا يخلق عن كثرة الرد ولا تنقضي
عجائبه هو الذي لم تنته الجن اذ سمعته حتى قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد فامنا به من قال
به صدق ومن عمل به اجر ومن حكم به عدل ومن دعى اليه هدى الى صراط مستقيم خذها اليك يا اعور
اخرجه الترمذي وقال حديث غريب واسناد مجهول وفي الحارث مقال قوله هو الفصل اي الفاصل بين الحق
والباطل ليس بالهزل اي بالمحتكلة ليس فيه شيء من الهزل والجد في صفة الادمي هو المنساط العاتي المتكبر على الناس
قصمه الله اي اهلكه قوله هو حبل الله المتين الحبل يرد على وجوه منها العهد ومنها الامان فاذا اعتصم
به الانسان اداه الله تعالى الى جواره والذكر الشرف والحكيم المحكم العاري من الاختلاف والاضطراب الصراط
المستقيم الطريق الواضح ومعنى لا تزيغ به الاهواء لا يميل عن الحق ع عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب اخرجه الترمذي
وقال حسن صحيح خ عن عثمان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خيركم من تعلم القرآن وعلمه ق
عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة والذي يقرأ
القرآن وهو يتتعتع فيه وهو عليه شاق له اجران قوله الماهر يعني الحاذق الكامل الحفظ الجيد التلاوة
مع السفرة جمع سافر وهو الرسول من الملائكة سمي بذلك لانه يسفر برسالات الله الى انبيائه وقيل
السفرة الكتبة من الملائكة والبررة المطيعون لله تعالى فيما يأمرهم به ومعنى كونه مع الملائكة ان له منازل
في الجنة يكون فيها رفيقا لهم هذا الكلام قوله يتتعتع اي يتردد في تلاوته لصعوبة حفظه له اجران
يعني اجر لسبب القراءة واجر بسبب تعبه فيها والمشقة التي تحصل له فيها وليس معناه ان له اجرا اكثر من
الماهر بل الماهر افضل واكثر اجرا ق عن ابي موسى الاشعري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل المؤمن

الذي

عند اخواته

الذي يقرأ القرآن كمثل الاترجة طعمها طيب وريحها طيب ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة طعمها
طيب ولا ريح لها ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب ولا طعم لها ومثل الفاجر الذي
لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها فيه دليل على فضيلة حفاظ القرآن واستحباب ضرب
الامثال لايضاح المقاصد عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حرفا من كتاب الله
فله حسنة والحسنة بعشر امثالها لا اقول الم حرف ولكن الف حرف ولام حرف وميم حرف اخرجه
الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب وقد رفعه بعضهم عن ابن مسعود ووقفه بعضهم عليه عن ابن عباس
قال قال رجل يا رسول الله اي الاعمال احب الى الله تعالى قال الحال المرتحل قال وما الحال المرتحل قال الذي يضرب من
اول القرآن الى اخره كلما حل ارتحل اخرجه الترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق كما كنت ترتل في الدنيا فان منزلك عند اخر اية تقرأها
اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يجلى القرآن يوم القيمة
فيقول يا رب حلله فيلبس تاج الكرامة ثم يقول يا رب زده فيلبس حلة الكرامة ثم يقول يا رب ارض عنه
فيرضا عنه فيقال اقرأ وارق وتزاد بكل اية حسنة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن عن سهل
بن معاذ الجهني عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ القرآن وعمل به البس والداه يوم القيمة
تاجا ضوؤه احسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا لو كانت فيكم فما ظنكم بالذي عمل بهذا اخرجه ابو داود
عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن فاستظهره
فاحل حلاله وحرم حرامه ادخله الله الجنة وشفعه في عشرة من اهل بيته كلهم قد وجبت لهم النار اخرجه الترمذي
وقال حديث غريب وليس له اسناد صحيح ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اذن
الله لشيء كاذنه لنبي يتغنى بالقرآن يجهر به معنى اذن في اللغة استمع ولا يحمله على الاصغاء فانه يستحيل
على الله تعالى بل هو كناية عن تقريبه قارئ القرآن واجزال ثوابه وذلك لان سماع الله تعالى لا يختلف فوجب
تاويل الحديث وقوله يتغنى بالقرآن اي يحسن صوته به ويكون ذلك مع تحزين وترقيق في القراءة وقيل معناه
يستغني به عن الناس والقول الاول اولى ويدل عليه سياق الحديث وهو قوله يجهر به خ عن ابي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يتغن بالقرآن الفصل الثاني في وعيد
من قال في القرآن برايه بغير علم ووعيد من اول القرآن فنسيه ولم يتعاهده عن ابن عباس رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال في القرآن بغير علم فليتبوء مقعده من النار وفي رواية من قال في
القرآن برايه اخرجه الترمذي وقال حديث حسن قوله فليتبوء من التبوء وهو النزول ومنه قوله تعالى
فليتخذ له مباءة اي منزلا من النار عن جندب بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال
في كتاب الله عز وجل اية فاصاب فقد اخطا اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث غريب وسئل ابو بكر الصديق
رضي الله عنه عن قوله تعالى وفاكهة وابا فقال اي سماء تظلني واي ارض تقلني اذا قلت في كتاب الله بغير علم
قال العلماء النهي عن القول في القرآن بالراي انما ورد في حق من يتاول القرآن على مراد نفسه وما هو تابع لهواه
وهذا لا يخلو اما ان يكون عن علم اولا فان كان عن علم كمن يحتج ببعض ايات القرآن على تصحيح بدعته وهو
يعلم ان المراد من الاية غير ذلك لكن غرضه ان يلبس على خصمه بما يقوي حجته على بدعته كما يستعمله الباطنية
والخوارج وغيرهم من اهل البدع في المقاصد الفاسدة ليغروا بذلك الناس وان كان القول في القرآن بغير علم لكن
عن جهل وذلك ان تكون الاية محتملة لوجه ففسرها بغير ما تحتمله من المعاني والوجوه فهذان القسمان

حديث ع

مذمومان وكلاهما داخل في النهي والوعيد الوارد في ذلك فاما التأويل فهو صرف الآية على طريق الاستنباط الى معنى يليق بها المحتمل لما قبلها وما بعدها وغير مخالف للكتاب والسنة فقد رخص فيه اهل العلم فان الصحابة رضي الله عنهم قد فسروا القرآن واختلفوا في تفسيره على وجوه وليس كلما قالوه سمعوه من النبي صلى الله عليه وسلم ولكن على قدر ما فهموا من القرائن تكلموا في معانيه وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس فقال اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل وكان اكثر ما نقل عنه التفسير والله اعلم ق حم ن عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعاهدوا القرآن فوالذي نفس محمد بيده لهو اشد تفلتا من الابل في عقلها ق عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الابل المعقلة ان تعاهد عليها امسكها وان اطلقها ذهبت الابل المعقلة ابن بعابها التي حبست بالعقال وهذا مثل ضربه لصاحب القرآن ففيه الحث على تعاهده بكثرة التلاوة والتكرار ليلا ينسى عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بئس ما لاحدهم ان يقول نسيت اية كيت وكيت بل هو نسي استذكروا القرآن فانه اشد تفصيا من صدور الرجال من النعم من عقلها وفي رواية لا يقولن احدكم نسيت اية كذا وكذا بل هو نسي قوله بئس ما لاحدهم اي بئست الحالة حالة من حفظ القرآن ثم غفل عنه حتى نسيه قوله لا يقل نسيت اية كذا وكذا معناه انما كره نسبة النسيان الى النفس لاجل ان الله تعالى هو المقدر للاشياء كلها وهو الذي انساه اياه وقيل اصل النسيان الترك فكره ان يقول تركت القرآن وقصدت الى النسيان وقوله نسي هو بضم النون وتشديد السين وفتح الياء اي عوقب بالنسيان على ذنب صدر منه او بسوء تعهده القرآن وقوله اشد تفصيا اي خروجا من صدور الرجال وفي معناه تفلتا من الابل من عقلها اي تخلصا من العقال وهو الحبل الذي يربط به عن سعيد بن عبادة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من امرئ يقرأ القرآن ثم ينساه الا لقي الله يوم القيمة اجذم اخرجه ابو داود الاجذم هو مقطوع اليد وقيل هو مقطوع الحجة وقيل هو الذي يبرص جذام عن انس بن مالك رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عرضت علي امتي حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد وعرضت علي ذنوب امتي فلم ار فيها ذنبا اعظم من سورة من القرآن او اية اوتيها رجل ثم نسيها اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث غريب ق عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تسافروا بالقرآن الى ارض العدو مخافة ان يناله العدو ولا يجوز حمله الى بلاد العدو وهي بلاد الكفار للنهي الوارد فيه ولو كتب كتابا اليهم فيه اية من القرآن فلا بأس بذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم كتب الى هرقل ملك الروم قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم عن عمران بن حصين انه مر على رجل يقرأ ثم سأل فاسترجع ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ القرآن فليسأل الله به فانه سيجيء اقوام يقرؤن القرآن يسألون به الناس اخرجه الترمذي عن صهيب قال قال رسول الله عليه الصلاة والسلام ما آمن بالقرآن من استحل محارمه اخرجه الترمذي وقال ليس اسناده بالقوي عن عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والمسر بالقرآن كالمسر بالصدقة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن

الفصل الثالث

في جمع القرآن وترتيب نزوله وفي كونه نزل على سبعة احرف خ عن زيد بن ثابت قال ارسل الي ابو بكر لمقتل اهل اليمامة وعنده عمر فقال ابو بكر ان عمر اتاني فقال ان القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن وانا اخشى ان يستحر القتل بالقراء في كل المواطن فيذهب من القرآن

كثيرا وانا ارى ان تأمر بجمع القرآن قال قلت لعمر وكيف افعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر هو والله خير فلم يزل يراجعني في ذلك حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر عمر ورأيت في ذلك الذي رأى عمر قال زيد فقال لي ابو بكر انك رجل شاب عاقل لا نتهمك قد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القرآن فاجمعه قال زيد فوالله لو كلفني نقل جبل من الجبال لما كان اثقل علي مما امرني به من جمع القرآن فقلت كيف تفعلان شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر هو والله خير فلم يزل ابو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر ابي بكر وعمر ورأيت في ذلك الذي رأيا فتتبعت القرآن اجمعه من الرقاع والعسب واللخاف وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع خزيمة او مع ابي خزيمة الانصاري لم اجدها مع احد غيره لقد جاءكم رسول من انفسكم الى خاتمة سورة براءة فالحقتها في سورتها فكانت الصحف عند ابي بكر حياته حتى توفاه الله ثم عند عمر حياته حتى توفاه الله ثم عند حفصة بنت عمر قال بعض الرواة اللخاف يعني الخزف خ عن انس ان حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازي اهل الشام في فتح ارمينية واذربيجان مع اهل العراق فافزع حذيفة اختلافهم في القراءة فقال حذيفة لعثمان يا امير المؤمنين ادرك هذه الامة قبل ان يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى فارسل عثمان الى حفصة ان ارسلي الينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها اليك فارسلت بها اليه فامر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحرث بن هشام رضي الله عنهم فنسخوها في المصاحف وقال عثمان للرهط القرشيين اذا اختلفتم انتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فانما نزل بلسانهم ففعلوا حتى اذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف الى حفصة وارسل الى كل افق بمصحف مما نسخوا وامر بما سوى ذلك من القرآن في كل مصحف او صحيفة ان يحرق قال ابن شهاب واخبرني خارجة بن زيد انه سمع زيد بن ثابت يقول فقدت اية من سورة حين نسخت المصحف قد كنت اسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بها فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الانصاري من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فالحقناها في سورتها في المصحف قال في رواية ابن ايمان مع خزيمة بن ثابت الذي جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته شهادة رجلين زاد في رواية اخرى قال ابن شهاب اختلفوا يومئذ في التابوت فقال زيد التابوت وقال عبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص التابوت فرفع اختلافهم الى عثمان فقال اكتبوه التابوت فانه بلسان قريش شرح غريب ألفاظ الحديثين وما يتعلق بهما قوله بعث الي ابو بكر لمقتل اهل اليمامة اي لاوان قتلهم وارادوا بها الوقعة التي كانت باليمامة في زمان ابي بكر الصديق وهي وقعة الردة مع اصحاب الردة فقتل فيها خلق كثير من قراء القرآن واليمامة مدينة باليمن على يومين من الطائف وعلى اربعة ايام من مكة ولها عمائر وهي بعد اذ اهل نجد قوله استحر القتل اي كثر ويستحب المكروه الى الحر والمحبوب الى البرد وشرح الصدر سعته وقبوله الخير قوله فتتبعت القرآن اجمعه من الرقاع جمع رقعة وهي ما يكتب فيها والعسب بضم العين والسين المهملتين جمع عسيب وهو جريد النخل وسعفه واللخاف حجارة بيض رقاق واحدتها لخفة قوله يغازي اهل الشام اي مع اهل الشام في فتح ارمينية بكسر الهمزة وتخفيف الياء الاخيرة سميت بارمين بن لطي بن لوذ بن سام بن نوح وهو اول من نزلها سميت به واذربيجان بفتح الهمزة وسكون الذال وغير ذلك في ضبطها وقال ابن جني فيها خمس موانع من الصرف التعريف

والتأنيث والعجمة والتركيب والالف والنون وهي موضع من بلاد العجم مشتمل على بلاد كثيرة قوله حتى وجدت
آخر سورة التوبة مع خزيمة او ابي خزيمة وفي الحديث الآخر فقدت آية من سورة الاحزاب الى قوله فوجدناها مع خزيمة
بن ثابت الانصاري من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآية فاعلم ان المذكور في الحديث الاول
غير المذكور في الحديث الثاني وهما قضيتان فاما المذكور في الحديث الاول فهو ابو خزيمة بن اوس بن زيد بن اصرم
بن ثعلبة بن عمرو بن مالك بن النجار الانصاري شهد بدرا وما بعدها وتوفي في خلافة عثمان وهو الذي وجدت
عنده آخر سورة التوبة كذا ذكره ابن عبد البر واما المذكور في الحديث الثاني فهو ابو عمارة خزيمة بن ثابت بن
الفاكه بن ثعلبة بن ساعدة الخطمي الاوسي الانصاري يعرف بذي الشهادتين شهد بدرا وما بعدها وقتل
يوم صفين مع علي بن ابو طالب قوله فقدت آية من سورة الاحزاب الى قوله فوجدناها مع خزيمة معناه انه كان
يتطلب نسخ القرآن من الاصل الذي كتب بامر النبي صلى الله عليه وسلم وبين يديه فلم يجد تلك الآية الا مع
خزيمة وليس فيها اثبات القرآن بقول الواحد لان زيدا كان قد سمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعلم موضعها من سورة الاحزاب بتعليم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما صرح به الحديث فكنت اسمع رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقرأ بها وتتبعه الرجال كان ذلك لاستظهارها لا لاستحداث علم لان القرآن الغير كان
محفوظا عند زيد وغيره من الصحابة فقد ثبت في الصحيح عن انس قال جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم اربعة كلهم من الانصار ابي بن كعب ومعاذ بن جبل وابو زيد وزيد يعني ابن ثابت قلت لانس من ابو زيد
قال احد عمومتي اخرجاه في الصحيحين اسم ابي زيد سعد بن عبيد قال وخرج الترمذي من حديث ابن عمر قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم خذوا القرآن من اربعة من ابن مسعود وابي بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم
مولى ابي حذيفة قال حديث حسن صحيح وتقدم حديث زيد بن ثابت وفيه انه استحر القتل بقراء القرآن فثبت
بمجموع هذه الاحاديث ان القرآن كان على هذا التاليف والجمع من زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما
نزل جمعه في مصحف واحد لان النسخ كان يرد على بعضه ويرفع الشيء بعد الشيء من التلاوة كما كان ينسخ
بعض احكامه فلم يجمع في مصحف واحد ثم لو رفع بعض تلاوته اداى ذلك الى الاختلاف واختلاط امر الدين
فحفظ الله تعالى كتابه في القلوب الى انقضاء زمن النسخ ثم وفق جمعه الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم وثبت
بالدليل الصحيح ان الصحابة انما جمعوا القرآن بين لدفتين كما انزل الله عز وجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم
من غير ان زاد وافيه او نقصوا منه شيئا والذي حملهم على جمعه ما جاء مبينا في الحديث وهو انه كان مفرقا
في العسب واللخاف وصدور الرجال فخافوا ذهاب بعضه بذهاب حفظته فقرعوا اليه خليفة رسول الله صلى
الله عليه وسلم ابي بكر ودعوه الى جمعه فراى في ذلك رايهم فامر بجمعه في موضع واحد باتفاق من جميعهم فكتبوه
كما سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير ان قدموا او اخروا شيئا او وضعوا له ترتيبا لم ياخذوه
من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقن اصحابه ويعلمهم ما ينزل عليه من القرآن
على الترتيب الذي هو الآن في مصاحفنا بتوقيف جبريل عليه السلام اياه على ذلك واعلامه عند نزول كل اية
ان هذه الاية تكتب عقيب اية كذا في سورة كذا فثبت ان سعي الصحابة كان في جمعه في موضع واحد لا في ترتيبه
فان القرآن مكتوب في اللوح المحفوظ على النمط الذي هو في مصاحفنا الآن وقد صح في حديث ابن عباس ان
النبي صلى الله عليه وسلم كان يعرض القرآن على جبريل عليه السلام في كل عام مرة وانه عرضه
في العام الذي توفي فيه مرتين ويقال ان زيد بن ثابت شهد العرضة الاخيرة التي عرضها رسول الله صلى الله
عليه وسلم على جبريل عليه السلام وهي العرضة التي نسخ فيها ما نسخ وبقي ما بقي ولهذا اقام ابو بكر

زيد

على النحو

زيد بن ثابت في كتابة المصحف والزمه بها لانه قرا على النبي صلى الله عليه وسلم في العام الذي
توفي فيه مرتين وكان جمع القرآن سببا لبقائه في الامة رحمة من الله تعالى لعباده وتحقيقا لوعده
في حفظه على ما قال تعالى نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون واعلم ان الله تعالى انزل القرآن المجموع في اللوح
المحفوظ جملة واحدة الى سماء الدنيا في شهر رمضان في ليلة القدر ثم كان ينزله مفرقا على لسان جبريل
عليه السلام الى النبي صلى الله عليه وسلم مدة رسالته نجوما عند الحاجة وحدوث ما يحدث على ما شاء
الله تعالى وترتيب نزول القرآن غير ترتيبه في التلاوة والمصحف فاما ترتيب نزوله على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاول ما نزل من القرآن بمكة اقرا باسم ربك الذي خلق ثم نون والقلم ثم يا ايها المزمل
ثم المدثر ثم تبت يدا ابي لهب ثم اذا الشمس كورت ثم سبح اسم ربك الاعلى ثم والليل اذا يغشى ثم
والفجر ثم والضحى ثم الم نشرح ثم والعصر ثم والعاديات ثم انا اعطيناك الكوثر ثم الهاكم التكاثر ثم ارايت
ثم قل يا ايها الكافرون ثم الفيل ثم قل هو الله احد ثم والنجم ثم عبس ثم سورة القدر ثم البروج ثم والتين
ثم لايلاف قريش ثم القارعة ثم القيمة ثم الهمزة ثم المرسلات ثم ق ثم سورة البلد ثم الطارق
ثم اقتربت الساعة ثم ص ثم الاعراف ثم الجن ثم يس ثم الفرقان ثم فاطر ثم مريم ثم طه ثم الواقعة
ثم الشعراء ثم النمل ثم القصص ثم بني اسرائيل ثم يونس ثم هود ثم يوسف ثم الحجر ثم الانعام ثم والصافات
ثم لقمان ثم سبا ثم الزمر ثم المؤمن ثم السجدة ثم حم عسق ثم الزخرف ثم الدخان ثم الجاثية ثم الاحقاف
ثم الذاريات ثم الغاشية ثم الكهف ثم النحل ثم نوح ثم ابراهيم ثم الانبياء ثم المؤمنون ثم تنزيل السجدة
ثم الطور ثم الملك ثم الحاقة ثم سال سائل ثم عم يتساءلون ثم النازعات ثم اذا السماء انفطرت ثم
اذا السماء انشقت ثم الروم ثم العنكبوت واختلفوا في آخر ما نزل بمكة فقال ابن عباس العنكبوت وقال
الضحاك وعطا المؤمنون وقال طاوس ومجاهد ويل للمطففين فهذا ترتيب ما نزل من القرآن بمكة فذلك
ثلاث وثمانون سورة على ما استقرت عليه روايات الثقات واذا ما نزل بالمدينة فاحدى وعشرون
سورة فاول ما نزل بالمدينة سورة البقرة ثم الانفال ثم آل عمران ثم الاحزاب ثم الممتحنة ثم النساء
ثم اذا زلزلت الارض ثم الحديد ثم سورة محمد صلى الله عليه وسلم ثم الرعد ثم سورة الرحمن ثم هل اتى على الانسان
ثم الطلاق ثم لم يكن ثم الحشر ثم الفلق ثم الناس ثم اذا جاء نصر الله ثم النور ثم الحج ثم المنافقون ثم المجادلة
ثم الحجرات ثم التحريم ثم الصف ثم الجمعة ثم التغابن ثم الفتح ثم التوبة ثم المائدة ومنهم من يقدم المائدة على التوبة
فهذا ترتيب ما نزل من القرآن بالمدينة واختلفوا في سورة فقيل نزلت بمكة وقيل نزلت بالمدينة وستذكر في مواضعها
ان شاء الله تعالى فصل في كون القرآن نزل على سبعة احرف وما قيل في ذلك ق عن عمر بن الخطاب رضي الله
عنه قال سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرا سورة الفرقان في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستمعت
لقراءته فاذا هو يقرا على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكدت اساوره في الصلاة فتربصت حتى سلم
فلببته بردائه فقلت من اقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ قال اقرانيها رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقلت كذبت فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اقرانيها على غير ما قرأت فانطلقت به اقوده الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله اني سمعت هذا يقرا سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ارسله اقرا يا هشام فقرا عليه القراءة التي سمعته يقرؤها فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم هكذا انزلت ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم اقرا يا عمر فقرات القراءة التي اقرانيها فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم هكذا انزلت ان هذا القرآن انزل على سبعة احرف فاقرؤوا ما تيسر منه قوله فكدت اساوره في الصلاة

* في الصلوة صح

آتى أوآيته وأقاتله وهو في الصلاة والتربص البيت **قوله** فلببته بردائه هو بتشديد الباء الأولى ومعناه أخذت بمجامع ردائه في عنقه وجذبته به ماخوذ من اللبة وفيه بيان ما كانوا عليه من الاعتناء بالقرآن والذب عنه والمحافظة على لفظه كما سمعوه من غير عدول إلى ما تجوز العربية وأما أمر النبي صلى الله عليه وسلم عمر بإرساله فلأنه لم يثبت عنده ما يقتضي تقريره ولأن عمر نسبه إلى مخالفته في القراءة والنبي صلى الله عليه وسلم كان يعلم من جواز القراءة ووجوهها ما لا يعلمه عمر ولأنه إذا قرأ وهو مليب لا يتمكن من حضور القلب وتحقق القراءة تمكن المطلق **قوله** إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤا ما تيسر منه قال العلماء أنزاله على سبعة أحرف التحقيق والتسهيل واختلفوا في المراد بسبعة أحرف فقيل هو توسعة وتسهيل ولم يقصد به الحصر وقال الأكثرون هو حصر العدد في سبعة أحرف ثم قيل هي في سبع من المعاني كالوعد والوعيد والمحكم والمتشابه والحلال والحرام والقصص والأمثال والأمر والنهي وقيل هي في صورة التلاوة وكيفية النطق بكلمات القرآن من إدغام وإظهار وتفخيم وترقيق ومد وقصر وإمالة لأن العرب كانت مختلفة اللغات في هذه الوجوه فيسر الله تعالى عليهم ليقرأ كل إنسان بما يوافق لغته ويسهل على لسانه **وقال** أبو عبيدة هي سبع لغات من لغات العرب بعينها ومعدها هي أفصح لغات العرب وأعلاها وقيل هي لغة قريش وهوازن وهذيل وأهل اليمن وقيل السبعة كلها لمضر وحدها وهي متفرقة في القرآن العزيز غير مجتمعة في كلمة واحدة وقيل بل هي مجتمعة في بعض الكلمات كقوله تعالى وعبد الطاغوت وتغلب وثعلب وبا عدبين اسفارنا وبعد بين وقيل هي سبع قراءات وهو الصحيح الموافق للحديث لأن هذه السبعة ظهرت واستفاضت عن النبي صلى الله عليه وسلم وضبطها عنه الصحابة وأثبتها عثمان والجماعة في المصاحف وأخبروا بصحتها وحذفوا عنها ما لم يثبت متواترا وأن هذه الأحرف تختلف معانيها قارة والفاظها أخرى وليست متضادة ولا متباينة فأما من قال أن المراد بالأحرف سبعة معان مختلفة كالأحكام والأمثال والقصص فخطأ محض لأن النبي صلى الله عليه وسلم أشار إلى جواز القراءة بكل واحد من الحروف وأبدال حرف بحرف وقد تقرر إجماع المسلمين أنه يحرم إبدال آية بآية أمثال آية أحكام وقول من قال المراد خواتيم الآي فيجعل مكان غفور رحيم سميع عليم ففاسد أيضا وخطأ للإجماع على أنه لا يجوز تغيير نظم القرآن والله أعلم **ق** عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أقرأني جبريل على حرف فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف معنى الحديث لم أزل أطلب من جبريل أن يطلب من الله عز وجل الزيادة في الأحرف للتوسعة والتخفيف ويسأل جبريل ربه عز وجل فيزيده حتى انتهى إلى السبعة **م** عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال كنت في المسجد فدخل رجل يصلي فقرأ قراءة أنكرتها عليه ثم دخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت أن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه فدخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه فأمرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ فحسن النبي صلى الله عليه وسلم شأنهما فسقط في نفسي من التكذيب ولا إذ كنت في الجاهلية فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قد غشيني ضرب في صدري ففضت عرقا وكأنما أنظر إلى الله تعالى فرقا فقال لي يا أبي أرسل إلي أن اقرأ على حرف واحد فرددت إليه أن هون على أمتي فرد إلي الثانية أن اقرأه على حرفين فرددت إليه أن هون على أمتي فرد إلي الثالثة أن اقرأه على سبعة أحرف ولك بكل ردة رددتكها مسئلة تسألنيها فقلت اللهم اغفر لأمتي اللهم اغفر لأمتي وأخرت الثالثة ليوم يرغب إلي الخلق كلهم حتى إبراهيم **قوله** فسقط في نفسي من التكذيب ولا إذ كنت في الجاهلية معناه

وسوس لي الشيطان تكذيبا للنبوة أشد مما كنت عليه في الجاهلية لأنه كان في الجاهلية غافلا ومشككا فوسوس له الشيطان في نفسه تكذيبا لم يعتقده وهذه الخواطر إذا لم يستمر عليها الإنسان لا يواخذ بها **قوله** ضرب في صدري فغضت عرقا قال القاضي عياض ضربه صلى الله عليه وسلم تثبيتا له حين رآه قد غشيه ذلك الخاطر المذموم **قوله** وكأنما أنظر إلى الله تعالى فرقا الفرق بالتحريك الخوف والخشية والمعنى أنه غشيه من الهيبة والخوف والعظمة حين ضربه ما زال عنه ذلك الخاطر **قوله** ولك بكل ردة رددتكها مسئلة تسألنيها معناه مسئلة مجابة قطعا وأما ما يأتي الدعوات فمرجوة الإجابة وليست قطعية الإجابة والله أعلم **وروى** البغوي بسنده عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أن القرآن نزل على سبعة أحرف لكل آية منه وروى لكل حرف منه ظهر وبطن ولكل حد مطلع قيل في معناه الظهر لفظ القرآن والبطن تأويله وقيل الظهر ما حدث عن أقوام أنهم عصوا فعوقبوا هو ظاهر خبر وفي الباطن عظة وقيل الظهر التلاوة بالليسان كما أنزل والبطن التدبر والتفهم والتفكر بالقلب فالتلاوة باللسان تكون بالتعليم والملقين والتدبر والتفهم يكون بصدق النية وتعظيم الحرمة وإخلاص العمل وطيب المطعم من الحلال المحض **قوله** ولكل حد مطلع معناه مصعد يصعد إليه من معرفة علمه وقيل المطلع الفهم وقد يفتح الله تعالى على المتدبر والمتفكر في القرآن العزيز من التأويل والمعاني ما لا يفتحه على غيره وفوق كل ذي علم عليم **فصل** في معنى التفسير والتأويل **فأما** التفسير فأصله في اللغة من الفسر وهو كشف ما غطى وهو بيان المعاني المعقولة وكل ما يعرف به الشئ ومعناه فهو تفسير وقد يقال فيما يختص بمفردات الألفاظ وغريبها تفسير وقيل هو من التفسرة وهو الدليل الذي يظر فيه الطبيب فيكشف عن علة المريض فكذلك المفسر يكشف عن معنى الآية وشانها وقصتها **وأما** التأويل فاشتقاقه من الأول وهو الرجوع إلى الأصل يقال أولته قال الأصمعي صرفته فانصرف وهو رد الشئ إلى الغاية المرادة منه وبيان غايته المقصودة منه فالتأويل بيان المعاني والوجوه المستنبطة الموافقة للفظ الآية والفرق بين التفسير والتأويل أن التفسير يتوقف على النقل المسموع والتأويل يتوقف على الفهم الصحيح والله أعلم **القول في الاستعاذة** ولفظها المختار أعوذ بالله من الشيطان الرجيم لموافقة قوله تعالى فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ومعنى أعوذ بالله ألتجئ إليه وأمتنع به مما أخشاه ومن عاذ يعوذ من الشيطان أصله من شطن أي تباعد من الرحمة وقيل من شاط يشيط إذا هلك واحترق غضبا والشيطان اسم لكل عارم عاتي من الجن والإنس وشيطان الجن مخلوق من قوة النار فلذلك فيه القوة الغضبية الرجيم كفعيل بمعنى فاعل أي يرجم بالوسوسة والشر وقيل بمعنى مفعول أي مرجوم بالشهب عند استراق السمع وقيل مرجوم بالعذاب وقيل مرجوم يعني مطرود عن الرحمة وعن الخيرات وعن منازل الملأ الأعلى **وأما** حكم الاستعاذة ففيه مسائل **المسئلة الأولى** اتفق الجمهور على أن الاستعاذة في الصلاة سنة فلو تركها لم تبطل صلاته سواء تركها عمدا أو سهوا ويستحب لقارئ القرآن خارج الصلاة أن يتعوذ أيضا وحكي عن عطا وجوبها سواء كانت في الصلاة أو غيرها وقال ابن سيرين إذا تعوذ الرجل في عمره مرة واحدة كفى في إسقاط الوجوب دليل الوجوب ظاهر قوله تعالى فاستعذ والأمر للوجوب وأن النبي صلى الله عليه وسلم واظب على التعوذ فيكون واجبا دليل الجمهور أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعلم الأعرابي الاستعاذة في جملة أعمال الصلاة وتأخير البيان عن وقته غير جائز وأجيب عن قوله تعالى فاستعذ بأن معناه عند جميعهم إذا أردت القراءة فاستعذ كقوله إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا معناه إذا أردتم القيام إلى الصلاة وأجيب عن مواظبة النبي صلى الله عليه وسلم بأنه صلى الله عليه وسلم واظب على أشياء كثيرة من أفعال الصلاة ليست واجبة كالتكبيرات الانتقالات والتسبيحات في الصلاة فكان التعوذ مثلها **المسئلة الثانية** وقت الاستعاذة قبل القراءة عند الجمهور سواء كان في الصلاة أو خارجها وحكي عن النخعي أنه بعد القراءة وهو قول داود وإحدى الروايتين عن ابن

سيرين حجة الجمهور ما روى عن ابي سعيد الخدري قال كان صلى الله عليه وسلم اذا قام الى الصلاة بالليل كبر ثم يقول
سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك ثم يقول الله اكبر كبيرا ثم يقول اعوذ بالله السميع
العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه اخرجه الترمذي وقال هذا الحديث اشهر حديث في الباب وقد تكلم
في بعض رجاله وقال احمد لا يصح ولابي داود والنسائي عن ابي سعيد نحوه وعن جبير بن مطعم انه راى النبي صلى الله عليه
وسلم يصلي صلاة قال عمرو لا ادري اي صلاة هي قال الله اكبر كبيرا الله اكبر كبيرا الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا
ثلاثا وسبحان الله بكرة واصيلا ثلاثا اعوذ بالله من الشيطان الرجيم من نفخه ونفثه وهمزه قال نفخه الكبر
ونفثه الشعر وهمزه الموتة اخرجه ابو داود وقيل الموتة الجنون لان من جن قد مات عقله وقيل همزه هو الذي يوسوسه
واحتج مخالف الجمهور بظاهر قوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ واجيب عنه بما تقدم وقال مالك لا يتعوذ في المكتوبة
ويتعوذ في النافلة قيام رمضان بعد القراءة لما تقدم من الادلة **المسئلة الثالثة** المختار من الفاظ الاستعاذة
عند الشافعي رضي الله عنه اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وبه قال ابو حنيفة لموافقة قوله تعالى فاستعذ بالله من الشيطان
الرجيم وبحديث جبير بن مطعم وقال احمد الاولى ان يقول اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم جمعا بين هذه الآية
وبين قوله تعالى فاستعذ بالله انه هو السميع العليم وبحديث ابي سعيد وقال الثوري والاوزاعي ان يقول اعوذ بالله
من الشيطان الرجيم ان الله هو السميع العليم وبالجملة فالاستعاذة تطهير القلب عن كل شيء يشغل عن الله تعالى
ومن لطائف الاستعاذة ان قوله اعوذ بالله من الشيطان الرجيم اقرار من العبد بالعجز والضعف واعتراف من العبد
بقدرة الباري عز وجل وانه الغني القادر على دفع جميع المضرات والآفات واعتراف من العبد ايضا بان الشيطان
عدو مبين ففي الاستعاذة التجاء الى الله القادر في دفع وسوسة الشيطان الغوي الفاجر وانه لا يقدر على دفعه
عن العبد الا الله سبحانه وتعالى والله اعلم **تفسير سورة الفاتحة** وهي سبع ايات بالاتفاق وسبع
وعشرون كلمة ومائة وادبعون حرفا واختلف العلماء في نزولها فقيل نزلت بمكة وهو قول اكثر العلماء وقيل نزلت بالمدينة
وهو قول مجاهد وقيل نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة وسبب ذلك التنبيه على شرفها وفضلها ولها عدة
اسماء وكثرة الاسماء تدل على شرف المسمى وفضله فاول ذلك فاتحة الكتاب سميت بذلك لان بها افتتح القرآن
وبها تفتتح كتابة المصحف وبها تفتتح الصلاة الثاني سورة الحمد سميت بذلك لافتتاحها بالحمد لله الثالث
ام القرآن وام الكتاب سميت بذلك لانها اصل القرآن وام كل شيء اصله وقيل هي امام لما تليها من السور
الرابع السبع المثاني سميت بذلك لانها تثنى في الصلاة ويقرأ بها في كل ركعة وقيل لان الله تعالى استثناها
لهذه الامة فادخرها لهم ولم ينزلها على غيرهم وقيل لانها انزلت مرتين الخامس الوافية سميت بذلك لانها لا تقسم
في القراءة في الصلاة كما تقسم غيرها من السور السادس الكافية سميت بذلك لانها تكفي عن غيرها في الصلاة ولا يكفي
عنها غيرها **فصل** في فضلها خ عن ابي سعيد بن المعلى قال كنت اصلي في المسجد فدعاني رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلم اجبه ثم اتيته فقلت يا رسول الله اني كنت اصلي فقال الم يقل الله استجيبوا لله وللرسول اذا
دعاكم ثم قال لي لاعلمنك سورة هي اعظم السور في القرآن قبل ان تخرج من المسجد ثم اخذ بيدي فلما اراد ان
نخرج قلت له الم تقل لاعلمنك سورة هي اعظم سورة في القرآن قال الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني
والقرآن العظيم الذي اوتيته ورواه مالك في الموطا وقال فيه ان النبي صلى الله عليه وسلم نادى ابي بن كعب
وهو يصلي وذكر نحوه وفيه حتى تعلم وهي سورة ما انزل الله في التوراة ولا في الانجيل ولا في الزبور مثلها ورواه
الترمذي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على ابي وهو يصلي وذكر نحو رواية الموطا وقال فيه حديث
حسن صحيح عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انزل الله في التوراة ولا في الانجيل مثل ام القرآن

وهي السبع المثاني وهي مقسومة بيني وبين عبدي ولعبدي ما سال اخرجه الترمذي والنسائي عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله رب العالمين ام القرآن وام الكتاب والسبع المثاني اخرجه ابو داود والترمذي
وقال حديث حسن صحيح م عن ابن عباس قال بينما جبريل قاعد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع نقيضا من فوقه
فرفع راسه فقال هذا باب من السماء فتح اليوم ولم يفتح قط الا اليوم فسلم منه فقال ابشر بنورين اوتيتهما لم يؤتهما
نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لم تقرا بحرف منها الا اعطيته **قوله** سمع نقيضا هو بالقاف
والضاد المعجمة اي صوتا كصوت فتح الباب م عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة لم يقرا
فيها بام القرآن فهي خداج هي خداج هي خداج غير تمام قال فقلت يا ابا هريرة انا احيانا اكون وراء الامام فغمز ذراعي
وقال اقرا بها في نفسك يا فارسي فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى قسمت الصلاة بيني
وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سال فاذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله حمدني
عبدي واذا قال الرحمن الرحيم قال اثنى علي عبدي واذا قال لك يوم الدين قال مجدني عبدي وقال مرة فوض
الي عبدي واذا قال اياك نعبد واياك نستعين قال هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سال واذا قال اهدنا الصراط
المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال هذا لعبدي ولعبدي ما سال **قوله** فهي خداج
اي ناقصة فغمز ذراعي اي كبس ساعدي بيده **قوله** قسمت الصلاة اراد بالصلاة هنا القراءة لانه فسرها بها ولان
القراءة ركن من اركانها وجزء من اجزائها **قوله** نصفين حقيقة هذه القسمة التي جعلها بينه وبين عبده
راجعة الى المعنى لا الى اللفظ لان هذه السورة من جهة المعنى نصفها ثناء ونصفها مسئلة ودعاء وقسم الثناء
انتهى عند قوله اياك نعبد واياك نستعين من قسم الدعاء وهذا قال هذه بيني وبين عبدي ولعبدي ما سال قوله تعالى
حمدني عبدي ومجدني اي اثنى علي لان الحمد هو الثناء بجميل الفعال والتمجيد هو الثناء بصفات الجلال وقيل التحميد
والتمجيد التعظيم قوله وربما قال فوض الي عبدي وجه مطابقة هذا لقوله مالك يوم الدين يقال فوض فلان امره
الى فلان اذا رده اليه وعول فيه عليه وفي الحديث دليل على وجوب قراءة الفاتحة وانها متعينة وهو مذهب
الشافعي وجماعة وستاتي هذه المسئلة ان شاء الله تعالى بعد ذكر تفسير الفاتحة والله اعلم **بسم الله الرحمن الرحيم**
الباء في بسم الله حرف خافض يخفض ما بعده مثل من وعن والمتعلق به مضمر محذوف لدلالة الكلام عليه تقديره ابتدائي
بسم الله او بسم الله ابدا واقرا وانما طولت الباء في بسم الله واسقطت الالف طلبا للخفة وقيل لما اسقطوا الالف
ردوا طولها على البيان لطولها على الالف المحذوفة واثبت الالف في قوله تعالى فسبح باسم ربك العظيم لقلة
استعماله وقيل انما طولوا الباء لانهم اراد وا ان يستفتحوا كتاب الله بحرف معظم وقيل الباء حرف منخفض الصورة
فلما اتصلت ببسم الله ارتفعت واستعلت وقيل ان عمر بن عبد العزيز كان يقول لكتابه طولوا الباء من بسم الله و
اظهروا السين ودوروا الميم تعظيما لكتاب الله عز وجل والاسم هو المسمى عينه وذاته قال الله تعالى
انا نبشرك بغلام اسمه يحيى ثم نادى الاسم فقال يا يحيى وقال سبح اسم ربك الاعلى وتبارك اسم ربك وهذا
القول ليس بقوي والصحيح المختار ان الاسم غير المسمى وغير التسمية فالاسم ما يعرف به ذات الشيء وذلك
لان الاسم الاصوات المقطعة والحروف المؤلفة الدالة على ذات ذلك الشيء المسمى به فثبت بهذا ان الاسم
غير المسمى وايضا قد تكون الاسماء كثيرة والمسمى واحد كقوله تعالى ولله الاسماء الحسنى وقد يكون الاسم واحدا
والمسميات به كثيرة كالاسماء المشتركة وذلك يوجب المغايرة وايضا فقوله فادعوه بها امرنا بدعاء الله
باسمائه فالاسم آلة الدعاء والمدعو هو الله تعالى فالمغايرة حاصلة بين ذات المدعو وبين اللفظ المدعو
به واجيب عن قوله انا نبشرك بغلام اسمه يحيى بان المراد ذات الشخص المعبر عنه بيحيى لا نفس الاسم

وقوله صح

ذكره

وهي

واجيب عن قوله تعالى سبح اسم ربك الاعلى وتبارك اسم ربك بان معنى هذه الالفاظ يقتضي اضافة الاسم الى الله تعالى
واضافة الشيء الى نفسه محال وقيل كما يجب تنزيه ذات سبحانه وتعالى عن النقص فكذلك يجب تنزيه اسمائه وكون الاسم
غير التسمية عبارة عن تعيين اللفظ المعين لتعريف ذات الشيء والاسم عبارة عن تلك اللفظة المعينة والفرق
ظاهر واختلفوا في اشتقاق الاسم فقال البصريون من السمو وهو العلو فاسم الشيء ما علاه حتى ظهر به
وعلى عليه فكانه علا على معناه وصار علما له وقال الكوفيون من السمة وهي العلامة فكانه علامة لمسماه
وحجة البصريين لو كان الاسم اشتقاقه من السمة لكان تصغيره وسيم وجمعه اوسام واجمعوا على ان تصغيره
سمي وجمعه اسماء واسامي الله هو اسم علم خاص لله تعالى تفرد به الباري سبحانه وتعالى ليس مشتق ولا يشركه
فيه احد وهو الصحيح المختار دليله قوله عز وجل هل تعلم له سميا يعني لا يقال لغير الله وقيل هو مشتق من اله يأله
الاهة مثل عبد الرجل يعبد عبادة دليله ويذرك والهتك اي وعبادتك وقيل معناه المستحق للعبادة دون
غيره وقيل من الوله اي الفزع لان الخلق يولهون اليه اي يفزعون اليه في حوائجهم قال بعضهم ولهت ليكم
في بلادنا تنوبني فالغيتكم فيها كراما محتدا وقيل اصله اله يقال الهت الى فلان اي سكنت اليه فكان الخلق
يسكنون اليه ويطمئنون بذكره وقيل اصله ولاه فابدلت الواو همزة سمي بذلك لان كل مخلوق والهه
اما بالتسخير او بالارادة ومن هذا قيل الله محبوب كل الاشياء يدل عليه وان من شيء الا يسبح بحمده ومن خصائص
هذا الاسم انك اذا حذفت منه شيئا بقي الباقي يدل عليه فان حذفت الالف بقي لله وان حذفت اللام واثبت الالف
بقي اله وان حذفتهما بقي له وان حذفت الالف واللامين معا بقي هو واو عوض عن الضمة وذهبت بعضهم
الى ان هذا الاسم هو الاسم الاعظم لانه يدل على الذات وباقي الاسماء تدل على الصفات **الرحمن الرحيم**
قال ابن عباس هما اسمان رقيقان احدهما ارق من الاخر قيل هما بمعنى مثل ندمان ونديم ومعناهما ذو الرحمة
وانما جمع بينهما للتاكيد وقيل ذكر احدهما بعد الاخر تعظيما لقلوب الراغبين اليه وقيل الرحمن فيه معنى العموم
والرحيم فيه الخصوص فالرحمن بمعنى الوارف في الدنيا وهو على العموم لكافة الخلق للمؤمن والكافر والرحيم بمعنى العفو
الكافي للمؤمنين في الاخرة فهو على الخصوص ولذلك قيل رحمن الدنيا ورحيم الاخرة ورحمة الله ارادة الخير والاحسان
لاهله وقيل هي ترك عقوبة من يستحق العقاب واسداء الخير والاحسان لاهله وقيل هي ترك عقوبة من يستحق
العقاب واسداء الخير والاحسان الى من لا يستحق فهو على الاول صفة ذات وعلى الثاني صفة فعل وقيل الرحمن
يكشف الكروب والرحيم يغفر الذنوب وقيل الرحمن بثبتين الطريق والرحيم بالعصمة والتوفيق **فصل** في حكم البسملة
وفيه مسئلتان **المسئلة الاولى** في كون البسملة من الفاتحة وغيرها من السور سوى سورة براءة اختلف العلماء
في ذلك فذهب الشافعي وجماعة من العلماء الى انها اية من الفاتحة ومن كل سورة ذكرت في اولها سوى سورة
براءة وهو قول ابن عباس وابن عمر وابي هريرة وسعيد بن جبير وعطا وابن المبارك واحمد في احدى الروايتين عنه
واسحق ونقل البيهقي هذا القول عن علي بن ابي طالب والزهري والثوري ومحمد بن كعب وذهب الاوزاعي ومالك
وابو حنيفة الى ان البسملة ليست اية من الفاتحة زاد ابو داود ولا من غيرها من السور وانما هي بعض اية
في سورة النمل وانما كتبت للفصل والتبرك قال مالك ولا يستفتح بها في الصلاة المفروضة وللشافعي قولان انها
ليست من اوائل السور مع القطع بانها من الفاتحة فاما حجة من منع كون البسملة اية من الفاتحة ومن غيرها
حديث انس المشهور المخرج في الصحيحين وحديث عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتتح الصلاة
بالتكبير والقراءة بالحمد لله رب العالمين قالوا لان اول ما نزل به جبريل اقرا باسم ربك الذي خلق ولم يذكر البسملة
في اولها فدل على انها ليست منها قالوا ولان محل القرآن لا يثبت الا بالتواتر والاستفاضة ولان الصحابة

اجمعوا

اجمعوا على عدد كثير من السور منها سورة الملك ثلاثون اية وسورة الكوثر ثلاث ايات وسورة الاخلاص اربع ايات
فلو كانت البسملة منها لكانت خمسا واما حجة من ذهب الى اثباتها في اوائل السور من جهة النقل فقد صح عن ام
سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا البسملة في اول الفاتحة في الصلاة وعدها اية وعن ابن عباس في قوله تعالى
ولقد اتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم قال هي فاتحة الكتاب قيل فاين السابعة قال بسم الله الرحمن الرحيم
اخرجهما ابن خزيمة وغيره وروى عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يعلم فصل السورة وفي رواية
انقضاء السورة حتى ينزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم اخرجه ابو داود والحاكم ابو عبد الله في مستدركه وقال فيه
انه صحيح على شرط الشيخين وروى الدارقطني عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قمتم الحمد
فاقرؤا بسم الله الرحمن الرحيم فانها ام القرآن وام الكتاب والسبع المثاني وبسم الله الرحمن الرحيم احدى اياتها
قال الدارقطني في رجال اسناده كلهم ثقات وروى موقوفا وروى الدارقطني عن ام سلمة ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم اية ولم يعد عليهم واخرج مسلم في افراده عن انس قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم
بين اظهرنا اذ اغفى اغفاءة ثم رفع راسه متبسما فقلنا ما اضحك يا رسول الله قال انزلت علي انفا سورة فقرا
بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر قال البيهقي احسن ما احتج به اصحابنا ان بسم الله الرحمن الرحيم اية من القرآن
وانها من فواتح السور سوى سورة براءة ما رويناه في جمع الصحابة كتاب الله عز وجل في المصاحف وانهم كتبوا
فيها بسم الله الرحمن الرحيم على راس كل سورة سوى سورة براءة فلو كيف يتوهم متوهم انهم كتبوا فيها ماية وثلاث
عشرة اية ليست من القرآن قال وقد علمنا بالروايات الصحيحة عن ابن عباس انه كان يعد بسم الله الرحمن الرحيم
اية من الفاتحة وروى الشافعي بسنده عن ابن عمر انه كان لا يدع بسم الله الرحمن الرحيم لام القرآن والسور
التي بعدها زاد غيره عنه انه كان يقول لم كتبت في المصحف ان لم تقرا وروى الشافعي عن ابن عباس انه
كان يفعله ويقول انتزع الشيطان منهم خيار اية في القرآن وفي افراد البخاري من حديث انس انه سئل كيف كانت
قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كانت مدا ثم قرا بسم الله الرحمن الرحيم يمد بسم الله ويمد الرحمن ويمد
الرحيم فقد ثبت بهذه الادلة الصحيحة الواضحة ان البسملة من الفاتحة ومن كل موضع ذكرت فيه **وايضا**
فاجماع الصحابة على اثباتها في المصاحف وانهم طلبوا بكتابة المصاحف تجديد كلام الله عز وجل المنزل على محمد
صلى الله عليه وسلم قرانا وتدوينه من ان يزيد فيه او ينقص منه ولهذا لم يكتبوا فيه لفظة امين
وان كان قد ورد انه كان يقولها بعد الفاتحة فلو لم تكن البسملة من القرآن في اوائل السور لما كتبوها وكان
حكمها حكم امين **المسئلة الثانية** في حكم الجهر بالبسملة والاسرار بها اثبت بما تقدم من الادلة
ان البسملة اية من الفاتحة ومن غيرها من السور حيث كتبت كان حكمها في الجهر والاسرار حكم الفاتحة
فيجهر بها مع الفاتحة في الصلاة الجهرية ويسر بها مع الفاتحة في الصلاة السرية وممن قال بالجهر
بالبسملة من الصحابة ابو هريرة وابن عباس وابن عمر وابن الزبير ومن التابعين فمن بعدهم سعيد بن جبير
وابو قلابة والزهري وعكرمة وعطا وطاوس ومجاهد وعلي بن الحسين وسالم بن عبد الله ومحمد بن كعب
القرظي وابن سيرين وابن المنكدر ونافع مولى ابن عمر وزيد بن اسلم ومكحول وعمر بن عبد العزيز وعمرو بن
دينار ومسلم بن خالد وااليه ذهب الشافعي واحمد قولي ابن وهب صاحب مالك **ويحكى ايضا** عن ابن المبارك
وابي قدامة وممن ذهب الى الاسرار بها من الصحابة ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود وعمار بن ياسر
وابن معقل وغيرهم اما حجة من قال بالجهر فقد روى جماعة من الصحابة منهم ابو هريرة وابن عباس وانس

وعلي بن أبي طالب وسمرة بن جندب وأم سلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم جهر بالبسملة فمنهم من صرح بذلك ومنهم من فهم ذلك من عبارته ولم يرد في صريح الإسرار بها عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا روايتان أحدهما ضعيفة وهي رواية عبد الله بن مغفل والأخرى عن أنس وهي في الصحيح وهي معللة بما أوجب سقوط الاحتجاج بها وروى نعيم عن عبد الله المجمر قال صليت وراء أبي هريرة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ثم قرأ بأم القرآن وذكر الحديث وفيه ثم يقول إذا سلم إني لأشبهكم صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجه النسائي وابن خزيمة في صحيحه وقال أما الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم فقد ثبت وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم وروى الدارقطني بسنده عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأ وهو يؤم الناس افتتح ببسم الله الرحمن الرحيم وذكر الحديث قال الدارقطني إسناده كلهم ثقات • وعن ابن عباس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم أخرجه الدارقطني وقال ليس في روايته مجروح وأخرجه الحاكم أبو عبد الله وقال إسناده صحيح وليس له علة • وفي رواية عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتتح الصلاة ببسم الله الرحمن الرحيم أخرجه الدارقطني وقال صحيح ليس في إسناده مجروح وأخرجه الترمذي وقال ليس إسناده بذاك قال الشيخ أبو شامة أي لا يماثل إسناد ما في الصحيح ولكن إذا انضم إلى ما تقدم من الأدلة رجح على ما في الصحيح وعن أنس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يجهر بالقراءة ببسم الله الرحمن الرحيم أخرجه الدارقطني وقال إسناده صالح وفيه عن محمد بن أبي السري العسقلاني قال صليت خلف المعتمر بن سليمان ما لا أحصي صلاة الصبح والمغرب فكان يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم قبل الفاتحة وبعدها وسمعت المعتمر يقول ما آلو أن أقتدي بصلاة أنس بن مالك وقال أنس ما آلو أن أقتدي بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجه الدارقطني وقال كلهم ثقات وأخرجه الحاكم أبو عبد الله وقال رواة هذا الحديث عن آخرهم كلهم ثقات قلت وفي الباب أحاديث وأدلة وإيرادات وأجوبة من الجانبين يطول ذكرها وفي هذا القدر كفاية وبالله التوفيق والله أعلم قوله عز وجل الحمد لله لفظه خبر كأنه سبحانه وتعالى يخبر أن المستحق للحمد هو الله تعالى ومعناه الأمر أي قولوا الحمد لله وفيه تعليم الخلق كيف يحمدونه والحمد والمدح أخوان وقيل بينهما فرق وهو أن المدح قد يكون قبل الإحسان وبعده والحمد لا يكون إلا بعد الإحسان وقيل إن المدح قد يكون منهيا عنه وأما الحمد فمأمور به والحمد يكون بمعنى الشكر على النعمة ويكون بمعنى الثناء بجميل الأفعال تقول حمدت الرجل على علمه وكرمه والشكر لا يكون إلا على النعمة فالحمد أعم من الشكر إذ لا تقول شكرت فلانا على علمه فكل حامد شاكر وليس كل شاكر حامدا وقيل الحمد باللسان قولا والشكر بالأركان فعلا والحمد ضد الذم واللام في لله لام الاستحقاق كقولك الدار لزيد يعني أنه المستحق للحمد لأنه المحسن المتفضل على كافة الخلق على الإطلاق رب العالمين الرب بمعنى المالك كما يقال رب الدار ورب الشيء أي مالكه ويكون بمعنى التربية والإصلاح يقال رب فلان الضيعة يربها إذا أصلحها فالله تعالى مالك العالمين ومربيهم ومصلحهم ولا يقال الرب للمخلوق معرفا بل يقال رب الشيء مضافا والعالمين جمع عالم لا واحد له من لفظه وهو اسم لكل موجود سوى الله تعالى فيدخل فيه جميع الخلق وقال ابن عباس هم الجن والإنس لأنهم المكلفون بالخطاب وقيل العالم اسم لذوي العلم من الملائكة والجن والإنس ولا يقال للبهائم عالم لأنها لا تعقل واختلف في مبلغ عددهم فقيل لله ألف عالم ستمائة في البحر وأربعمائة في البر وقيل ثمانون ألف عالم أربعون ألفا في البر ومثلهم في البحر وقيل ثمانية عشر ألف عالم الدنيا منها عالم واحد وما العمران في الخراب إلا كفسطاط في صحراء الفسطاط الخيمة واشتقاق العالم من العلم وقيل من العلامة

وإنما

وإنما سمي بذلك لأنه دال على الخالق سبحانه وتعالى الرحمن الرحيم فالرحمن هو المنعم بما لا يتصور صدور تلك النعم من العباد والرحيم هو المنعم بما يتصور صدور تلك النعم من العباد فلا يقال لغير الله رحمن ويقال لغيره من العباد رحيم فإن قلت قد سمي مسيلمة الكذاب برحمن اليمامة وهو قول شاعرهم فيه وأنت غيث الورى ما زلت رحمانا قلت هو باب تعنتهم في كفرهم ومبالغتهم في مدح صاحبهم فلا يلتفت إلى قولهم هذا فإن قلت قد ذكر الرحمن الرحيم في البسملة فما فائدة تكريره هنا مرة ثانية قلت ليعلم أن العناية بالرحمة أكثر من غيرها من الأمور وأن الحاجة إليها أكثر فنبه سبحانه وتعالى بتكرير ذكر الرحمة على كثرتها وأنه هو المتفضل بها على خلقه قوله تعالى مالك يوم الدين يعني أنه تعالى صاحب ذلك اليوم الذي يكون فيه الجزاء والمالك هو المتصرف بالأمر والنهي وقيل هو القادر على إخراج الأعيان من العدم إلى الوجود ولا يقدر على ذلك إلا الله تعالى وقيل مالك أوسع من ملك لأنه يقال مالك العبد والدابة ولا يقال ملك هذه الأشياء وأنه لا يكون مالكا لشيء إلا وهو يملكه وقد يكون ملكا لشيء ولا يملكه • وقيل ملك أولى لأن كل ملك مالك وليس كل مالك ملك وقيل هما بمعنى واحد مثل فرهين وفارهين قال ابن عباس مالك يوم الدين قاضي يوم الحساب وقيل الدين الجزاء ويقع على الخير والشر يقال كما تدين تدان • وقيل هو يوم لا ينفع فيه إلا الدين وقيل الدين القهر يقال دنته فدان أي قهرته فذل فإن قلت لم خص يوم الدين بالذكر مع كونه مالكا للأيام كلها قلت لأن ملك الأملاك يومئذ زائلة فلا ملك ولا أمر يومئذ إلا لله تعالى كما قال تعالى الملك يومئذ الحق للرحمن وقال لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقد يسمى في دار الدنيا آحاد الناس بالملك وذلك على المجاز لا على الحقيقة قوله عز وجل إياك نعبد رجع من الخبر إلى الخطاب وفائدة ذلك أن من أول السورة إلى هاهنا ثناء والثناء في الغيبة أولى ومن قوله إياك نعبد دعاء والخطاب في الدعاء أولى وقيل فيه ضمير أي قولوا إياك نعبد والمعنى إياك نخص بالعبادة ونوحدك ونطيعك خاضعين لك والعبادة أقصى غاية الخضوع والتذلل وسمي العبد عبدا لذلته وانقياده وقيل العبادة عبارة عن الفعل الذي يؤدى به الفرض لتعظيم الله تعالى فقول العبد إياك نعبد معناه لا أعبد أحدا سواك والعبادة غاية التذلل من العبد ونهاية التعظيم للرب سبحانه لأنه العظيم المستحق للعبادة ولا تستعمل العبادة إلا في الخضوع لله تعالى لأنه مولي أعظم النعم وهي إيجاد العبد من العدم إلى الوجود ثم هداه إلى دينه فكان العبد حقيقا بالخضوع والتذلل له وإياك نستعين أي منك نطلب المعونة على عبادتك وعلى جميع أمورنا فإن قلت الاستعانة على العمل إنما تكون قبل الشروع فيه فلم أخر الاستعانة على العبادة وما الحكمة فيه قلت ذكروا فيه وجوها أحدها أن هذا يلزم من يجعل الاستطاعة قبل الفعل ونحن بحمد الله نجعل التوفيق والاستطاعة مع الفعل فلا فرق بين التقديم والتأخير الثاني أن الاستعانة نوع تعبد فكأنه ذكر جملة العبادة أولا ثم ذكر ما هو من تفاصيلها ثانيا الثالث كأن العبد يقول شرعت في العبادة فأنا أستعين بك على تمامها فلا يمنعني من إتمامها مانع الرابع أن العبد إذا قال إياك نعبد حصل له الفخر وذلك منزلة عظيمة فيحصل بسبب ذلك العجب فأردف ذلك بقوله وإياك نستعين ليزول ذلك العجب الحاصل بسبب تلك العبادة اهدنا الصراط المستقيم أي أرشدنا وقيل ثبتنا وهو كما تقول للقائم قم حتى أعود إليك ومعناه دم على ما أنت عليه وهذا الدعاء من المؤمنين مع كونهم على الهداية بمعنى سؤال التثبيت وطلب مزيد الهداية لأن الألطاف والهدايات من الله لا تتناهى وهذا مذهب أهل السنة و الصراط الطريق قال جرير أمير المؤمنين على صراط • إذا اعوج الموارد مستقيم • أي على طريقة حسنة قال ابن عباس هو دين الإسلام وقيل هو القرآن وروي ذلك مرفوعا • وقيل السنة والجماعة وقيل معناه اهدنا صراط المستحقين للجنة صراط الذين أنعمت عليهم هذا بدل من الأول أي الذين مننت عليهم بالهداية والتوفيق وهم الأنبياء

والمؤمنون الذين ذكرهم الله في قوله أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وقال ابن عباس هم قوم موسى وعيسى الذين لم يغيروا ولم يبدلوا وقيل هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وأهل بيته **غير المغضوب عليهم** يعني غير صراط الذين غضبت عليهم والغضب في الأصل هو ثوران دم القلب وإرادة الانتقام ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اتقوا الغضب فإنه جمرة توقد في قلب ابن آدم ألم تروا إلى انتفاخ أوداجه وحمرة عينيه وإذا وجد أحدكم من ذلك فليلصق بالأرض فالمراد منه الانتقام فقط دون غيره وهو انتقامه من العصاة وغضب الله لا يلحق عصاة المؤمنين إنما يلحق الكافرين **ولا الضالين** أي وغير الضالين عن الهدى وأصل الضلال الغيبوبة والهلاك يقال ضل الماء في اللبن إذا غاب فيه وهلك وقيل غير المغضوب عليهم هم اليهود والضالين هم النصارى **عن** عدي بن حاتم عن النبي صلى الله عليه وسلم اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضلال أخرجه الترمذي وذلك لأن الله تعالى حكم على اليهود بالغضب فقال من لعنه الله وغضب عليه وحكم على النصارى بالضلال فقال ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وقيل غير المغضوب عليهم بالبدعة ولا الضالين عن السنة والله أعلم **فصل** في آمين وحكم الفاتحة وفيه مسئلتان **الأولى** السنة للقارئ بعد فراغه من الفاتحة أن يقول آمين مفصولا عنها بسكتة وهو مخفف وفيه المد والقصر قال في المد ويرحم الله عبدا قال آمين وقال في القصر آمين وزاد الله ما بيننا بعدا ومعنى آمين اللهم اسمع واستجب وقال ابن عباس معناه كذلك يكون وقيل هو اسم من أسماء الله تعالى وقيل هو خاتم الله على عباده يدفع به عنهم الآفات **ق** عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا أمن الإمام فأمنوا فإن من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه قال ابن شهاب وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول آمين وفي رواية للبخاري أن الإمام إذا قال غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقولوا آمين فإن الملائكة تقول آمين وأن الإمام يقول آمين فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه **قوله** فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة تعناه وافقهم في وقت التأمين فأمن مع تأمينهم وقيل وافقهم في الصفة والخشوع والإخلاص والقول الأول هو الصحيح واختلفوا في هؤلاء الملائكة قيل هم الحفظة وقيل غيرهم من الملائكة **غفر له** ما تقدم من ذنبه يعني صغائر الذنوب دون الكبائر وقول ابن شهاب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول آمين معناه أن هذه صيغة تأمين صلى الله عليه وسلم

المسئلة الثانية في حكم الفاتحة اختلف العلماء في وجوب قراءة الفاتحة فذهب مالك والشافعي وأحمد وجمهور العلماء إلى وجوب الفاتحة وأنها متعينة في الصلاة ولا تجزئ الا بها واحتجوا بما روى عن عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا صلاة لمن لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب أخرجاه في الصحيحين وبحديث أبي هريرة من صلى صلاة لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهي خداج ثلاثا غير تمام الحديث وقد تقدم في فضل سورة الفاتحة وذهب أبو حنيفة إلى أن الفاتحة لا تتعين على المصلي بل الواجب عليه قراءة آية من القرآن طويلة أو ثلاث آيات قصار واحتج بقوله تعالى فاقرؤوا ما تيسر منه وبقوله صلى الله عليه وسلم في حديث الأعرابي المسيء صلاته ثم اقرأ بما تيسر معك من القرآن أخرجاه في الصحيحين دليل الجمهور ما تقدم من الأحاديث فإن قيل المراد من الحديث لا صلاة كاملة **قلنا** هذا خلاف ظاهر لفظ الحديث ومما يدل عليه حديث أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجزئ صلاة لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب أخرجه الدارقطني وقال إسناده صحيح وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره أن ينجر فينادي لا صلاة الا بفاتحة الكتاب فما زاد أخرجه أحمد وأبو داود وأجيب عن حديث الأعرابي بأنه محمول على الفاتحة فإنها متيسرة أو على ما زاد على الفاتحة أو على العاجز عن قراءة الفاتحة والله أعلم

سورة البقرة قال ابن عباس هي أول ما نزل بالمدينة قيل سوى اية وهي قوله تعالى واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله فإنها نزلت يوم النحر بمكة في حجة الوداع وهي مائتان وست وقيل وسبع وثمانون اية وستة آلاف وثمانمائة وواحد

وعشرون كلمة وخمسة وعشرون ألف حرف وخمسمائة حرف **فصل** في فضلها **م** عن أبي أمامة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه اقرؤوا الزهراوين البقرة وآل عمران فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو كأنهما فرقان من طير صواف يحاجان عن صاحبهما اقرؤوا البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة قال معاوية بن سلام يعني أن البطلة السحرة **قوله** اقرؤوا الزهراوين سميتا بذلك لنورهما وهدايتهما يقال لكل مستنير زاهر **قوله** كأنهما غمامتان أو غيايتان قال أهل اللغة الغمامة والغيابة كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه من سحابة وغيرها والمعنى أن ثوابهما يأتي كغمامتين **قوله** فرقان من طير صواف الفرق الجماعة من الطير والصواف جمع صافة وهي التي تصف أجنحتها عند الطيران يحاجان المحاجة والمجادلة والمخاصمة إظهار الحجة والبطلة السحرة كما جاء في الحديث مبينا يقال بطل إذا جاء بالباطل وفي الحديث دليل على جواز قول سورة البقرة وسورة آل عمران وكذا باقي السور والأمة لا كراهة في ذلك وكرهه بعض المتقدمين وقال إنما يقال السورة التي يذكر فيها البقرة وكذا باقي السور والصواب هو الأول وبه قال الجمهور لورود النص به **م** عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلوا بيوتكم مقابر إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة **وعنه** قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل شيء سنام وإن سنام القرآن سورة البقرة وفيها اية هي سيدة اي القرآن اية الكرسي أخرجه الترمذي وقال حديث غريب

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل **الم** قيل إن حروف الهجا في أوائل السور من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه وهي سر الله في القرآن فنحن نؤمن بظاهرها ونكل العلم فيها إلى الله تعالى وفائدة ذكرها طلب الإيمان بها قال أبو بكر الصديق في كل كتاب سر وسر الله تعالى في القرآن أوائل السور وقال علي بن أبي طالب لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي وأورد على هذا القول بأنه لا يجوز أن يخاطب الله عباده بما لا يفهمون وأجيب عنه بأنه يجوز أن يكلف عباده بما لا يعقل معناه كرمي الجمار فإنه مما لا يعقل معناه والحكمة فيه هو كما قال الانقياد والطاعة فكذلك هذه الحروف يجب الإيمان بها ولا يلزم البحث عنها وقال الخرود من أهل العلم هي معروفة المعاني ثم اختلفوا فيها فقيل كل حرف منها مفتاح اسم من أسماء الله تعالى فالألف مفتاح اسمه الله واللام مفتاح اسمه لطيف والميم مفتاح اسمه مجيد وقيل الألف آلاؤه واللام لطفه والميم ملكه ويؤيد هذا أن العرب تذكر حرفا من كلمة تريد كلها قال الراجز قلت لها قفي فقالت قاف لا تحسبي أنا نسينا الإيجاف قولها قاف أي وقفت فاكتفت بجزء الكلمة عن كلها والإيجاف الإسراع في السير قال ابن عباس الم أنا الله أعلم وقيل هي اسما الله مقطعة لو علم الناس ما فيها لعلموا اسم الله الأعظم ألا ترى أنك تقول الرحمن ولو جمعوها الرحمن وكذلك سائرها ولكن لم يتهيأ تأليفها جميعا وقيل أسماء السور وبه قال الجماعة من المحققين وقال ابن عباس هي أقسام أقسم الله بهذه الحروف لشرفها وفضلها لأنها مبانى كتبه المنزلة وأسمائه الحسنى وصفاته العليا وإنما اقتصر على بعضها وإن كان المراد كلها فهو كما تقول قرأت الحمد لله وتريد أنك قرأت السورة بكمالها فكأنه تعالى أقسم بهذه الحروف أن هذا الكتاب هو المثبت في اللوح المحفوظ وقيل إن الله تعالى لما تحداهم بقوله فأتوا بسورة من مثله بعشر سور مثله فعجزوا عنه أنزل الله هذه الأحرف ومعناه أن هذا القرآن ليس هو إلا من هذه الأحرف وأنتم قادرون عليها فكان يجب أن تأتوا بمثله فلما عجزتم عنه دل ذلك على أنه من عند الله تعالى لا من عند البشر وقيل أنهم لما أعرضوا عن سماع القرآن وأراد الله صلاح بعضهم أنزل هذه الأحرف فكانوا إذا سمعوها قالوا لو كان المتعجمين اسمعوا إلى ما يجيء به محمد صلى الله عليه وسلم فإذا أصغوا إليه وسمعوه رسخ في قلوبهم فكان سببا لإيمانهم

وقيل إن الله تعالى حيث عقول الخلق في ابتداء خطابه ليعلموا أن لا سبيل لأحد إلى معرفة خطابه إلا باعترافهم بالعجز
عن معرفة كنه حقيقة خطابه واعلم أن مجموع الأحرف المنزلة في أوائل السور أربعة عشر حرفا في تسع وعشرين
سورة وهي الألف واللام والميم والصاد والراء والكاف والهاء والياء والعين والطاء والسين والحاء والقاف
والنون وهي نصف حروف المعجم وسيأتي الكلام على ما فيها في مواضعها إن شاء الله تعالى وقوله تعالى ذلك الكتاب
أي هذا الكتاب هو القرآن وقيل فيه إضمار والمعنى هذا الكتاب ذلك الذي وعدتك به وكان الله قد وعد نبيه صلى الله
عليه وسلم أن ينزل عليه كتابا لا يمحوه الماء ولا يخلق على كثرة الرد فلما أنزل القرآن قال هذا ذلك الكتاب الذي
وعدتك به وقيل إن الله وعد بني إسرائيل أن ينزل كتابا ويرسل رسولا من بني إسمعيل فلما هاجر رسول الله صلى الله
عليه وسلم إلى المدينة وبها من اليهود خلق كثير أنزل الله هذه الآية الم ذلك الكتاب أي هذا ذلك الكتاب
الذي وعدت على لسان موسى أن أنزله على النبي الذي من ولد إسمعيل والكتاب مصدر بمعنى المكتوب أصله الضم
والجمع ومنه يقال للجند كتيبة لاجتماعها فسمي الكتاب كتابا لأنه يجمع الحروف وبعضها إلى بعض والكتاب
اسم من أسماء القرآن **لا ريب فيه** أي لا شك فيه أنه من عند الله وأنه الحق والصدق وقيل هو خبر بمعنى
النهي أي لا ترتابوا فيه فإن قلت قد ارتاب به قوم فما معنى لا ريب فيه قلت معناه أنه في نفسه حق وصدق فمن
حق النظر عرف حقيقة ذلك **هدى للمتقين** الهداية عبارة عن الدلالة وقيل هو الدلالة بلطف وقيل الهداية
الإرشاد والمعنى هو هدى للمتقين وقيل هو هاد لا ريب في هدايته والمتقي اسم فاعل من وقاه فاتقى والتقوى
جعل النفس في وقاية مما يخاف وقيل التقوى في عرف الشرع حفظ النفس مما يؤثم وذلك بترك المحظور وبعض
المباحات قال ابن عباس المتقي من يتقي الشرك والكبائر والفواحش وهو ما خوذ من الاتقاء وأصله الحجز بين
الشيئين يقال اتقى بترسه إذا جعله حاجزا بينه وبين ما يقصده وفي الحديث كنا إذا اشتد البأس اتقينا
برسول الله صلى الله عليه وسلم معناه كنا إذا اشتد الحرب جعلنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجزا
بيننا وبين العدو فكان المتقي يجعل امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه حاجزا بينه وبين النار وقيل
المتقي هو من لا يرى نفسه خيرا من أحد وقيل التقوى ترك ما حرم الله وأداء ما افترض وقيل التقوى
ترك الإصرار على المعصية وترك الاغترار بالطاعة وقيل التقوى أن لا يراك مولاك حيث نهاك وقيل
التقوى الأفق بالنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وفي الحديث جماع التقوى في قوله تعالى إن الله يأمر
بالعدل والإحسان الآية وقيل المتقي هو الذي يترك ما لا بأس به حذرا مما به بأس وخص المتقين بالذكر تشريفا
لهم لأن مقام التقوى مقام شريف عزيز لأنهم هم المنتفعون بالهداية ولو لم يكن للتقين فضل إلا قوله هدى
للمتقين لكفاهم فإن قلت كيف قال هدى للمتقين والمتقون هم المهتدون قلت هو كقولك للغني الكريم اعتمد
فلانا وأكرمه تريد بذلك تزيده له إلى ما هو ثابت فيه كقوله اهدنا الصراط المستقيم الذين **يؤمنون بالغيب** أي يصدقون
بالغيب وأصل الإيمان في اللغة التصديق قال تعالى وما أنت بمؤمن لنا أي بمصدق فإذا فسر الإيمان بهذا فإنه
لا يزيد ولا ينقص لأن التصديق لا يتجزى حتى يتصور كماله مرة وتنقصانه أخرى والإيمان في لسان الشرع
عبارة عن التصديق بالقلب واللسان والعمل بالأركان فإذا فسر بهذا فإنه يزيد وينقص وهو
مذهب أهل السنة من أهل الحديث وغيرهم وفائدة هذا الخلاف تظهر في مسئلة وهي أن المصدق بقلبه
إذا لم يجمع إلى تصديقه العمل بموجب الإيمان من الصلاة والزكاة والصوم والحج ونحو ذلك من أركان الدين هل
يسمى مؤمنا أم لا فيه خلاف والمختار عند أهل السنة أنه لا يسمى مؤمنا لقوله صلى الله عليه وسلم
لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن فنفى عنه اسم الإيمان فأما كمال الإيمان وأنكر أكثر المتكلمين زيادة الإيمان

ونقصانه

ونقصانه وقالوا متى قبل الزيادة والنقص كان ذلك شكا وكفرا وقال المحققون من متكلمي أهل السنة إن نفس
التصديق لا يزيد ولا ينقص والإيمان الشرعي يزيد وينقص بزيادة الأعمال ونقصانها بهذا أمكن الجمع بين ظواهر
نصوص الكتاب والسنة التي جاءت بزيادة الإيمان ونقصانه وبين أصله من اللغة وقال بعض المحققين إن نفس
التصديق قد يزيد وينقص بكثرة النظر في الأدلة والبراهين وقلة إمعان النظر في ذلك وبهذا يكون إيمان
الصديق من أقوى من إيمان غيرهم من آحاد الناس فليس كذلك إذ لا يشك عاقل أن نفس تصديق أبي بكر لا يساويه
تصديق غيره من آحاد الأمة وقيل إنما سمي الإقرار والعمل بها إيمانا لوجه من المناسبة لأنه من شرائعه والدليل
على أن الأعمال من الإيمان ما روى عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الإيمان بضع وسبعون
شعبة أفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان أخرجاه في الصحيحين
البضع بكسر الباء ما بين الثلاثة إلى العشرة والشعبة القطعة من الشيء وإماطة الأذى عن الطريق هو غرز الحجر
والشوك ونحو ذلك عنه والحياء بالمد هو انقباض النفس عن فعل القبيح وإنما جعل من الإيمان وهو اكتساب لأن
المستحي يتحرج باستحيائه عن المعاصي فصار من الإيمان وقيل الإيمان ما خوذ من الأمن فسمي المؤمن مؤمنا
لأنه يؤمن نفسه من عذاب الله والإسلام هو الانقياد والخضوع فكل إيمان إسلام وليس كل إسلام إيمانا إذا لم
يكن معه تصديق وذلك أن الرجل قد يكون مسلما في الظاهر وغير مصدق في الباطن ق عن أبي هريرة
قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بارزا للناس فاتاه رجل فقال يا رسول الله ما الإيمان قال أن
تؤمن بالله وملائكته وكتبه ولقائه ورسله وتؤمن بالبعث الآخر قال يا رسول الله ما الإسلام قال أن تعبد الله
لا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤدي الزكوة المفروضة وتصوم رمضان قال يا رسول الله ما الإحسان
قال أن تعبد الله كأنك تراه فإنك إن لا تراه فإنه يراك قال يا رسول الله متى الساعة قال ما المسئول عنها بأعلم
من السائل ولكن سأحدثك عن أشراطها إذا ولدت الأمة ربتها فذاك من أشراطها وإذا كانت الحفاة
العراة رؤوس الناس فذاك من أشراطها وإذا تطاول رعاء البهم في البنيان فذاك من أشراطها في خمس لا يعلمهن
إلا الله ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام
الآية ثم قال ردوا علي الرجل فاخذوا ليردوه فلم يروا شيئا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا جبريل جاء ليعلم
الناس دينهم وفي أفراد مسلم من حديث عمر بن الخطاب نحو هذا الحديث ومعناه وقد تقدم الكلام على
الإيمان والإسلام وبقي أشياء تتعلق بمعنى الحديث فقوله كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما
بارزا أي ظاهرا وقوله وتؤمن بالله ولقائه وتؤمن بالبعث الآخر بكسر الخاء وقيل في الجمع بين قوله وتؤمن
بلقاء الله وبالبعث فإن اللقاء يحصل بمجرد الانتقال إلى الدار الآخرة وهو الموت والبعث هو بعد قيام
الساعة وفي تقييده بالآخر وجه آخر وهو أن خروجه إلى الدنيا بعثة للأرحام وخروجه من القبر إلى الآخرة
بعث آخر **قوله** ما الإحسان هو هنا الإخلاص في العمل وهو شرط في صحة الإيمان والإسلام لأن من
أتى بلفظ الشهادة وأتى بالعمل من غير إخلاص لم يكن محسنا وقيل أراد بالإحسان المراقبة وحسن الطاعة
فإن من راقب الله حسن عمله وهو المراد بقوله فإن لم تكن تراه فإنه يراك وأشراط الساعة علاماتها
التي تظهر قبل قيامها **قوله** إذا ولدت الأمة ربتها يعني سيدها والمعنى أن الرجل يكون له الأمة فتلد
له ولدا فيكون ذلك الولد بمنزلة سيدها ورعاء البهم بكسر الراء وفتح الباء واسكان الهاء من البهم وهي
الصغار من أولاد الضأن والمعنى أنه يبسط المال على أهل البادية وأشباههم حتى يتباهون في البناء ويسود
الناس فذلك من أشراط الساعة والله تعالى أعلم قوله تعالى بالغيب الغيب مصدر وضع موضع الاسم

وأثبت هم
لأنهم لا تعتريهم شبهة في إيمانهم ولا تزلزل
وأما عبدهم هم

فقيل للغائب غيب وهو ما كان منحجبا عن العيون قال ابن عباس الغيب هنا كل ما امرت بالايمان به مما غاب عن بصرك
من الملائكة والبعث والجنة والنار والصراط والميزان وقيل الغيب هنا هو الله تعالى وقيل القرآن وقيل بالاخرة
وقيل بالوحي وقيل بالقدر وقال عبد الرحمن بن يزيد كنا عند عبد الله بن مسعود فذكرنا اصحاب محمد وما سبقونا به فقال
عبد الله بن مسعود ان امر محمد صلى الله عليه وسلم كان بينا لمن رآه والذي لا اله غيره ما من احد اعطي افضل من
ايمان بغيب ثم قرأ الم ذلك الكتاب الى قوله واولئك هم المفلحون **ويقيمون الصلاة** اي يديمون عليها في
مواقيتها بحدودها واتمام اركانها وحفظها من ان يقع فيها خلل في فرايضها وسننها وآدابها والمراد
بها الصلوات الخمس والصلوة في اللغة الدعاء والرحمة ومنه وصل عليهم اي ادع لهم واصله من صلت العود
اذا لينته فكان المصلي يلين ويخشع وفي الشرع اسم لافعال مخصوصة من قيام وركوع وسجود وقعود ودعاء في الجملة
ومما رزقناهم اي اعطيناهم من الرزق وهو اسم لما ينتفع به من مال وولد واصله الحظ والنصيب
ينفقون اي يخرجون ويتصدقون في طاعة الله تعالى وسبيله ويدخل فيه انفاق الواجب كالزكاة والنذر
والانفاق على النفس وعلى من تجب نفقته عليه والانفاق في الجهاد اذا وجب عليه والانفاق في المندوب
وهو صدقة التطوع ومواساة الاخوان وهذه كلها مما مدح بها وادخل من التي هي للتبعيض صيانة لهم
وكفا عن السرف والتبذير المنهي عنهما في الانفاق **والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك**
اي يصدقون بالقرآن المنزل عليك وبالكتب المنزلة على الانبياء من قبلك كالتوراة والانجيل والزبور وصحف الانبيا
كلها فيجب الايمان بذلك كله **وبالاخرة** يعني وبالدار الاخرة سميت اخرة لتاخرها عن الدنيا وكونها بعدها
هم يوقنون من الايقان وهو العلم والمعنى يتيقنون ويعلمون انها كائنة **اولئك** اي الذين هذه صفتهم
على هدى من ربهم اي على رشاد ونور من ربهم وقيل على استقامة **واولئك هم المفلحون** اي الناجون الفائزون
بخير من النار وفازوا بالجنة والمفلح الظافر بالمطلوب الذي انفتحت له وجوه الظفر ولم تنغلق عليه وكون
الفلاح بمعنى البقا قال الشاعر • لو كان حي مدرك الفلاح • ادركه ملاعب الرماح • يريد البقا فكون
المعنى واولئك هم الباقون في النعيم المقيم والفلاح الظفر وذاك البغية من السعادة والعز والبقا والغنى
واصله الفلاح الشق كما قيل ان الحديد بالحديد يفلح اي يقطع فعلى هذا يكون المعنى هم المقطوع لهم بالخير في الدنيا
والاخرة واعلم ان الله عز وجل صدر هذه السورة باربع آيات انزلها في المؤمنين وباثنتين انزلها في الكافرين
وبثلاث عشرة آية انزلها في المنافقين فاما التي في الكفار ففوله تعالى **ان الذين كفروا** اي جحدوا وانكروا
واصل الكفر في اللغة الستر والتغطية ومنه سمي الليل كافرا لانه يستر الاشيا بظلمته قال الشاعر في ليلة
• كفر النجوم غمامها • اي سترها والكفر على اربعة اضرب كفر انكار وهو ان لا يعرف الله اصلا ككفر فرعون
وهو ما علمت لكم من اله غيري وكفر جحود وهو ان يعرف الله بقلبه ولا يقر بلسانه ككفر ابليس وكفر عناد
وهو ان يعرف الله بقلبه ويقر بلسانه فلا يدين به ككفر امية بن ابي الصلت وابي طالب حيث يقول في شعره
• ولقد علمت بان دين محمد • من خير اديان البرية دينا • لولا الملامة او حذار مسبة • لوجدتني سمحا بذاك
مبينا وكفر نفاق وهو ان يقر بلسانه ولا يعتقد صحة ذلك بقلبه فجميع هذه الانواع كفر وحاصله ان من جحد الله
او انكر وحدانيته او انكر شيئا مما انزله على رسوله او انكر نبوة محمد صلى الله عليه وسلم او احدا من الرسل
فهو كافر فان مات على ذلك فهو في النار خالدا فيها ولا يغفر الله له نزلت في مشركي العرب وقيل في اليهود **سواء**
عليهم اي مستو لديهم **ءانذرتهم** اي خوفتهم وحذرتهم والانذار اعلام مع تخويف فكل منذر معلم وليس
كل معلم منذرا **ام لم تنذرهم لا يؤمنون** اي لا يصدقون وهذه الاية في اقوام حقت عليهم كلمة الشقاوة

في سابق علم الله الازلي انهم لا يؤمنون ثم ذكر سبب تركهم الايمان فقال تعالى **ختم الله على قلوبهم** اي طبع
عليها فلا يعي خيرا ولا تفهمه واصل الختم وحقيقته الاستيثاق من الشيء لكي لا يخرج منه ما حصل فيه ولا
يدخله ما ليس منه ومنه ختم الكتاب قال اهل السنة حكم الله على قلوبهم بالكفر لما سبق من علمه الازلي فهم
وانما خص القلب بالختم لانه محل الفهم والعلم **وعلى سمعهم** اي وختم على موضع سمعهم فلا يسمعون
الحق ولا ينتفعون به لانها تحجه وتنبو عن الاصغا اليه كانها مستوثق منها بالختم ايضا وذكر السمع بلفظ
التوحيد ومعناه الجمع قيل انما وحده لانه مصدر والمصدر لا يثنى ولا يجمع **وعلى ابصارهم غشاوة** هذا ابتدا
كلام والغشاوة الغطا ومنه غاشية السرج اي وجعل على ابصارهم غشاوة فلا يرون الحق وهي غطا التعامي
عن آيات الله ودلائل توحيده **ولهم عذاب عظيم** يعني في الاخرة وقيل الاسر والقتل في الدنيا والعذاب الدائم
في العقبى وحقيقة العذاب هو كل ما يولم الانسان ويعييه ويشق عليه وقيل هو الايجاع الشديد وقيل هو ما يمنع
الانسان من مراده ومنه الماء العذب لانه يمنع العطش والعظيم ضد الحقير قوله عز وجل **ومن الناس من**
يقول امنا بالله نزلت في المنافقين عبد الله بن ابي ابن سلول ومعتب بن قشير وجد بن قيس واصحابهم وذلك
انهم اظهروا كلمة الاسلام ليسلموا بها من النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه واسروا الكفر واعتقدوه واكثرهم
من اليهود وصفة المنافق ان يعتقد بلسانه بالايمان ويقر به ويذكره بقلبه ويصبح على حال ويمسي على غيرها والناس
جمع انسان سمي به لانه عهد اليه فنسي قال الشاعر • وسميت انسانا لانك ناسي • وقيل سمي انسانا لانه
يتانس بمثله **وباليوم الاخر** اي وامنا باليوم الاخر وهو يوم القيمة سمي بذلك لانه ياتي بعد الدنيا وهو اخر
الايام المحدودة المعدودة وما بعده فلا حد له ولا اخر له قال الله تعالى ردا على المنافقين **وما هم بمؤمنين**
نفى عنهم الايمان بالكلية **يخادعون الله والذين امنوا** اي يخالفون والخديعة الحيلة والمكر واصله
في الاخفا والمخادع يظهر رضا ما يضمر ليستخلص فهو بمنزلة النفاق وهو خادعهم اي يظهرهم نعيم الدنيا وعجله
لهم بخلاف ما يغيب عنهم من عذاب الاخرة **فان قلت** المخادعة مفاعلة وانما تجيء في الفعل المشترك
منه من اثنين كالمشاركة **قلت** المفاعلة قد ترد لا على وجه المشاركة تقول عافاك الله وطارقت النعل وعاقبت
اللص فالمخادعة هنا عبارة عن فعل الواحد والله تعالى ان يكون منه خداع **فان قلت** كيف يخادع الله وهو يعلم
الضمائر والاسرار فمخادعة الله ممتنعة فكيف يقال يخادعون الله **قلت** انه تعالى ذكر نفسه واراد به رسوله
صلى الله عليه وسلم وذلك تفخيم لامره وتعظيم لشانه وقيل اراد به المنافقين اذ اخادعوا المؤمنين فكانهم
خادعوا الله تعالى وذلك انهم ظنوا ان النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لم يعلموا احالهم وليجري عليهم احكام
المسلمين في الظاهر وهم على خلافه في الباطن **وما يخادعون الا انفسهم** اي لان الله تعالى يجازيهم
على ذلك ويعاقبهم عليه فلا يكونون في الحقيقة الا خادعين انفسهم وقيل ان وبال ذلك الخداع راجع اليهم
لان الله تعالى يطلع نبيه صلى الله عليه وسلم على نفاقهم فيفتضحون في الدنيا ويستوجبون العقاب في
العقبى والنفس ذات الشيء وحقيقته وقيل للدم نفس لانه قوة البدن **وما يشعرون** اي لا يعلمون
ان وبال خداعهم راجع عليهم **في قلوبهم مرض** اي شك ونفاق والمرض الضعف والخروج عن الاعتدال
الخاص بالانسان وسمي الشك في الدين والنفاق مرضا لانه يضعف الدين كالمرض يضعف البدن **فزادهم الله**
مرضا يعني ان الايات كانت تنزل تترا اية بعد اية فكلما كفروا باية ازداد وا بذلك كفرا ونفاقا
ولهم عذاب اليم اي مؤلم مخلص وجعه الى قلوبهم **بما كانوا يكذبون** بتكذيبهم الله ورسوله في السر وقرئ بالتخفيف اي بكذبهم اذ قالوا امنا وهم غير مؤمنين **واذا قيل لهم** يعني المنافقين

ض ويعنيه
ض يتأنس
٣ الله ٤
٥ واصل ٥
٦ اولئك
٦

وقيل لليهود والمعنى اذا قالهم المؤمنون لا تفسدوا في الارض اى بالكفر وتعويق الناس عن الايمان
بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن قالوا انما نحن مصلحون يعنى يقولونه كذبا الا كلمة تنبئ بها المخاطب
انهم هم المفسدون يعنى في الارض بالكفر وهو اشد الفساد ولكن لا يشعرون وذلك انهم يظنون
ان ما هم عليه من النفاق واظهار الكفر صلاح وهو عين الفساد وقيل لا يشعرون ما اعد الله لهم من العذاب
واذا قيل لهم يعنى للمنافقين وقيل لليهود امنوا كما امن الناس يعنى المهاجرين والانصار وقيل
عبد الله بن سلام واصحابه من مؤمني اهل الكتاب والمعنى اخلصوا في ايمانكم كما اخلص هؤلاء في ايمانهم لان
المنافقين كانوا يظهرون الايمان قالوا انؤمن كما امن السفهاء اى الجهال فان قلت كيف نصح النفاق
مع المجاهرة بقولهم انؤمن كما امن السفهاء قلت كانوا يظهرون هذا القول فيما بينهم لا عند المؤمنين
فاخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بذلك فرد الله ذلك عليهم بقوله الا انهم هم السفهاء
ولكن لا يعلمون واذا الذين امنوا يعنى هؤلاء المنافقين اذا لقوا المهاجرين والانصار قالوا امنا
كايمانكم واذا خلوا اى رجعوا وقيل خلوا من الخلوة الى قيل بمعنى الباء اى بشياطينهم وقيل بمعنى مع
شياطينهم والمراد بشياطينهم رؤساؤهم وكهنتهم قال ابن عباس وهم خمسة نفر كعب بن الاشرف
من اليهود بالمدينة وابو برده في بني اسلم وعبد الدار في جهينة وعوف بن عامر في بني سعد وعبد الله
بن السوداء في الشام ولا يكون كاهن الا ومعه شيطان تابع له وقيل رؤساؤهم الذين شابهوا الشياطين
في تمردهم قالوا انا معكم اى على دينكم انما نحن مستهزؤن اى نحمد واصحابه بما نظهر لهم من
الاسلام لنأمن من شرهم ونقف على سرهم ونأخذ من غنائمهم وصدقاتهم قال ابن عباس نزلت
هذه الآية في عبد الله بن ابي واصحابه وذلك انهم خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله بن ابي لاصحابه انظروا كيف ارد هؤلاء السفهاء عنكم فذهب فاخذ بيد
ابي بكر الصديق فقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الغار الباذل نفسه وماله ثم اخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بني عدي بن كعب الفاروق القوي
في دين الله الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذ بيد علي فقال مرحبا بابن عم رسول الله
صلى الله عليه وسلم وختنه وسيد بني هاشم ما خلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له علي
اتق الله يا عبد الله ولا تنافق فان المنافقين شر خليقة الله تعالى فقال مهلا يا ابا الحسن اى لا تقل هذا والله
ان ايماننا كايمانكم وتصديقنا كتصديقكم ثم تفرقوا فقال عبد الله لاصحابه كيف رايتموني فعلت فاشوا
عليه خيرا الله يستهزئ بهم اى يجازيهم جزاء استهزائهم بالمؤمنين فسمى الجزاء باسمه لانه في
مقابلته قال ابن عباس يفتح لهم باب الجنة فاذا انتهوا اليه سد عنهم ورجعوا الى النار ويمدهم اى يزيدهم
ويمهلهم والمدد والامداد واحد واصله الزيادة واكثر ما يأتي المد في الشر والامداد في الخير في طغيانهم
اى في ضلالتهم واصل الطغيان مجاوزة الحد يعمهون اى يترددون في الضلالة متحيرين اولئك يعنى
المنافقين الذين اشتروا الضلالة بالهدى اى استبدلوا الكفر بالايمان وانما اخرجه بلفظ
الشراء والتجارة توسعا على سبيل الاستعارة لان الشراء فيه اعطاء بدل واخذ اخر فان قلت كيف قال اشتروا
الضلالة بالهدى وما كانوا على هدى قلت جعلوا التمكن منه كانه في ايديهم فاذا تركوه الى الضلالة فقد
عطلوه واستبدلوه به والضلالة الجور عن القصد وفقد الاهتداء فما ربحت تجارتهم اى ما ربحوا في
تجارتهم والربح الفضل عن راس المال واضاف الربح الى التجارة لان الربح فيها يكون وما كانوا مهتدين

اى

اى مصيبين في تجارتهم لان راس المال هو الايمان فلما اضاعوه واعتقدوا الضلالة فقد ضلوا عن الهدى
وقيل وما كانوا مهتدين في ضلالتهم قوله عز وجل مثلهم كمثل الذي استوقد المثل عبارة عن قول في شيء يشبه ذلك القول
اخر بينهما مشابهة ليبين احدهما الاخر ويصوره وهذا ضرب الله تعالى الامثال في كتابه وهو احد اقسام القرآن
السبعة ولما ذكر الله تعالى حقيقة وصف المنافقين عقبه بضرب المثل زيادة في الكشف والبيان لانه يؤثر
في القلوب ما لا يؤثره وصف الشيء في نفسه ولان المثل تشبيه الشيء الخفي بالجلي فيتأكد الوقوف على ما
هيئته وذلك هو النهاية في الايضاح وشرطه ان يكون قولا فيه غرابة من بعض الوجوه كمثل الذي استوقد
نارا اى ليستضيء بها فلما اضاءت يعنى النار ما حوله يعنى حول المستوقد ذهب الله بنورهم
فان قلت كيف وحد اولا وجمع ثانيا قلت يجوز وضع الذي موضع الذين كقوله تعالى وخضتم كالذي خاضوا
وقيل انما شبه قصتهم بقصة المستوقد وقيل معناه ومثل كل واحد منهم كمثل الذي استوقد نارا وتركهم
في ظلمات لا يبصرون قال ابن عباس نزلت في المنافقين يقول مثلهم في نفاقهم كمثل رجل اوقد
نارا في ليلة مظلمة في مفازة فاستدفأ ورأى ما حوله فاتقى مما يخاف فبينما هو كذلك اذ طفئت نارة فبقي
في ظلمة حائرا متحوقا فكذلك حال المنافقين اظهروا كلمة الايمان فاضاءت لهم ونوروا بها على انفسهم واموالهم واولادهم
وناكحوا المؤمنين وقاسموهم الغنائم فذلك نورهم فلما ماتوا عادوا الى الظلمة والخوف وقيل ذهاب نورهم
ظهور عقيدتهم للمؤمنين على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل ذهاب نورهم في القبر او على الصراط
فان قلت ما وجه تشبيه الايمان بالنور والكفر بالظلمة قلت وجه تشبيه الايمان بالنور ان النور اتباع الاشياء
في الهداية الى الحجة المقصود والى الطريق المستقيم وازالة الحيرة وكذلك الكفر لا يزداد صاحبه في الاخرة الا
حيرة وفي ضرب المثل للمنافقين ثلاث نكت احدها ان المستضيء بالنار مستضيء بنور غيره فاذا ذهب ذلك بقي هو
في ظلمة فكانهم لما اقروا بالايمان من غير اعتقاد قلوبهم فكان ايمانهم كالمستعار الثانية ان النار تحتاج
في دوامها الى مادة الحطب لتدوم وكذلك الايمان يحتاج الى مادة الاعتقاد ليدوم الثالثة ان الظلمة
الحادثة بعد الضوء اشد على الانسان من ظلمة لم يجد قبلها ضياء فشبه حالهم بذلك ثم وصفهم الله تعالى
فقال صم اى عن سماع الحق لانهم لا يقبلونه واذا لم يقبلوه فكانهم لا يسمعونه بكم اى خرس عن النطق
بالحق فهم لا يقولونه عمي اى لا بصائر لهم يميزون بها بين الحق والباطل ومن لا بصيرة له كمن لا
بصر له فهو اعمى كانت حواسهم سليمة ولكن لما شدت عن سماع الحق اذانهم وابوا ان تنطق به السنتهم
وان ينظروا اليه بعيونهم جعلوا كمن تعطلت حواسه وذهبا دراكه قال الشاعر
صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به ... وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا
فهم لا يرجعون اى عن ضلالتهم ونفاقهم قوله تعالى
او كصيب اى كاصحاب صيب وهو المطر وكلما نزل من الاعلى الى الاسفل فهو صيب من السماء اى من
السحاب لان كل ما علاك فاظلك فهو سماء ومنه قيل لسقف البيت سماء وقيل من السماء نفسها والما ذكر الله تعالى
السماء وان كان المطر لا ينزل الا منها ليرد على من زعم ان المطر يعقد من ابخرة الارض وابطل مذهب الحكماء
بقوله من السماء ليعلم ان المطر ليس من ابخرة الارض كما زعم الحكماء فيه اى في الصيب ظلمات جمع
ظلمة ورعد وهو الصوت الذي يسمع من السحاب وبرق يعنى النار التي تخرج منه قال ابن عباس الرعد
اسم ملك يسوق السحاب والبرق لمعان سوط من نور بيد هذا الملك يزجر به السحاب وقيل الرعد اسم ملك يزجر السحاب
اذا تبددت جمعها وضمها فاذا اشتد غضبه يخرج من فيه النار فهي البرق والصواعق وقيل الرعد تسبيح
الملك وقيل اسمه يجعلون اصابعهم في اذانهم من الصواعق جمع صاعقة وهي الصيحة

فاخرج به اى بذلك الماء من الثمرات اى من الوان الثمرات واصناف النبات رزقا لكم اى وعلفا لدوابكم فلا تجعلوا لله اندادا يعنى امثالا لا تعبدونهم كعبادة الله والند المثل وانتم تعلمون يعنى انكم بعقولكم تعلمون ان هذه الاشياء الامثال لا يصح جعلها اندادا لله وانه واحد خالق لجميع الاشياء وانه لا مثل له ولا ضد له وقوله تعالى وان كنتم فى ريب اى وان كنتم فى شك لان الله تعالى علم انهم شاكون مما نزلنا على عبدنا يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم لما تقرر اثبات الربوبية لله تعالى وانه الواحد الخالق وانه لا ضد له ولا ند اتبعه باقامة الحجة على اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما يدحض الشبهة فى كون القرآن معجزة وانه من عند الله لا من عند نفسه ثم اتى بعون فيه وقوله على عبدنا اضافة تشريف لمحمد صلى الله عليه وسلم وان القرآن منزل عليه من عند الله تعالى فاتوا امر تعجيز بسورة والسورة قطعة من القرآن معلومة الاول والاخر وقيل السورة اسم للمنزلة الرفيعة ومنه سور البلد لارتفاعه سميت سورة لان القارئ ينال بها منزلة رفيعة حتى يستكمل المنازل باستكمال سور القرآن من مثله اى من مثل القرآن وقيل الضمير فى مثله راجع الى عبدنا يعنى من مثل محمد صلى الله عليه وسلم اى لم يحسن الكتابة ولم يجالس العلماء ولم يأخذ العلم عن احد وورد الضمير الى القرآن اوجه واولى ويدل عليه ان ذلك مطابق لسائر الايات الواردة فى التحدى وانما وقع الكلام فى المنزل الا ترى ان المعنى وان ارتبتم فى ان القرآن منزل من عند الله فاتوا انتم بسورة مما نزلناه ويحاسبه ولو كان الضمير مردودا الى محمد صلى الله عليه وسلم لقال وان ارتبتم فى ان محمدا منزل عليه فهاتوا قرآنا مثل محمد صلى الله عليه وسلم ويدل على كون القرآن معجزا اما اشتمل عليه من الفصاحة والبلاغة فى طرفى الايجاز والاطالة فتارة يأتى بالقصة باللفظ الطويل ثم يعيدها باللفظ الوجيز ولا يخل بالمقصود الاول وان فارقت اساليب الكلام اوزانه اوزان الاشعار والخطب والرسائل ولهذا تحيت العرب به فجمعوا عنه وتحيروا فيه واعترفوا بفضله وهم معدن البلاغة وفرسان الفصاحة وهم النظم والنثر من الاشعار والخطب والرسائل حتى قال الوليد بن المغيرة فى وصف القرآن والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اصله لمغدق وان اعلاه لمثمر وادعوا شهداءكم من دون الله اى استعينوا بآلهتكم التى تعبدونها من دون الله والمعنى ان كان الامر كما تقولون انها تستحق العبادة فتجعلوا الاستعانة بها فى دفع ما نزل من امر محمد صلى الله عليه وسلم والا فاعلموا انكم مبطلون فى دعواكم بانها آلهة وقيل معناه وادعوا انا سا يشهدون لكم ان كنتم صادقين انه محمد صلى الله عليه وسلم يقوله من تلقاء نفسه فان لم تفعلوا اى فيما مضى ولن تفعلوا فيما بقى وهذه الاية دالة على عجزهم وانهم لم يأتوا بمثله ولا بمثل شئ منه وذلك لان النفوس الابية اذا قرعت بمثل هذا التقريع استفرغت الوسع فى الاتيان بمثل القرآن او بمثل سورة منه ولو قدروا على ذلك لاتوا به فحيث لم يأتوا بشئ ظهرت المعجزة للنبى صلى الله عليه وسلم وبان عجزهم وهم اهل الفصاحة والبلاغة والقرآن من جنس كلامهم وكانوا حراصا على اطفاء نوره وابطال امره ثم مع هذا الحرص الشديد لم توجد المعارضة من احدهم ورضوا بسبى الذرارى واخذ الاموال والقتل واذا ظهر عجزهم عن المعارضة صح صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا كان الامر كذلك وجب ترك العناد وهو قوله فاتقوا النار اى فامنوا واتقوا بالايمان النار التى وقودها اى حطبها الناس والحجارة قال ابن عباس يعنى حجارة الكبريت لانها اكثر اليتها وقيل جميع الحجارة وفيه دليل على عظم تلك النار وقوتها وقيل اراد بها الاصنام لان اكثر اصنامهم كانت من حجارة وانما قرن الناس مع الحجارة لانهم كانوا يعبدونها معتقدين فيها انها تشفعهم وتشفع لهم فجعلها الله عذابا لهم فى نار جهنم اعدت اى هيئت للكافرين قوله عز وجل وبشر الذين امنوا اى اخبر المؤمنين

التى يموت من يسمعها او يغشى عليه وقيل الصاعقة قطعة من العذاب ينزلها الله على من يشاء عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا سمع صوت الرعد والصواعق قال اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك اخرجه الترمذى وقال حديث غريب حذر الموت اى مخافة الهلاك والله محيط بالكافرين اى عالم بهم وقيل يجمعهم ويعذبهم يكاد البرق اى يقرب يقال كاد يفعل ولم يفعل يخطف ابصارهم اى يختلسها والخطف استلاب الشئ بسرعة كلما اى متى ما اضاء لهم يعنى البرق مشوا فيه اى فى اضاءته وتوروا واذا اظلم عليهم قاموا اى وقفوا متحيرين وهذا مثل اخر ضربه الله تعالى للمنافقين ووجه التمثيل ان الله عز وجل شبههم فى كفرهم ونفاقهم بقوم كانوا فى مغارة فى ليلة مظلمة اصابهم مطر فيه ظلمات وهى ظلمة الليل وظلمة المطر وظلمة السحاب من صفة تلك الظلمات ان السارى لا يمكنه المشى فيها ورعد من صفته ان يصم سامعيه اصابهم الى اذانهم من هوله وبرق من صفته ان يخطف ابصارهم ويعميها من شدته فهذا مثل ضربه الله للقرآن وصنيع الكافرين والمنافقين معه فالمطر هو القرآن لانه حياة القلوب كما ان المطر حياة الارض والظلمات ما فى القرآن من ذكر الكفر والشرك والنفاق والرعد ما خوفوا به من الوعيد وذكر النار والبرق ما فيه من الهدى والبيان والوعد وذكر الجنة فالكافرون والمنافقون يسدون اذانهم عند قراءة القرآن وسماعه مخافة ان تميل قلوبهم اليه لان الايمان به عندهم كفر والكفر موت وقيل هذا مثل ضربه الله للاسلام فالمطر هو الاسلام والظلمات ما فيه من البلاء والمحن والرعد ما فيه من ذكر الوعيد والمخاوف فى الاخرة والبرق ما فيه من الوعد يجعلون اصابعهم فى اذانهم يعنى المنافقين اذا راوا فى الاسلام بلاء وشدة هربوا حذرا من الهلاك والله محيط بالكافرين يعنى لا ينفعهم الهرب لان الله من ورائهم يجمعهم ويعذبهم يكاد البرق يعنى لا يزال الاسلام يتحيف الى التظفر لولا ما سبق لهم من الشقاوة كلما اضاء لهم مشوا يعنى المنافقين واضاءته لهم ظهورهم بلا ابتلاء ولا امتحان مشوا فيه يعنى على المسالمة باظهار كلمة الايمان وقيل كلما نالوا غنيمة وراحة فى الاسلام نبشوا وقالوا انا معكم واذا اظلم عليهم قاموا يعنى اذا راوا شدة وبلاء تاخروا عنها ولو شاء الله لذهب بسمعهم اى يصوت الرعد وابصارهم بوميض البرق وقيل لذهب باسماعهم وابصارهم الظاهرة كما اذهب اسماعهم وابصارهم الباطنة ان الله على كل شئ قدير اى هو الفاعل لما يشاء لا ممانع له فيه قوله عز وجل يا ايها الناس قال ابن عباس يا ايها الناس خطاب لاهل مكة ويا ايها الذين امنوا خطاب لاهل المدينة وهو هنا خطاب عام لكل المكلفين اعبدوا ربكم قال ابن عباس وحدوا ربكم وكلما ورد فى القرآن من العبادة فمعناه التوحيد واصل العبودية التذلل والعبادة غاية التذلل ولا يستحقها الا من له غاية الافضال والانعام وهو الله تعالى الذى خلقكم اى ابتدع خلقكم على غير مثال سبق والذين من قبلكم اى وخلق الذين من قبلكم لعلكم لعل وعسى حرفا ترج وهما من الله واجب اى لكى تتقوا اى لكى تتجوا من العذاب وقيل معناه تكونوا على رجاء التقوى بان تكونوا فى ستر ووقاية من عذاب الله وحكم الله من ورائكم يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد الذى جعل لكم الارض فراشا اى خلق لكم الارض بساطا وطاء ممدة ولم يجعلها حزنة لا يمكن القرار عليها والحزن ما غلظ من الارض والسماء بناء اى سقفا مرفوعا قيل اذا تامل الانسان المفكر فى هذا العالم وجده كالبيت المعمور فيه كلما يحتاج اليه فالسماء مرفوعة كالسقف والارض مفروشة كالبساط والنجوم كالمصابيح والانسان كمالك البيت وفيه ضروب النبات المتهيئة لمنافعه واصناف الحيوان مصروفة فى مصالحه فيجب على الانسان المسخر له هذه الاشياء شكر الله تعالى عليها وانزل من السماء ماء يعنى المطر

وهذا امر للنبي صلى الله عليه وسلم والبشارة ايراد الخبر السار على سامع يستبشر به ويظهر السرور في بشرة وجهه ثم كثر حتى وضع موضع الخبر والنشر ومنه قوله وبشرهم بعذاب اليم ولكن هو في الشر ورواخبر اغلب وعملوا الصالحات اى الفعلات الصالحات وهي الطاعات قيل العمل الصالح ما كان عليه اربع اشياء العلم والنية والصبر والاخلاص وقال عثمان بن عفان وعملوا الصالحات اى اخلصوا الاعمال يعني من الريا ان لهم جنات جمع جنة وهي البستان الذي فيه اشجار مثمرة سميت جنة لاجتنانها وتسترها بالاشجار والاوراق وقيل الجنة ما فيه نخل والفردوس ما فيه كرم تجري من تحتها الانهار اى من تحت اشجارها ومساكنها اى تجري المياه في الانهار لان الانهار لا تجري وقيل معناه تجري بامرهم وفي الحديث انها نهار الجنة تجري في غير اخدود اى في غير شق والاخدود الشق كلما رزقوا اى طعموا منها اى من الجنة من ثمرة رزقا اى طعاما قالوا هذا الذي رزقنا من قبل اى في الدنيا وقيل ثمار الجنة متشابهة في اللون مختلفة في الطعم فاذا رزقوا ثمرة بعد اخرى طنوا انها الاولى واوتوا به اى بالرزق متشابها قال ابن عباس مختلفا في المطعوم وقيل يشبه بعضه بعضا في الجودة لا رداءة فيها وقيل يشبه ثمار الدنيا عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل الجنة يأكلون ويشربون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون ولا يبزقون طعامهم جشاء كرشح المسك يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس وفي رواية ورشحهم المسك قوله يلهمون التسبيح اى يجري على السنتهم كما يجري النفس فلا يشغلهم عن شيء كما ان النفس لا يشغل عن شيء قوله طعامهم جشاء يعني ان فضول طعامهم يخرج في الجشاء وهو نفس المعدة والرشح العرق وقوله تعالى ولهم فيها اى في الجنان ازواج من الحور العين مطهرة يعني من البول والغائط والحيض والولد وسائر الاقذار وقيل هن عجائزكم العمص العمش طهرن من قذارات الدنيا وقيل طهرن من مساوىء الاخلاق وقيل في الجنة جماع ما شئت ولا ولد وهم فيها خالدون اى لا يخرجون منها ولا يموتون والخلد البقاء الدائم الذي لا انقطاع له ق عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ثم الذين يلونهم على اشد كوكب دري في السماء اضاءة لا يبزقون ولا يتمخطون ولا يبولون امشاطهم الذهب ورشحهم المسك ومجامرهم الالوة الالنجوج عود الطيب ازواجهم الحور العين على خلق رجل واحد على صورة ابيهم آدم ستون ذراعا في السماء وفي رواية لكل واحد منهم زوجتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم قلب رجل واحد يسبحون الله بكرة وعشيا ق عن ابي موسى الاشعري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها في السماء ستون ميلا للمؤمن فيها اهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضا عن ابي هريرة قال قلت يا رسول الله ثم خلق الله الخلق قال من الماء قلت الجنة ما بناؤها قال لبنة فضة ولبنة ذهب وملاطها المسك الاذفر وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وترابها الزعفران من يدخلها ينعم ولا يبأس ويخلد ولا يموت ولا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم اخرجه الترمذي وقال حديث حسن ليس اسناده بذلك القوي عن عبادة بن الصامت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة مائة درجة ومنها تفجر انهار الجنة الاربعة ومن فوقها يكون العرش فاذا سألتم الله فاسألوه الفردوس اخرجه الترمذي م عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة لسوقا يأتونها كل جمعة فتهب ريح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم فيزدادوا حسنا وجمالا فيرجعون الى اهليهم وقد ازدادوا حسنا وجمالا فيقول لهم اهلوهم والله لقد ازددتم بعدنا حسنا عن علي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة لمجتمعا للحور العين

يرفعن باصوات لم تسمع الخلائق مثلها يقلن نحن الخالدات فلا نبيد ونحن الناعمات فلا نبأس ونحن الراضيات فلا نسخط طوبى لمن كان لنا وكنا له اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقد تكلم اهل العلم في هذا والله اعلم ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها سبب نزول هذه الاية ان الله تعالى لما ضرب المثل بالذباب والعنكبوت وذكر النحل والنمل قالت اليهود ما اراد الله بذكر هذه الاشياء الخسيسة وقيل قال المشركون انا لا نعبد الها يذكر هذه الاشياء وذلك لان الكفار واليهود كانوا متفقين على ايذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لذلك فانزل الله تعالى ان الله لا يستحيي الحيا يتغير وانكسار يعتري الانسان من خوف ما يعاب به ويذم عليه وقيل هو انقباض النفس عن القبايح هذا اصله في وصف الانسان والله تعالى منزه عن ذلك كله فاذا اطلق وصف الله تعالى به يكون معناه الترك وذلك لان لكل فعل بداية ونهاية فبداية الحيا هو التغير الذي يلحق الانسان من خوف ان ينسب اليه ذلك الفعل القبيح ونهايته ترك ذلك الفعل القبيح فاذا ورد وصف الحيا في حق الله تعالى فليس المراد منه بدايته وهو التغير والخوف بل المراد منه ترك الفعل الذي هو نهاية الحيا في حق الله تعالى فليس المراد وراء ذلك فيكون معنى ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة اى لا يترك المثل لقول الكفار واليهود ما قيل ما صلة فيكون المعنى ان يضرب مثلا بعوضة وقيل ليس هي بصلة للابهام والنكرة والبعوض صغار البق وهو من عجيب خلق الله تعالى فانه في غاية الصغر وله خرطوم مجوف وهو مع صغره يعوص خرطومه في جلد الفيل والجاموس والجمل فينبع منه الغايط حتى ان الجمل يموت من قرصته فما فوقها يعني الذباب والعنكبوت وما هم اعظم منهما في الجثة وقيل معناه فما دونها واصغر منها وهذا القول اشبه بالاية لان الغرض بيان ان الله تعالى لا يمتنع من التمثيل بالشيء الحقير وقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم مثلا للدنيا بجناح البعوضة وهو اصغر منها وقد ضربت العرب المثل بالمحقرات فقيل هو احقر من ذرة واجمع من نملة واطيش من ذبابة واخف من ذبابة فاما الذين امنوا يعني بمحمد والقرآن فيعلمون انه الحق يعني ضرب المثل من ربهم الثابت الذي لا يجوز انكاره لان ضرب المثل من الامور المستحسنة في العقل وعند العرب وعندهم واما الذين كفروا فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا اى بهذا المثل يضل به كثيرا اى من الكفار وذلك انهم يكذبونه فيزدادون به ضلالا ويهدي به كثيرا يعني من المؤمنين يصدقونه ويعلمون انه حق وما يضل به الا الفاسقين يعني الكافرين وقيل المنافقين وقيل اليهود والفسق الخروج عن طاعة الله تعالى وطاعة رسوله ثم وصفهم فقال تعالى الذين ينقضون اى يخالفون ويتركون واصل النقض الفسخ وفك المركب عهد الله اى امر الله واصل العهد حفظ الشيء ومراعاته حالا بعد حال من بعد ميثاقه اى من بعد عقده وتوكيده وفي معنى هذا العهد اقوال احدها انه الذي اخذه عليهم يوم الميثاق وهو قوله الست بربكم قالوا بلى الثاني المراد به الذي اخذه على احبار اليهود في التوراة ان يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ويتبعوا نعته وصفته الثالث المراد به الكفار والمنافقون الذين نقضوا عهدا الزمه الله تعالى واحكمه بما انزله في كتابه من الايات الدالة على توحيده ويقطعون ما امر الله به ان يوصل يعني الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وجميع الرسل فامنوا ببعض وكفروا ببعض وهم اليهود وقيل اراد به قطع الارحام التي امر الله بوصلها ويفسدون في الارض يعني بالمعاصي وتعويق الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن اولئك هم الخاسرون اى المغبونون واصل الخسران النقص ثم قال تعالى للمشركين على وجه التعجب لكن فيه توبيخ وتعنيف لهم كيف تكفرون بالله يعني بعد نصب الدلائل ووضع البراهين الدالة على وحدانيته ثم ذكر الدليل فقال تعالى وكنتم امواتا يعني نطفا في اصلاب

آبائكم **فاحياكم** يعني في الأرحام وفي الدنيا **ثم يميتكم** اي عند انقضاء آجالكم **ثم يحييكم** يعني بعد الموت للبعث **ثم اليه ترجعون** اي ترجعون في الآخرة فيجزيكم باعمالكم. قوله تعالى **هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا** يعني من المعادن والنبات والحيوان والجبال والبحار والمعنى كيف تكفرون بالله وقد خلق لكم ما في الارض جميعا لتنتفعوا به في مصالح دينكم ودنياكم اما مصالح الدين فهو الاعتبار والتفكر في عجائب مخلوقات الله تعالى الدالة على وحدانيته واما مصالح الدنيا فهو الانتفاع بما خلق فيها **ثم استوى الى السماء** اي قصد واقبل على خلقها وقيل عمد وقال ابن عباس ارتفع وفي رواية عنه صعد قال الازهري معناه صعد امره وكذا ذكره صاحب المحكم وذلك ان الله تعالى خلق الارض اولا ثم عمد الى خلق السماء **فان قلت** كيف الجمع بين هذا وقوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها **قلت** الدحو البسط فيحتمل ان الله تعالى خلق جرم الارض ولم يبسطها ثم خلق السماء وبسط جرم الارض بعد ذلك انتهى **فان قلت** هذا مشكل ايضا لان قوله تعالى خلق لكم ما في الارض جميعا يقتضي ان ذلك لا يكون الا بعد الدحو **قلت** يحتمل انه ليس هنا ترتيب وانما هو على سبيل تعديد النعم كقول الرجل لغيره اذكرك ما انعم الله عليه الم اعطك الم ارفع عنك والعل بعض هذه النعم كقول الرجل لم تدر ما انعم الله عليه متقدم منها على بعض والله اعلم **فسواهن سبع سموات** خلقهن سبع سموات مستويات لا صدع فيها ولا فطور وسياتي ذكر خلق الارض والسماء عند قوله قل اينكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين في سورة حم السجدة ان شاء الله تعالى **وهو بكل شيء عليم** يعني يعلم الجزئيات كما يعلم الكليات قوله تعالى **واذ قال ربك** اي واذكر يا محمد اذ قال ربك وكلما ورد في القرآن من نحو هذا النحو فهذا سبيله وقيل اذ زائدة والاول ارجح **للملائكة** جمع ملك واصله مالك وهي الرسالة واراد بالملائكة الذين كانوا في الارض وذلك ان الله تعالى لما خلق الارض والسماء وخلق الملائكة والجن فاسكن الملائكة السماء واسكن الجن الارض فعبدوا دهرا طويلا ثم ظهر فيهم الحسد والبغي فاقتتلوا فبعث الله اليهم جندا من الملائكة يقال لهم الجان وراسهم ابليس وهم خزان الجنان فهبطوا الى الارض وطردوا الجن الى جزائر البحور وشعوب الجبال وسكنوا هم الارض وخففت الله عنهم العبادة واعطى الله ابليس ملك الارض وملك سماء الدنيا وخزانة الجنة وكان ابليس رئيسهم ومرشدهم واكثرهم علما وكان يعبد الله تعالى تارة في الارض وتارة في السماء وتارة في الجنة فدخله العجب والعجب وقال في نفسه ما اعطاني الله هذا الملك الا لاني اكرم الملائكة عليه فقال له وجنده والله اعلم **اني جاعل في الارض خليفة** اي خالقا خليفة يعني بدلا منكم وزارفعكم الي فكرهوا ذلك لانهم كانوا يعهدون الملائكة عبادة والمراد بالخليفة هنا آدم عليه الصلوة والسلام لانه خلف الجن وجاء بعدهم وقيل لانه يخلفه غيره والصحيح انه انما سمي خليفة لانه خليفة الله في ارضه لاقامة حدوده وتنفيذ قضاياه **قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها** اي بالمعاصي **ويسفك الدماء** يعني بغير حق كما فعل بنو الجان **فان قلت** من اين عرفوا ذلك حتى قالوا هذا القول **قلت** يحتمل ان يكون ذلك باخبار الله اياهم او قاسوا الشاهد على الغايب وقيل انهم لما رأوا ان آدم خلق من اخلاط مركبة علموا انه يكون فيه الحقد والغضب ومنهما يتولد الفساد وسفك الدم فلهذا قالوا ذلك وقيل لما خلق الله تعالى النار خاف الملائكة وقالوا لمن خلقت هذه النار قال لمن عصاني فلما قال اني جاعل في الارض خليفة قالوا هو ذلك **فان قلت** الملائكة معصومون فكيف وقع منهم هذا الاعتراض **قلت** ذهب بعضهم الى انهم غير معصومين واستدلوا على ذلك بوجوه منها قوله اتجعل فيها من يفسد فيها ومن ذهب الى عصمتهم اجاب عنه بان هذا السؤال انما وقع على سبيل التعجب لا على سبيل الانكار والاعتراض

فانهم تعجبوا من كمال حكم الله تعالى واحاطة علمه بما خفي عليهم ولهذا اجابهم بقوله اني اعلم ما لا تعلمون وقيل ان العبد المخلص في حب سيده يكره ان يكون له عبد اخر يعصيه فكان سؤالهم على وجه المبالغة في اعظام الله عز وجل **ونحن نسبح بحمدك** اي نقول سبحان الله وبحمده وهي صلاة الخلق وعليها يرزقون **م** عن ابي ذر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل اي الكلام افضل قال ما اصطفى الله لملائكته او لعباده سبحان الله وبحمده قال ابن عباس كلما جاء في القرآن من التسبيح فالمراد منه الصلاة فيكون المعنى ونحن نصلي لك وقيل اصل التسبيح تنزيه الله عما لا يليق بجلاله فيكون المعنى ونحن ننزهك عن كل سوء ونقيصة ومعنى بحمدك حامدين لك ومتلبسين بحمدك وقيل نسبح بحمدك فانه لولا انعامك علينا بالتوفيق لم نتمكن من ذلك **ونقدس لك** اصل التقديس التطهير اي نطهر انفسنا عن كل النقايص وكل سوء ونصفك بما يليق بعزك وجلالك من العلو والعظمة واللام صلة وقيل معناه نطهر انفسنا لطاعتك وعبادتك **قال اني اعلم ما لا تعلمون** قيل انه جواب لقول الملائكة اتجعل فيها فقال تعالى اعلم من وجوه المصلحة والحكمة ما لا تعلمون وقيل اعلم ان فيهم من يعبدني ويطيعني وهم الانبياء والاولياء والصالحون ومن يعصيني منكم وهو ابليس وقيل اعلم انهم يذنبون ويستغفرون فاغفرلهم **فصل** في ماهية الملائكة وقصة خلق ادم عليه السلام قيل ان الملائكة اجسام لطيفة هوائية خلقوا من النور تقدر ان تتشكل باشكال مختلفة مسكنهم في السموات عن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني ارى ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون اطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع اربع اصابع الا وملك واضع جبهته لله ساجدا اخرجه الترمذي بزيادة وقال حديث حسن غريب واما صفة خلق ادم عليه السلام فقال وهب بن منبه لما اراد الله ان يخلق ادم اوحى الى الارض اني خالق منك خليقة منهم من يطيعني ومنهم من يعصيني من اطاعني ادخلته الجنة ومن عصاني ادخلته النار قالت الارض لتخلق مني خلقا يكون للنار قال نعم فبكت الارض فانفجرت منها العيون الى يوم القيمة فبعث الله اليها جبريل ليأتيه بقبضة من اخمرها واسودها وطيبها وخبيثها فلما اتاها ليقبض منها قالت عذ بعزة الله الذي ارسلك الى ان لا تاخذ مني شيئا فرجع جبريل الى مكانه وقال يا رب استعاذت بك مني فكرهت ان اقدم عليها فقال الله لميكائيل اذهب فات بقبضة منها فلما اتاها ليقبض منها قالت له مثل ما قالت لجبريل فرجع الى ربه فقال ما قالت له فقال لعزرائيل اذهب فات بقبضة من الارض فلما اتاها قالت له الارض اعوذ بعزة الله الذي ارسلك ان لا تاخذ مني شيئا فقال وانا اعوذ بعزته ان لا اعصي له امرا وقبض منها قبضة من جميع بقاعها من عذبها ومالحها وحلوها ومرها وطيبها وخبيثها وصعد بها الى السماء فسئله ربه عز وجل وهو اعلم بما صنع فاخبره بما قالت الارض وبما ردت عليها فقال الله تعالى وعزتي وجلالي لاخلقن مما جئت به خلقا ولاسلطنك على قبض ارواحهم الا قليلا ثم جعل الله تلك القبضة نصفها في الجنة ونصفها في النار ثم تركها ما شاء الله ثم اخرجها فعجنها طينا لازبا مدة ثم حمأ مسنونا مدة ثم صلصالا كالفخار مدة ثم جعلها جسدا ذا لقاه على باب الجنة فكانت الملائكة يعجبون من صفة صورته لانهم لم يكونوا راوا مثله وكان ابليس يمر عليه ويقول لامر ما خلق هذا وينظر اليه فاذا هو اجوف فقال لهذا خلق لا يتمالك وقال يوما للملائكة ان فضل هذا عليكم ما تصنعون فقالوا نطيع ربنا ولا نعصيه فقال ابليس في نفسه لين فضل علي لا عصينه ولئن فضلت عليه لاهلكنه فلما اراد الله تعالى ان ينفخ فيه الروح امرها ان تدخل في جسد ادم فنظرت فرات مدخلا ضيقا ففالت يا رب كيف ادخل هذا الجسد قال الله عز وجل لها ادخليه كرها فدخلت في فيه فوصلت الى عينيه فجعل ينظر الى سائر جسده طبقا فصار ت الى الاذن وصلت منخريه فعطس فلما بلغت لسانه قال الحمد لله رب

العالمين وهي أول كلمة قالها فناداه الله تعالى يرحمك ربك يا آدم وهذا خلقتك ولما بلغت الروح إلى الركبتين هم بالقيام
فلم يقدر قال الله تعالى خلق الإنسان من عجل فلما بلغت إلى الساقين والقدمين استوى قائما بشرا سويا لحما ودما وعظاما
وعروقا وعصبا وأحشاء وكسي لباسا من طفر يزداد حدة وحسنا كل يوم وجعل في حسه تسعة أبواب سبعة في رأسه
وهي الأذنان ليسمع بهما والعينان يبصر بهما والمنخران يشم بهما والفم فيه اللسان يتكلم به والأسنان يطحن بها
ما يأكله ويجد لذة المطعومات ويابان في أسفل جسده وهما القبل والدبر يخرج منهما ثقل طعامه وشرابه وجعل
عقله في دماغه وفكره ومراسه في قلبه وشهوته في كليته وغضبه في كبده ورغبته في بيضته وضحكه في طحاله وقوته
وحزنه في وجهه فسبحان من جعله يسمع بعظم ويبصر بشحم وينطق بلحم ويعرف بدم وركب فيه الشهوة وحجره
بالحياء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال خلق الله تعالى آدم عليه السلام وطوله ستون ذراعا ثم قال اذهب فسلم
على أولئك نفر من الملائكة فاستمع ما يحيونك به فإنها تحيتك وتحية ذريتك فقال السلام عليكم فقالوا
السلام عليك ورحمة الله فزادوه ورحمة الله فكل من يدخل الجنة على صورة آدم قال فلم يزل الخلق ينقص
حتى الآن م عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صور الله آدم تركه ما شاء الله أن يتركه فجعل
إبليس يطيف به ينظر ما هو فلما رآه أجوف عرف أنه لا يتمالك عن أبي موسى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه و
سلم يقول إن الله تبارك وتعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض منهم الأحمر والأبيض
والأسود وبين ذلك والسهل والحزين والطيب أخرجه الترمذي وأبو داود قوله عز وجل **وعلم آدم الأسماء كلها**
سمي آدم لأنه خلق من أديم الأرض وقيل لأنه كان آدم اللون وكنيته أبو محمد وقيل البشر ولما خلق الله آدم وقدم
خلقه علمه أسماء الأشياء وذلك أن الملائكة قالوا لن يخلق ربنا ما شاء إلا كنا أكرم عليه منا وإن كان فنحن أعلم منه
لأنا خلقنا قبله ورأيناه ما لم يره فأظهر الله فضل آدم عليهم بالعلم وفيه دليل لمذهب أهل السنة أن الأنبياء أفضل
من الملائكة وإن كانوا رسلا قال ابن عباس علمه اسم كل شيء حتى القصعة والقصيعة وقيل خلق الله كل شيء من الحمار
والجماد وغير ذلك وعلم آدم اسمها كلها فقال يا آدم هذا بعير وهذا فرس وهذه شاة حتى أتى على آخرها وقيل
علم آدم أسماء الملائكة وقيل أسماء ذريته وقيل علمه اللغات كلها **ثم عرضهم** يعني تلك الأشخاص وإنما قال
عرضهم ولم يقل عرضها لأن المسميات إذا جمعت فيها من يعقل ومن لا يعقل غلب عرضه بلفظ من يعقل تغليب العقلاء
عليهم كما يعبر عن الذكور والإناث بلفظ الذكور **على الملائكة فقال** يعني تعجيزا لهم **أنبئوني** أي أخبروني
بأسماء هؤلاء يعني تلك الأشخاص **إن كنتم صادقين** أي إني لم أخلق خلقا إلا كنتم أفضل منهم وأعلم قالوا
يعني الملائكة **سبحانك** تنزيها لك وذلك لما ظهر عجزهم **لا علم لنا إلا ما علمتنا** أي أنك أجل من أن
يحيط بشيء من علمك إلا ما علمتنا **إنك أنت العليم** أي بخلقك وهو من أسماء الصفات الثابتة وهو
المحيط بكل المعلومات **الحكيم** أي في أمرك وله معنيان أحدهما أنه القاضي العدل والثاني المحكم للأمور لا
يتطرق إليه الفساد **قال** يعني الله تعالى **يا آدم أنبئهم بأسمائهم** وذلك لما ظهر عجز الملائكة فسمى
كل شيء باسمه وذكر وجه الحكمة التي خلقها **فلما أنبأهم بأسمائهم قال** يعني الله تعالى **ألم أقل**
لكم يعني يا ملائكتي **إني أعلم غيب السموات والأرض** يعني ما كان وما يكون وذلك أنه سبحانه
وتعالى علم أحوال آدم قبل أن يخلقه فلهذا قال لهم إني أعلم ما لا تعلمون **وأعلم ما تبدون** يعني قول الملائكة
أتجعل فيها **وما كنتم تكتمون** يعني قولكم لن يخلق الله تعالى خلقا أكرم عليه منا وقال ابن عباس علم ما أبدوا
من الطاعات وما كنتم تكتمون يعني إبليس من المعصية قوله عز وجل **وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم**
قيل هذا خطاب مع الملائكة الذين كانوا سكان الأرض والأصح أنه خطاب مع جميع الملائكة بدليل قوله فسجد

الملائكة

الملائكة كلهم أجمعون **إلا إبليس فسجدوا** يعني الملائكة وفي هذا السجود قولان أصحهما أنه كان لآدم على الحقيقة
ولم يكن فيه وضع الجبهة على الأرض إنما هو الانحناء وكان سجود تحية وتعظيم لا سجود عبادة كسجود إخوة يوسف
له في قوله وخروا له سجدا فلما جاء الإسلام أبطل ذلك بالسلام وفي سجود الملائكة لآدم معنى الطاعة لله
تعالى وامتثال أمره والقول الثاني أن آدم كان كالقبلة وكان السجود لله تعالى كما جعلت الكعبة قبلة للصلاة
والصلاة لله تعالى وفي هذه الآية دليل لمذهب أهل السنة في تفضيل الأنبياء على الملائكة **إلا إبليس**
سمي به لأنه أبلس من رحمة الله تعالى أي يئس وكان اسمه عزازيل بالسريانية وبالعربية الحارث فلما عصى
غيرت سمي فسمي إبليس وغيرت صورته قال ابن عباس كان إبليس من الملائكة بدليل أنه استثناه منهم وقيل
إنه من الجن لأنه خلق من النار والملائكة خلقوا من النور ولأنه أصل الجن كما أن آدم عليه السلام أصل الإنس
والأول أصح لأن الخطاب كان مع الملائكة فهو داخل فيهم ثم استثناه منهم **أبى** أي امتنع من السجود **فلم يسجد**
واستكبر أي تكبر وتعظم عن السجود لآدم **وكان من الكافرين** أي في علم الله تعالى وأنه وجبت له النار
السابق في علم الله تعالى بشقاوته م عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا
قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول يا ويلة وفي رواية يا ويلتي أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله
الجنة وأمرت بالسجود فعصيت فلي النار قوله تعالى **وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة** أي اتخذها
مأوى ومنزلا وليس معناه الاستقرار لأنه لم يقل اسكنك في الجنة لأنه خلق لعمارة الأرض ولما أسكن الله آدم
في الجنة بقي وحده ليس معه من يستأنس به ويجالسه ألقى الله عليه النوم ثم اخترع ضلعا من أضلاع جنبه
الأيسر وهو الأقصر فخلق منه زوجته حواء ووضع مكان الضلع لحما من غير أن يحس بذلك آدم ولم يجد
ألما ولو وجد ألما لما عطف رجل على امرأة قط وسميت حوا لأنها خلقت من حي فلما استيقظ من نومه رآها
جالسة كأحسن ما خلق الله فقالها من أنت قالت أنا زوجتك حوا قال ولم خلقت قالت لتسكن إلي و
أسكن إليك فاختلفوا في الجنة التي أمر آدم بسكناها فقيل إنها جنة في الأرض بدليل أنه لو كانت الجنة التي هي
دار الجزاء والثواب لما خرج منها وأجاب صاحب هذا القول عن قوله تعالى قال اهبطا بأن المراد من الهبوط التحول و
الانتقال فهو كقوله اهبطوا مصرا والقول الصحيح أنها الجنة التي هي دار الجزاء والثواب لأن الألف واللام للعهد
والجنة بين المسلمين وفي عرفهم أنها التي هي دار الجزاء والثواب وقيل كلا القولين ممكن قال وهب للقطع
منها رغدا أي واسعا كثيرا **حيث شئتما** أي كيف شئتما ومتى شئتما وأين شئتما والمقصود منه الإطلاق
في الأكل من الجنة بلا منع إلا ما نهى عنه وهو قوله تعالى **ولا تقربا هذه الشجرة** يعني للأكل قيل إنما
وقع هذا النهي على جنس من الشجر وقيل على ثمرة مخصوصة قال ابن عباس هي السنبلة وقيل الكرمة وقيل هي شجرة التين
وقيل هي شجرة العلم وقيل الكافور وقيل ليس في ظاهر الكلام ما يدل على التبيين إذ لا حاجة إليه لأنه ليس المقصود
تعريف عين تلك الشجرة وما لا يكون مقصودا لا يجب بيانه **فتكونا من الظالمين** يعني إن أكلتما من هذه
الشجرة ظلمتما أنفسكما فمن جوز ارتكاب الذنوب على الأنبياء قال ظلم نفسه بالمعصية وأصل الظلم وضع الشيء
في غير موضعه ومن لم يجوز ذلك على الأنبياء حمل الظلم على أنه فعل ما كان الأولى أن لا يفعله وقيل إنه يحمل على أنه
فعل هذا قبل النبوة **فإن قلت** هل يجوز وصف الأنبياء بالظلم أو بظلم أنفسهم **قلت** لا يجوز أن يطلق عليهم
ذلك لما فيه من الذم قوله تعالى **فأزلهما الشيطان** أي استزلهما آدم وحواء ودعاهما إلى الزلة وهي
الخطيئة وسيأتي الكلام إن شاء الله تعالى على عصمة الأنبياء والجواب عما صدر منهم عند قوله تعالى عز وجل وعصى
آدم ربه فغوى في سورة طه **عنها** أي الجنة **فأخرجهما مما كانا فيه** يعني من النعيم وذلك

إن إبليس أراد أن يدخل الجنة ليوسوس لآدم وحوا فمنعه الخزنة فأتى الحية وكانت صديقة لإبليس وكانت من أحسن الدواب لها أربع قوائم كقوائم البعير وكانت من خزان الجنة فسألها أن تدخله الجنة في فمها فأدخلته ومرت به على الخزنة وهم لا يعلمون وقيل إنما رآها على باب الجنة لأنهما كانا يخرجان منها وكان إبليس يقرب الباب فوسوس لهما وذلك أن آدم لما دخل الجنة ورأى ما فيها من النعيم قال لو أن خلدا فاغتم ذلك الشيطان منه وأتاه من قبل الخلد وقيل لما دخل الجنة وقف على آدم وحوا وهما لا يعلمان أنه إبليس فبكى وناح نياحة أحزنتهما وهو أول من ناح فقالا ما يبكيك قال أبكي عليكما لأنكما تموتان فقارفتما ما انتما فيه من النعيم فوقع ذلك في أنفسهما واغتما ومضى إبليس ثم أتاهما بعد ذلك وقال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد فأبى أن يقبل منه فقاسمهما بالله أنه لهما لمن الناصحين فاغترا وما ظنا أن أحدا يحلف بالله كاذبا فبادرت حوا إلى أكل الشجرة ثم ناولت آدم فأكل منها قال إبراهيم بن أدهم أورثتا تلك الأكلة حزنا طويلا قال ابن عباس قال الله تعالى يا آدم ألم أكن فيما أبحتك من الجنة مندوحة عن الشجرة قال بلى يا رب وعزتك ولكن ما ظننت أن أحدا يحلف بك كاذبا قال فبعزتي لأهبطنك إلى الأرض ثم لا تنال العيش فيها إلا كدا فأهبط من الجنة وعلم صنعة الحديد وأمر بالحرث فحرث وزرع وسقى حتى إذا بلغ واشتد حصده ثم درسه ثم ذراه ثم طحنه ثم عجنه وخبزه ثم أكله فلم يبلغه حتى بلغ منه الجهد وفي رواية أخرى عن ابن عباس أن آدم لما أكل من الشجرة التي نهي عنها قال الله تعالى يا آدم ما حملك على ما صنعت قال يا رب زينته لي حوا قال فإني أعقبتها الا تحمل إلا كرها ولا تضع إلا كرها ودميتها في الشهر مرتين فرنت حوا عند ذلك فقيل عليك الرنة وعلى بناتك والرنة الصوت فلما أكلا من الشجرة تهافت عنهما ثيابهما وبدت سوآتهما وأخرجا من الجنة فذلك قوله تعالى **وقلنا اهبطوا** أي انزلوا إلى الأرض يعني آدم وحوا وإبليس والحية فهبط آدم بسرنديب من أرض الهند على جبل يقال له نود وأهبطت حوا بجدة وإبليس بالأبلة من أعمال البصرة والحية بأصبهان **بعضكم لبعض عدو** يعني العداوة التي بين المؤمنين من ذرية آدم وبين إبليس وإليه الإشارة بقوله عز وجل إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا والعداوة التي بين ذرية آدم والحية عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك الحيات مخافة طلبهن فليس منا ما سالمناهن منذ حاربناهن أخرجه أبو داود وله عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اقتلوا الحيات كلهن فمن خاف ثأرهن فليس منا وفي رواية اقتلوا الكبار كلها إلا الجان الأبيض الذي كأنه قضيب فضة **م** عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن بالمدينة جنا قد أسلموا فإذا رأيتم منهم شيئا فآذنوه ثلاثة أيام فإن بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه فإنما هو شيطان وفي رواية إن لهذه البيوت عوامر فإذا رأيتم منها شيئا فحرجوا عليها ثلاثة أيام فإن ذهبت وإلا فاقتلوه فإنه كافر **ولكم في الأرض مستقر** أي موضع قرار **ومتاع** وبلغة **ومستمتع إلى حين** أي إلى وقت انقضاء آجالكم قوله عز وجل **فتلقى آدم** أي فتلقن وألقى هو قول عن فطنة وفهم وقيل هو التعليم **من ربه كلمات** أي كانت سبب توبته وقيل إن تلك الكلمات هي قوله ربنا ظلمنا أنفسنا الآية وقيل قال لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك رب عملت سوأ وظلمت نفسي فتب علي إنك أنت التواب الرحيم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك رب عملت سوأ وظلمت نفسي فاغفر لي إنك أنت الغفور الرحيم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك رب عملت سوأ وظلمت نفسي فارحمني إنك أنت أرحم الراحمين وقيل قال آدم يا رب أرأيت ما أتيت أشيء ابتدعته من تلقاء نفسي أم شيء قدرته علي قبل أن تخلقني قال بل شيء قدرته عليك قبل أن أخلقك قال يا رب فكما قدرته علي فاغفر لي وقيل إن الله تعالى أمر آدم بالحج وعلمه أركانه

فطاف

فطاف بالبيت سبعا وهو يومئذ ربوة حمراء ثم صلى ركعتين ثم استقبل البيت وقال اللهم إنك تعلم سري وعلانيتي فاقبل معذرتي وتعلم حاجتي فأعطني سؤلي وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنوبي فأوحى الله يا آدم قد غفرت لك ذنوبك وقيل إن آدم لما هبط إلى الأرض مكث ثلثمائة سنة لا يرفع رأسه إلى السماء حياء من الله تعالى وقيل هي ثلاثة أشياء الحياء والدعاء والبكاء قال ابن عباس بكى آدم وحوا على ما فاتهما من نعيم الجنة مائتي سنة ولم يأكلا ولم يشربا أربعين يوما وقيل لو أن دموع أهل الأرض جمعت لكانت دموع داود أكثر حيث أصاب الخطيئة ولو أن دموع داود ودموع أهل الأرض جمعت لكانت دموع آدم أكثر حيث أخرجه الله من الجنة **فتاب عليه** أي فجاوز عنه وغفر له وأصل التوبة من تاب يتوب إذا رجع فكأن التائب رجع عن ذلك الذنب الذي كان عليه ولا تتحقق التوبة منه إلا بثلاثة أمور علم وحال وعمل أما العلم فهو أن يعلم العبد ضرر الذنب وأنه حجاب عن الله تعالى فإذا حصل هذا العلم تألم لفقد ما فات فعند ذلك يحصل الندم وهو الحال فيترك العبد الذنب ويعزم في المستقبل على أن لا يعود إليه وهو العمل فإذا تحققت هذه الثلاثة أمور حصلت التوبة وسيأتي تبسط هذا عند قوله تعالى توبوا إلى الله توبة نصوحا في سورة التحريم إن شاء الله تعالى **إنه هو التواب** أي الرجاع عن عباده بقبول التوبة والتواب في وصف الله تعالى للمبالغة في قبول توبة عباده **الرحيم** أي الرحيم بخلقه وصف سبحانه وتعالى نفسه مع كونه توابا بأنه رحيم **قلنا اهبطوا منها جميعا** يعني هؤلاء الأربعة وقيل أن الهبوط الأول من الجنة إلى سماء الدنيا والهبوط الثاني من سماء الدنيا إلى الأرض وفيه ضعف لأنه قال في الهبوط الأول ولكم في الأرض مستقر فدل على أنه كان من الجنة إلى الأرض والأصح أنه للتأكيد **فإما يأتينكم مني هدى** فيه تنبيه على عظم نعم الله على آدم وحوا كأن قال فإذا أهبطتكم من الجنة إلى الأرض فقد أتممت عليكم بهدايتي التي توديكم إلى الجنة مرة أخرى على الدوام الذي لا ينقطع وقيل المخاطب هم ذرية آدم يعني يا ذرية آدم إما يأتينكم يعني رسلي وكتبي وشريعة وقيل كتاب ورسول **فمن تبع هداي فلا خوف عليهم** يعني فيما يستقبلهم **ولا هم يحزنون** أي على ما خلفوا وقيل لا خوف عليهم ولا هم يحزنون في الآخرة **والذين كفروا** أي جحدوا **وكذبوا بآياتنا** أي القرآن **أولئك أصحاب النار** أي يوم القيمة **هم فيها خالدون** أي لا يخرجون منها ولا يموتون فيها قوله تعالى **يا بني إسرائيل** تقدم المفسرون أن إسرائيل هو يعقوب بن إسحق بن إبراهيم صلى الله عليهم وسلم أجمعين ومعنى إسرائيل عبد الله وقيل صفوة الله والمعنى يا أولاد يعقوب **اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم** أي اشكروا نعمتي وإنما عبر عنه بالذكر لأن من ذكر النعمة فقد شكرها ومن جحدها فقد كفرها وقيل الذكر يكون بالقلب ويكون باللسان وحد النعمة أنها المنفعة المفعولة على جهة الإحسان إلى الغير ومعناه أن المضرة المحضة لا تكون نعمة ولو فعل الإنسان منفعة وقصد نفسه بها الإنسي نعمة إذا لم يقصد بها الغير ثم إن النعم ثلاثة نعمة تفرد بها الله تعالى وهو إيجاد الإنسان ورزقه ونعمة وصلت إلى الإنسان بواسطة الغير لكن الله تعالى مكنه من ذلك فالمنعم بها في الحقيقة هو الله تعالى ونعمة حصلت للإنسان بسبب الطاعة وهي أيضا من الله تعالى فالله هو المنعم المطلق في الحقيقة لأن أصول النعم كلها منه وأما النعم المخصصة ببني إسرائيل فكثيرة لأن قوله اذكروا نعمتي لفظها واحد ومعناه الجمع فمن النعم أن الله أنقذهم من فرعون وقلق البحر بهم وأغرق فرعون وتظليل الغمام وإنزال المن والسلوى في التيه عليهم وإنزال التوراة وفي نعم غير هذا كثيرة **فإن قلت** إذا فسرت النعمة بهذا كانت على المخاطبين بها بل كانت على آبائهم فكيف تكون نعمة عليهم حتى يذكروها **قلت** إنما ذكرها المخاطبين بها لأن فخر الآباء فخر الأبناء ولأن الأبناء إذا اتقوا أن الله قد أنعم على آبائهم هذه النعم فقد وجب عليهم ذكرها وشكرها وقيل إن هذه النعمة

هي ادراك المخاطبين بها ممن محمد صلى الله عليه وسلم وذكرها الايمان به **واوفوا بعهدي** اي امتثال امري
اوف بعهدكم اي بالقبول والثواب واصل العهد حفظ الشيء ومراعاته حالا بعد حال ومنه سمي الموثق الذي
تلزم مراعاته عهدا قيل اراد بالعهد جميع ما امر الله به من غير تخصيص ببعض التكاليف دون بعض وقيل اراد
به ما ذكر في سورة المايدة وهو قوله ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا الى قوله
لاكفرن عنكم سيئاتكم فلهذا قال اوف بعهدكم وقيل هو قوله واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور
خذوا ما اتيناكم بقوة يعني شريعة التوراة وقيل هو قوله واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله
وقيل اراد بهذا العهد ما اوثقه في كتب الانبياء عليهم السلام المتقدمة من وصف محمد صلى الله عليه وسلم
وانه مبعوث في اخر الزمان وذلك ان الله عهد الى بني اسرائيل على لسان موسى عليه السلام اني باعث من بني
اسمعيل نبيا امينا فمن تبعه وصدق النور الذي يأتي به غفرت له ذنوبه واد خلته الجنة وجعلت له اجرين
اثنين وهو قوله واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب ليبيننه للناس يعني امر محمد صلى الله عليه وسلم وصفته
واياي فارهبون اي فخافوني في نقضكم العهد **وامنوا بما انزلت** يعني بالقرآن **مصدقا لما معكم**
يعني ان القرآن موافق لما في التوراة من التوحيد والنبوة والاخبار ونعت النبي صلى الله عليه وسلم فالايمان
بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن تصديق للتوراة لان التوراة فيها الاشارة الى نعت النبي صلى الله عليه وسلم
وانه نبي مبعوث فمن امن به فقد امن بما في التوراة ومن كذبه وكفر به فقد كذب التوراة وكفر بها **ولا تكونوا اول كافر به**
الخطاب لليهود نزلت في كعب بن الاشرف ورؤساء اليهود والمعنى ولا تكونوا يا معشر اليهود اول من كفر به فان قلت كيف
جعلوا اول من كفر به وقد سبقهم الى الكفر به مشركوا العرب من اهل مكة وغيرهم قلت هذا تعريض بهم والمعنى
كان يجب ان تكونوا اول من امن لانكم تعرفون صفته ونعته بخلاف غيركم وكنتم تستفتحون به على الكفار
فلما بعث كان امر اليهود بالعكس وقيل معناه ولا تكونوا اول كافر به من اليهود فيتبعكم غيركم على ذلك فتبوؤا
باثمكم واثم غيركم ممن تبعكم على ذلك **ولا تشتروا بآياتي** اي ولا تستبدلوا بآياتي اي ببيان صفة
محمد صلى الله عليه وسلم التي في التوراة **ثمنا قليلا** اي عوضا يسيرا من الدنيا لان الدنيا بالنسبة الى
الاخرة كالشيء اليسير الحقير الذي لا قيمة له والذين كانوا يأخذون من الدنيا كالشيء اليسير بالنسبة الى جميعها
فهو قليل القليل فلهذا قال تعالى ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا وذلك ان كعب بن الاشرف ورؤساء اليهود
وعلماءهم كانوا يصيبون المأكل من سفلتهم وجهالهم فكانوا يأخذون دنانيرهم في كل سنة شيئا معلوما من
زروعهم وثمارهم ونقودهم وصروفهم فخافوا ان هم بينوا صفة محمد صلى الله عليه وسلم وتابعوه
ان تفوتهم تلك المآكل فغيروا نعته وكتموا اسمه واختاروا الدنيا على الاخرة واصروا على الكفر **واياي فاتقون**
اي فخافون في امر محمد صلى الله عليه وسلم والتقوى قريب من معنى الرهبة والفرق بينهما ان الرهبة خوف مع تحرز
واضطراب والتقوى جعل النفس في وقاية مما يخاف قوله عز وجل **ولا تلبسوا الحق بالباطل** اي لا تكتموا
في التوراة ما ليس فيها فتخلطوا الحق المنزل بالباطل الذي كتبتم وقيل معناه ولا تخلطوا الحق الذي انزل عليكم من صفة
محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة بالباطل الذي تكتبونه بايديكم من تغيير صفته وقيل لا تخلطوا صفة محمد
صلى الله عليه وسلم التي هي الحق بالباطل اي بصفة الدجال وذلك انه لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
حسده اليهود وقالوا اليس هو هذا الذي تنتظره وانما هو المسيح بن داود يعني الدجال وكذبوا فيما قالوا **وتكتموا**
الحق يعني نعت محمد صلى الله عليه وسلم **وانتم تعلمون** يعني ان محمدا صلى الله عليه وسلم نبي مرسل
وفيه تنبيه لسائر الخلق وتحذير ممن مثله فصار هذا الخطاب وان كان خاصا في الصورة لكنه عام في المعنى

فعلى

فعلى كل احد ان لا يلبس الحق بالباطل ولا يكتم الحق لما فيه من الضرر والفساد وفيه دلالة ايضا على ان العالم بالحق
يجب عليه اظهاره ويحرم عليه كتمانه **واقيموا الصلاة** يعني الصلوات الخمس بمواقيتها وحدودها وجميع اركانها
واتوا الزكاة اي ادوا الزكاة المفروضة عليكم في اموالكم **واركعوا مع الراكعين** اي صلوا مع المصلين
يعني محمدا صلى الله عليه وسلم واصحابه وعبر عن الصلاة بالركوع لانه ركن من اركانها هذا خطاب لليهود لان
صلاتهم ليس فيها ركوع فكانه قال لهم صلوا صلاة ذات ركوع فلهذا المعنى اعاده بعد قوله واقيموا الصلوة
لان الاول خطاب الكافة والثاني خطاب قوم مخصوصين وهم اليهود وفيه حث على اقامة الصلاة في الجماعة
فكانه قال صلوا مع المصلين في الجماعة قوله تعالى **اتأمرون الناس بالبر** الاستفهام فيه للتقرير
مع التقريع والتعجب من حالهم والبر اسم جامع لجميع اعمال الخير والطاعات نزلت هذه الاية في علماء اليهود
وذلك ان الرجل منهم كان يقول لقريبه وحليفه من المسلمين اذا سأله عن امر محمد صلى الله عليه وسلم اثبت
على دينه فان امره حق وقوله صدق وقيل ان جماعة من اليهود قالوا للمشركين العرب ان رسولا سيظهر منكم
ويدعوكم الى الحق وكانوا يرغبونهم في اتباعه فلما بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم حسدوه وكفروا به
فعلمهم الله ووبخهم بذلك حيث انهم كانوا يأمرون الناس باتباعه قبل ظهوره فلما ظهر تركوه واعرضوا عنه و
قيل كانوا يأمرون الناس بالطاعة والصلوة والزكاة وانواع البر ولا يفعلونه **وتنسون انفسكم** اي وتعدلون
عما لها فيه نفع والنسيان عبارة عن السهو الحادث بعد حصول العلم والمعنى اتتركون انفسكم فلا تتبعون محمدا
صلى الله عليه وسلم **وانتم تتلون الكتاب** يعني تقرؤن التوراة وتدرسونها وفيها نعت محمد صلى الله عليه
وسلم وصفته وفيها ايضا الحث على الافعال الحسنة والاعراض عن الافعال القبيحة والانهم
يعني انه حق فتتبعونه والعقل قوة تهيئ قبول العلم ويقال للعلم الذي يستفيده الانسان بتلك القوة عقل ومنه
قول علي بن ابي طالب العقل عقلان مطبوع ومسموع ولا ينفع مطبوع اذا لم يك مسموع كما لا ينفع الشمس وضوء
العين ممنوع واصل العقل الامساك لانه مأخوذ من عقال الدابة كعقل البعير بالعقال لتمنعه من الشرود
فكذلك العقل يمنع صاحبه من الكفر والجحود والافعال القبيحة ومعنى الاية ان المقصود من الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر هو ارشاد الغير الى تحصيل المصلحة وتحذيره عما يوقعه في المفسدة والاحسان الى النفس اولى
من الاحسان الى الغير وذلك لان الانسان اذا وعظ غيره ولم يتعظ هو فكانه اتى بفعل متناقض لا يقبله
العقل فلهذا قال افلا تعقلون وقيل ان من وعظ الناس يجتهد ان موعظته تنفذ الى القلوب فاذا خالف قوله
فعله فكان ذلك سببا لتغير القلوب عن قبول موعظته **ق** عن اسامة بن زيد رضي الله عنهما قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يؤتى بالرجل يوم القيمة فيلقى في النار فتندلق اقتاب بطنه فيدور بها
كما يدور الحمار في الرحا فيجتمع اليه اهل النار فيقولون يا فلان ما لك الم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن
المنكر فيقول بلى كنت آمر بالمعروف ولا اتيه وانهى عن المنكر واتيه **قوله** فتندلق اي تخرج اقتاب بطنه اي
امعاؤه واحدها قتب **روى** البغوي بسنده عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت ليلة اسري
بي رجالا تقرض شفاههم بمقاريض من نار قلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء خطباء امتك يأمرون الناس
بالبر وينسون انفسهم وهم يتلون الكتاب افلا يعقلون قيل مثل هذا الذي يعلم الناس الخير ولا يعمل به
كالسراج يضيء للناس ويحرق نفسه وقيل من وعظ بقوله ضاع كلامه ومن وعظ بفعله نفذت سهامه
وقال بعضهم ايدا بنفسك فانهها عن غيها فاذا انتهت عنه فانت حكيم فهناك يسمع ما تقول ويقتدى
بالفعل منك وينفع التعليم **قوله** عز وجل **واستعينوا بالصبر والصلاة** قيل ان المخاطبين بذلك

هم المؤمنون لان من ينكر الصلوة والصبر على دين محمد صلى الله عليه وسلم لا يقال له استعن بالصبر والصلوة فلا جرم
وجب صرفه الى من صدق محمدا صلى الله عليه وسلم وآمن به وقيل يحتمل ان يكون الخطاب لبني اسرائيل لان صرف
الخطاب الى غيرهم يوجب تفكيك نظم القرآن ولان اليهود لم ينكروا اصل الصلاة والصبر لكن صلاتهم غير صلاة
المؤمنين فعلى هذا القول ان الله لما امرهم بالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والتزام شريعته وترك الرياسة
وحب الجاه والمال فقال لهم استعينوا بالصبر اي بحبس النفس عن اللذات وان ضممتم الى ذلك الصلوة هان عليكم
ترك ما انتم فيه من حب الرياسة والجاه والمال وعلى هذا القول يكون معنى الاية استعينوا على حوائجكم الى الله وقيل
على ما يشغلكم من انواع البلاء وقيل على طلب الآخرة بالصبر وهو حبس النفس عن اللذات وترك المعاصي وقيل بالصبر
على اداء الفرائض وقيل الصبر هو الصوم لان فيه حبس النفس عن المفطرات وعن سائر اللذات وفيه انكسار النفس
والصلوة اي اجمعوا بين الصبر والصلاة وقيل معناه واستعينوا بالصبر على الصلاة وعلى ما يجب فيها من
تصحيح النية واحضار القلب ومراعات الاركان والاداب مع الخشوع والخشية فان من اشتغل بالصلاة
ترك ما سواها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزنه امر فزع الى الصلاة اي اذا اهمه امر
لجأ الى الصلاة وعن ابن عباس انه نعي اليه اخوه قثم وهو في سفر فاسترجع ثم تنحى عن الطريق فصلى ركعتين
اطال فيهما السجود ثم قام الى راحلته وهو يقول واستعينوا بالصبر والصلاة **وانها** يعني الصلاة وقيل
الاستعانة **لكبيرة** اي ثقيلة **الا على الخاشعين** يعني المؤمنين وقيل الخائفين وقيل المطيعين
المتواضعين لله تعالى واصل الخشوع السكون فالخاشع ساكن الى الطاعة وقيل الخشوع الضراعة واكثر ما يستعمل
في الجوارح وانما كانت الصلاة ثقيلة على غير الخاشعين لان من لا يرجو لها ثوابا ولا يخاف على تركها عقابا فهي ثقيلة
عليه **الذين يظنون** اي يستيقنون وقيل يعلمون **انهم ملاقوا ربهم** يعني في الآخرة وفيه
دليل على ثبوت رؤية الله تعالى في الآخرة **وانهم اليه راجعون** يعني بعد الموت فيجزيهم باعمالهم
قوله تعالى **يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم** انما اعاد هذا الكلام مرة اخرى
توكيدا للحجة عليهم وتحذيرا من ترك اتباع محمد صلى الله عليه وسلم **واني فضلتكم على العالمين** يعني
على عالمي زمانكم وهذا التفضيل وان كان في حق الآباء ولكن يحصل به الشرف للابناء **واتقوا يوما** اي واخشوا
عذاب يوم **لا تجزي** اي لا تقضي **نفس عن نفس شيئا** يعني حقا لزمها وقيل معناه لا تنوب نفس عن
نفس يوم القيمة ولا ترد عنها شيئا مما اصابها بل يفر المرء من اخيه وامه وابيه **ولا يقبل منها شفاعة**
اي في ذلك اليوم والمعنى لا تقبل الشفاعة اذا كانت النفس كافرة وذلك ان اليهود قالوا يشفع لنا اباؤنا
فرد الله عليهم ذلك بقوله ولا يقبل منها شفاعة وقيل ان طاعة المطيع لا تقضي عن العاصي ما كان
واجبا عليه وقيل معناه ان النفس الكافرة لو جاءت بشفيع لا يقبل منها **ولا يؤخذ منها عدل** اي فدية
وهو مماثلة الشيء بالشيء **ولا هم ينصرون** اي لا يمنعون من العذاب قوله عز وجل **واذ نجيناكم**
اي واذكروا اذ خلصنا اسلافكم واجدادكم فاعتدها نعمة ومنة عليهم لانهم نجوا بنجاة اسلافهم **من آل فرعون**
اي من اتباعه واهل دينه وفرعون اسم علم لمن كان يملك مصر من القبط من العماليق وكان اسمه الوليد بن مصعب
بن الريان وعمر اكثر من اربعمائة سنة **يسومونكم** اي يكلفونكم ويذيقونكم **سوء العذاب** اي اشد
العذاب واسوأه وقيل يصرفونكم في العذاب مرة كذا ومرة كذا وذلك ان فرعون جعل بني اسرائيل خدما وخولا وصنفهم
في الاعمال اصنافا فصنف يبنون وصنف يزرعون وصنف يخدمونه ومن لم يكن في عمل وضع عليه الجزية وقال وهب كانوا
اصنافا في اعمال فرعون فذووا القوة يسلخون السواري من الجبال حتى قرحت ايديهم واعناقهم ودبرت ظهورهم من

قطعها

قطعها ونقلها وصنف ينقلون الحجارة والطين يبنون له القصور وطائفة يضربون اللبن ويطبخون الآجر وطائفة
نجارون وحدادون والضعفة منهم يضرب عليهم الخراج يعني الجزية ضريبة يؤدونها كل يوم فمن غربت عليه الشمس
قبل ان يؤدي ضريبته غلت يمينه الى عنقه شهرا والنساء يغزلن الكتان وينسجونه وقيل تفسير يسومونكم سوء
العذاب ما بعده وهو قوله تعالى **يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم** اي يتركوهن احياء وذلك ان فرعون
رأى في منامه كأن نارا اقبلت من بيت المقدس واحاطت بمصر واحرقت كل قبطي بها ولم تتعرض لغيرهم فهاله
ذلك وسأل الكهنة عن رؤياه فقالوا يولد غلام يكون على يده هلاكك وزوال ملكك فامر فرعون بقتل
كل غلام يولد في بني اسرائيل ووكل بالقوابل فكن يفعلن ذلك حتى قتل في طلب موسى اثني عشر الفا وقيل سبعين
الفا واسرع الموت في مشيخة بني اسرائيل فدخل رؤس القبط على فرعون وقالوا ان الموت قد وقع ببني اسرائيل
فتذبح صغارهم ويموت كبارهم فيوشك ان يقع العمل علينا فامر فرعون ان يذبحوا سنة ويتركوا سنة فولد هارون
في السنة التي لا يذبح فيها وولد موسى في السنة التي يذبح فيها **وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم** اي اختبار
وامتحان والبلاء يطلق على النعمة العظيمة وعلى المحنة الشديدة ليختبر الله العبد على النعمة بالشكر وعلى الشدة
بالصبر فان حمل قوله وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم على صنع فرعون كان من البلاء او المحنة وان حمل على الانجاء
كان من النعمة قوله تعالى **واذ فرقنا بكم البحر فانجيناكم** اي فصلنا بعضه من بعض وجعلنا
فيه مسالك بسبب دخولكم البحر وسمي بحرا لاتساعه **ذكر** سياق القصة وذلك انه لما دنا هلاك فرعون
امر الله عز وجل موسى ان يسري ببني اسرائيل من مصر بالليل فامر موسى قومه ان يسرجوا في بيوتهم السرج الى الصبح وان
يستعيروا من القبط ليبقى لهم او ليتبعوهم لاجل المال واخرج الله كل ولد زنا كان في القبط من بني اسرائيل الى بني
اسرائيل وكل ولد زنا كان في بني اسرائيل من القبط الى القبط حتى يرجع كل ولد الى ابيه والقى الله تعالى الموت على القبط
فمات كل بكر لهم فاشتغلوا بدفنهم وقيل بلغ ذلك فرعون فقال لا اخرج في طلبهم حتى يصيح الديك فما صاح تلك
الليلة ديك وخرج موسى في بني اسرائيل وهم ستمائة الف وعشرون الفا لا يعدون ابن عشرين سنة لصغره ولا
ابن ستين لكبره وكانوا يوم دخلوا مصر مع يعقوب اثنين وسبعين انسانا ما بين رجل وامرأة فلما ارادوا السير
ضرب عليهم التيه فلم يدروا اين يذهبون فدعا موسى مشيخة بني اسرائيل وسألهم عن ذلك فقالوا ان يوسف لما حضره
الموت اخذ على اخوته عهدا الا يخرجوا من مصر حتى يخرجوه معهم فلذلك انسد علينا الطريق فسألهم عن موضع قبره
فلم يعلموه فقام موسى ينادي انشد الله كل من يعلم اين قبر يوسف الا اخبرني به ومن لم يعلم صمت اذناه عن سماع قولي
فكان يمر بالرجل وهو ينادي فلا يسمع صوته حتى سمعته عجوز معهم فقالت له ارأيتك ان دللتك على قبره اتعطيني
كلما اسألك فابى عليها وقال حتى اسأل ربي فامره ان يعطيها سؤلها فقالت اني عجوز لا استطيع فاحملني معك
واخرجني من مصر هذا في الدنيا واما في الآخرة فاسألك ان لا تنزل غرفة من غرف الجنة الا نزلتها معك قال نعم قالت
انه في النيل في جوف الماء فادع الله ان يحسر عنه الماء فدعا الله ان يحسر عنه الماء ودعا الله ان يؤخر عنه طلوع الفجر
حتى يفرغ من امر يوسف ثم حفر موسى ذلك الموضع فاستخرجه وهو في صندوق من مرمر وحمله معه حتى دفنه بالشام
فعند ذلك فتح لهم الطريق فسار موسى ببني اسرائيل هو في ساقتهم وهارون في مقدمتهم ثم خرج فرعون في طلبهم في الف
الف وسبعمائة الف وكان فيهم سبعون الفا من دهم الخيل سوى سائر الشيات وقيل كان معهم مائة الف حصان ادهم
وكان فرعون في الدهم وكان على مقدمة عسكره هامان وكان فرعون في سبعة الاف الف وكان بين يديه مائة الف
ناشب ومائة الف حراب ومائة الف معهم الاعمدة وسار بنو اسرائيل حتى وصلوا البحر والماء في غاية الزيادة
ونظروا حين اشرقت الشمس فاذا هم بفرعون في جنوده فبقوا متحيرين وقالوا يا موسى اين ما وعدتنا به كيف نصنع

لبني اسرائيل

قصة هارون وفرعون

المشي ح

وفرعون في سبعة الاف الف وكان ح

هذا فوعون خلفنا ان ادركنا قتلنا والبحر امامنا ان دخلناه غرقنا فاوحى الله الى موسى اضرب بعصاك البحر فضربه فلم ينفلق
فاوحى الله اليه ان كزه فضربه وقال انفلق يا باخا فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وظهر فيه اثنا عشر طريقا
لكل سبط منهم طريق وارتفع الماء بين كل طريق كالجبل وارسل الله الريح والشمس على قعر البحر حتى صارت يبسا
وخاضت بنو اسرائيل البحر كل سبط في طريق عن جوانبهم الماء كالجبل الضخم لا يرى بعضهم بعضا فقالوا وقال
كل سبط منهم قد هلك اخواننا فاوحى الله الى الجبال الماء ان تشبكي فصار الماء كالشباك يرى بعضهم بعضا
ويسمع بعضهم كلام بعض حتى عبروا البحر سالمين فذلك قوله تعالى وادفوقنا بكم البحر فانجيناكم يعني من فرعون
واغرقنا ال فرعون وذلك ان فرعون لما وصل الى البحر فراه منفلقا قال لقومه انظروا الى البحر كيف
انفلق من هيبتي حتى ادرك عبيدي الذين ابقوا مني ادخلوا البحر فهابوا قومه ان يدخلوا وقيل قالوا له ان كنت ربنا
فادخل البحر كما دخل موسى وكان فرعون على حصان ادهم ولم يكن في خيل فرعون فرس انثى فجاء جبريل عليه السلام
على فرس انثى وديق فقفتهم وخاض البحر فلما شم ادهم فرعون ريحها اقتحم البحر في اثرها ولم يملك فرعون من
امره شيئا واقتحمت الخيول خلفه في البحر وجاء ميكائيل عليه السلام خلفهم يسوقهم وهو على فرس ويقول الحقوا
باصحابكم حتى صاروا كلهم في البحر وخرج جبريل من البحر وهم وقوفا وهم بالخروج امر الله البحر ان يأخذهم فالتطم عليهم
وغرقهم اجمعين وكان بين طرفي البحر اربع فراسخ وهو بحر القلزم وهو على طرف من بحر فارس وقيل هو بحر من وراء
مصر يقال له اساف وكان اغراق فرعون بمرأى من بني اسرائيل فذلك قوله وانتم تنظرون يعني الى
هلاكهم وقيل الى مصارعهم وقيل ان البحر قذفهم حتى نظروا اليهم ووافق ذلك يوم عاشوراء فصام
موسى ذلك اليوم شكرا لله تعالى قوله عز وجل واذ واعدنا من المواعدة وهو من الله الامر ومن
موسى القبول وذلك ان الله وعده لمجيء الميقات موسى اسم عبري معناه بالعربية الماء والشيء هو الشجر سمي
موسى لانه اخذ من بين الشجر والماء ثم قلبت الشين سينا فسمي موسى اربعين ليلة اي انقضاء
اربعين ليلة ثلاثين من ذي القعدة وعشر من ذي الحجة وقرن التاريخ بالليل دون النهار لان اشهر العربية
وضعت على سير القمر وقيل لان الظلمة اقدم من الضوء ذكر القصة في ذلك قال العلماء لما نجى الله
بني اسرائيل من البحر واغرق عدوهم ولم يكن لهم كتاب ولا شريعة ينتهون اليهما وعد الله موسى عليه السلام
ان ينزل عليه التوراة فقال موسى لقومه اني ذاهب الى ميقات ربي لاتيكم منه بكتاب فيه بيان ما تاتون وما
تذرون ووعدهم اربعين ليلة واستخلف عليهم اخاه هارون فلما جاء الوعد اتاه جبريل عليه السلام
على فرس يقال له فرس الحياة لا يصيب شيئا الا حيي ليذهب بموسى الى ميقات ربه فراه السامري وكان صايغا اسمه
ميخا وقال ابن عباس اسمه موسى بن ظفر وقيل كان من اهل ماجرى وقيل كرمان وقيل من بني اسرائيل من قبيلة
يقال لها سامرة وكان منافقا يظهر الاسلام وكان من قوم يعبدون البقر فلما راى جبريل على ذلك الفرس قد راى
موضع قدم الفرس يحضر في الحال فقال في نفسه ان لهذا شانا وقيل راى جبريل حين دخل البحر فقام فرعون فقبض
قبضة من تراب فرسه والقى في روعه انه اذا القي في شيء حي وكان ذهب موسى الى الميقات ومكث على الطور
اربعين ليلة وانزل الله عليه التوراة في الالواح وكانت الالواح من زبرجد وقربه نجيا واسمعه صرير الاقلام
قيل انه بقي اربعين ليلة لم يحدث فيها حدثا حتى هبط من الطور وكانت بنو اسرائيل قد استعاروا حليا كثيرا
من القبط حين ارادوا الخروج من مصر بعلة عرس لهم فلما هلك فرعون وقومه بقي ذلك الحلي في ايديهم فلما
فصل موسى قال لهم السامري ان الحلي الذي استعرتموها من القبط غنيمة لا تحل لكم فاحفروا حفيرة
واد فنوها فيها حتى يرجع موسى ويرى فيها رايه وقيل ان هارون امرهم بذلك فلما اجتمعت الحلي اخذها السامري

وصاغها

وصاغها عجلا في ثلاثة ايام ثم القى فيها القبضة التي اخذها من تراب فرس جبريل فخرج عجلا من ذهب له صعاب يجوف
وخار خورة وقيل كان يخور ويمشي وقال لهم السامري هذا الهكم واله موسى فنسي اي فتركه هاهنا وخرج
يطلبه وكانت بنو اسرائيل قد اخلفوا الوعد فعدوا اليوم مع الليلة يومين فلما مضى عشرون يوما ولم يرجع
موسى وقعوا في الفتنة وقيل كان موسى وعدهم ثلاثين ليلة ثم زيدت العشر فكانت فتنتهم في تلك العشر
فلما مضت الثلاثون ولم يرجع موسى علموا انه قد مات ورأوا العجل وسمعوا قول السامري عكف عليه ثمانية
آلاف رجل يعبدونه وقيل عبده كلهم الا هارون مع اثني عشر الف رجل وهذا اصح فذلك قوله تعالى
ثم اتخذتم العجل يعني الها من بعده اي من بعد موسى وانتم ظالمون اي وانتم ضارون
لانفسكم بالمعصية حيث وضعتم العبادة في غير موضعها ثم عفونا عنكم اي محونا ذنوبكم
وتجاوزنا عنكم من بعد ذلك اي من بعد عبادتكم العجل لعلكم تشكرون اي لكي تشكروا عفوي
عنكم وحسن صنيعي اليكم واصل الشكر هو تصور النعمة واظهارها ويضاده الكفر وهو نسيان النعمة
وسترها والشكر على ثلاثة اضرب شكر القلب وهو تصور النعمة وشكر اللسان وهو الثناء على النعمة وشكر سائر
الجوارح ومكافاة النعمة بقدر استحقاقها وقيل الشكر هو الطاعة بجميع الجوارح في السر والعلانية وقيل حقيقة
الشكر الجزع عن الشكر وحكي ان موسى عليه السلام قال الهي انعمت على النعم السوابغ وامرتني بالشكر
وانما شكري اياك نعمة منك فاوحى الله تعالى اليه يا موسى تعلمت العلم الذي لا فوقه علم حسبي من عبدي
ان يعلم ان ما به من نعمة فمني وقال داود عليه السلام سبحان من جعل اعتراف العبد بالعجز عن شكره شكرا
كما جعل اعترافه بالعجز عن معرفته معرفة وقال الفضيل شكر كل نعمة ان لا يعصي الله بعدها بتلك النعمة وقيل شكر
النعمة ذكرها وقيل شكر النعم ان لا تراها البتة وترى المنعم وقيل الشكر لمن فوقك بالطاعة والثناء ولنظيرك
بالمكافاة ولمن دونك بالاحسان والافضال قوله عز وجل واذ آتينا موسى الكتاب
يعني التوراة والفرقان قيل هو نعت الكتاب والواو زايدة والمعنى الكتاب المفرق بين الحلال والحرام
والكفر والايمان وقيل الفرقان هو النصر على الاعداء والواو على اصلها لعلكم تهتدون
يعني بالتوراة واذ قال موسى لقومه يعني الذين عبدوا العجل يا قوم انكم ظلمتم
انفسكم باتخاذكم العجل يعني الها تعبدونه فكانهم قالوا ايش نصنع قال
فتوبوا الى بارئكم اي ارجعوا الى خالقكم بالتوبة قالوا كيف نتوب قال فاقتلوا انفسكم
يعني ليقتل البريء منكم المجرم فان قلت التوبة عبارة عن الندم على فعل القبيح والعزم ان لا يعود و
هذا معقول للقتل فكيف يجوز تفسير التوبة بالقتل قلت ليس المراد تفسير التوبة بالقتل بل بيان ان توبتهم
لا تتم الا بالقتل وانما كان كذلك لان الله تعالى اوحى الى موسى عليه السلام ان توبة المرتد لا تتم الا
بالقتل فان قلت التائب من الردة لا يقتل فكيف استحقوا القتل وقد تابوا من الردة قلت ذلك
مما تختلف فيه الشرايع فلعل شرع موسى كان يقتضي ان يقتل التائب من الردة اما عاما في حق الكل او خاصا في
حق الذين عبدوا العجل ذلكم خير لكم عند بارئكم يعني القتل وتحمل هذه الشدة لان الموت
لا بد منه فلما امرهم موسى بالقتل قالوا نصبر لامر الله تعالى فجلسوا مجتبين من الحوة وهو ضم الساق الى البطن
بثوب وقيل هم من حل حبوته او مد طرفه الى قاتله او اتقاه بيد او رجل فهو ملعون مردودة توبته واصلت
القوم الخناجر والسيوف واقبلوا عليهم فكان الرجل يرى ابنه واباه واخاه وقريبه وصديقه وجاره فيرق
له قلبه يمكنهم المضي لامر الله تعالى فقالوا يا موسى كيف نفعل فارسل الله عليهم سحابة سوداء لا يبصر

بعضهم بعضا فكانوا يقتلون الى المساء فلما كثر القتل دعا موسى وهارون الله وبكيا وتضرعا اليه وقالا يا رب هلكت
بنو اسرائيل البقية فكشف الله الشجاعة عنهم وامرهم ان يكفوا عن القتل فانكشفت عن الوف من القتلى قال علي بن
ابي طالب لو كان عدد القتلى سبعين الفا فاشتد ذلك على موسى فاوحى الله اليه اما ترضيك ان ادخل القاتل والمقتول الجنة
فكان من قتل منهم شهيدا ومن بقي مكفرا عنه ذنوبه وذلك قوله **فتاب عليكم** اى فعلتم ما امرتم فتجاوز
عنكم **انه هو التواب** اى الرجاع بالمغفرة القابل للتوبة **الرحيم** بخلقه قوله عز وجل **واذ قلتم**
يا موسى لن نؤمن لك اى لن نصدقك **حتى نرى الله جهرة** اى عيانا وذلك ان الله عز
وجل امره ان يأتيه في ناس من بني اسرائيل يعتذرون اليه من عبادة العجل فاختار موسى من قومه سبعين
رجلا من خياريهم وقال لهم صوموا وتطهروا وطهروا ثيابكم ففعلوا وخرج بهم موسى الى طور سيناء
لميقات ربه فقالوا لموسى اطلب لنا ان نسمع كلام ربنا قال افعل فلما دنا من الجبل وقع عليه عمود الغمام وتغشى الجبل
كله فدخل موسى في الغمام وقال للقوم ادنوا فادنوا حتى دخلوا في الغمام وخروا سجدا وكان موسى اذا كلمه ربه وقع
على وجهه نور ساطع فلا يستطيع احد ان ينظر اليه فضربت دونهم الحجاب وسمعوه يكلم موسى يامره وينهاه واسمعهم الله
تعالى اني انا الله لا اله الا انا وبكلكة اخرجتكم من ارض مصر بيد شديدة فاعبدوني ولا تعبدوا غيري فلما وقع موسى
وانكشف الغمام اقبل اليهم فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة وانما قالوا جهرة ليلا يتوهم متوهم ان المراد
بالرؤية العلم **فاخذتكم الصاعقة** قيل هي الموت وفيه ضعف لان قوله وانتم تنظرون يرده اذ لو كان
المراد منها الموت لامتنع كونهم ناظرين اليها وقيل ان الصاعقة هي سبب الموت واختلفوا في ذلك السبب فقيل ان نارا
نزلت من السماء فاحرقتهم وقيل جاءت صيحة من السماء وقيل ارسل مجموعا من الملائكة تسمعوا بحسهم فرعا واصعقين
وانتم تنظرون اى ينظر بعضكم الى بعض كيف ياخذه الموت فلما هلكوا جعل موسى يبكي ويتضرع ويقول
الهي ماذا اقول لبني اسرائيل اذا اتيتهم وقد هلك خيارهم لو شئت اهلكتهم من قبل واياي انهلكنا بما فعل السفهاء
منا فلم نزل بنا شدة ربة حتى احياهم الله رجلا بعد رجل بعد ما ماتوا يوما وليلة ينظر بعضهم الى بعض كيف يحيون
فذلك قوله تعالى **ثم بعثناكم** اى احييناكم **من بعد موتكم** اى لتستوفوا بقية اجالكم وارزاقكم
ولانهم كانوا قد ماتوا لانقضاء اجالهم ثم بعثوا الى يوم القيمة **لعلكم تشكرون** قوله تعالى **وظللنا**
عليكم الغمام يعني في التيه يقيكم حر الشمس وذلك انه لم يكن لهم في التيه شيء يستترهم ولا
يستظلون به فشكوا الى موسى فارسل الله غماما ابيض رقيقا يستترهم من الشمس وجعل لهم عمودا من نور
يضيء لهم بالليل اذا لم يكن قمر **وانزلنا عليكم المن والسلوى** اى في التيه والا تكذبون على
ان المن هو الترنجبين وقيل هو شيء كالصمغ يقع على الشجر طعمه كالشهد وقال وهب هو الخبز الرقاق وواصل المن
هو ما عين الله به من غير تعب **ق** عن سعيد بن زيد قال قال النبي صلى الله عليه وسلم الكمأة من المن وماؤها
شفاء للعين ومعنى الحديث ان الكمأة شيء انبته الله من غير سعي احد ولا مؤنة فهو بمنزلة المن الذي كان ينزل
على بني اسرائيل وقوله وماؤها شفاء للعين معناه ان يخلط مع الادوية فينتفع به لانه يقطر ماؤها بحتا
في العين وقيل ان تقطيره في العين ينفع لكن لوجع مخصوص وليس يوافق كل وجع في العين وكان هذا المن
ينزل على اشجارهم في التيه وفي كل ليلة من وقت السحر الى طلوع الشمس كالثلج لكل انسان صاع فقالوا يا موسى
قد قتلنا هذا المن بحلاوته فادع لنا ربك ان يطعمنا اللحم فارسل الله عليهم السلوى وهو طائر يشبه السمانا
وقيل هو السمانا بعينه فكان الرجل منهم ياخذ ما يكفيه يوما وليلة فاذا كان يوم الجمعة اخذ ما يكفيه ليومين
لانه لم يكن ينزل يوم السبت شيء **كلوا** اى وقلنا لهم كلوا **من طيبات** اى من حلال **ما رزقناكم**

ولا تدخروا لغد فخالفوا وادخروا فدود وفسد فقطع الله عنهم ذلك **ق** عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لولا بنو اسرائيل لم يخبث الطعام ولم يخترز اللحم ولولا حواء لم تخن انثى زوجها الدهر قوله لم يخبر اللحم
اى لم يتن ولم يتغير **وما ظلمونا** اى وما جحدونا احقنا **ولكن كانوا انفسهم يظلمون** يعني بتلفهم
اكثر مما حذرهم فاستحقوا بذلك عذابي وقطع مادة الرزق الذي كان ينزل عليهم بلا مؤنة ولا تعب في الدنيا والاجر
في العقبى قوله تعالى **واذ قلنا ادخلوا هذه القرية** سميت قرية لاجتماع الناس فيها قال ابن عباس
هي اريحا قرية الجبارين وكان فيها قوم من بقية عاد يقال لهم العماليق واسمهم عوج بن عنق فعلى هذا يكون القائل
يوشع بن نون لانه هو الذي فتح اريحا بعد موت موسى لان موسى مات في التيه وقيل هي بيت المقدس فعلى هذا فيكون
القائل موسى والمعنى اذ اخرجتم من التيه بعد مضي اربعين سنة **فكلوا منها حيث**
شئتم رغدا اى موسعا عليكم **وادخلوا الباب** فمن قال ان القرية اريحا قال ادخلوا اى بابا كان
من ابوابها وكان لها سبعة ابواب ومن قال ان القرية هي بيت المقدس قال هو باب حطة **سجدا** منحنين خضعا
خضعا متواضعين كالراكع ولم يرد به نفس السجود **وقولوا حطة** اى حط عنا خطايانا امروا بالاستغفار
وقال ابن عباس قولوا لا اله الا الله لانها تحط الذنوب والخطايا على تقدير مسئلتنا حطة **نغفر لكم**
خطاياكم اى نستر عليكم من الغفر وهو الستر لان المغفرة ستر الذنوب **وسنزيد المحسنين**
يعني ثوابا **فبدل** اى فغير **الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم** اى قالوا قولا غير ما
قيل لهم وذلك انهم بدلوا قول الحطة بالحنطة فقالوا بالسنتهم هطا شما سمثاثا اى حنطة حمراء وذلك
استخفافا منهم بامر الله تعالى وقيل طوطى لهم الباب ليخفضوا رؤسهم فابوا ذلك ودخلوا زحفا
على استاههم فخالفوا في الفعل كما خالفوا في القول ويدل عليه **ق** عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم قيل لبني اسرائيل ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة فبدلوا فدخلوا يزحفون على استاههم
فقالوا حبة في شعرة **فانزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء** يعني عذابا من السماء قيل ارسل
الله عليهم طاعونا فهلك منهم في ساعة واحدة سبعون الفا **بما كانوا يفسقون** اى يعصون
ويخرجون عن امر الله تعالى قوله عز وجل **واذ استسقى موسى لقومه** اى طلب السقيا لقومه وذلك انهم
عطشوا في التيه فشكوا الى موسى ان يستسقي لهم ففعل فاوحى الله اليه كما قال مبينا **فقلنا اضرب بعصاك**
وكان العصا من آس الجنة طولها عشرة اذرع على طول موسى وله شعبتان يتقدان في الظلمة نورا واسمها
عليق وقيل بقلة حملها آدم معه من الجنة فتوارثوها الانبياء حتى وصلت الى شعيب فاعطاها موسى **الحجر**
قال وهب لم يكن حجرا معينا بل كان موسى يضرب اي حجر كان فيتفجر عيونا لكل سبط عين وكانوا اثني عشر سبطا
وقيل كان حجرا معينا بدليل انه عرفه بالالف واللام قال ابن عباس كان حجرا خفيفا مربعا على قدر رأس الرجل وكان
موسى يضعه في مخلاة فاذا احتاجوا الى الماء وضعه وضربه بعصاه وقيل كان للحجر اربعة وجوه في كل وجه ثلاثة اعين
لكل سبط عين وقيل كان من الرخام وقيل كان من الكدان وهو الجارة اللينة وقيل هو الحجر الذي وضع عليه
ثوبه ليغتسل فقربه فاتاه جبريل وقال ان الله يامرك ان ترفع هذا الحجر فلي فيه قدرة ولك فيه معجزة ووضعه
في مخلاتك فلما سالوه السقيا قيل اضرب بعصاك الحجر فكان اذا احتاجوا الى الماء وضعه وضربه بعصاه فينفجر منه
عيون لكل سبط عين تسيل اليهم في جدول وكان اذا اراد حمله ضربه بعصاه فذهب الماء ويبس الحجر فذلك قوله
فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا يعني على عدد اسباط بني اسرائيل والمعنى فضربه فانفجرت
وانبجست بمعنى واحد وقيل انبجست اي عرقت وانفجرت سالت **قد علم كل اناس مشربهم** اى موضع

شربهم لا يدخل سبط مع غيره **كلوا واشربوا** اى قلنا لهم كلوا واشربوا **من رزق الله** يعنى المن والسلوى والماء هذا كله من رزق الله كان يأتيهم بلا مشقة ولا كلفة **ولا تعثوا في الارض مفسدين** اعثت اشد الفساد وهذه الآية معجزة عظيمة لموسى عليه السلام حيث انفجر من الحجر الصغير ماء روى منه الجم الكثير ومعجزة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم اعظم لانه انفجر الماء من بين اصبعيه وروى منه الجم الغفير لان انفجار الماء من اللحم والدم اعظم من انفجاره من الحجر قوله تعالى **واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد** وذلك انهم سأموا من المن والسلوى وملوه فاشتهوا غيره لان المواظبة على الطعام الواحد تكون سببا لنقصان الشهوة **فان قلت** هما طعامان فما لهم قالوا على طعام واحد **قلت** اراد وا بالواحد ما لا يختلف ولا يستبدل ولو كان على مائدة الرجل عدة الوان يدوم عليها وكل يوم لا يبدلها كانت بمنزلة الطعام الواحد **فادع لنا ربك** اى فسل لنا ربك **يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها** قال ابن عباس الفوم الحنطة وقيل هو الثوم **وعدسها وبصلها** انما طلبوا هذه الانواع لانها تعين على تقوية الشهوة او لانهم ملوا من البقاء في التيه فسألوا هذه الاطعمة التي لا توجد الا في البلاد وكان غرضهم الوصول الى البلاد لذلك الاطعمة **قال** يعني موسى **اتستبدلون الذي هو ادنى** اى الذي هو احس وادنى هو الذي طلبوه **بالذي هو خير** يعني الذي هو اشرف وافضل وهو ما هم فيه **اهبطوا مصرا** يعني فان ابيتم الا ذلك فانتوا مصرا من الامصار وقيل بل هو مصر ليلا الذي كانوا فيه وهو نحو الشوين عليه كدحوله على نوح ولوط والقول هو الاول **فان لكم ما سألتم** يعني من نبات الارض **وضربت عليهم الذلة** اى جعلت الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم والزموا الذل والهوان وقيل الذل الجزية وزنى اليهودية وفيه بعد لانه لم يكن ضربت عليهم الجزية بعد **والمسكنة** اى الفقر والفاقة وسمى الفقير مسكينا لان الفقر اسكنه واقعده عن الحركة فترى اليهود وان كانوا اغنياء مياسير كأنهم فقراء لا ترى احدا من اهل الملل اذل ولا احرص على المال من اليهود **وباؤا** اى رجعوا ولا يقال باء الا بشر **بغضب من الله** وغضب الله ارادة الانتقام من عصاه **ذلك** اى الغضب **بانهم كانوا يكفرون بآيات الله** اى بصفة محمد صلى الله عليه وسلم وآية الرجم التي في التوراة **ويقتلون النبيين** النبي معناه المخبر من انبأ ينبئ وقيل هو بمعنى الرفيع ماخوذ من النبوة وهو المكان المرتفع **بغير الحق** اى بغير جرم **فان قلت** قتل الانبياء لا يكون الا بغير حق فما فائدة ذكره **قلت** ذكره وصفا للقتل والقتل وصف تارة بالحق وهو ما امر الله به وتارة بغير الحق وهو قتل العدوان فهو كقوله قل رب احكم بالحق فالحق وصف للحكم لا ان حكما ينقسم الى حق وجور يروى ان اليهود قتلت سبعين نبيا في اول النهار وقامت الى سوق بقلها في اخره وقتلوا زكريا ويحيى وشعيا وغيرهم من الانبياء **ذلك بما عصوا** اى ذلك القتل والكفر بما عصوا امري وكانوا **يعتدون** اى يتجاوزون امري ويرتكبون محارمي قوله عز وجل **ان الذين امنوا والذين هادوا** يعني ان اليهود سموا بذلك لقولهم انا هدنا اليك اى مِلنا اليك وقيل هادوا اى تابوا من عبادة العجل وقيل انهم ما لوا عن دين الاسلام ودين موسى **والنصارى** سموا بذلك لقول الحواريين نحن انصار الله وقيل لاعتزالهم الى قرية يقال لها ناصرة وكان المسيح ينزلها **والصابئين** اصله من صبا اذا خرج من دين الى دين اخر سموا بذلك لخروجهم من الدين قال عمر وابن عباس هم قوم من اهل الكتاب قال عمرو بايحهم دينا بين اهل الكتاب وقال ابن عباس لا نحل ذبايحهم ومناكحتهم وقيل هم قوم بين اليهود والنصارى يخلقون اوساط رؤسهم وقيل هم قوم يقرون بالله ويقرؤن بالتوراة ويعبدون الملائكة ويصلون الى الكعبة اخذوا من كل دين شيئا والاقرب انهم قوم يعبدون الكواكب وذلك انهم يعتقدون ان الله تعالى خلق هذا العالم وجعل الكواكب مدبرة له فيجب على البشر عبادتها وتعظيمها فانما هي التي تعبد الله تعالى ولما ذكر الله تعالى هذه الطوائف قال **من امن بالله واليوم الاخر** **فان قلت** كيف قال في اول الآية ان الذين امنوا وقال في اخرها من امن بالله فما فائدة اللام **قلت** اختلف العلماء في حكم الآية فلهم فيه طريقان احدهما انه اراد ان الذين امنوا على التحقيق

ثم اختلفوا فيهم فقيل هم الذين في زمن الفترة وهم طلاب الدين مثل حبيب النجار وقس بن ساعدة وورقة بن نوفل وبحيرا الراهب وابو ذر الغفاري وسلمان الفارسي فمنهم من ادرك النبي صلى الله عليه وسلم وتابعه ومنهم من لم يدركه فكأنه تعالى قال ان الذين امنوا قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم والذين كانوا على الدين الباطل المبدل من اليهود والنصارى ممن امن منهم بالله واليوم الآخر وبمحمد صلى الله عليه وسلم فلهم اجورهم عند ربهم وقيل هم المؤمنون من الامم الماضية وقيل هم المؤمنون من هذه الامة والذين هادوا يعني الذين كانوا على دين موسى ولم يبدلوا والنصارى الذين كانوا على دين عيسى ولم يغيروا والصابئين يعني في زمن استقامة امرهم من امن منهم ومات وهو مؤمن لان حقيقة الايمان تكون بالوفاة واما الطريقة الثانية فقالوا ان المذكورين بالايمان في اول الآية انما هو على سبيل المجاز دون الحقيقة وهم الذين امنوا بالانبياء الماضين ولم يلحقوا نبيا بل ماتوا على دينهم وقيل هم المنافقون الذين امنوا بألسنتهم ولم تؤمنوا بقلوبهم واليهود والنصارى والصابئين فكأنه تعالى يقول لهؤلاء المبطلون كل من امن منهم بالايمان الحقيقي صار مؤمنا عند الله وقيل ان المراد من قوله تعالى ان الذين امنوا محمد صلى الله عليه وسلم في الحقيقة حين الماضي وثبتوا على ذلك في المستقبل وهو المراد من قوله من امن بالله واليوم الآخر **وعمل صالحا** اى في ايمانه **فلهم اجرهم عند ربهم** اى جزاء اعمالهم **ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون** اى في الآخرة قوله تعالى **واذ اخذنا ميثاقكم** اى عهدكم يا معشر اليهود **ورفعنا فوقكم الطور** يعني الجبل العظيم قال ابن عباس امر الله جبلا من جبال فلسطين فانقلع من اصله حتى قام على رؤسهم وسبب ذلك ان الله تعالى لما انزل التوراة على موسى وامرهم ان يعملوا باحكامها فابوا ان يقبلوها لما فيها من الاصار يعني الاثقال والتكاليف الشاقة امر الله تعالى جبريل عليه السلام ان يقلع جبلا على قدر عسكرهم وكان قدره فرسخا في فرسخ فرفعه فوق رؤسهم قدر قامة كالظلة وقيل لهم ان لم تقبلوا ما في التوراة والا ارسلت هذا الجبل عليكم **خذوا** اى وقلنا لهم خذوا **ما اتيناكم** اى ما اعطيناكم **بقوة** اى بجد واجتهاد **واذكروا ما فيه** اى ادرسوا ما فيه **لعلكم تتقون** اى لكي تنجوا من الهلاك في الدنيا والعذاب في العقبى والاصل في رفعكم رؤسكم الجبل فلما رأوا ان ذلك نازل بهم قبلوا وسجدوا وجعلوا يلاحظون الجبل وهم سجود فصار ذلك سنة في سجود اليهود لا يسجدون الا على اصاف وجوههم ويقولون بهذا السجود رفع عنا العذاب **ثم توليتم** اى اعرضتم **من بعد ذلك** اى من بعد ما قبلتم التوراة **فلولا فضل الله عليكم ورحمته** اى بالامهال **لكنتم من الخاسرين** اى المغبونين بذهاب الدنيا والعذاب في العقبى قوله عز وجل **ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم** اى جاوزوا الحد **في السبت** يقال سبت اليهود لانهم يعظمونه ويقطعون فيه اعمالهم واصل السبت القطع **فقلنا لهم** الاشارة الى القصة قال العلماء بالاخبار انهم كانوا في زمن داود عليه السلام بقرية بأرض ايلة وحرم الله عليهم صيد السمك يوم السبت فكان اذا دخل السبت لم يبق حوت في البحر الا اجتمع هناك حتى لا يرى الماء من كثرتها فاذا مضى السبت تفرقت الحيتان ولم ير من قعر البحر فذلك قوله تعالى اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم ثم ان الشيطان وسوس لهم وقال لهم انما نهيتم عن اخذها يوم السبت ولم تنهوا عن اخذها في غيره فجاء رجال منهم فحفروا حياضا كبارا حول البحر وشرعوا منه اليها انهارا فاذا كانت عشية الجمعة فتحوا تلك الانهار فيقبل الموج من البحر بالحيتان الى تلك الحياض فيتعذر عليها ولا يقدرن على الخروج منها لعمقها فاذا كان يوم الاحد اخذوها وقيل انهم كما نوا يتصيدون الشمط والحيتان يوم الجمعة ويخرجونها يوم الاحد فقعلوا ذلك زمانا ولم ينزل بهم عقوبة فتجرؤا على السبت وقالوا ما نرى السبت الا قد حل لنا فاخذوا وملحوا واكلوا وباعوا واثروا فلما فعلوا ذلك صار اهل القرية ثلاثة اصناف وكانوا نحو سبعين الفا صنف امسك عن الصيد ونهى عن الاصطياد وصنف امسك ولم ينه وصنف انهمكوا في الذنب وهتكوا الحرمة وكان الصنف الناهون اثنى عشر الفا فلما ابى المجرمون قبول النصح قالوا والله لا تساكنكم في قرية واحدة فقسموا القرية بينهم بجدار فعصوا على ذلك سنتين ثم لعنهم داود وغضب الله عليهم

لاصرارهم على المعصية فخرج الناهون ذات يوم من بابهم ولم يخرج من المجرمين احد ولم يفتحوا الباب فلما ابطأوا تسوروا
عليهم الجدار فاذا هم جميعا قردة لهم اذناب وهم يتعاوون وقيل صار الشباب قردة والشيوخ خنازير فمكثوا ثلاثة ايام
ثم هلكوا ولم يمكث مسخ فوق ثلاث ولم يتوالدوا قال الله تعالى فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين
امر تحويل وتكوين ومعنى خاسئين مبعدين مطرودين وقيل فيه تقديم وتأخير تقديره كونوا خاسئين قردة ولهذا لم يقل
خاسئات فجعلناها يعني عقوبتهم بالمسخ نكالا اي عقوبة وعبرة لما بين يديها وما خلفها قيل معناه
عقوبة قرية اصحاب السبت عبرة لما بين يديها من القرى التي كانت عامرة في الحال وما خلفها اي ما يحدث بعدها
من القرى ليتعظوا بذلك وهو قوله تعالى وموعظة للمتقين اي المؤمنين من امة محمد صلى الله عليه وسلم
لئلا يفعلوا مثل فعلهم قوله تعالى واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة البقرة واحدة
البقر وهي الانثى واصلها البقر وهو الشق سميت بذلك لانها تشق الارض للحراثة الاشارة الى القصة في ذلك
قال علماء السير والاخبار انه كان رجل غني في بني اسرائيل وله ابن عم فقير لا وارث له سواه فلما طال عليه موته
قتله ليرثه وحمله الى قرية اخرى والقاه على بابها ثم اصبح يطلب ثاره وجاء بناس الى موسى يدعي عليهم بالقتل فجحدوا
واشتبه امر القتيل على موسى فسأل موسى ربه في ذلك فامره بذبح بقرة وامره ان يضربه ببعضها فقال لهم ان الله
يأمركم ان تذبحوا بقرة قالوا اتتخذنا هزوا اي نحن نسألك عن امر القتيل وانت تستهزئ بنا وتأمرنا
بذبح بقرة اي وانما قالوا ذلك لبعد ما بين الامرين في الظاهر ولم يعلموا ما وجه الحكمة فيه قال يعني موسى
اعوذ بالله اي امتنع بالله ان اكون من الجاهلين اي من المستهزئين بالمؤمنين وقيل من الجاهلين بالجواب لا على وفق
السؤال فلما علموا ان ذبح البقرة عزم من الله تعالى استوصفوه اياها ولو انهم عمدوا الى اي بقرة كانت فذبحوها
لاجزأت عنهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم وكان في ذلك حكمة لله عز وجل وذلك انه كان رجل صالح في بني اسرائيل
وله ابن طفل وله عجلة فاتى بها غيضة وقال اللهم اني استودعك هذه العجلة لابني حتى يكبر ومات ذلك الرجل
وصارت العجلة في الغيضة عوانا وكانت تهرب من الناس فلما كبر ذلك الطفل وكان بارا بامه وكان يقسم ليله
ثلاثة اجزاء يصلي ثلثا وينام ثلثا ويجلس عند رأس امه ثلثا فاذا اصبح انطلق فيحتطب ويأتي به السوق فيبيعه بما شاء الله
فيتصدق بثلثه ويأكل ثلثه ويعطي امه ثلثه فقالت له امه يوما يا بني ان اباك ورثك عجلة استودعها الله في غيضة
كذا فانطلق فادع اله ابراهيم واسمعيل واسحق ان يردها عليك وعلامتها انك اذا انظرت اليها يخيل اليك ان شعاع
الشمس يخرج من جلدها وكانت تسمى المذهبة لحسنها وصفرتها فاتى الفتى الغيضة فرآها ترعى فصاح بها وقال
اعزم عليك باله ابراهيم واسمعيل واسحق فاقبلت البقرة حتى وقفت بين يديه فقبض على قرنها يقودها فتكلمت
البقرة باذن الله تعالى وقالت ايها الفتى البار بامه اركبني فانه اهون عليك فقال الفتى ان امي لم تأمرني بذلك
فقالت البقرة والله لو ركبتني ما كنت تقدر علي ابدا فانطلق فانك لو امرت الجبل ان ينقلع من اصله لانقلع لبرك
بامك فسار الفتى بها الى امه فقالت له امه انك رجل فقير لا مال لك ويشق عليك الاحتطاب بالنهار والقيام
بالليل فانطلق فبع البقرة فقال بكم ابيعها قالت بثلاثة دنانير ولا تبع بغير مشورتي وكان ثمن البقرة ثلاثة دنانير
فانطلق بها الفتى الى السوق وبعث الله تعالى ملكا ليري خلقه قدرته وليختبر الفتى كيف بره بامه وهو اعلم فقال
له الملك بكم هذه البقرة قال بثلاثة دنانير واشترط عليك رضى امي فقال له الملك لك ستة دنانير ولا تستأمر
امك فقال له الفتى لو اعطيتني وزنها ذهبا لم آخذه الا برضى امي ورجع الفتى الى امه فاخبرها بالثمن فقالت له
ارجع فبعها بستة دنانير ولا تبعها الا برضاي فرجع بها الى السوق واتى الملك فقال استأمرت امك فقال
الفتى نعم انها امرتني ان لا انقصها من ستة على رضاها فقال الملك اني اعطيك اثني عشر دينارا ولا

تستأمرها

تستأمرها فابى الفتى ورجع الى امه فاخبرها بذلك فقالت له امه ان الذي يأتيك ملك في صورة آدمي ليختبرك فاذا اتاك
فقل له اتأمرنا ان نبيع هذه البقرة ام لا ففعل فقال له الملك اذهب الى امك وقل لها امسكي هذه البقرة فان موسى بن عمران
يشتريها منك لقتيل يقتل في بني اسرائيل ولا تبيعها الا بملء مسكها ذهبا والمسك الجلد فامسكتها وقدر الله تعالى
على بني اسرائيل ذبح البقرة بعينها فما زالوا يستوصفون البقرة حتى وصفت لهم تلك البقرة بعينها مكافاة لذلك
الفتى على بره بامه فضلا من الله ورحمة فذلك قوله تعالى قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي اي ما سنها
قال يعني موسى انه يقول يعني الله عز وجل انها بقرة لا فارض ولا بكر اي لا كبيرة ولا صغيرة والفارض
المسنة التي لا تلد والبكر الفتية التي لم تلد عوان اي نصف بين ذلك اي بين الشيئين فافعلوا
ما تؤمرون اي من ذبح البقرة ولا تكثروا السؤال قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول
انها بقرة صفراء فاقع لونها قال ابن عباس شديدة الصفرة وقيل لونها صاف وقيل الصفراء السوداء والاول
اصح لانه يقال اصفر فاقع واسود حالك تسر الناظرين اي يعجبهم حسنها وصفاء لونها قالوا ادع لنا
ربك يبين لنا ما هي اي اسائمة هي ام عاملة ان البقر تشابه علينا اي التبس واشتبه امرها علينا وانا ان شاء الله لمهتدون اي الى وصفها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وايم الله لو لم يستثنوا لما بينت لهم الى اخر الدهر قال انه يقول انها بقرة لا ذلول اي ليست
مذللة بالعمل تثير الارض تقلبها للزراعة ولا تسقي الحرث اي ليست بسانية والسانية هي التي
تسقي الماء من البئر لسقي الارض مسلمة اي بريئة من العيوب لا شية فيها اي لا لون فيها غير لونها
قالوا الآن جئت بالحق اي بالبيان التام الذي لا اشكال فيه فطلبوها فلم يجدوا بقرة بكمال وصفها الا بقرة
ذلك الفتى فاشتروها منه بملء مسكها ذهبا فذبحوها وما كادوا يفعلون اي وما قاربوا ان يفعلوا
ما امروا به قيل لغلاء ثمنها وقيل لخوف الفضيحة وقيل لعزة وجودها بهذه الاوصاف جميعا قوله عز وجل واذ قتلتم
نفسا خوطبت الجماعة بذلك لوجود القتل فيهم فادارأتم فيها قال ابن عباس اي اختلفتم واختصمتم
من الدرء وهو الدفع لان المتخاصمين يدفع بعضهم بعضا والله مخرج ما كنتم تكتمون اي مظهر ما
كتمتم من امر القتيل لا محالة فلا يتركه مكتوما فقلنا اضربوه يعني القتيل ببعضها اي ببعض البقرة
قال ابن عباس ضربوه بالعظم الذي يلي الغضروف وهو اصل الاذن وقيل ضربوه بلسانها وقيل بعجب الذنب وقيل بفخذها
اليمنى والاقرب انهم كانوا مخيرين في ذلك البعض وانهم اذا ضربوه باي جزء منها اجزأ وحصل المقصود وانه ليس في
القرآن ما يدل على ذلك البعض ما هو وذلك يقتضي التخيير وفي الآية اضمار تقديره فضربوه فحيي وقام باذن الله واوداجه
تشخب دما وقال قتلني فلان يعني ابن عمه ثم سقط ميتا مكانه فحرم قاتله الميراث وفي الخبر ما ورث قاتل بعد صاحب
البقرة كذلك اي كما احيى الله عاميل صاحب البقرة يحيي الله الموتى يعني يوم القيمة ويريكم اياته
لعلكم تعقلون اي تمنعون انفسكم عن المعاصي فان قلت كان حق هذه القصة ان يتقدم ذكر القتيل اولا ثم
ذبح البقرة بعد ذلك فما وجه ترتيب هذه القصة على هذا الترتيب قلت وجهه ان الله تعالى لما ذكر من قصص بني اسرائيل
وما وجد من جناياتهم تقريعا لهم على ذلك وما وجد فيهم من الآيات العظيمة وهاتان قصتان كل واحدة منهما مستقلة
بنوع من التقريع وان كانتا متصلتين متحدتين في نفس الامر فالاولى لتقريعهم على ترك المسارعة الى امتثال الامر
وما يتبعه والثانية لتقريعهم على قتل النفس المحرمة فلو قدم ذكر قصة القتيل على قصة الذبح لكانت قصة واحدة
ولذهب الغرض من تثنية التقريع فلهذا قدم ذكر الذبح اولا ثم عقبه بذكر القتيل فان قلت ما فائدة ضرب القتيل
ببعض البقرة والله تعالى قادر على ان يحييه ابتداء من غير ضرب بشيء قلت الفائدة فيه ان تكون الحجة اوكد وعن

فسألوا موسى ان يدعو الله ليبين لهم ما اشكل عليهم ح

الحيلة تبعد لاحتمال ان يتوهم متوهم ان موسى انما احياه بضرب من السحر والحيلة فاذا احتى القتيل عند ما ضرب ببعض البقرة وبما فعلوه هم اتفقت الشبهة وعلم ان ذلك من عند الله وبامره كان ذلك **فان قلت** هلا امروا بذبح غير البقرة **قلت** الكلام في غير البقرة لو امروا به كالكلام في البقرة ثم في ذبح البقرة فوائد منها التقرب بالقربان على ما كانت العادة جارية عندهم ومنها ان هذا القربان كان عندهم من اعظم القربين ومنها تحمل المشقة العظيمة في تحصيلها بتلك الصفة ومنها حصول ذلك المال العظيم الذي اخذه صاحبها في ثمنها **فصل** في حكم هذه المسئلة في شريعة الاسلام اذا وقعت وذلك انه اذا وجد قتيل في موضع ولا يعرف قاتله فان كان ثمة لوث على انسان او دمي واللوث ان يغلب على الظن صدق المدعي بان اجتمع جماعة في بيت او صحراء ثم تفرقوا عن قتيل فيغلب على الظن ان القاتل فيهم او وجد قتيل في محلة او قرية وكلهم اعداء القتيل لا يخالطهم غيرهم فيغلب على الظن انهم قتلوه فان ادعى اولياء على بعضهم حلف خمسين يمينا على من يدعي عليه وان كان الاولياء جماعة توزع الايمان عليهم فاذا حلفوا اخذوا الدية من عاقلة المدعى عليه ان ادعوا قتل خطا او ادعوا قتل عمد فمن مال المدعى عليه ولا قود عليه في قول الاكثرين وذهب عمر بن عبد العزيز الى وجوب القود وبه قال مالك واحمد فان لم يكن ثم لوث فالقول قول المدعى عليه لان الاصل براءة ذمته من القتل وهل يحلف يمينا او خمسين يمينا فيه قولان احدهما انه يحلف يمينا واحدة كما في سائر الدعاوى والثاني يحلف خمسين يمينا تغليظا لامر القتل وعند ابي حنيفة لا حكم للوث ولا يمين المدعي بل اذا وجد قتيل في محلة يختار الامام خمسين رجلا من صلحاء اهلها فيحلفهم انهم ما قتلوه ولا يعرفوا له قاتلا فان حلفوا والا اخذ الدية من سكانها والدليل على ان اليمين يمين المدعى عند وجود اللوث ما روى عن سهل بن ابي حثمة قال انطلق عبد الله بن سهل ومحيصة وحويصة بن مسعود الى خيبر وهو يومئذ صلح فتفرقا فاتى محيصة الى عبد الله بن سهل وهو يتشحط في دمه قتيلا فدفنه ثم قدم المدينة فانطلق عبد الرحمن بن سهل ومحيصة وحويصة ابنا مسعود الى النبي صلى الله عليه وسلم فذهب عبد الرحمن يتكلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كبر كبر وهو احدث القوم سنا فسكت فتكلما فقال اتحلفون وتستحقون قاتلكم او قال صاحبكم فقالوا كيف نحلف ولم نشهد ولم نر قال فيبرئكم يهود بايمان خمسين منهم قالوا كيف نأخذ بايمان قوم كفار فعقله النبي صلى الله عليه وسلم من عنده وفي رواية يقسم خمسون منكم على رجل منهم فيدفع برمته وذكر نحوه وزاد في رواية فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يطل دمه فوداه بمائة من ابل الصدقة اخرجاه في الصحيحين والدليل من هذا الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم بدا بايمان المدعين لتقوى جانبهم باللوث لان اليمين ابدا تكون لمن يقوى جانبه وعند عدم اللوث تكون من جانب المدعى عليه من حيث ان الاصل براءة ذمته فكان القول قوله بيمينه والله اعلم قوله تعالى **ثم قست قلوبكم** اي يبست وجفت وقساوة القلب انتزاع الرحمة منه وقيل معناه غلظت واسودت **من بعد ذلك** اي من بعد ظهور الدلالات التي جاء بها موسى وقيل هو اشارة الى احياء القتيل بعد ضربه ببعض البقرة **فهي** يعني القلوب في الغلظ والشدة **كالحجارة** اي كالشيء الصلب الذي لا تحلل فيه **او** قيل او بمعنى بل وقيل بمعنى الواو **واشد قسوة** **فان قلت** لم شبه قلوبهم بالحجارة ولم يشبهها بالحديد وهو اشد من الحجارة واصلب **قلت** لان الحديد قابل للين بالنار وقد لان لداود عليه السلام والحجارة ليست قابلة للين قط ثم فضل الحجارة على القلب القاسي وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار قيل اراد به جميع الحجارة وقيل اراد به الحجر الذي كان يضرب عليه موسى لسقي الاسباط والتفجر التفتح بالسعة والكثرة **وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء** يعني العيون الصغار التي هي دون الانهار **وان منها لما يهبط من خشية الله** اي ينزل من اعلاه الى اسفله وخشيتها عبارة عن انقيادها لامر الله وانها

لا تمتنع عما يريد فيها وقلوبكم يا معشر اليهود لا تلين ولا تخشع **فان قلت** الحجر جماد لا يعقل ولا يفهم فكيف يخشى **قلت** ان الله تعالى قادر على افهام الحجر والجماد فتعقل وتخشى بالهامه لها ومذهب اهل السنة ان لله تعالى في الجمادات والحيوانات علما وحكمة لا يقف عليها غيره فلها صلاة وتسبيح وخشية يدل عليه قوله تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده وقال تعالى والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه فيجب على المرء الايمان به ويكل علمه الى الله تعالى **مر** عن جابر بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل ان ابعث واني لاعرفه الان عن علي رضي الله تعالى عنه قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا في بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا جبل الا وهو يقول السلام عليك يا رسول الله اخرجه الترمذي وقال حديث غريب **خ** عن جابر بن عبد الله قال كان في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم جذع فلما وضع المنبر سمعنا للجذع مثل اصوات العشار حتى نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه وفي رواية صاحت النخلة صياح الصبي فنزل النبي صلى الله عليه وسلم حتى اخذها فضمها اليه فجعلت تئن انين الصبي الذي يسكت حتى استقرت قال كنت على ما كانت تسمع من الذكر قال المجاهد ما يتردى لحجر من اعلاه الى اسفل الا من خشية الله وذلك يشهد لما قلنا **وما الله بغافل عما تعملون** ففيه وعيد وتهديد والمعنى ان الله بالمرصاد هو لاء القاسية قلوبهم ومعاقبهم حتى يجازيهم بها والاخوة قوله عز وجل **افتطمعون** خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم لان هو الداعي الى الايمان وانما ذكره بلفظ الجمع تعظيما له قيل هو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه لانهم كانوا يدعونهم الى الايمان ايضا ومعنى افتطمعون افترجون **ان يؤمنوا لكم** اي تصدقكم اليهود بما تخبرونهم وقيل معناه افتطمعون ان يؤمنوا لكم مع انهم لم يؤمنوا بموسى عليه السلام وكان هو السبب في خلاصهم من الذل وظهورهم المعجزات على يديه **وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله** قيل المراد بالفريق هم الذين كانوا مع موسى يوم الفيصل وهم الذين سمعوا كلام الله تعالى وقيل المراد بهم الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وهو الاقرب لان الضمير راجع اليهم في افتطمعون ان يؤمنوا لكم فعلى هذا يكون معنى يسمعون كلام الله يعني التوراة لانه يصح ان يقال لمن يسمع التوراة يسمع كلام الله **ثم يحرفونه** اي يغيرون كلام الله ويبدلونه فمن فسر الفريق الذين يسمعون كلام الله بالفريق الذين كانوا مع موسى استدل بقول ابن عباس انها نزلت في السبعين الذين اختارهم موسى لميقات ربه وذلك انهم لما رجعوا الى قومهم بعد ما سمعوا كلام الله اما الصادقون منهم فانهم ادوا كما سمعوا وقالت طائفة منهم سمعنا الله يقول في آخر كلامه ان استطعتم ان تفعلوا فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا فكأنهم تخيروهم ومن فسر الفريق الذين كانوا يسمعون كلام الله بالذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان تحريفهم وتبديلهم صفة النبي صلى الله عليه وسلم واية الرجم من التوراة **من بعد ما عقلوه** اي علموا صحة كلام الله تعالى ومراده فيه ثم مع ذلك خالفوه **وهم يعلمون** اي مخالفتهم ويعلمون ايضا انهم كاذبون قوله تعالى **واذا لقوا الذين امنوا** نزلت في اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس اذ منافقي اليهود كانوا اذا لقوا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم **قالوا** لهم **امنا** بالذي امنتم به وان صاحبكم صادق وقوله حق وانا نجد نعته وصفته في كتابنا **واذا خلا بعضهم الى بعض** يعني كعب بن الاشرف وكعب بن اسد ووهب بن يهوذا ورؤساء اليهود لاموا منافقي اليهود على ذلك **قالوا اتحدثونهم بما فتح الله عليكم** يعني قضى الله عليكم وفي كتابكم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم وانه حق وقوله صدق **ليحاجوكم به** اي ليخاصمكم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ويحتجوا عليكم بسببكم فيقولون لكم قد اقررتم انه نبي حق في كتابكم ولا تتبعونه وذلك ان اليهود قالوا لاهل المدينة حين شاوروهم في اتباع محمد صلى الله عليه وسلم امنوا به فانه نبي حق ثم لما رجعوا بعضهم بعضا وقالوا اتحدثونهم بما فتح الله عليكم **لتكون لهم الحجة عليكم عند ربكم** اي في الدنيا والاخرة وقيل لهم يهود بني قريظة قال بعضهم لبعض حين قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم يا اخوان القردة والخنازير

قالوا من اخبر محمدا بهذا هذا ما خرج الا منكم وقيل ان اليهود اخبروا المؤمنين بما عذبهم الله به على الجنايات فقال بعضهم لبعض اتحدثونهم
بما قضى الله عليكم من العذاب ليروا الكرامة لانفسهم عليكم **عند ربكم افلا تعقلون** اى ان ذلك لا يليق بما عند الله
انتم عليه **اولا يعلمون** يعنى اليهود **ان الله يعلم ما يسرون** اى ما يخفون **وما يعلنون** اى ما يبدون
وما يظهرون قوله عز وجل **ومنهم اميون** اى من اليهود **لا يعلمون الكتاب** اى لا يحسنون الكتابة ولا القراءة
جمع امي وهو المنسوب الى امه كانه باق على ما انفصل عليه من الام لم يتعلم كتابة ولا قراءة **الا امانى** جمع امنية وهى التلاوة
ومنه قول الشاعر • تمنى كتاب الله اول ليلة • تمنى داود الزبور على رسل • اى تلا كتاب الله وقال ابن عباس معناه غير
عارفين بمعانى كتاب الله تعالى وقيل الامانى الاحاديث الكاذبة المختلقة وهى الاشياء التى كتبها علماؤهم من عند انفسهم
واضافوها الى الله وذلك من تغيير نعت النبى صلى الله عليه وسلم وصفته وغير ذلك وقيل هو من التمنى وهو قولهم لن تمسنا
النار الا اياما معدودة وغير ذلك مما تمنوه فعلى هذا يكون المعنى لا يعلمون الكتاب لكن يتمنون اشياء لا تحصل لهم **وان هم
الا يظنون** اى ليسوا على يقين **فويل** الويل كلمة تقولها العرب لكل من وقع فى هلكة واصلها فى اللغة العذاب والهلاك
وقال ابن عباس الويل شدة العذاب **وعن** ابى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الويل واد فى جهنم يهوى فيه
الكافر اربعين خريفا قبل ان يبلغ قعره اخرجه الترمذى وقال حديث غريب الخريف سنة **للذين يكتبون الكتاب بايديهم**
تاكيدا للكتابة لانه يحتمل ان يامر غيره بان يكتب فقال بايديهم لنفى هذه الشبهة والمراد بالذين يكتبون الكتاب اليهود
وذلك ان رؤساء اليهود خافوا على ذهاب ماكلهم وزوال رياستهم حين قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة فاحتالوا
فى تعويق سفلتهم عن الايمان به فعمدوا الى صفته فى التورية فغيروها وكانت صفته فيها حسن الوجه حسن الشعر اكحل العين
ربعة فغيروا ذلك وكتبوا مكانه طوال ازرق العين سبط الشعر فكان اذا سالهم سفلتهم عن صفته قرؤا عليهم ما كتبوا
ثم يقولون هذا من عند الله يعنى هذه الصفة التى كتبوها فاذا نظروا الى النبى صلى الله عليه وسلم والى تلك الصفة
فيجدونه مخالفا فيكذبونه ويقولون انه ليس به **ليشتروا به** اى بما كتبوا **ثمنا قليلا** اى الماكل والرشا التى
كانوا ياخذونها من سفلتهم قال الله تعالى **فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون** قوله تعالى
وقالوا اى اليهود **لن تمسنا** اى لن تصيبنا **النار الا اياما معدودة** اى قدرا مقدرا ثم يزول
عنا العذاب قال ابن عباس قالت اليهود مدة الدنيا سبعة الاف سنة وانما نعذب بكل الف سنة يوما ثم ينقطع عنا العذاب
بعد سبعة ايام وقيل انهم عنوا بالايام الاربعين يوما التى عبدوا فيها العجل وقيل ان اليهود زعموا ان الله عتب عليهم
فى امر فاقسم ليعذبنا اربعين يوما تحلة القسم فقال الله ردا عليهم وتكذيبا لهم **قل** اى يا محمد قل لليهود **اتخذتم
عند الله عهدا** يعنى موثقا الا يعذبكم الا هذه المدة **فلن يخلف الله عهده** اى وعده **ام تقولون
على الله ما لا تعلمون بلى** اثبات لما بعد حرف النفى وهو قوله لن تمسنا النار **من كسب سيئة** السيئة
اسم يتناول جميع المعاصى كبيرة كانت او صغيرة والسيئة هنا الشرك فى قول ابن عباس **واحاطت به خطيئته** اى
احدقت به من جميع جوانبه قال ابن عباس هى الشرك يموت عليه صاحبه وقيل احاطت به اى اهلكته خطيئته واحبطت ثواب طاعته
فعلى مذهب اهل السنة يتعين تفسير السيئة والخطيئة فى هذه الاية بالكفر والشرك لقوله **فاولئك اصحاب النار
هم فيها خالدون** فان الخلود فى النار هو للكفار والمشركين **والذين امنوا وعملوا الصالحات** **فان قلت** العمل
الصالح خارج عن اسم الايمان لانه تعالى قال والذين امنوا وعملوا الصالحات فلو دل الايمان على العمل الصالح لكان ذكر العمل
الصالح بعد الايمان تكريرا **قلت** اجاب بعضهم بان الايمان وان كان يدخل فيه جميع الاعمال الصالحة الا ان قوله امن
لا يفيد الا انه فعل فعلا واحدا من اعمال الايمان فلهذا حسن ان يقول والذين امنوا وعملوا الصالحات وقيل ان قوله امنوا
يفيد الماضى وعملوا الصالحات يفيد المستقبل فكانه تعالى قال امنوا اولا ثم داوموا عليه اخرا ويدخل فيه جميع الاعمال

عند الله

والمعنى بلغت سيئة النار بما

الصالحة

الصالحة **اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون** قوله عز وجل **واذ اخذنا ميثاق بنى اسرائيل** يعنى فى التورية
والميثاق العهد الشديد **لا تعبدون الا الله** اى امر الله تعالى بعبادته فيدخل تحته النهى عن عبادة غيره لان الله تعالى
هو المستحق للعبادة لا غيره **وبالوالدين احسانا** اى برا بهما ورحمة بهما ونزولا عند امرهما فيما لا يخالف امر الله
تعالى ويوصل اليهما ما يحتاجان اليه ولا يؤذيهما البتة وان كانا كافرين بل يجب عليه الاحسان اليهما ومن الاحسان
اليهما ان يدعوهما الى الايمان بالرفق واللين من غير عنف وانما عطف بر الوالدين على الامر بعبادته لان شكر المنعم واجب ولله على
عبده اعظم النعم لانه هو الذى خلقه واوجده بعد العدم فيجب تقديم شكره على شكر غيره ثم ان للوالدين على الولد نعمة
عظيمة لانهما السبب فى كون الولد ووجوده ثم ان لهما عليه حق التربية ايضا فيجب شكرهما ثانيا **وذى القربى**
اى القرابة لان حق القرابة تابع لحق الوالدين والاحسان اليهم انما هو بواسطة الوالدين فلهذا احسن عطف القرابة
على الوالدين **واليتامى** جمع يتيم وهو الذى مات ابوه وهو طفل فاذا بلغ الحلم زال عنه اليتم ويجب رعاية حقوق
اليتيم لثلاثة امور لصغره ويتمه ولخلوه عمن يقوم بمصلحته اذ لا يقدر هو ان ينتفع بنفسه ولا يقوم بحوائجه **والمساكين**
جمع مسكين وسياتى بيانه ان شاء الله تعالى وانما تاخرت درجة المساكين عن اليتامى لانه قد يمكن ان ينتفع بنفسه
وينفع غيره بالخدمة **وقولوا للناس حسنا** فيه وجهان احدهما انه خطاب للحاضرين من اليهود فى زمن النبى
صلى الله عليه وسلم فلهذا عدل من الغيبة الى الحضور والمعنى قولوا حقا وصدقا فى شان محمد صلى الله عليه وسلم فمن
سالكم عنه فاصدقوه وبينوا صفته ولا تكتموه قاله ابن عباس الوجه الثانى ان المخاطبين به هم الذين كانوا فى زمن
موسى واخذ عليهم الميثاق وانما عدل من الغيبة الى الحضور على طريق الالتفات كقوله حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين
بهم وقيل فيه حذف تقديره وقلنا لهم فى الميثاق وقولوا للناس حسنا ومعناه مروهم بالمعروف وانهوهم عن المنكر
وقيل هو اللين فى القول والعشرة وحسن الخلق **واقيموا الصلوة واتوا الزكوة** ولما امرهم الله بهذه التكاليف
لتكون المنزلة عنده بما التزموا به اخبر عنهم انهم ما وفوا بذلك بقوله تعالى **ثم توليتم** اى اعرضتم
عن العهد **الا قليلا منكم** يعنى من الذين امنوا منهم كعبد الله بن سلام واصحابه فانهم وفوا بالعهد **وانتم
معرضون** اى كاعراض ابائكم قوله تعالى **واذ اخذنا ميثاقكم** قيل هو خطاب لمن كان فى زمن النبى
صلى الله عليه وسلم من اليهود وقيل خطاب لابائهم وفيه تقريع لهم **لا تسفكون** اى لا تهريقون **دماءكم** اى لا
يسفك بعضكم دم بعض وقيل معناه لا تسفكوا دماء غيركم فتسفك دماؤكم فكانكم انتم سفكتم دماء انفسكم
ولا تخرجون انفسكم من دياركم اى لا يخرج بعضكم بعضا من داره وقيل لا تفعلوا شيئا فتخرجوا به انفسكم
من دياركم **ثم اقررتم** اى بهذا العهد انه حق **وانتم تشهدون** يعنى انتم يا معشر اليهود اليوم تشهدون على ذلك
ثم انتم هؤلاء يعنى يا هؤلاء اليهود **تقتلون انفسكم** اى يقتل بعضكم بعضا **وتخرجون فريقا منكم من ديارهم**
اى يخرج بعضكم بعضا من ديارهم **تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان** اى تتعاونون عليهم بالمعصية
والظلم **وان ياتوكم اسارى** جمع اسير **تفدوهم** اى بالمال وهو استنقاذهم بالشراء وقرئ تفادوهم اى
تبادلوهم وهو مفاداة الاسير بالاسير ومعنى الاية ان الله تعالى اخذ على بنى اسرائيل فى التورية ان لا يقتل بعضهم بعضا
ولا يخرج بعضهم بعضا من ديارهم وايما عبد او امة من بنى اسرائيل وجدتموه فاشتروه بما قام من ثمنه واعتقوه وكانت
قريظة حلفاء الاوس والنضير حلفاء الخزرج وكان بين الاوس والخزرج حروب فكانت بنو النضير تقاتل مع حلفائهم
وبنو قريظة تقاتل مع حلفائهم فاذا غلب احد الفريقين اخرجوهم من ديارهم واخربوها وكان اذا اسر رجل من الفريقين
جمعوا له ما لا يفدونه به فعيرتهم العرب وقالوا كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم فقالوا انا امرنا ان نفديهم فقالوا كيف
تقاتلونهم فقالوا انا نستحيى ان تستذل حلفاؤنا فعيرهم الله تعالى فقال ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم وفى الاية تقديم

وتأخير تقديره وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان وهو محرم عليكم اخراجهم
وان ياتوكم اسارى تفدوهم فكان الله تعالى اخذ عليهم اربعة عهود ترك القتل وترك الاخراج وترك المظاهرة مع اعدائهم
وفك اسرائهم فاعرضوا عن الكل الا الفدا قال الله تعالى افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض
معناه ان وجدتموهم في يد غيركم فديتموهم وانتم تقتلونهم بايديكم فكان ايمانهم الفدا وكفرهم قتل بعضهم بعضا فذمهم
على مناقضة افعالهم لا على الفدا الا انهم اتوا ببعض ما وجب عليهم وتركوا البعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم
يعني يا معشر اليهود الا خزي في الحيوة الدنيا اى عذاب وهوان فكان خزي بني قريظة القتل والسبي وخزي بني
النضير الاجلاء والنفي من منازلهم الى اريحا واذرعات من ارض الشام ويوم القيمة يردون الى اشد العذاب
يعني عذاب النار وما الله بغافل عما تعملون فيه وعيد وتهديد عظيم اولئك الذين اشتروا اى استبدلوا الحيوة الدنيا
بالاخرة لان الجمع بين لذات الدنيا والاخرة غير ممكن فمن اشتغل بتحصيل لذات الدنيا فاتته لذات الاخرة
فلا يخفف عنهم العذاب اى فلا يهون عليهم ولا هم ينصرون اى ولا يمنعون من عذاب الله تعالى قوله
عز وجل ولقد اتينا اى اعطينا موسى الكتاب يعني التورية جملة واحدة وقفينا اى واتبعنا
من التقفية وهو ان يقفو اثر الاخرة من بعده اى من بعد موسى بالرسل يعني رسولا بعد رسول وكانت الرسل
من بعد موسى الى زمن عيسى عليهما السلام متواترة يظهر بعضهم في اثر بعض والشريعة واحدة قيل ان الرسل بعد موسى
يوشع بن نون واشمويل وداود وسليمان وارميا وحزقيل والياس ويونس وزكريا ويحيى وغيرهم وكانوا يعملون ويحكمون
بشريعة موسى الى ان بعث الله عيسى عليه السلام فجاءهم بشريعة جديدة وغير بعض احكام التورية فذلك قوله تعالى
واتينا عيسى ابن مريم البينات اى الدلالات الواضحات وهي المعجزات من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص
وقيل هي الانجيل واسم عيسى بالسريانية ايشوع ومريم بمعنى الخادم وايدناه اى وقويناه بروح القدس
قيل اراد بالروح الذي نفخ فيه والقدس هو الله تعالى واضاف روح عيسى اليه تشريفا وتكريما وتخصيصا له كما تقول
عبد الله وامة الله وبيت الله وناقة الله وقال ابن عباس هو اسم الله الاعظم الذي كان عيسى يحيي الموتى وقيل هو الانجيل
لانه به حياة القلوب سماه روحا كما سمي القران روحا وقيل هو جبريل ووصف بالقدس وهو الطهارة لانه لم يقترف
ذنبا قط وقيل القدس هو الله تعالى والروح جبريل كما تقول عبد الله سمي جبريل روحا للطافته لانه روحاني خلق من النور
وقيل سمي روحا لمكانه من الوحي الذي هو سبب حياة القلوب وحمل روح القدس هنا على جبريل اولى لانه تعالى قال وايدناه
اى قويناه بجبريل وذلك انه امر ان يكون مع عيسى ويسير معه حيث سار فلم يفارقه حتى صعد به الى السماء فلما سمعت
اليهود بذكر عيسى قالوا يا محمد لا مثل عيسى كما تزعم عملت ولا كما تقص علينا من اخبار الانبيا فعلت فاتنا بما اتى به عيسى
ان كنت صادقا قال الله تعالى افكلما جاءكم يعني يا معشر اليهود رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم
اي تعظمتم عن الايمان به ففريقا كذبتم يعني مثل عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم وفريقا تقتلون
يعني مثل زكريا ويحيى وسائر من قتلوه وذلك ان اليهود كانوا اذا جاءهم رسول بما لا يهوون كذبوه فان تهيأ لهم قتلوه
وانما كانوا كذلك لارادتهم الدنيا وطلب الرياسة فيها وقالوا يعني اليهود قلوبنا غلف جمع اغلف وهو الذي
عليه غشاوة فلا يعي ولا يفقه وقال ابن عباس غلف بضم اللام جمع غلاف والمعنى ان قلوبنا اوعية للعلم فلا تحتاج
الى علمك وقيل اوعية من الوعي اى لا تسمع حديثا الا وعته الا حديثك فانها لا تعيه ولا تعقله ولو كان خيرا لفهمته
ووعته قال الله تعالى بل لعنهم الله بكفرهم اى طردهم وابعدهم من كل خير وسبب كفرهم انهم اعترفوا بنبوة
محمد صلى الله عليه وسلم ثم انكروه وجحدوه فلهذا لعنهم الله فقليلا ما يؤمنون اى لم يؤمن منهم الا قليل
لان من امن من المشركين كان اكثر منهم قوله تعالى ولما جاءهم كتاب من عند الله يعني القران مصدق لما معهم

يعني التورية وهذا التصديق حجة في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لان نبوته وصفته ثابتة في التورية وكانوا
يعني اليهود من قبل اى من قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم يستفتحون اى يستنصرون على الذين كفروا
يعني مشركي العرب وذلك انهم كانوا اذا حزبهم امر او دهمهم عدو يقولون اللهم انصرنا عليهم بالنبي المبعوث في اخر الزمان
الذي نجد صفته في التورية فكانوا ينصرون وكانوا يقولون لاعدائهم من المشركين قد اظل زمان نبي يخرج فيه بتصديق
ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم فلما جاءهم ما عرفوا اى الذي عرفوا يعني محمدا صلى الله عليه وسلم عرفوا
نعته وصفته وانه من غير بني اسرائيل كفروا به اى جحدوه وانكروه بغيا وحسدا فلعنة الله على الكافرين
بئسما اشتروا به انفسهم اى بئس شيئا الذي اختاروا لانفسهم حين استبدلوا الباطل بالحق واشتروا
بمعنى باعوا والمعنى بئسما باعوا به حظ انفسهم ان يكفروا بما انزل الله يعني القران بغيا اى حسدا
ان ينزل الله من فضله يعني الكتاب والنبوة على من يشاء من عباده يعني محمدا صلى الله عليه وسلم
فباؤا اى فرجعوا بغضب على غضب اى مع غضب قال ابن عباس الغضب الاول بتضييعهم التورية وتبديلها
والثاني بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل الاول بكفرهم بعيسى والانجيل والثاني بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم
والقران وقيل الاول بعبادتهم العجل والثاني بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وللكافرين يعني الجاحدين بنبوة
محمد صلى الله عليه وسلم من الناس كلهم عذاب مهين اى يهانون فيه واذا قيل لهم امنوا بما انزل الله
يعني بالقران وقيل بكل ما انزل الله قالوا نؤمن بما انزل علينا يعني التورية وما انزل على انبيائهم و
يكفرون بما وراءه اى بما سواه من الكتب وقيل بما بعده يعني الانجيل والفرقان وهو الحق يعني القران
مصدقا لما معهم يعني التورية قل يا محمد فلم تقتلون انبياء الله من قبل انما اضاف القتل الى المخاطبين
من اليهود وان كان سلفهم قتلوا لانهم رضوا بفعلهم قيل اذا عملت المعصية في الارض فمن كرهها وانكرها بريء منها
ومن رضيها كان من اهلها ان كنتم مؤمنين اى بالتورية وقد نهيتم فيها عن قتل الانبيا قوله عز وجل
ولقد جاءكم موسى بالبينات اى بالدلالات الواضحة والمعجزات الباهرة ثم اتخذتم العجل من بعده اى من بعد
موسى لما ذهب الى الميقات وانتم ظالمون انما كرره تبكيتا لهم وتاكيدا للحجة عليهم واذ اخذنا
ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما اتيناكم بقوة واسمعوا اى استجيبوا واطيعوا فيما
امرتم به قالوا سمعنا اى قولك وعصينا يعني امرك قيل انهم لم يقولوا هذا بالسنتهم ولكن لما سمعوه
وتلقوه تلقوه بالعصيان فنسب ذلك اليهم واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم اى تداخل حبه في قلوبهم
والحرص على عبادته كما يتداخل الصبغ في الثوب وقيل ان موسى امر ان يبرد العجل ويذرى في النهر وامرهم ان يشربوا منه
فمن بقي في قلبه شيء من حب العجل ظهرت سحالة الذهب على شاربه قل بئسما يامركم به ايمانكم ان
كنتم مؤمنين اى بزعمكم وذلك انهم قالوا نؤمن بما انزل علينا فكذبهم الله تعالى بذلك بقوله تعالى
قل ان كانت لكم الدار الاخرة عند الله خالصة من دون الناس وذلك ان اليهود ادعوا
دعاوى باطلة منها قولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او قولهم نحن ابناء الله واحباؤه فكذبهم الله والزمهم
الحجة فقال قل يا محمد لليهود ان كانت لكم الدار الاخرة يعني الجنة خالصة لكم من دون الناس فتمنوا الموت
اى فاطلبوه واسالوه لان من علم ان الجنة ماواه وانها له حن اليها ولا سبيل الى دخولها الا بعد الموت
فاستعجلوه بالتمني ان كنتم صادقين اى في قولكم ودعواكم روى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه وما بقي على وجه الارض يهودي الا مات قال الله تعالى ولن
يتمنوه ابدا اى لعلمهم انهم في دعواهم كاذبون بما قدمت ايديهم يعني من الاعمال السيئة وانما

اضاف الى اليد لان اكثر جنايات الانسان تكون من يديه **والله عليم بالظالمين** فيه تخويف وتهديد لهم وانما خصهم بالظلم لانه اعم من الكفر لان كل كافر ظالم وليس كل ظالم كافرا **ولقد** لهذا كان اعم وكانوا اولى به **ولتجدنهم** اللام للقسم والنون للتوكيد تقديره والله ليجدنهم يا محمد يعني اليهود **احرص الناس على حياة** اي حياة متطاولة والحرص اشد الطلب **ومن الذين اشركوا** قيل هو متصل بما قبله ومعطوف عليه والمعنى واحرص من الذين اشركوا **فان قلت** الذين اشركوا قد دخلوا تحت الناس في قوله احرص الناس فلم اوردهم بالذكر **قلت** اوردهم بالذكر لشدة حرصهم وفيه توبيخ عظيم لليهود لان الذين لا يؤمنون بالمعاد ولا يعرفون الا الحياة الدنيا لا يستبعد حرصهم عليها فاذا زاد عليهم في الحرص من له كتاب وهو مقر بالبعث والجزاء كان حقيقا بالتوبيخ العظيم وقيل ان الواو واو استيناف في تقدير ومن الذين اشركوا اناس يود احدهم وهم المجوس سموا بذلك لانهم يقولون بالنور والظلمة **يود** اي يتمنى احدهم **لو يعمر الف سنة** اي تعمير الف سنة وانما خص الالف لانها نهاية العقود وقيل لانها تحية المجوس فيما بينهم يقولون زره هزار سال اي عشر الف سنة او الف نيروز والف مهرجان كهذه تحيتهم والمعنى ان اليهود احرص من المجوس الذين يقولون ذلك **وما هو بمزحزحه** اي بمباعده **من العذاب** اي النار **ان يعمر** اي لو عمر طول عمره لا يبعده من العذاب **والله بصير بما يعملون** اي لا يخفى عليه خافية من احوالهم

قوله عز وجل **قل من كان عدوا لجبريل** قال ابن عباس سبب نزول هذه الآية ان عبد الله بن صوريا حبر من احبار اليهود قال للنبي صلى الله عليه وسلم اي ملك ياتيك من السماء قال جبريل قال ذاك عدونا ولو كان ميكائيل لآمنا بك لان جبريل يتزل بالعذاب والشدة والخسف وانه عادانا مرارا واشد ذلك علينا ان الله انزل علينا ان بيت المقدس سيخرب على يد رجل يقال له بخت نصر فلما كان وقته بعثنا من يقتله فلقيه ببابل غلاما مسكينا فاخذه ليقتله فرحم عنه جبريل وقال ان كان الله امره بهلاككم فلن تسلط عليه وان لم يكن هو فعلى اي حق تقتله فلما كبر ذلك الغلام وقوي غزانا وخرب بيت المقدس فلهذا اتخذه عدوا فانزل الله هذه وقيل قالوا ان الله امره ان يجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا فلذلك عدو وقيل ان عمر بن الخطاب كان له ارض باعلا المدينة وكان ممره اليها على مدارس لليهود فكان يجلس اليهم ويسمع كلامهم فقالوا انو ما ما في اصحاب محمد احب الينا منك وانا لنطمع فيك فقال عمر والله ما آتيكم لحبكم ولا اسالكم لاني في شك في ديني وانما ادخل عليكم لازداد بصيرة في امر محمد صلى الله عليه وسلم واراى آثاره في كتبكم فقالوا امر صاحب محمد الذي ياتيه من الملائكة قال جبريل فقالوا ذلك عدونا يطلع محمدا صلى الله عليه وسلم على سرنا وهو صاحب كل عذاب وخسف وشدة وان ميكائيل يجيء بالخصب والسلامة فقال لهم تعرفون جبريل وتنكرون محمدا صلى الله عليه وسلم قالوا نعم قال فاخبروني عن منزلة جبريل وميكائيل من الله تعالى قالوا جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وميكائيل عدو جبريل فقال عمر اشهد ان من كان عدوا لاحدهما كان عدوا للآخر ومن كان عدوا لهما كان عدوا لله ثم رجع عمر الى النبي صلى الله عليه وسلم وجد جبريل قد سبقه بالوحي فقرا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآيات وقال لقد وافقك ربك يا عمر والله لقد رايتني بعد ذلك في ديني اصلب من الحجر والاوثق ان سبب هذه العداوة كون جبريل كان ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم بالوحي لان قوله فانه نزله على قلبك مشعر بذلك قوله **فانه نزله** يعني جبريل نزل به بالقرآن كناية بغير مذكور **على قلبك** يا محمد وانما خص القلب بالذكر لانه محل الحفظ **باذن الله** اي بامره **ومصدقا** اي موافقا **لما بين يديه** اي لما قبله من الكتب **وهدى وبشرى للمؤمنين** اي في القرآن هداية للمؤمنين الى الاعمال الصالحة التي يترتب عليها الثواب وبشرى لهم بثوابها اذا اتوا بها **من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال** لما بين في الآية الاولى ان من كان عدوا لجبريل لاجل انه نزل بالقرآن على قلب محمد صلى الله عليه وسلم وجب ان يكون عدوا لله لان الله تعالى هو الذي نزله على محمد صلى الله عليه وسلم بين في هذه الآية ان كل من كان عدوا لاحد هؤلاء فانه

عدو لجميعهم وبين ان الله عدوه بقوله **فان الله عدو للكافرين** فاما عداوتهم لله تعالى فانها لا تضره ولا تنقص وعداوتهم توديتهم الى العذاب الدائم الذي لا ضرر اعظم منه وقيل المراد من عداوتهم لله عداوة اوليائه فهو كقوله ان الذين يحادون الله ورسوله اي يجادلون اولياء الله واهل طاعته وقوله وملائكته ورسله يعني ان من عادى واحدا من هؤلاء فقد عادى جميعهم ومن كفر بواحد من هؤلاء فقد كفر بجميعهم وجبريل وميكائيل انما خصهما بالذكر وان كانا داخلين في جملة الملائكة لبيان شرفهما وفضلهما وعلو منزلتهما وقدم جبريل على ميكائيل لفضله عليه ولان جبريل ينزل بالوحي الذي هو غذاء الارواح وميكائيل ينزل بالمطر الذي هو سبب غذاء الابدان وجبريل وميكائيل اسمان اعجميتان ومعناهما عبد الله وعبد الله لان جبر وميك بالسريانية هو العبد وايل هو الله **ولقد انزلنا اليك آيات بينات** قال ابن عباس هذا جواب لابن صوريا حيث قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد ما جئتنا بشيء نعرفه وما انزل عليك من آية بينة فنتبعك بها فانزل الله هذه الآيات ومعنى بينات اي واضحات مفصلات لا يدرك الحلال والحرام والحدود والاحكام **وما يكفر بها** اي وما يجحد بهذه الآيات **الا الفاسقون** اي الخارجون عن طاعتنا وما امروا به **اوكلما عاهدوا عهدا** قال ابن عباس لما ذكرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اخذ عليهم من الميثاق في محمد صلى الله عليه وسلم وان يؤمنوا به قال مالك بن الصيف والله ما عهد الينا في محمد صلى الله عليه وسلم عهدا فانزل الله هذه الآية اوكلما استفهام انكار اعاهدوا عهدا اي هو فعلهم انه قد اظل زمان نبي مبعوث وانه في كتابنا وقيل انهم عاهدوا الله عهودا كثيرة ثم نقضوها **نبذه** اي طرح العهد ونقضه **فريق منهم** يعني اليهود **بل اكثرهم لا يؤمنون** يعني كفر فريق منهم بنقض العهد وكفر فريق منهم بالجحد للحق **ولما جاءهم رسول من عند الله** يعني محمدا صلى الله عليه وسلم **مصدق لما معهم** يعني مصدق لما في صحف التوراة ونبوة موسى وقيل ان التوراة بشرت بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم كان مبعثه مصدقا للتوراة **نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم** قيل اراد بالكتاب القرآن وقيل التوراة وهو الاقرب لان السند لا يكون الا بعد التمسك ولم يتمسكوا بالقرآن اما نبذهم التوراة فانهم كانوا يقرؤنها ولا يعملون بها وقيل انهم اذا رجوها في الحرير وحلوها بالذهب لم يعملوا بما فيها **كانهم لا يعلمون** يعني انهم نبذوا كتاب الله ورفضوه عن علم به ومعرفة وانما حملهم على ذلك عداوة النبي صلى الله عليه وسلم علماء اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وكتموا امره وكان اولئك النفر قليل فقوله تعالى **واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان** يعني اليهود نبذوا كتاب الله واتبعوا ما تتلوا الشياطين ومعنى تتلوا اتقرا من التلاوة وقيل معناه تفتري وتكذب على ملك سليمان وهو قولهم ان سليمان انما ملك الناس بالسحر وقيل على ملك سليمان اي على عهده وزمانه **وقصة** ذلك ان الشياطين كتبوا السحر والنيرنجات على لسان آصف هذا ما علم آصف بن برخيا سليمان الملك فلم يكفروا وسبوه ودفنوه تحت كرسيه وذلك حين نزع الله عنه الملك فلم يشعر بذلك وقيل ان بني اسرائيل اشتغلوا بتعليم السحر في زمانه فمنعهم من ذلك سليمان واخذ كتبه ودفنها تحت سريره فلما مات استخرجها الشياطين وقالوا للناس انما ملككم سليمان بهذا فتعلموه فاما صلحاء بني اسرائيل وعلماؤهم فانكروا ذلك وقالوا معاذ الله ان يكون هذا من علم سليمان واما السفلة منهم فقالوا هذا من علم سليمان واقبلوا على تعليمه وتركوا كتب انبيائهم وفشت الملامة لسليمان فلم تزل هذه حالهم الى ان بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم وانزل عليه براءة سليمان عليه السلام فقال تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان **وما كفر سليمان** يعني بالسحر ولم يعمله وفيه تنزيه لسليمان عن السحر وذلك ان اليهود انكروا نبوة سليمان وقالوا انما حصل له هذا الملك وسخرت الجن والانس له بسبب السحر وقيل ان السحر من اليهود زعموا انهم اخذوا السحر عن سليمان فبراه الله من ذلك وقيل ان بعض احبار اليهود قال لا تعجبوا

من محمد بن عمر ان سليمان كان نبيا وما كان الا ساحرا فانزل الله وما كفر سليمان يعني ان كون سليمان نبيا ينافي كونه ساحرا
كافرا ثم بين تعالى ان الذي براه منه لاحق بغيره **ولكن الشياطين كفروا** يعني ان الذين اتخذوا السحر لانفسهم هم
الذين كفروا ثم بين سبب كفرهم فقال تعالى **يعلمون الناس السحر** يعني ما كتبه لهم الشياطين من كتب السحر وقيل
يحتمل ان يكون يعلمون يعني اليهود الذين عنوا بقوله واتبعوا وسمي السحر سحرا لخفاء سببه ولانه يفعل في خفية وقيل
معنى السحر الازالة وصرف الشئ عن وجهه يقولون العرب ما سحرك عن كذا اي ما صرفك عنه فكان الساحر لما
راى الباطل في صورة الحق فقد سحر الشئ عن وجهه اي صرفه هذا اصله من حيث اللغة واما حقيقته فقد قيل انه
عبارة عن التمويه والتخيل ومذهب اهل السنة ان له وجودا وحقيقة والعمل به كفر وذلك اذا اعتقد ان الكواكب
هي المؤثرة في قلب الاعيان وروي عن الشافعي انه قال السحر يحل ويمرض وقد يقتل حتى اوجب القصاص على من قتل به وقيل ان
السحر يؤثر في قلب الاعيان فيجعل الانسان على صورة الحمار وعلى صورة الكلب وقد يطير الساحر في الهوا وهذا القول
ضعيف عند اهل السنة لانهم قالوا ان الله تعالى هو الخالق الفاعل لهذه الاشياء عند عمل الساحر لذلك لان الساحر
هو الفاعل لها المؤثر فيها والاصح ان السحر يحل ويؤثر في الابدان بالامراض والجنون والموت ويدل على ذلك ان للكلام
تاثيرا في الطباع فقد تسمع الانسان ما يكرهه فيحم وقد مات قوم بكلام سمعوه فالسحر بمنزلة العلل في الابدان واما
حكمه فانه من الكبائر التي ذهب عنها ويحرم تعلمه لما روي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اجتنبوا
السبع الموبقات قيل يا رسول الله وما هن قال الاشراك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق واكل مال اليتيم والتولي
يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات اخرجاه في الصحيحين فعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
السحر من الكبائر وقرنه بالشرك وامرنا باجتنابه وقوله الموبقات يعني المهلكات والسحر على قسمين احدهما يكفر به صاحبه
وهو ان يعتقد ان القدرة لنفسه في ذلك وهو المؤثر او يعتقد ان الكواكب هي المؤثرة فعاله فاذا انتهى به السحر الى هذه
الغاية صار كافرا بالله ويجب قتله لما روي عن جندب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حد الساحر ضربه بالسيف
اخرجه الترمذي والقسم الثاني من السحر وهو التخيل الذي يشاكل النيرنجيات والشعبذة ولا يعتقد صاحبه لنفسه
فيه قدرة ولا ان الكواكب هي المؤثرة ويعتقد ان القدرة لله تعالى وانه هو المؤثر فهذا القدر لا يكفر به صاحبه ولكنه
معصية وهو من الكبائر ويحرم فعله فان قتل قصاصا لما روي عن مالك بلغه ان حفصة زوج النبي صلى الله
عليه وسلم قتلت جارية لها سحرتها وقد كانت دبرتها فامرت بها فقتلت اخرجه في الموطا قوله عز وجل **وما انزل**
على الملكين اي ويعلمون الذي انزل على الملكين والانزال هنا بمعنى الالهام والتعليم اي الهما وعلما وقرئ في
الشاذ الملكين بكسر اللام قالهما رجلان ساحران كانا ببابل وقيل على الحال ووجهه ان الملائكة لا يعلمون السحر والقراءة
المشهورة بفتح اللام **فان قلت** كيف يجوز ان يضاف الى الله تعالى انزال ذلك على الملائكة وكيف يجوز للملائكة
تعليم السحر **قلت** قال ابن جرير الطبري ان الله تعالى عرف عباده جميع ما امرهم به وجميع ما نهاهم عنه ثم امرهم ونهاهم
بعد العلم منهم بما يؤمرون به وينهون عنه ولو كان الامر على غير ذلك لما كان للامر والنهي معنى مفهوم والسحر مما نهى
عباده من بني آدم عنه فغير منكر ان يكون الله تعالى علمه الملكين اللذين سماهما في تنزيله وجعلهما فتنة
لعباده من بني آدم كما اخبر عنهما انهما يقولان لمن يتعلم ذلك منهما انما نحن فتنة فلا تكفر لتختبر بهما عباده الذين
نهاهم عن السحر وعن التفريق بين المرء وزوجه فيتحصل المؤمن بتركه التعلم منهما ويجري للكافر بتعلمه السحر والكفر
منهما ويكون الملكان في تعليمهما ما علما من ذلك مطيعين لله تعالى اذ كانا عن اذن من الله تعالى لهما بتعليم ذلك
وغير ضار بهما سحر من سحر ممن تعلم ذلك منهما بعد نهيهما اياه عنه بقولهما انما نحن فتنة فلا تكفر اذ كانا قد اديا
ما امرا به وقال غيره انهما لا يتعمدان ذلك بل يصفان السحر ويذكران بطلانه ويامران باجتنابه فالشقي من ترك

نصفهما والسعيد من قبل نصحهما وترك تعلم السحر منهما وقيل ان الله تعالى امتحن الناس بهما وفي ذلك
الزمان فالشقي من تعلم السحر منهما فيكفر به والسعيد من تركه فيبقى على ايمانه ولله تعالى ان يمتحن عباده بما شاء
كما امتحن بني اسرائيل بنهر طالوت بقوله فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني **بابل** قيل هي بابل العراق
بارض الكوفة سميت بذلك لتبلبل الالسنة بها عند سقوط صرح نمرود وقيل انها بابل دبيا وندوا والاول اصح واشهر
هاروت وماروت اسمان سريانيان **وقصة** الاية على ما ذكره ابن عباس وغيره قالوا ان الملائكة لما
راوا ما يصعد الى السماء من اعمال بني آدم الخبيثة في زمن ادريس عليه السلام مقتوهم وقالوا هؤلاء الذين جعلتهم
في الارض واخترتهم وهم يعصونك فقال الله عز وجل لو انزلتكم الى الارض وركبت فيكم ما ركبت فيهم لركبتم مثل ما
ركبوا قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا ان نعصيك قال الله تعالى فاختاروا ملكين من خياركم اهبطهما الى الارض
فاختاروا هاروت وماروت وكانا من اصلح الملائكة واعبدهم وكان اسم هاروت عزا وماروت عزاما فغير اسمهما
لما قارفا الذنب وركب الله فيهما الشهوة واهبطهما الى الارض وامرهما ان يحكما بين الناس بالحق ونهاهما عن الشرك
والقتل بغير الحق والزنا وشرب الخمر فكانا يقضيان بين الناس يومهما فاذا امسيا ذكرا اسم الله الاعظم وصعدا
الى السماء فما مر عليهما شهر حتى افتتنا وقيل بل افتتنا في اول يوم وذلك انه اختصم اليهما امراة يقال لها
الزهرة وكانت من اجمل اهل فارس وقيل كانت ملكة فلما راياها اخذت بقلوبهما فقال احدهما لصاحبه هل سقط
في نفسك مثل الذي سقط في نفسي قال نعم فراوداها عن نفسها فابت وانصرفت ثم عادت في اليوم الثاني ففعلا
مثل ذلك فابت وقالت لا الا ان تعبدا هذا الصنم وتقتلا النفس وتشربا الخمر فقالا لا سبيل الى هذه الاشياء فان الله
تعالى قد نهانا عنها فانصرفت ثم عادت في اليوم الثالث ومعها قدح خمر وفي نفسهما من الميل اليها ما فيها فراوداها
عن نفسها فعرضت عليهما ما قالت بالامس فقالا الصلاة لغير الله عظيم وقتل النفس عظيم وهو من اكبر الكبائر
فشربا فلما انتشيا وقعا بالمراة فرايا بها انسانا فقتلاه خوف الفضيحة وقيل انما سجدا للصنم وقيل
جاءتهما امراة من احسن النساء تخاصم زوجها فقال احدهما للاخر هل سقط في نفسك مثل الذي سقط في نفسي قال نعم
قال هلم لك ان تقضي على زوجها فقال له صاحبه اما تعلم ما عند الله من العقوبة والعذاب فقال له صاحبه اما تعلم ما عند الله
من العفو والرحمة فسالاها نفسها فقالت لا الا ان تقضيا لي على زوجي فقضيا ثم سالاها نفسها فقالت لا الا ان
تقتلاه فقال احدهما لصاحبه اما تعلم ما عند الله من العقوبة والعذاب فقال له صاحبه اما تعلم ما عند الله من العفو
والرحمة فقتلاه ثم سالاها نفسها فقالت لا الا ان لها صنما تعبده ان انتما صليتما معه عنده فعلت فقال احدهما
لصاحبه مثل القول الاول فرد عليه مثله فصليا معها عنده فمسخت شهابا وقال علي بن ابي طالب قالت لهما لن تدركوا ما تبغون
حتى تخبراني بالذي تصعدان به الى السماء فقالا باسم الله الاكبر قالت فانتما بمدركي حتى تعلماني اياه فقال احدهما
للاخر علمها فقال اني اخاف الله فقال الاخر فاين رحمة الله فعلماها ذلك فتكلمت به وصعدت الى السماء فمسخها
الله كوكبا فذهب بعضهم الى انها الزهرة بعينها وانكر اخرون هذا وقالوا ان الزهرة من الكواكب السيارة السبعة
التي اقسم الله بها فقال فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس والتي فتنت هاروت وماروت كانت امراة تسمى الزهرة
لجمالها وحسنها فلما بغت مسخها الله شهابا قالوا فلما امسى هاروت وماروت بعدما قارفا الذنب هما
بالصعود الى السماء فلم تطاوعهما اجنحتهما فعلما ما حل بهما فقصدا ادريس النبي عليه السلام واخبراه بامرهما
وسالاه ان يشفع لهما الى الله عز وجل وقالا له رايناك ترفع لك من العبادة مثل ما يصعد لجميع اهل
الارض فاشفع لنا الى ربك ففعل ذلك ادريس فخيرهما الله تعالى بين عذاب الدنيا وعذاب الاخرة فاختارا عذاب
الدنيا اذ علما انه ينقطع فهما ببابل يعذبان قيل انهما معلقان بشعورهما الى قيام الساعة وقيل انهما منكوسان

يُضْرَبَانِ بِسِيَاطٍ مِنْ حَدِيدٍ وَقِيلَ إِنَّ رَجُلًا قَصَدَهُمَا لِيَتَعَلَّمَ السِّحْرَ فَوَجَدَهُمَا مُعَلَّقَيْنِ بِأَرْجُلِهِمَا مُزْرَقَةً أَعْيُنُهُمَا مُسْوَدَّةً جُلُودُهُمَا لَيْسَ بَيْنَ أَسْنِتَهِمَا وَبَيْنَ الْمَاءِ إِلَّا قَدْرُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ وَهُمَا يُعَذَّبَانِ بِالْعَطَشِ فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَلَمَّا سَمِعَا كَلِمَتَهُ قَالَا لَهُ مَنْ أَنْتَ قَالَ رَجُلٌ مِنَ النَّاسِ فَقَالَا مِنْ أَيِّ أُمَّةٍ أَنْتَ قَالَ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَا وَلَقَدْ بُعِثَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ نَعَمْ فَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ وَأَظْهَرَا الِاسْتِبْشَارَ فَقَالَ لَهُمَا لِمَ اسْتَبْشَرْتُمَا كَمَا قَالَا إِنَّهُ نَبِيُّ السَّاعَةِ وَقَدْ دَنَا انْقِضَاءُ عَذَابِنَا

فَصْلٌ فِي الْقَوْلِ بِعِصْمَةِ الْمَلَائِكَةِ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَنَّ الْمَلَائِكَةَ مُؤْمِنُونَ فُضَلَاءُ وَاتَّفَقَ أَئِمَّةُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى أَنَّ حُكْمَ الرُّسُلِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ حُكْمُ النَّبِيِّينَ سَوَاءٌ فِي الْعِصْمَةِ فِي بَابِ الْبَلَاغِ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَفِي كُلِّ شَيْءٍ ثَبَتَتْ فِيهِ عِصْمَةُ الْأَنْبِيَاءِ فَكَذَلِكَ الْمَلَائِكَةُ وَأَنَّهُمْ مَعَ الْأَنْبِيَاءِ فِي التَّبْلِيغِ إِلَيْهِمْ كَالْأَنْبِيَاءِ مَعَ أُمَمِهِمْ ثُمَّ اخْتَلَفُوا فِي غَيْرِ الْمُرْسَلِينَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ فَذَهَبَتْ طَائِفَةٌ مِنَ الْمُحَقِّقِينَ وَجَمِيعُ الْمُعْتَزِلَةِ إِلَى عِصْمَةِ جَمِيعِ الْمَلَائِكَةِ عَنْ جَمِيعِ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي وَاحْتَجُّوا عَلَى ذَلِكَ بِوُجُوهٍ سَمْعِيَّةٍ وَعَقْلِيَّةٍ وَذَهَبَتْ طَائِفَةٌ إِلَى أَنَّ غَيْرَ الْمُرْسَلِينَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ غَيْرُ مَعْصُومِينَ وَاحْتَجُّوا عَلَى ذَلِكَ بِوُجُوهٍ سَمْعِيَّةٍ وَعَقْلِيَّةٍ مِنْهَا قِصَّةُ هَارُوتَ وَمَارُوتَ عَنْ عَلِيٍّ وَمَا نَقَلَهُ أَهْلُ الْأَخْبَارِ وَالسِّيَرِ وَنَقَلَهُ ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ فَقَالَ قِصَّةُ هَارُوتَ وَمَارُوتَ بِأَلْفَاظٍ مُتَقَارِبَةٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَابْنِ مَسْعُودٍ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَكَعْبِ الْأَحْبَارِ وَالسُّدِّيِّ وَالرَّبِيعِ وَمُجَاهِدٍ وَأَجَابَ مَنْ ذَهَبَ إِلَى عِصْمَةِ جَمِيعِ الْمَلَائِكَةِ عَنْ قِصَّةِ هَارُوتَ وَمَارُوتَ بِأَنَّ مَا نَقَلَهُ الْمُفَسِّرُونَ وَأَهْلُ الْأَخْبَارِ فِي ذَلِكَ لَمْ يَصِحَّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ذَلِكَ شَيْءٌ وَهَذِهِ الْأَخْبَارُ إِنَّمَا أُخِذَتْ مِنَ الْيَهُودِ وَقَدْ عُلِمَ افْتِرَاؤُهُمْ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ وَالْمَلَائِكَةِ وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ افْتِرَاءَ الْيَهُودِ عَلَى سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَوَّلًا ثُمَّ عَطَفَ عَلَى ذَلِكَ قِصَّةَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ثَانِيًا قَالُوا وَمَعْنَى الْأَثَرِ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ بِالسِّحْرِ الَّذِي فَعَلَتْهُ عَلَيْهِ الشَّيَاطِينُ وَاتَّبَعَتْهُمْ فِي ذَلِكَ الْيَهُودُ فَأَخْبَرَ عَنِ افْتِرَائِهِمْ وَكَذِبِهِمْ وَذَكَرَ أَيْضًا فِي الْجَوَابِ عَنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ وَأَنَّهَا بَاطِلَةُ وُجُوهًا الْأَوَّلُ أَنَّ فِي الْقِصَّةِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِلْمَلَائِكَةِ لَوْ ابْتُلِيتُمْ كَمَا ابْتُلِيَتْ بِهِ بَنُو آدَمَ لَعَصَيْتُمُونِي قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَعْصِيَكَ وَفِيهِ رَدٌّ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى وَذَلِكَ كُفْرٌ وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّهُمْ كَانُوا مَعْصُومِينَ قِيلَ ذَلِكَ فَلَا يَقَعُ هَذَا مِنْهُمُ الْوَجْهُ الثَّانِي أَنَّهُمَا خَيَّرَا بَيْنَ عَذَابِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْآخِرَةِ وَذَلِكَ فَاسِدٌ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُخَيِّرُ مَنْ أَشْرَكَ وَإِنْ كَانَتْ قَدْ صَحَّتْ تَوْبَتُهُمَا فَلَا عُقُوبَةَ عَلَيْهِمَا الْوَجْهُ الثَّالِثُ أَنَّ الْمَرْأَةَ لَمَّا فُجِرَ بِهَا كَيْفَ يَعْقِلُ أَنَّهَا صَعِدَتْ إِلَى السَّمَاءِ وَصَارَتْ كَوْكَبًا وَعَظَّمَ اللَّهُ قَدْرَهَا بِحَيْثُ أَقْسَمَ بِهَا فِي قَوْلِهِ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ فَبَانَ بِهَذِهِ الْوُجُوهِ رَكَاكَةُ هَذِهِ الْقِصَّةِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِصِحَّةِ ذَلِكَ وَسُقْمِهِ وَالْأَوْلَى تَنْزِيهُ الْمَلَائِكَةِ عَنْ كُلِّ مَا لَا يَلِيقُ بِمَنْصِبِهِمْ وَقَوْلُهُ تَعَالَى **وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ** يَعْنِي أَحَدًا **حَتَّى** يَنْصَحَا إِلَيْهِ أَوَّلًا وَيَقُولَا **لَا نَحْنُ فِتْنَةٌ** أَيْ ابْتِلَاءٌ وَمِحْنَةٌ **فَلَا تَكْفُرْ** أَيْ لَا تَتَعَلَّمِ السِّحْرَ فَتَعْمَلَ بِهِ فَتَكْفُرَ فَقِيلَ يَقُولَانِ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ سَبْعَ مَرَّاتٍ فَإِنْ أَبَى قَبُولَ نُصْحِهِمَا وَصَمَّمَ عَلَى التَّعَلُّمِ يَقُولَانِ لَهُ ائْتِ هَذَا الرَّمَادَ فَبُلْ عَلَيْهِ فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ خَرَجَ مِنْهُ نُورٌ سَاطِعٌ فِي السَّمَاءِ فَذَلِكَ الْإِيمَانُ وَالْمَعْرِفَةُ وَيَنْزِلُ شَيْءٌ أَسْوَدُ شَبِيهُ الدُّخَانِ حَتَّى يَدْخُلَ مَسَامِعَهُ وَذَلِكَ غَضَبُ اللَّهِ **فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا** يَعْنِي مِنَ الْمَلَكَيْنِ **مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ** أَيْ عِلْمَ السِّحْرِ الَّذِي يَكُونُ سَبَبًا فِي التَّفْرِقَةِ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ كَالنُّشُوزِ وَالتَّخْيِيلِ وَالتَّعَقُّدِ فِي الْعَقْدِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا يُحْدِثُ اللَّهُ تَعَالَى عِنْدَهُ الْبَغْضَاءَ وَالنُّشُوزَ وَالْخِلَافَ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ ابْتِلَاءً مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِأَنَّ السِّحْرَ لَيْسَ لَهُ تَأْثِيرٌ فِي نَفْسِهِ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ **وَمَا هُمْ** يَعْنِي السَّحَرَةَ **بِضَارِّينَ بِهِ** أَيْ بِالسِّحْرِ **مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ** تَعَالَى بِعِلْمِهِ وَقَضَائِهِ وَتَكْوِينِهِ فَالسِّحْرُ سِحْرُهُ وَاللَّهُ تَعَالَى يُقَدِّرُ وَيُكَوِّنُ ذَلِكَ بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ **وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ** يَعْنِي السَّحَرَةَ لِأَنَّهُمْ يَقْصِدُونَ بِهِ الشَّرَّ **وَلَقَدْ عَلِمُوا** يَعْنِي الْيَهُودَ **لَمَنِ اشْتَرَاهُ** أَيِ اخْتَارَهُ **مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ**

يعني

يَعْنِي مَا لَهُ نَصِيبٌ فِي الْجَنَّةِ **وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ** أَيْ بَاعُوا حَظَّ أَنْفُسِهِمْ حَيْثُ اخْتَارُوا السِّحْرَ وَالْكُفْرَ عَلَى الدِّينِ وَالْحَقِّ **لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ** فَإِنْ قُلْتَ كَيْفَ أَثْبَتَ لَهُمُ الْعِلْمَ أَوَّلًا فِي قَوْلِهِ وَلَقَدْ عَلِمُوا عَلَى التَّوْكِيدِ الْقَسَمِيِّ ثُمَّ نَفَاهُ عَنْهُمْ آخِرًا فِي قَوْلِهِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ قُلْتُ قَدْ عَلِمُوا أَنَّ مَنِ اشْتَرَى السِّحْرَ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ثُمَّ مَعَ هَذَا الْعِلْمِ خَالَفُوا وَاشْتَغَلُوا بِالسِّحْرِ وَتَرَكُوا الْعَمَلَ بِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى وَمَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ عِنَادًا مِنْهُمْ وَبَغْيًا وَذَلِكَ عَلَى مَعْرِفَةٍ مِنْهُمْ بِمَا لَهُمْ فِعْلُ ذَلِكَ مِنَ الْعِقَابِ فَنَفْيُ عِلْمِهِمْ حَيْثُ لَمْ يَعْمَلُوا بِعِلْمِهِمْ كَأَنَّهُمْ مُسْلُوبُو الْعِلْمِ مِنْهُ **وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا** يَعْنِي الْيَهُودَ يَعْنِي مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْقُرْآنَ **وَاتَّقَوْا** يَعْنِي الْيَهُودِيَّةَ وَالسِّحْرَ وَمَا يُوَبِّقُهُمْ **لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ** أَيْ لَكَانَ ثَوَابُ اللَّهِ إِيَّاهُمْ **خَيْرٌ** لَهُمْ يَعْنِي الثَّوَابَ **لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ** يَعْنِي ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا** سَبَبُ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا يَقُولُونَ رَاعِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنَ الْمُرَاعَاةِ أَيْ أَرْعِنَا سَمْعَكَ وَفَرِّغْ لَنَا وَكَانَتْ هَذِهِ اللَّفْظَةُ سَبًّا قَبِيحًا بِلُغَةِ الْيَهُودِ مَعْنَاهَا عِنْدَهُمْ اسْمَعْ لَا سَمِعْتَ وَقِيلَ مِنَ الرُّعُونَةِ إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَحْمُقُوا إِنْسَانًا قَالُوا رَاعِنَا يَعْنِي أَحْمَقَ فَلَمَّا سَمِعَتِ الْيَهُودُ هَذِهِ الْكَلِمَةَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَالُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ كُنَّا نَسُبُّ مُحَمَّدًا سِرًّا فَأَعْلَنُوا بِهِ الْآنَ فَكَانُوا يَأْتُونَهُ وَيَقُولُونَ رَاعِنَا يَا مُحَمَّدُ وَيَضْحَكُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ فَسَمِعَهَا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَفَطِنَ لَهَا وَكَانَ يَعْرِفُ لُغَتَهُمْ فَقَالَ لِلْيَهُودِ لَئِنْ سَمِعْتُهَا مِنْ أَحَدٍ مِنْكُمْ يَقُولُهَا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَأَضْرِبَنَّ عُنُقَهُ فَقَالُوا أَوَلَسْتُمْ تَقُولُونَهَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا أَيْ كَيْ لَا يَتَّخِذَ الْيَهُودُ بِذَلِكَ سَبِيلًا إِلَى شَتْمِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **وَقُولُوا انْظُرْنَا** أَيْ انْظُرْ إِلَيْنَا وَقِيلَ مَعْنَاهُ انْتَظِرْنَا وَتَأَنَّ بِنَا وَفَهِّمْنَا **وَاسْمَعُوا** أَيْ مَا تُؤْمَرُونَ بِهِ وَأَطِيعُوا نَهَى اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَقُولُوا لِلنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَاعِنَا لِيَلَّا يَتَطَرَّقَ أَحَدٌ إِلَى شَتْمِهِ وَأَمَرَهُمْ بِتَوْقِيرِهِ وَتَعْظِيمِهِ وَأَنْ يَتَخَيَّرُوا لِلْخِطَابِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْأَلْفَاظِ أَحْسَنَهَا وَمِنَ الْمَعَانِي أَرَقَّهَا وَإِنْ سَأَلُوهُ يَسْأَلُوهُ بِتَجَمُّلٍ وَتَعْظِيمٍ وَلَيِّنٍ وَلَا يَجْهَرُوا بِمَا يَجْهَرُ بِهِ الْيَهُودُ **وَلِلْكَافِرِينَ** يَعْنِي الْيَهُودَ **عَذَابٌ أَلِيمٌ مَا يَوَدُّ** أَيْ مَا يُحِبُّ **الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ** يَعْنِي الْيَهُودَ **وَلَا الْمُشْرِكِينَ** يَعْنِي عَبَدَةَ الْأَوْثَانِ لِأَنَّ الْكُفْرَ اسْمٌ جِنْسٍ تَحْتَهُ نَوْعَانِ أَهْلُ كِتَابٍ وَهُمُ الَّذِينَ بَدَّلُوا كِتَابَهُمْ وَكَذَّبُوا الرُّسُلَ وَعَبَدَةُ الْأَوْثَانِ وَهُمْ مَنْ عَبَدَ غَيْرَ اللَّهِ **أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ** يَعْنِي مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْوَحْيِ وَالنُّبُوَّةِ وَإِنَّمَا كَرِهَتِ الْيَهُودُ وَأَبَاهُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ذَلِكَ حَسَدًا وَبَغْيًا مِنْهُمْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَذَلِكَ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ قَالُوا لِحُلَفَائِهِمْ مِنَ الْيَهُودِ آمِنُوا بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالُوا أَمَا هَذَا الَّذِي تَدْعُونَنَا بِخَيْرٍ مِمَّا نَحْنُ فِيهِ وَلَوْ دَرَى أَنَّهُ لَوْ كَانَ خَيْرًا فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ تَكْذِيبًا لَهُمْ **وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ** يَعْنِي أَنَّهُ تَعَالَى يَخْتَصُّ بِنُبُوَّتِهِ وَرِسَالَتِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَتَفَضَّلُ بِالْإِيمَانِ وَالْهِدَايَةِ عَلَى مَنْ أَحَبَّ مِنْ خَلْقِهِ رَحْمَةً مِنْهُ لَهُمْ **وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ** يَعْنِي كُلُّ خَيْرٍ نَالَهُ عِبَادُهُ فِي دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُ ابْتِدَاءً وَتَفَضُّلًا عَلَيْهِمْ مِنْ غَيْرِ اسْتِحْقَاقٍ مِنْهُمْ ذَلِكَ بَلْ لَهُ الْفَضْلُ وَالْمِنَّةُ عَلَى خَلْقِهِ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ **مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا** الْآيَةَ وَسَبَبُ نُزُولِهَا أَنَّ الْمُشْرِكِينَ قَالُوا إِنَّ مُحَمَّدًا يَأْمُرُ أَصْحَابَهُ بِأَمْرٍ ثُمَّ يَنْهَاهُمْ عَنْهُ وَيَأْمُرُهُمْ بِخِلَافِهِ وَيَقُولُ الْيَوْمَ قَوْلًا وَيَرْجِعُ عَنْهُ غَدًا مَا يَقُولُ إِلَّا مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ بِقَوْلِهِ وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ وَأَنْزَلَ مَا نَسْخٍ مِنْ آيَةٍ فِي هَذِهِ الْآيَةِ وَجْهُ الْحِكْمَةِ فِي النَّسْخِ وَأَنَّهُ مِنْ عِنْدِهِ لَا مِنْ عِنْدِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْلُ النَّسْخِ فِي اللُّغَةِ يَكُونُ بِمَعْنَى النَّقْلِ وَالتَّحْوِيلِ وَمِنْهُ نَسْخُ الْكِتَابِ وَهُوَ أَنْ يُنْقَلَ مِنْ كِتَابٍ إِلَى كِتَابٍ آخَرَ وَذَلِكَ لَا يَقْتَضِي إِزَالَةَ الصُّورَةِ الْأُولَى بَلْ يَقْتَضِي إِثْبَاتَ مِثْلِهِ فِي كِتَابٍ آخَرَ فَعَلَى هَذَا الْمَعْنَى يَكُونُ الْقُرْآنُ كُلُّهُ مَنْسُوخًا وَذَلِكَ أَنَّهُ نُسِخَ مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ وَنُزِّلَ جُمْلَةً وَاحِدَةً إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَقَدْ يَكُونُ النَّسْخُ بِمَعْنَى الرَّفْعِ وَالْإِزَالَةِ وَهُوَ إِزَالَةُ شَيْءٍ بِشَيْءٍ يَعْقُبُهُ كَنَسْخِ الشَّمْسِ الظِّلَّ وَالشَّيْبِ الشَّبَابَ وَعَلَى هَذَا اللُّغَةِ يَكُونُ بَعْضُ الْقُرْآنِ مَنْسُوخًا وَبَعْضُهُ نَاسِخًا وَالْمُرَادُ حُكْمُ هَذِهِ الْآيَةِ وَهُوَ إِزَالَةُ الْحُكْمِ بِحُكْمٍ يَعْقُبُهُ

فَصْلٌ فِي حُكْمِ النَّسْخِ النَّسْخُ فِي اصْطِلَاحِ الْعُلَمَاءِ عِبَارَةٌ عَنْ رَفْعِ الْحُكْمِ الشَّرْعِيِّ بِدَلِيلٍ شَرْعِيٍّ مُتَأَخِّرٍ عَنْهُ وَالنَّسْخُ جَائِزٌ عَقْلًا وَوَاقِعٌ

سمعا خلافا لليهود فان منهم من لم ينكره عقلا لكنه منعه سمعا وشذت طائفة قليلة من المسلمين فانكرت النسخ احتج الجمهور من المسلمين على جواز النسخ ووقوعه بان الدلايل قد دلت على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وبنوته لا تصح الا مع القول بالنسخ وهو نسخ شرع من قبله فوجب القطع بالنسخ ولنا على اليهود الزامات منها ان الله تعالى حرم عليهم العمل في السبت فلم يحرمه على من كان قبلهم ومنها انه جاء في التوراة ان الله تعالى قال لنوح عليه السلام عند خروجه من الفلك اني جعلت لكل دابة ما كولا لك ولذريتك واطلقت ذلك لكم ثم انه تعالى حرم على موسى عليه السلام وعلى بني اسرايل كثيرا من الحيوانات ومنها ان آدم عليه السلام كان يزوج الاخ للاخت وقد حرمه على من بعده وعلى موسى عليه السلام فثبت بهذا جواز النسخ وحيث ثبت جواز النسخ فقد اختلفوا فيه على وجوه احدها ان القرآن نسخ جميع الشرايع والكتب القديمة كالتوراة والانجيل وغيرهما الوجه الثاني المراد من النسخ هو نسخ القرآن ونقله من اللوح المحفوظ الى سماء الدنيا الوجه الثالث وهو الصحيح الذي عليه جمهور العلما ان المراد من النسخ هو رفع حكم بعض الايات بدليل خر ياتي بعده وهو المراد بقوله تعالى ما ننسخ من اية او ننسها نات بخير منها او مثلها لان الاية اذا اطلقت فالمراد بها ايات القرآن لانه هو المعروف عند نا

مسئلة قال الشافعي رضي الله عنه الكتاب لا ينسخ بالسنة المتواترة واستدل بهذه الاية وهو انه تعالى قال اما ننسخ من اية او ننسها نات بخير منها او مثلها وذلك يفيد انه هو الاتي والماتي به من جنس القرآن وما كان من جنس القرآن فهو قرآن وقوله نات بخير منها يفيد انه هو المنفرد بالاتيان به دون الخلق وهو القرآن الذي هو كلام الله دون السنة ولان السنة لا تكون خيرا من القرآن ولا مثله واحتج الجمهور على جواز نسخ الكتاب بالسنة بان اية الوصية للاقربين منسوخة بقوله صلى الله عليه وسلم لا وصية لوارث واجاب الشافعي بان هذا ضعيف لان كون الميراث حقا للوارث يمنع من صرفه الى الوصية فثبت ان اية الميراث مانعة من الوصية وتقرير هذا وبسطه معروف في اصول الفقه ثم النسخ في القرآن على وجوه احدها ما رفع حكمه وتلاوته كما روي عن ابي امامة بن سهل ان قوما من الصحابة قاموا ليلة ليقرؤا سورة فلم يذكروا منها الا بسم الله الرحمن الرحيم فغدوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبروه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك سورة رفعت تلاوتها وحكمها اخرجه البغوي بغير سند وقيل ان سورة الاحزاب كانت مثل البقرة فرفع بعضها تلاوة وحكما الوجه الثاني ما رفع تلاوته وبقي حكمه مثل اية الرجم روي عن ابن عباس قال قال عمر بن الخطاب وهو جالس على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله بعث محمدا بالحق وانزل عليه الكتاب فكان فيما انزل الله عليه اية الرجم فقرانا ها ووعيناها وعقلناها ورجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده فاخشى ان طال بالناس زمان ان يقول قايل ما نجد الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة انزلها الله وان الرجم في كتاب الله حق على من زنا اذا احصن من الرجال والنسا اذا قامت البينة او كان الحبل او الاعتراف اخرجه مسلم وللبخاري نحوه الوجه الثالث ما رفع حكمه وثبت خطه وتلاوته وهو كثير في القرآن مثل اية الوصية للاقربين نسخت باية الميراث عند الشافعي وباية عدة الوفاة بالحول نسخت باية اربعة اشهر وعشرا واية القتال وهي قوله ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مايتين الاية نسخت بقوله الان خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا الاية ومثل هذا كثير في القرآن واما معنى الاية فقوله ما ننسخ من اية اي نرفعها او نرفع حكمها او ننسها قرئ بضم النون وكسر السين ومعناه نثبتها على قلبك وقال ابن عباس نتركها لا ننسخها وقيل معناه نامر بتركها فعلى هذا يكون النسخ الاول رفع الحكم واقامة غيره مقامه والا نساء نسخا من غير اقامة غيره مقامه وقرئ ننسأها بفتح النون والسين وبالهمز ومعناه نؤخرها فلا ننزلها او نرفع تلاوتها ونوحي حكمها كاية الرجم فعلى هذا يكون النسخ الاول بمعنى رفع التلاوة والحكم وقال سعيد بن المسيب وعطا ما نسخ من اية هو ما نزل من القرآن جعلاه من نسخ الكتاب اذا نقلته الى الكتاب اخر او ننسها اي نؤخرها ونتركها في اللوح المحفوظ فلا ننزلها نات بخير منها اي مما هو انفع لكم واسهل عليكم واكثر لاجوركم وليس معناه ان اية خير من اية لان كلام الله تعالى كله واحد او مثلها اي في المنفعة والثواب فيها نسخ الى اليسر

كان اسهل في العمل كالذي كان على المؤمنين من وضع قيام الليل ثم نسخ ذلك فكان تخفيفا لهم وفي عاجلهم لسقوط التعب والمشقة عنهم وما نسخ الى الاشق كان اكمل في الثواب كالذي كان عليهم من صيام ايام معدودات في السنة فنسخ ذلك وفرض صيام شهر رمضان فكان صوم شهر كامل في كل سنة اثقل على الابدان واشق من صيام ايام معدودات وكان ثوابه اكمل واكثر واما المثل فكنسخ التوجه الى بيت المقدس وصرفه الى المسجد الحرام واستوى الامر في ذلك لان على المصلي التوجه الى حيث امره الله تعالى

الم تعلم ان الله على كل شيء قدير اي من النسخ والتبديل والمعنى يا محمد اني قادر على تعويض ما نسخت من احكامي وغيرتها من فرايضي التي كنت افترضتها عليك ما اشاء مما هو خير لك ولعبادي المؤمنين وانفع لك ولهم عاجلا واجلا

الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض يعني انه تعالى هو المتصرف في السموات والارض وله سلطانهما دون غيره يحكم فيهما وفيما فيهما بما يشاء من امر ونهي ونسخ وتبديل وهذا الخبر وان كان خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم لكن فيه تكذيب لليهود الذين انكروا النسخ وجحدوا بنبوة عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام فاخبرهم الله انه له ملك السموات والارض وان الخلق كلهم عبيده وتحت تصرفه وحكمه فيهم بما يشاء وعليهم السمع والطاعة

وما لكم من دون الله اي ايها معشر لكفار عند نزول العذاب **من ولي** اي قريب وصديق وقيل من وال وهو القيم بالامور **ولا نصير** اي ناصر يمنعكم من العذاب وقيل في معنى الاية وليس لكم ايها الموصوفون بعد الله من يقيم بامركم ولا نصير يؤيدكم ويقويكم على اعدايكم

ام تريدون ان تسالوا رسولكم نزلت في اليهود وذلك انهم قالوا يا محمد ائتنا بكتاب من السماء جملة كما اتى موسى بالتوراة وقيل انهم سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لن نؤمن لك حتى تاتي بالله والملايكة قبيلا كما سال قوم موسى فقالوا ارنا الله جهرة فانزل الله تعالى هذه الاية والمعنى اتريدون ان تسالوا رسولكم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم

كما سيل موسى من قبل وذلك ان موسى سالته قومه فقالوا ارنا الله جهرة فهي الاية معهم وفيها عن السؤال الاقتراحة بعد ظهور الدلالات والمعجزات وثبوت الحجج والبراهين على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم

ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل اي استبدل الكفر بالايمان فقد اخطا قصد الطريق وقيل ان قوله ومن يتبدل الكفر بالايمان خطاب للمؤمنين واعلام لهم ان اليهود اهل غش وحسد وانهم يتمنون للمؤمنين المكاره فنهاهم الله تعالى ان يقبلوا من اليهود شيئا يصحونهم به في الظاهر واخبرهم ان من ارتد عن دينه فقد اخطا قصد السبيل قوله عز وجل

ود كثير من اهل الكتاب نزلت هذه الاية في نفر من اليهود وذلك انهم قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة احد لو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعا الى ديننا فنحن اهدى سبيلا منكم فقال عمار كيف نقض العهد فيكم قالوا اشد فقال اني عاهدت ان لا اكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ما عشت قالت اليهود اما هذا فقد صبا وقال حذيفة اما انا فقد رضيت بالله ربا وبمحمد رسولا وبالاسلام دينا وبالقرآن اماما وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين اخوانا ثم اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبراه بذلك فقال اصبتما الخير وافلحتما فانزل الله تعالى ود كثير اي تمنى كثير من اهل الكتاب يعني اليهود

لو يردونكم اي يا معشر المؤمنين **من بعد ايمانكم كفارا** اي ترجعون الى ما كنتم عليه من الكفر **حسدا** اي يحسدونكم حسدا واصل الحسد تمني زوال النعمة عمن يستحقها وربما يكون مع ذلك سعي في ازالتها والحسد مذموم بما روي عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اياكم والحسد فان الحسد ياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب وقال العشب اخرجه ابو داود فاذا انعم الله على عبد نعمة فتمنى اخر زوالها فهذا هو الحسد وهو حرام فان استعان بتلك النعمة على الكفر والمعاصي فتمنى اخر زوالها عنه فليس بحسد ولا يحرم ذلك لانه لم يحسده على تلك النعمة من حيث انها نعمة بل من حيث انه يتوصل بتلك النعمة الى الشر والفساد وقوله

من عند انفسهم اي من تلقاء انفسهم لم يامرهم الله بذلك **من بعد ما تبين لهم الحق** يعني في التوراة ان قول محمد صلى الله عليه وسلم ودينه حق لا يشكون فيه فكفروا حسدا وبغيا

فاعفوا واصفحوا اي فتجاوزوا عما كان منهم من اساءة وحسد وكان هذا الامر بالعفو والصفح قبل ان يؤمر بالقتال **حتى ياتي الله**

بامره اى بعذابه وهو القتل والسبى لبنى قريظة والاجلاء والنفى لبنى النضير قال ابن عباس هو امر الله تعالى له بقتالهم
فى قوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر الاية **ان الله على كل شئ قدير** فيه وعيد وتهديد لهم **و**
اقيموا الصلوة واتوا الزكوة لما امر الله المؤمنين بالعفو والصفح عن اليهود امرهم بما فيه صلاح انفسهم من اقام
الصلاة واتيان الزكوة الواجبتين وبنبه بذلك على سائر الواجبات ثم قال تعالى **وما تقدموا لانفسكم من خير**
اى من طاعة وعمل صالح وقيل اراد بالخير المال يعنى صدقة التطوع لان الزكاة تقدم ذكرها **تجدوه عند الله**
يعنى ثوابه واجره حتى التمرة واللقمة مثل احد **ان الله بما تعملون بصير** اى لا يخفى عليه شئ من قليل الاعمال وكثيرها
فيه ترغيب فى الطاعات واعمال البر وزجر عن المعاصى قوله تعالى **وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا**
اى يهوديا هو جمع هاد يقال **او نصارى** وذلك ان اليهود قالوا لن يدخل الجنة الا من كان يهوديا ولا دين الا دين اليهودية
وقالت النصارى لن يدخل الجنة الا من كان نصرانيا ولا دين الا دين النصرانية قيل نزلت فى وفد نجران وكانوا نصارى
اجتمعوا مع اليهود فى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فكذب بعضهم بعضا فى دعواه قال الله تعالى **تلك امانيهم**
اى شهواتهم الباطلة التى تمنوها على الله بغير حق **قل** يعنى يا محمد **هاتوا برهانكم** اى حجتكم على دعواكم
ان الجنة لا يدخلها الا من كان يهوديا او نصرانيا دون غيرهم **ان كنتم صادقين** يعنى فيما تدعون ثم قال
تعالى ردا عليهم **بلى** اى ليس كما تقولون ولكن **من اسلم وجهه لله وهو محسن** فانه الذى يدخل الجنة وتعم
فيها ومعنى اسلم وجهه لله اخلص دينه لله وقيل اخلص عبادته لله وقيل خضع وتواضع لله لان اصل الاسلام الاستسلام
وهو الخضوع وانما خص الوجه بالذكر لانه اشرف الاعضاء واذا جاد الانسان وضع وجهه على الارض فى السجود فقد جاد
بجميع اعضائه قال عمرو بن قتيبة واسلمت وجهى لمن اسلمت له الارض تحمل صخرا رواسيا لا واسلمت وجهى لمن اسلمت له المزن
تحمل عذبا زلالا يعنى بذلك استسلمت لطاعته الارض والمزن وهو محسن اى فى عمله لله
فله اجره عند ربه اى ثواب عمله **ولا خوف عليهم** اى فى الاخرة **ولا هم يحزنون** اى على ما فاتهم
من الدنيا قوله **وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود على شئ**
نزلت فى يهود المدينة ونصارى نجران وذلك انه وفد نجران لما قدموا على النبى صلى الله عليه وسلم اتاهم احبار اليهود
وتناظروا حتى ارتفعت اصواتهم فقالت اليهود للنصارى ما انتم على شئ من الدين وكفروا بعيسى والانجيل وقالت
النصارى لليهود ما انتم على شئ من الدين وكفروا بموسى والتوراة فانزل الله تعالى وقالت اليهود ليست النصارى
على شئ وقالت النصارى ليست اليهود على شئ **وهم يتلون الكتاب** يعنى وكلا الفريقين يقرؤن الكتاب
وليس فى كتابهم هذا الاختلاف قد دل تلاوتهم الكتاب ومخالفتهم لما فيه على كفرهم وكونهم على الباطل وقيل ان الاصل
الذى يدين بصحته النصارى يحققه فى التوراة من نبوة موسى وما فرض الله فيها على بنى اسرائيل من الفرائض وان التوراة
الذى يدين بصحتها اليهود تحقق نبوة عيسى وما جاء به من عند ربه من الاحكام ثم كلا الفريقين قالوا اما اخبر الله عنهم
بقوله وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود على شئ مع علم كل واحد من الفريقين ببطلان
ما قاله **كذلك قال الذين لا يعلمون** يعنى مشركى العرب قالوا فى نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه انهم ليسوا
على شئ **مثل قولهم** يعنى مثل قول اليهود للنصارى والنصارى لليهود وقيل امم كانت قبل اليهود والنصارى مثل قوم
نوح وهود وصالح ولوط وشعيب قالوا فى انبيائهم ليسوا على شئ **فالله يحكم بينهم** اى يقضى بينهم يعنى بين المحق والمبطل
يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون يعنى من امر الدين قوله تعالى **ومن اظلم ممن منع**
مساجد الله نزلت فى خراب بيت المقدس وذلك ان ططوس الرومى غزا بنى اسرائيل فقتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم
وحرق التوراة وخرب بيت المقدس فلم يزل خرابا الى ان بناه المسلمون فى زمن عمر بن الخطاب فانزل الله ومن اظلم اى ومن

اكفروا

اكفر واعتى ممن منع مساجد الله يعنى بيت المقدس ومحاربيه **ان يذكر فيها اسمه** اى يعبد ويصلى له فيها **وسعى**
فى خرابها وقيل انه بخت نصر المجوسى من اهل بابل هو الذى غزا بنى اسرائيل وخرب بيت المقدس واعانه على ذلك النصارى
من اجل ان قتلوا اليهود يحيى بن زكريا **اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين** وذلك ان بيت المقدس
موضع حج النصارى وزيارتهم قال ابن عباس لم يدخلها بعد عمارتها رومى ونصرانى الا خائفا ان علم به قتل وقيل لحفوا
بالجزية والقتل فالجزية على الذمى والقتل على الحربى وقيل خوفهم هو فتح مدائنهم الثلاث قسطنطينية ورومية وعمورية
لهم فى الدنيا خزى يعنى الصغار والذل والقتل والسبى **ولهم فى الاخرة عذاب عظيم** يعنى النار وقيل ان
الاية نزلت فى مشركى مكة واراد بالمساجد المسجد الحرام وذلك انهم منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه
ان يصلوا فيه فى ابتداء الاسلام ومنعوهم من حجه والصلاة فيه عام الحديبية واذا منعوا من يعمره بذكر الله
تعالى والصلاة فيه فقد سعوا فى خرابه يعنى مشركى مكة يقول الله تعالى فتحها عليكم ايها المسلمون حتى يدخلوها
ويكونوا اولى بها منهم ففتحها عليهم وامر النبى صلى الله عليه وسلم ان ينادى فى الموسم لما نزلت سورة براءة الا لا
يحجن البيت بعد هذا العام مشرك فكان هذا خوفهم ونبذت فى الشرع ان لا يمكن مشرك من دخول الحرم **فان**
قلت كيف قيل مساجد الله وانما وقع المنع والتخريب على مسجد واحد وهو اما بيت المقدس او المسجد الحرام
قلت يجوز ان يجئ الحكم عاما وان كان السبب خاصا كما تقول لمن اذى صالحا واحدا ومن اظلم ممن اذى
الصالحين **فان قلت** اى القولين ارجح قلت رجح الطبرى القول الاول وقال النصارى هم الذين سعوا فى خراب
بيت المقدس بدليل ان مشركى مكة لم يسعوا فى خراب المسجد الحرام وان كانوا قد منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فى بعض الاوقات من الصلاة فيه وايضا فان الاية التى قبل هذه وبعدها فى ذم اهل الكتاب ولم يجر لمشركى مكة ذكر
ولا للمسجد الحرام فتعين ان يكون المراد بها بيت المقدس ورجح غيره القول الثانى بدليل ان النصارى يعظمون
بيت المقدس اكثر من اليهود فكيف يسعون فى خرابه وهو موضع تحجهم وذكر ابن العربى فى احكام القرآن قولا ثالثا
وهو انه كل مسجد قال وهو الصحيح لان اللفظ عام ورد بصيغة الجمع فتخصيصه ببعض المساجد او ببعض الازمنة محال
قوله عز وجل ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله سبب نزول هذه الاية قال ابن
عباس خرج نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر قبل تحويل القبلة الى الكعبة فاصابهم الضباب و
حضرت الصلوة فتحروا القبلة وصلوا فلما ذهب الضباب استبان لهم انهم لم يصيبوا فلما قدموا سألوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن ذلك فنزلت هذه الاية وعن عامر بن ربيعة عن ابيه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم فى سفر فى ليلة مظلمة فلم ندر اين القبلة فصلى كل رجل منا على حياله فلما اصبحنا ذكرنا ذلك لرسول الله
صلى الله عليه وسلم فنزلت فاينما تولوا فثم وجه الله اخرجه الترمذى وقال حديث غريب وقال ابن عمر نزلت
فى السفر فيصلى التطوع حيث ما توجهت به راحلته ق عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسبح
على ظهر راحلته حيث كان وجهه يومئ وكان ابن عمر يفعله وفى رواية لمسلم كان النبى صلى الله عليه وسلم يصلى
على راحلته وهو مقبل من مكة الى المدينة حيث ما توجهت وفيه نزلت فاينما تولوا فثم وجه الله الاية وقيل نزلت
فى تحويل القبلة الى الكعبة وذلك ان اليهود عيرت المؤمنين وقالوا ليس لهم قبلة معلومة فتارة يستقبلون هكذا
وتارة يستقبلون هكذا فانزل الله هذه الاية وقيل انها نزلت فى تحيل النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه يصلون حيث
شاؤا من النواحى ثم انها نسخت بقوله تعالى فول وجهك شطر المسجد الحرام ومعنى الاية ان لله المشرق والمغرب
وما بينهما خلقا وملكا وانما خص المشرق والمغرب اكتفاء بمن جميع الجهات لان له كلها وما بينهما خلقه وعبيده وان على
جميعهم طاعته فيما امرهم به ونهاهم عنه فاى امرهم باستقباله فهو القبلة فان القبلة ليست قبلة لذاتها

بل لان الله تعالى جعلها قبلة وامر بالتوجه اليها فاينما تولوا فثم وجه الله اى فهناك قبلة الله التى وجهكم اليها وقيل معناه فثم الله تعالى بعلمه وقدرته والوجه صفة ثابتة لله تعالى لا من حيث الصورة وقيل فثم رضا الله اى يريدون بالتوجه اليه رضاه ان الله واسع من السعة وهى الغنا اى يسع خلقه كلهم بالكفاية والافضال والتدبير وقيل هو واسع المغفرة عليم اى بايمانكم ونياتكم حيث ما تصلوا وتدعوا لا يعزب عنه شئ مسئلة تتعلق بحكم الاية وهى ان المسافر اذا كان فى مفازة او بلاد الشرك واشتبهت عليه القبلة فانه يجتهد فى طلبها بنوع من الدلائل ويصلى الى الجهة التى ادى اليها اجتهاده ولا اعادة عليه وان لم يصادف القبلة فان جهة الاجتهاد قبلته وكذا الغريق فى البحر اذا بقى على اللوح فانه يصلى على حسب حاله ويضع صلاته وكذا المشدود على خشبة بحيث لا يمكنه الاستقبال لقوله تعالى وقالوا اتخذ الله ولدا نزلت فى يهود المدينة حيث قالوا عزير ابن الله وفى نصارى نجران حيث قالوا المسيح ابن الله وفى مشركى العرب حيث قالوا الملائكة بنات الله سبحانه اى تنزيها له فنزه الله تعالى نفسه عن اتخاذ الولد وعن قولهم وافترائهم عليه خ عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال قال الله عز وجل كذبنى ابن ادم ولم يكن له ذلك وشتمنى ولم يكن له ذلك فاما تكذيبه اياى فزعم انى لا اقدر ان اعيده كما كان واما شتمه اياى فقوله لى ولد فسبحانى ان اتخذ صاحبة او ولدا بل له ما فى السموات والارض يعنى عبيدا وملكا فكيف يتسنى له الولد وهو داخل فيهما وقيل ان الولد لا بد وان يكون من جنس الوالد والله تعالى منزه عن الشبيه والنظير وقيل الولد انما يتخذ للحاجة اليه والانتفاع به عند عجز الوالد وكبره والله تعالى منزه عن ذلك كله فاضافة الولد اليه محال كل له قانتون يعنى ان اهل السموات والارض مطيعون لله ومقرون له بالعبودية واصل القنوت لزوم الطاعة مع الخضوع وقيل اصله القيام ومنه قوله صلى الله عليه وسلم افضل الصلاة طول القنوت فعلى هذا يكون معنى الاية كل له قائمون بالشهادة مقرون له بالوحدانية وقيل قانتون اى مدللون مسخرون لما خلقوا له واختلف العلما فى حكم الاية فقال بعضهم هو خاص ثم سلكوا فى تخصيصه طريقين احدهما قالوا هو راجع الى عزير والمسيح والملائكة الثانى قال ابن عباس هو راجع الى اهل طاعته دون سائر الكفار وذهب جماعة الى ان حكم الاية عام لان لفظة كل تقتضى الشمول والاحاطة بدليل قوله تعالى واوتيت من كل شئ ولم تؤت ملك سليمان فدل على ان لفظة كل لا تقتضى ذلك قوله عز وجل بديع السموات والارض اى خالقها ومنشيها على غير مثال سبق وقيل البديع الذى يبدع الاشيا اى يحدثها تاما لم تكن واذا قضى امرا اى قدره واراد خلقه وقيل اذا احكم امرا واحكمه واتقنه واصل القضا الحكم والفراغ والقضاء فى اللغة على وجوه كلها ترجع الى انقضاء الشئ وتمامه والفراغ منه فانما يقول له كن فيكون اى اذا احكم امرا واحكمه فانما يقول لذلك كن فيكون ذلك الامر على ما اراد الله تعالى وجوده فان قلت المعدوم لا يخاطب فكيف قال فانما يقول له كن فيكون قلت ان الله تعالى عالم بكل ما هو كائن قبل كونه واذا كان كذلك كانت الاشيا التى لم تكن كانها كائنة لعلمه بها فجاز ان يقول لها كونى ويامرها بالخروج من حال العدم الى حال الوجود وقيل اللام فى قوله له لام اجل فيكون المعنى واذا قضى امرا فانما يقول لاجل تكوينه واراده تكن فيكون فعلى هذا يذهب معنى الخطاب قوله تعالى وقال الذين لا يعلمون قال ابن عباس هم اليهود الذين كانوا فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هم النصارى وقيل هم مشركو العرب لولا اى هلا يكلمنا الله اى عيانا بانك رسوله اوتاتينا اية اى دلالة وعلامة على صدقك كذلك قال الذين من قبلهم اى كقول الامم الخالية مثل قولهم وذلك ان اليهود سالوا موسى ان يريهم الله جهرة وان يسمعهم كلام الله وسالوه من الاشيا ما ليس لهم مسئلته فاخبر الله عن الذين كانوا فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم قالوا مثل ما قال من كان قبلهم تشابهت قلوبهم يعنى ان المكذبين للرسل تشابهت قلوبهم وافعالهم وقيل تشابهت فى الكفر والقسوة

والتكذيب وطلب المحال قد بينا الايات اى الدلالات على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لقوم يوقنون يعنى ان ايات القرآن وما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من المعجزات الباهرات كافية لمن كان طالب اليقين وانما ظهر اهل الايقان بالذكر لانهم هم اهل التثبت فى الامور ومعرفة الاشيا على يقين قوله عز وجل انا ارسلناك بالحق اى بالصدق وقال ابن عباس بالقرآن وقيل بالاسلام وقيل معناه انا ارسلناك بالحق لا عبثا بل انا ارسلناك بالحق بشيرا اى مبشرا لاوليائى وما اعددت لهم بالثواب العظيم ونذيرا اى منذرا ومخوفا لاعدائى واهل معصيتى بالعذاب الاليم ولا تسئل قرئ بفتح التا على النهى قال ابن عباس وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم ليت شعرى ما فعل ابواى فنزلت هذه الاية والمعنى انا ارسلناك لتبليغ ما ارسلت به لا لتسال عن اصحاب الجحيم وقرئ ولا تسئل بضم التا ورفع اللام على الخبر وقيل على النفى والمعنى انا ارسلناك بالحق لتبلغ ما ارسلت به فانما عليك البلاغ ولست مسئولا عمن كفر عن اصحاب الجحيم اى عن اهل الجحيم سميت النار جحيما لشدة تاججها وقيل الجحيم معظم النار وقوله تعالى ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم وذلك ان اليهود والنصارى لما ايسوا من اسلام النبى صلى الله عليه وسلم الهدنة ويطمعونه انه ان امهلهم اتبعوه فانزل الله هذه الاية والمعنى انك وان هادنتهم فلا يرضون بها وانما يطلبون ذلك تعللا ولا يرضون منك الا باتباع ملتهم وقال ابن عباس هذا فى امر القبلة وذلك ان يهود المدينة ونصارى نجران كانوا يرجون النبى صلى الله عليه وسلم حين كان يصلى الى بيت المقدس فلما صرف الله القبلة الى الكعبة ايسوا منه ان يوافقهم على دينهم فانزل الله تعالى ولن ترضى عنك اليهود يعنى الا باليهودية ولا النصارى يعنى الا بالنصرانية وهذا شئ لا يتصور اذ لا يجتمع فى رجل واحد شيئان فى وقت واحد وهو قوله حتى تتبع ملتهم يعنى دينهم وطريقهم قل اى يا محمد ان هدى الله يعنى دين الله الذى هو الاسلام هو الهدى اى يصح ان يسمى هدى ولئن اتبعت يا محمد اهواءهم يعنى اهواء اليهود والنصارى فيما يرضيهم عنك وقيل اهواءهم اقوالهم التى هى اهواء وبدع بعد الذى جاءك من العلم اى البيان بان دين الله هو الاسلام وان القبلة هى قبلة ابراهيم عليه السلام وهى الكعبة ما لك من الله من ولى يعنى يلى امرك ويقوم به ولا نصير اى يتصرك ويمنعك من عذابه وقيل فى قوله ولئن اتبعت اهواءهم انه خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد به امته والمعنى ايا كم اخاطب ولكم اوديب وانتهى فقد علمتم ان محمدا صلى الله عليه وسلم قد جاءكم بالحق والصدق وقد عصمته فلا تتبعوا انتم اهواء الكافرين ولئن اتبعتم اهواءهم بعد الذى جاءكم من العلم والبيان ما لكم من دون الله من ولى ولا نصير قوله عز وجل الذين اتيناهم الكتاب قال ابن عباس نزلت فى اهل السفينة الذين قدموا مع جعفر بن ابى طالب وكانوا اربعين رجلا اثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية من ذهبان الشام منهم بحيرا الراهب وقيل هم مؤمنوا اهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام واصحابه وقيل هم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة وقيل هم المؤمنون عامة يتلونه حق تلاوته اى يقرءونه كما انزل لا يغيرونه ولا يحرفونه ولا يتاولون ما فيه مما نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل يتبعونه حق اتباعه فيحلون حلاله ويحرمون حرامه ويعملون بمحكمه ويؤمنون بمتشابهه ويفوضون علمه ويكلون علمه الى الله تعالى وقيل معناه يتدبرونه حق تدبره ويتفكرون فى معانيه وحقايقه واسراره اولئك يعنى الذين يتلونه حق تلاوته يؤمنون به اى يصدقون به فان قلنا ان الاية فى اهل الكتاب فيكون المعنى ان المؤمن بالتوراة الذى يتلوها حق تلاوتها هو المؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم لان فى التوراة نعته وصفته وقلنا انها نزلت فى المؤمنين عامة فظاهر ومن يكفر به اى يجحد بما فيه من فرائض الله وشهوة محمد صلى الله عليه وسلم فاولئك هم الخاسرون اى خسروا انفسهم حيث استبدلوا الكفر بالايمان قوله تعالى يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم اى ايادى لديكم وصنيعى اليكم واستنقاذى اياكم من

أيدي عدوكم في نعم كثيرة أنعمت بها عليكم وأني فضلتكم على العالمين أي واذكروا تفضيلي إياكم على عالمي زمانكم
وفي هذه الآية عظة لليهود الذين كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكررها في أول السورة وهنا للتوكيد
وتذكير النعم واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا وفي هذه الآية ترهيبهم والمعنى يا معشر بني إسرائيل المبدلين
كتابي المحرفين له خافوا عذاب يوم لا تقي فيه نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة أي ولا
تقبل منها فدية ولا تنفعها شافع وهذا من العام الذي يراد به الخاص كقوله تعالى ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن
أذن له ومعنى الآية ولا تنفعها شفاعة إذا وجب عليها العذاب ولم تستحق سواه وقيل إنه رد على اليهود في قولهم
إن آباءنا يشفعون لنا ولا هم ينصرون أي ولا ناصر لهم ينصرهم من الله إذا انتقم منهم قوله عز وجل
وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات إبراهيم اسم عجمي ومعناه أب رحيم وهو إبراهيم بن تارخ وهو
آزر بن ناحور بن شاروخ بن أرغو بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام وكان مولد
إبراهيم بالسوس من أرض الأهواز وقيل ببابل وقيل بكوثى وهي قرية من سواد الكوفة وقيل بحران ولكن أباه نقله إلى
أرض بابل وهي أرض نمرود الجبار وإبراهيم عليه السلام يعترف بفضله جميع الطوائف قديما وحديثا فأما اليهود والنصارى
فإنهم مقرون بفضله ويتشرفون بالنسبة إليه وأنهم من أولاده وأما العرب في الجاهلية فإنهم أيضا يعترفون
بفضله ويتشرفون على غيرهم به لأنهم من أولاده ومن ساكني حرمه وحدام بيته ولما جاء الإسلام زاده شرفا
وفضلا فحكى الله تعالى عن إبراهيم أمورا أوجب على المشركين واليهود والنصارى قبول قول محمد صلى الله عليه وسلم
والاعتراف بدينه والانقياد لشرعه لأن ما أوجبه الله على إبراهيم هو من خصائص دين محمد صلى الله عليه وسلم
وفي ذلك حجة على اليهود والنصارى ومشركي العرب في وجوب الانقياد لمحمد صلى الله عليه وسلم والإيمان به تصديقا
وأصل الابتلاء الامتحان والاختبار ليعرف حال الإنسان وسمي التكليف بلاء لأنه يشق على الأبدان وقيل ليخبر به
حال الإنسان فإذا قيل ابتلى فلان بكذا تضمن أمرين أحدهما تعرف حاله والوقوف على ما يجهل من أمره والثاني
ظهور وجود ورداءة وابتلاء الله العباد ليس ليعلم أحوالهم والوقوف على ما يجهل منها لأنه عالم بجميع المعلومات
التي لا نهاية لها على سبيل التفصيل من الأزل إلى الأبد ولكن ليعلم العباد أحوالهم من ظهور جودة وردائة وعلى هذا
يتنزل قوله تعالى وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات واختلفوا في تلك الكلمات التي ابتلى الله بها إبراهيم عليه السلام
فقال ابن عباس هي ثلاثون سهما هن شرائع الإسلام لم يبتل بها أحدا فأقامهن كلهن إلا إبراهيم فكتب له البراءة
فقال وإبراهيم الذي وفى ومعنى هذا الكلام أنه لم يبتل أحد قبل إبراهيم فأما بعده فقد ابتلي الأنبياء بجميع ما أمروا
به وهي عشرة مذكورة في سورة براءة في قوله التائبون العابدون الآية وعشر في سورة الأحزاب في قوله إن المسلمين
والمسلمات الآية وعشر في سورة المؤمنين في قوله قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون وهي مذكورة أيضا
في سورة سأل سائل وعن ابن عباس أيضا قال ابتلاه الله بعشرة أشياء هن الفطرة خمس في الرأس وقص الشارب
والمضمضة والاستنشاق والسواك وفرق الرأس وخمس في الجسد تقليم الأظفار ونتف الإبط وحلق العانة والختان
والاستنجاء بالماء ق عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الفطرة خمس وفي رواية خمس من
الفطرة الختان والاستحداد وقص الشارب وتقليم الأظفار ونتف الإبط م عن عائشة قالت قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم عشر من الفطرة قص الشارب وإعفاء اللحية والسواك والاستنشاق بالماء وقص الأظفار وغسل
البراجم ونتف الإبط وحلق العانة وانتقاص الماء قال مصعب ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة قال وكيع
انتقاص الماء يعني الاستنجاء قال العلماء الفطرة السنة وقيل الملة وقيل الطريقة وهذه الأشياء المذكورة في الحديث
وأنها من الفطرة قيل كانت على إبراهيم عليه السلام فرضا وعلينا سنة واتفقت العلماء على أنها من الملة

وأما معانيها فقد قيل قص الشارب وإعفاء اللحية فيه مخالفة للأعاجم فإنهم كانوا يقصون لحاهم ويوفرون شواربهم ويوفرون
معا وذلك عكس الجمال والنظافة وأما السواك والمضمضة والاستنشاق فلتنظيف الفم والأنف من الطعام والقلس
والوسخ وأما قص الأظفار فلئلا يجتمع تحتها الوسخ وأما نتف الإبط فلتنظيف عما يجتمع فيها وأما غسل البراجم وهي العقد
التي في ظهور الأصابع فإنه يجتمع فيها الوسخ ويشين المنظر وأما حلق العانة ونتف الإبط فللتنظيف عما يجتمع من الوسخ
في الشعر وأما الاستنجاء فلتنظيف ذلك المحل عن الأذى وأما الختان فلتنظيف القلفة عما يجتمع فيها من البول وخلف
العلماء في وجوبه فذهب الشافعي إلى أن الختان واجب لأنه تنكشف له العورة ولا يباح ذلك إلا في الواجب وذهب غيره
إلى أنه سنة وأول من اختتن إبراهيم عليه السلام ولم يختتن أحد قبله ق عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اختتن إبراهيم بالقدوم ويروى القدوم بالتخفيف والتشديد فمن خفف ذهب إلى أنه اسم للآلة التي يقطع بها ومن شدد
قال هو اسم موضع عن يحيى بن سعيد أنه سمع سعيد بن المسيب يقول كان إبراهيم خليل الرحمن أول الناس ضيف الضيف وأول
الناس قص شاربه وأول الناس رأى الشيب فقال يا رب ما هذا قال الرب تبارك وتعالى وقار يا إبراهيم قال رب زدني وقارا
أخرجه مالك في الموطأ وقيل في الكلمات إنها مناسك الحج وقيل ابتلاه الله تعالى بسبعة أشياء بالكوكب والقمر والشمس فحسن
النظر فيهن وبالنار والهجرة وذبح ولده والختان فصبر عليها وقيل إن الله اختبر إبراهيم بكلمات أوحاها إليه وأمره
أن يعمل بهن فأتمهن أي أداهن حق التأدية وقام بموجبهن حق القيام وعمل بهن من غير تفريط وتوان ولم ينقص
منهن شيئا واختلفوا هل كان هذا الابتلاء قبل النبوة أو بعدها فقيل كان قبل النبوة بدليل قوله في سياق الآية إني جاعلك
للناس إماما والنبي يتقدم على المنبي وقيل بل كان هذا الابتلاء بعد النبوة لأن التكليف لا يعلم إلا من جهة الوحي
الإلهي وذلك بعد النبوة والصواب أنه إن فسر الابتلاء بالكوكب والقمر والشمس كان ذلك قبل النبوة وإنه إن فسر بما
وجب عليه من شرائع الدين كان ذلك بعد النبوة وقوله تعالى قال إني جاعلك للناس إماما أي يقتدى بك
في الخير ويأتمون بسنتك وهديك والإمام هو الذي يؤتم به قال وإبراهيم واجعل من ذريتي
وأولادي أئمة يقتدى بهم قال الله لا ينال أي لا يصيب عهدي أي نبوتي وقيل الإمامة الظالمين يعني من
ذريتك والمعنى لا ينال إمامة هديت إليك بعد النبوة والإمامة من كان ظالما من ذريتك وولدك قوله تعالى وإذ جعلنا
البيت يعني البيت الحرام وهو الكعبة ويدخل فيه الحرم فإنه تعالى وصفه بكونه أمنا وهذا لصفة جميع الحرم مثابة
للناس أي مرجعا من ثاب يثوب إذا رجع والمعنى يثوبون إليه من كل جانب يحجونه وأمنا أي موضعا إذا من يأمون
فيه من أذى المشركين فإنهم كانوا لا يتعرضون لأهل مكة ويقولون هم أهل الله وقال ابن عباس ومعاذ ومجاهد عن ابن عباس
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمة الله
إلى يوم القيامة وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي ولم يحل لي إلا ساعة من نهار فهو حرام بحرمة الله تعالى إلى يوم القيامة
لا يعضد شوكه ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها ولا يختلى خلاه فقال العباس يا رسول الله إلا الإذخر
فإنه لقينهم وبيوتهم فقال إلا الإذخر معنى الحديث أنه لا يحل لأحد أن ينصب القتال والحرب في الحرم وإنما حل ذلك
لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة فقط ولا يحل لأحد بعده وقوله لا يعضد شوكه أي لا يقطع شوك الحرم وإن أراد
به ما لا يؤذي فأما المؤذي منه كالعوسج فلا بأس بقطعه قوله ولا ينفر صيده أي لا يتعرض له بالاصطياد ولا بالإيحاش
قوله ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها أي نشدها والتشديد رفع الصوت بالتعريف واللقطة في جميع الأرض لا تحل إلا
لمن يعرفها حولا فإن جاء صاحبها أخذها وإلا انتفع بها الملتقط بشرط الضمان وحكم مكة في اللقطة أن يعرفها على
الدوام بخلاف غيرها من البلاد فإنه محدود بسنة قوله ولا يختلى خلاه الخلاء مقصور الرطب من النبات الذي يرعى
وقيل هو اليابس من الحشيش وخلاه قطعه قوله لقينهم القين الحداد قوله عز وجل واتخذوا من مقام إبراهيم

فقالت خرج يبتغي لنا قال كيف أنتم وسألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت نحن بخير وسعة وأثنت على الله عز وجل فقال
ما طعامكم قالت اللحم قال فما شرابكم قالت الماء قال اللهم بارك لهم في اللحم والماء قال النبي صلى الله عليه وسلم
ولم يكن لهم يومئذ حب ولو كان لهم حب دعا لهم فيه قال فهما لا يخلو عليهما أحد بغير مكة إلا لم توافقاه وفي رواية
فحانت فقال أين إسمعيل فقالت امرأته ذهب يصيد فقالت امرأة ألا تنزل فتطعم وتشرب قال وما طعامكم وما شرابكم
قالت طعامنا اللحم وشرابنا الماء قال اللهم بارك لهم في طعامهم وشرابهم قال فقال أبو القاسم بركة دعوة إبراهيم
قال فإذا زوجك قوي عليه السلام ومريه يثبت عتبة بابه فلما جاء إسمعيل قال هل أتاكم من أحد قالت نعم
أتانا شيخ حسن الهيئة وأثنت عليه فسألني عنك فأخبرته فسألني كيف عيشنا فأخبرته أنا في خير قال فأوصاك
بشيء قالت نعم يقرأ عليك السلام ويأمرك أن تثبت عتبة بابك قال ذاك أبي وأنت العتبة أمرني أن أمسكك
ثم ليث عنهم ما شاء الله ثم جاء بعد ذلك وإسمعيل يبري نبلا تحت دوحة قريبا من زمزم فلما رآه قام إليه فصنعا
كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد ثم قال يا إسمعيل إن الله أمرني بأمر قال فاسمع ما أمر ربك قال وتعينني قال و
أعينك قال فإن الله أمرني أن أبني بيتا ها هنا وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها فعند ذلك رفع القواعد من البيت
فجعل إسمعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني حتى إذا ارتفع البناء جاء إبراهيم بهذا الحجر فوضعه له فقام عليه وهو يبني
وإسمعيل يناوله الحجارة وهما يقولان ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم قال فجعلا يبنيان حتى يدورا حول البيت
وهما يقولان ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم وفي رواية حتى إذا ارتفع البناء وضعف الشيخ عن نقل الحجارة قام
على حجر المقام فجعل يناوله الحجارة وهو يقول ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم وقيل إن امرأة إسمعيل قالت لإبراهيم
انزل اغسل رأسك فلم ينزل فجاءته بالمقام فوضعته عن شقه الأيمن فوضع قدمه عليه فغسلت شق رأسه الأيمن
ثم حولته إلى شقه الأيسر فغسلت شق رأسه الأيسر فبقي أثر قدميه عليه عن عبد الله بن عمرو بن العاص
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما
ولو لم يطمس نورهما لأضاءا ما بين المشرق والمغرب أخرجه الترمذي وقال هذا يروى عن ابن عمر موقوفا
واختلفوا في قوله مصلى فمن فسر المقام بمشاهد الحج ومشاعره قال مصلى مدعى من الصلاة التي هي الدعاء
ومن فسر المقام بالحجر قال معناه واتخذوا من مقام إبراهيم قبلة أمروا بالصلاة عنده وهذا القول هو
الصحيح لأن لفظ الصلاة إذا أطلق لا يعقل منه إلا الصلاة المعهودة ذات الركوع والسجود ولأن مصلى
الحجر هو الذي يصلى فيه **وعهدنا إلى إبراهيم وإسمعيل** أي أمرناهما وألزمناهما وأوحينا
عليهما قيل إنما سمي إسمعيل لأن إبراهيم كان يدعو الله أن يرزقه ولدا ويقول في دعائه يا إيل ويا إيل بلسان السريانية
هو الله فلما رزقوا الولد سماه به **أن طهرا بيتي** يعني الكعبة أضافه إليه تشريفا وتفضيلا وتخصيصا
أي ابنياه على الطهارة والتوحيد وقيل طهراه من سائر الأقذار والأنجاس وقيل طهراه من الشرك
والأوثان وقيل الزور **للطائفين** يعني الدائرين حوله **والعاكفين** يعني المقيمين به المجاورين لله
والركع السجود جمع راكع وساجد وهم المصلون وقيل الطائفين الغرباء الواردين إلى مكة والعاكفين
يعني أهل مكة المقيمين بها قيل إن الطواف للغرباء أفضل والصلاة لأهل مكة بمكة أفضل قوله تعالى
وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا إشارة إلى مكة وقيل إلى الحرم **بلدا آمنا** أي ذا أمن
يأمن فيه أهله وإنما دعا إبراهيم لهم بالأمن لأنه بلد ليس فيه زرع ولا ثمر فإذا لم يكن آمنا لم يجلب إليه
شيء من النواحي فيتعذر المقام به فأجاب الله تعالى دعاء إبراهيم وجعله بلدا آمنا فما قصده جبار إلا قصمه الله
تعالى كما فعل بأصحاب الفيل وغيرهم من الجبابرة فإن **قلت** قد عز أمكة الحجاج وأخرب الكعبة **قلت**

مصلى قيل الحرم كله مقام إبراهيم وقيل أراد بمقام إبراهيم جميع مشاهد الحج مثل عرفة والمزدلفة والرمي وسائر المشاهد
والصحيح أن مقام إبراهيم هو الحجر الذي يصلى عنده الأئمة وذلك الحجر هو الذي قام إبراهيم عليه عند بناء البيت وقيل كان أثر
رجل إبراهيم عليه السلام فيه فاندرست بكثرة المسح بالأيدي وقيل إنما أمروا بالصلاة عنده ولم يؤمروا بمسحه وتقبيله
ق عن أنس بن مالك قال قال عمر وافقت ربي في ثلاث قلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى فنزلت
واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى الحديث وكان بدو قصة المقام على ما رواه البخاري في صحيحه عن ابن عباس قال
ما اتخذت النساء المنطق من قبل أم إسمعيل اتخذت منطقا لتعفي أثرها على سارة ثم جاء بها إبراهيم وبابنها إسمعيل
وهي ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم في أعلا المسجد وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء
فوضعهما هناك ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفى إبراهيم منطلقا فتبعته أم إسمعيل فقالت
يا إبراهيم إلى أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنيس ولا شيء فقالت له ذلك مرارا وجعل لا يلتفت إليها
فقالت له آلله أمرك بهذا قال نعم قالت إذا لا يضيعنا ثم رجعت فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث
لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوات فرفع يديه وقال رب إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع
حتى بلغ يشكرون وجعلت أم إسمعيل ترضع إسمعيل وتشرب من ذلك الماء حتى إذا نفد ما في السقاء عطشت وعطش
ابنها وجعلت تنظر إليه يتلوى أو قال يتلبط فانطلقت كراهية أن تنظر إليه فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض
يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحدا فلم تر أحدا فهبطت من الصفا حتى بلغت الوادي
رفعت طرف درعها سعت سعي الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادي ثم أتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى
أحدا فلم تر أحدا ففعلت ذلك سبع مرات قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم فلذلك سعي الناس بينهما فلما
أشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت صه تريد نفسها ثم تسمعت فسمعت أيضا فقال قد أسمعت إن كان عندك غواث
فإذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه أو قال بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا و
جعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعد ما تغرف قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله أم إسمعيل
لو تركت زمزم أو لم تغرف من الماء لكانت زمزم عينا معينا فشربت وأرضعت ولدها فقال لها الملك لا تخافوا
الضيعة فإن ها هنا بيتا لله يبنيه هذا الغلام وأبوه وإن الله لا يضيع أهله وكان البيت مرتفعا من الأرض
كالرابية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وعن شماله فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم أو أهل بيت من
جرهم مقبلين من طريق كداء فنزلوا في أسفل مكة فرأوا طائرا عائفا فقالوا إن هذا الطائر ليدور على الماء لعهدنا
بهذا الوادي وما فيه ماء فأرسلوا جريا أو جريين فإذا هم بالماء فرجعوا فأخبروهم فأقبلوا وأم إسمعيل عند الماء
فقالوا أتأذنين لنا أن ننزل عندك قالت نعم ولكن لا حق لكم في الماء قالوا نعم قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه
وسلم فألفى ذلك أم إسمعيل وهي تحب الإنس فنزلوا وأرسلوا إلى أهليهم فنزلوا معهم حتى إذا كانوا بها أهل أبيات منهم
ونشأ الغلام وتعلم العربية منهم وأنفسهم وأعجبهم حين شب فلما أدرك زوجوه امرأة منهم وماتت أم إسمعيل
فجاء إبراهيم بعد ما تزوج إسمعيل يطالع تركته فلم يجد إسمعيل فسأل امرأته عنه فقالت خرج يبتغي لنا وفي رواية
ذهب يصيد لنا ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت نحن بشر نحن في ضيق وشدة وشكت إليه قال إذا
أتى زوجك اقرئي عليه السلام وقولي له يغير عتبة بابه فلما جاء إسمعيل كأنه آنس شيئا فقال هل جاءكم من أحد قالت
نعم جاءنا شيخ كذا وكذا فسألنا عنك فأخبرته فسألني كيف عيشنا فأخبرته أنا في جهد وشدة قال فهل أوصاك
بشيء قالت نعم أمرني أن أقرأ عليك السلام ويقول غير عتبة بابك قال ذاك أبي وقد أمرني أن أفارقك الحقي بأهلك
فطلقها وتزوج منهم أخرى فلبث عنهم إبراهيم ما شاء الله أن يلبث ثم أتاهم بعد فلم يجده فدخل على امرأته فسأل عنه

لم يكن قصده بذلك مكة ولا اهلها ولا اخراب الكعبة وانما كان قصده خلع ابن الزبير من الخلافة ولم يتمكن من ذلك الا بذلك
فلما حصل قصده اعاد بناء الكعبة قبناها وشيدها وعظم حرمتها واحسن الى اهلها واختلفوا هل كانت مكة محرمة
قبل دعوة ابراهيم عليه السلام او حرمت بدعوته على قولين احدهما انها كانت محرمة قبل دعوته بدليل قوله صلى الله عليه
وسلم ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض وقول ابراهيم عليه السلام اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع
عند بيتك المحرم فهذا يقتضي ان مكة كانت محرمة قبل دعوة ابراهيم بدليل قوله صلى الله عليه وسلم ان ابراهيم حرم مكة
واني حرمت المدينة وهذا يقتضي ان مكة كانت قبل دعوة ابراهيم حلالا وغيرها من البلاد وانما حرمت بدعوة ابراهيم
ووجه الجمع بين القولين وهو الصواب ان الله تعالى حرم مكة يوم خلقها كما اخبر النبي صلى الله عليه وسلم في قوله
ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض ولكن لم يظهر ذلك على لسان احد من انبيائه ورسله وانما كان تعالى
يمنعها ممن اراد بها سوءا يدفع عنها وعن اهلها الافات والعقوبات فلم يزل ذلك من امرها حتى بوأها الله تعالى
ابراهيم واسكن بها اهله فحينئذ سأل ابراهيم ربه عز وجل ان يظهر تحريم مكة لعباده على لسانه فاجاب الله دعوته
والزم عباده تحريمها فصارت مكة حراما بدعوة ابراهيم وفرض على الخلق تحريمها والامتناع من استحلالها واستحلال
صيدها او شجرها فهذا وجه الجمع بين القولين وهو الصواب والله اعلم **وارزق اهله من الثمرات** انما سأل ابراهيم
ذلك لان مكة لم يكن بها زرع ولا ثمر فاستجاب الله تعالى له وجعل مكة حراما امنا يجبى اليه ثمرات كل شيء **من آمن**
منهم بالله واليوم الآخر يعني ارزق المؤمنين من اهله خاصة **وسبب** هذا التخصيص ان ابراهيم عليه السلام
لما سأل ربه عز وجل ان يجعل النبوة والامامة في ذريته فاجابه بقوله لا ينال عهدي الظالمين فصار ذلك تأديبا له فقال
جرم خصها هنا بدعاية المؤمنين دون الكافرين ثم اعلمه ان الرزق في الدنيا يستوي فيه المؤمن والكافر بقوله **قال**
ومن كفر فامتعه قليلا اي سأرزق الكافر ايضا **ثم اضطره الى عذاب النار** اي الجئه واكرهه
وادفعه الى عذاب النار والمضطر هو الذي لا يملك لنفسه الامتناع مما اضطر اليه **وبئس المصير** اي وبئس الكافر
الذي يصير اليه الكافر وهو العذاب قوله عز وجل **واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل**
وكانت قصة بناء البيت على ما ذكره العلماء واصحاب السير ان الله خلق موضع البيت قبل ان يخلق الارض بالفي عام فكانت
زبدة بيضاء على وجه الماء فدحيت الارض من تحتها فلما اهبط الله آدم عليه السلام الى الارض استوحش فشكى الى الله تعالى
فانزل الله البيت المعمور وهو من ياقوتة من ياقوت الجنة له بابان من زمرد اخضر باب شرقي وباب غربي فوضعه على موضع
البيت وقال يا آدم اني اهبطت لك بيتا تطوف به كما يطاف حول عرشي وتصلي عنده كما يصلى عند عرشي وانزل عليه الحجر
الاسود وكان ابيض فاسود من مس الحيض في الجاهلية فتوجه آدم من الهند ماشيا الى مكة وارسل الله ملكا يدله
على البيت فحج آدم البيت واقام المناسك فلما فرغ تلقته الملائكة وقالوا له بر حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت
قبلك بالفي عام قال ابن عباس حج آدم اربعين حجة من الهند الى مكة على رجليه فكان على ذلك الى ايام الطوفان
فرفعه الله الى السماء الرابعة وهو البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون الف ملك ثم لا يعودون اليه ووتعت الله جبريل
حتى خبأ الحجر الاسود في جبل ابي قبيس صيانة له من الغرق فكان موضع البيت خاليا الى زمن ابراهيم عليه السلام ثم ان الله
تعالى امر ابراهيم بعد ما ولد اسمعيل واسحق ببناء بيت يذكر فيه ويعبد فسأل الله ان يبين له موضعه فبعث الله السكينة
لتدله على موضع البيت وهي ريح خجوج لها رأسان تشبه الحية والخجوج من الرياح هي الشديدة السريعة الهبوب
وقيل هي المتلوية في هبوبها وامر ابراهيم ان يبني حيث تستقر السكينة فتبعها ابراهيم حتى اتت موضع البيت
فتطوقت عليه كتطويق الحجفة وقال ابن عباس بعث الله سحابة على قدر الكعبة فجعلت تسير وابراهيم يمشي في ظلها
الى ان وقفت على موضع البيت ونودي منها يا ابراهيم ابن على قدر ظلها لا تزد ولا تنقص وقيل ان الريح كنست

له ما حول الكعبة حتى ظهر له اساس البيت الاول فذلك قوله تعالى واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت فبنى ابراهيم واسمعيل
البيت فكان ابراهيم يبنيه واسمعيل يناوله الحجارة فذلك قوله تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد جمع قاعدة وهي اس
البيت وقيل جدره من البيت قال ابن عباس بنى ابراهيم البيت من خمسة اجبل من طور سيناء وطور زيتا ولبنان جبل
بالشام والجودي جبل بالجزيرة وبنا قواعده من حراء جبل بمكة فلما انتهى ابراهيم الى موضع الحجر الاسود قال لاسمعيل ائتني
بحجر حسن يكون للناس علما فاتاه بحجر فقال ائتني باحسن منه فمضى اسمعيل ليطلب حجرا احسن منه فصاح ابو قبيس يا ابراهيم
ان لك عندي وديعة فخذها فقذف بالحجر الاسود فاخذه ابراهيم فوضعه مكانه وقيل ان الله تعالى امد ابراهيم واسمعيل
بسبعة املاك يعينونهما في بناء البيت فلما فرغا من بنائه البيت قالا **ربنا تقبل منا** وفي الآية اضمار تقديره ويقولان ربنا
تقبل منا اي ما عملنا لك وتقبل طاعتنا اياك وعبادتنا لك **انك انت السميع** اي لدعائنا **العليم** يعني بنياتنا
قوله تعالى **ربنا واجعلنا مسلمين لك** يعني موحدين مخلصين مطيعين خاضعين لك **فان قلت**
الاسلام امّا ان يكون المراد منه الدين والاعتقاد والاستسلام والانقياد وقد كانا كذلك حالة هذا الدعاء فما
فائدة هذا الطلب **قلت** فيه وجهان احدهما ان الاسلام عرض قائم بالقلب وقد لا يبقى فقوله واجعلنا مسلمين
لك يعني في المستقبل وذلك لانا في الحال لا نعلم حصوله والوجه الثاني يحتمل ان يكون المراد منه طلب الزيادة في الايمان
فكانهما طلبا زيادة اليقين والتصديق وذلك لانا في حصوله في الحال **ومن ذريتنا** اي ومن اولادنا **امة**
اي جماعة **مسلمة** اي خاضعة منقادة **لك** وانما ادخل من التي هي للتبعيض لان الله تعالى اعلمهما بقوله
لا ينال عهدي الظالمين ان في ذريتهما الظالم فلهذا خص بعض الذرية بالدعاء **فان قلت** لم خص ذريتهما بالدعاء
قلت لانهم احق بالشفقة والنصيحة قال الله تعالى قوا انفسكم واهليكم نارا ولان اولاد الانبياء اذا
صلحوا صلح بهم غيرهم الا ترى ان المتقدمين من العلماء والكبراء اذا كانوا على السداد كيف يتسيون لسداد من
وراءهم وقيل اراد بالامة امة محمد صلى الله عليه وسلم بدليل قوله وابعث فيهم رسولا منهم **وارنا** اي علمنا
وبصرنا **مناسكنا** اي شرائع ديننا واعلام حجنا وقيل مناسكنا يعني مذابحها والنسك الذبيحة وقيل متعبدنا
واصل النسك العبادة والناسك العابد فاجاب الله دعاءهما وبعث جبريل فاراهما المناسك في يوم عرفة فلما بلغ
عرفات قال عرفت يا ابراهيم قال نعم فسمي ذلك الوقت عرفة والموضع عرفات **وتب علينا** اي وتجاوز عنا
انك انت التواب المتجاوز عن عباده **الرحيم** بهم واحتج بقوله وتب علينا من جوز الذنوب على الانبياء
ووجهه ان التوبة لا تطلب الا بعد تقدم الذنب قلنا لا نسلم ان تقدم الذنب لم يكن لطلب التوبة وجه واجيب عنه بان
العبد وان اجتهد في طاعة ربه عز وجل فانه لا ينفك عن تقصير في بعض الاوقات امّا على سبيل السهو او ترك الاولى
والافضل فكان هذا الدعاء لاجل ذلك وقيل يحتمل ان الله تعالى لما اعلم ابراهيم ان في ذريته من هو ظالم لم يقل اجعل من ذريتي
التوبة لاولئك الظلمة والمعنى تب على الظلمة ممن اولادنا حتى يرجعوا الى طاعتك فيكون ظاهر الكلام الدعاء
لانفسهما والمراد ذريتهما وقيل يحتمل انهما لما رفعا قواعد البيت وكان ذلك المكان احرى الاماكن بالاجابة فدعوا
الله تعالى بذلك الدعاء ليجعلا ذلك سنة ويقتدي من بعدهما بهما في ذلك الدعاء لان [illegible] ذلك المكان هو موضع
التنصل من الذنوب وسؤال التوبة والمغفرة من الله تعالى قوله عز وجل **ربنا وابعث فيهم رسولا منهم**
يعني وابعث في الامة المسلمة او الذرية وهم العرب من ولد اسمعيل ان ابراهيم عليهما السلام وقوله رسولا منهم
يعني يدعوهم الى الاسلام ويكمل الدين والشرع واذا كان الرسول منهم عرفوا نسبه ومولده ومنشأه كان اقرب
لقبول قوله ويكون هو اشفق عليهم من غيره واجمع المفسرون على ان المراد بقوله رسولا منهم محمد صلى الله عليه وسلم
لان ابراهيم عليه السلام انما دعا لذريته وهو بمكة ولم يبعث من ذريته غير محمد صلى الله عليه وسلم فدل على ان المراد

هذا ان الله تعالى اوحى الى داود اعرف نفسك اعرفني قال يا رب كيف اعرف نفسي وكيف اعرفك قال اعرف نفسك بالضعف
والعجز والفناء اعرفني بالقدرة والقوة والبقاء **ولقد اصطفيناه** اي اخترناه **في الدنيا وانه في الاخرة**
لمن الصالحين يعني الفائزين وقيل مع الانبياء في الجنة **اذ قال له ربه اسلم** اي استقم على الاسلام
واثبت عليه لانه كان مسلما لان الانبياء انما نشاؤا على الاسلام والتوحيد قال ابن عباس قال له ذلك حين
خرج من السرب وذلك عند استدلاله بالكوكب والقمر والشمس واطلاعه على امارات الحدوث فيها وافقارها
الى محدث مدبر فلما عرف ذلك قال له ربه اسلم **قال اسلمت لرب العالمين** قال ابراهيم خضعت
بالطاعة واخلصت العبادة لمالك الخلايق ومدبرها ومحدثها وقيل معنى اسلم اخلص دينك وعبادتك لله
واجعلها سليمة وقيل الايمان من صفات القلب والاسلام من صفة الجوارح وان ابراهيم كان مؤمنا بقلبه عارفا
بالله فامره ان يعمل بجوارحه وقيل معناه اسلم نفسك الى الله تعالى وفوض امرك اليه قال اسلمت اي فوضت امري
لرب العالمين قال ابن عباس وقد حقق ذلك حيث لم يستغث باحد من الملايكة حين القي في النار قوله عز وجل
ووصى بها ابراهيم بنيه يعني بكلمة الاخلاص وهي لا اله الا الله ويقال بالسنة الحنيفية وكان
ابراهيم ثمانية اولاد اسمعيل وامه هاجر اسحق وامه سارة ومدين ومدان ونفيان وزمران ويشق وشوخ
وامهم قطورا بنت يقطن الكنعانية تزوجها ابراهيم حين وفاة سارة **فان قلت** لم قال ووصى بها ابراهيم بنيه
ولم يقل امرهم **قلت** لان لفظ الوصية اوكد من لفظ الامر لان الوصية انما تكون عند الخوف من الموت وفي ذلك
الوقت يكون احتياط الانسان لولده اشد واغلظ وكانوا لهم الى قبول وصيته اقرب وانما خص بنيه بهذه الوصية لان
شفقة الرجل على بنيه اكثر من شفقته على غيره وقيل لانهم كانوا ائمة يقتدى بهم فكان صلاحهم صلاحا لغيرهم
ويعقوب اي ووصى يعقوب بمثل ما وصى به ابراهيم وسمي يعقوب لانه ولد عقيب اخيه وكان له من الولد اثنى عشر وهم رؤبيل وشمعون
ولاوي ويهوذا وزبالون ويشخر ودان ونفتالي وجاد واشر ويوسف وبنيامين ثم خاطب يعقوب بنيه فقال
يا بني ان الله اصطفى لكم الدين اي اختار لكم دين الاسلام **فلا تموتن الا وانتم مسلمون**
اي موتوا على هذا الدين مخلصين والمعنى دوموا على الاسلام حتى ياتيكم الموت وانتم مسلمون لانه لا يعلم في اي وقت ياتي الموت
على الانسان وقيل في معنى وانتم مسلمون اي محسنون الظن بالله عز وجل يدل عليه ما روي عن جابر قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلاثة ايام يقول لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بربه اخرجاه في الصحيحين
قوله تعالى **ام كنتم شهداء** جمع شهيد وهو بمعنى الحاضر اي ما كنتم حاضرين **اذ حضر يعقوب الموت**
اي حين احتضر وقرب من الموت نزلت في اليهود وذلك انهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم الا تخبرنا يوم مات اوصى
بنيه باليهودية فانزل الله هذه الاية يكذبهم والمعنى ان كنتم يا معشر اليهود شهود على يعقوب اذ حضره الموت
اي انكم لم تحضروا ذلك فلا تدعوا على انبياء ورسلي الا باطيل وتنسبوهم الى اليهودية فاني ما ابتعثت خليلي
ابراهيم وولده واولادهم الا بدين الاسلام وبذلك وصوا اولادهم وبه عهدوا اليهم ثم بين ما قال ليعقوب لبنيه
فقال تعالى **اذ قال** يعني يعقوب **لبنيه** يعني لاولاده الاثنى عشر **ما تعبدون من بعدي** اي اي شيء
تعبدون من بعدي قيل ان الله تعالى لم يقبض نبيا حتى يخيره بين الموت والحياة فلما خير يعقوب وكان قد راى اهل
مصر يعبدون الاوثان والبيانا ذقال انظروني حتى اسئل ولدي واوصيهم فامهله فجمع ولده وولد ولده وقال
لهم قد حضر اجلي ما تعبدون من بعدي **قالوا نعبد الهك واله اباءك ابراهيم واسمعيل واسحق**
انما قدم اسمعيل لانه كان اكبر من اسحق وادخله في جملة الاباء وان كان عمهم لان العرب تسمي العم ابا

والحالة امّا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عمّ الرجل صنو ابيه وقال في عمّ العبّاس ردّوا علي ابي الها واحدا ونحن
له مسلمون اي مخلصون العبودية **تلك امّة** اشارة الى الامّة المذكورة يعني ابراهيم واسمعيل واسحق
ويعقوب وولدهم **قد خلت** اي مضت لسبيلها والمعنى يا معشر اليهود والنصارى دعواكم ابراهيم واسمعيل
واسحق والمسلمين من اولادهم ولا تقولوا عليهم ما ليس فيهم **لها ما كسبت** يعني من العمل **ولكم** يا معشر اليهود
والنصارى **ما كسبتم** اي من العمل **ولا تسئلون عمّا كانوا يعملون** يعني كلّ وتيتسال عن عمله لا عن
عمل غيره وقوله عزّ وجلّ **وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا** قال ابن عبّاس نزلت في رؤساء اليهود
كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف ووهب بن يهوذا وابي ياسر بن اخطب وفي نصارى نجران السيّد والعاقب
واصحابهما وذلك انّهم خاصموا المؤمنين في الدين فكلّ فريق منهم زعم انّه احقّ بدين الله فقالت اليهود بيننا موسى افضل
الانبياء وكتابنا التوراة افضل الكتب ودينا افضل الاديان وكفروا بعيسى والانجيل ومحمّد صلى الله عليه وسلم وقالت
النصارى كذلك وقال كلّ واحد من الفريقين للمؤمنين كونوا على ديننا فقال الله عزّ وجلّ
قل يعني يا محمّد **بل ملّة ابراهيم** يعني اذا كان لا بدّ من الاتباع فنتبع ملّة ابراهيم لانّه مجمع على فضله **حنيفا**
اصله من الحنف وهو ميل واعوجاج يكون في القدم قال ابن عبّاس الحنيف هو المائل عن الاديان كلّها الى الاسلام
قال الشاعر
ولكنّا خلقنا اذ خلقنا ... حنيفا دينا عن كلّ دين
والعرب تسمّي كلّ من حجّ او اختتن حنيفا تنبيها
على انّه على دين ابراهيم وقيل الحنيفيّة الختان واقامة المناسك مسلما يعني الحنيفيّة هي دين الاسلام وهو دين ابراهيم
عليه السلام **وما كان من المشركين** يعني ابراهيم وفيه تعريض لليهود والنصارى وغيرهم ممّن يدّعي اتباع ملّة ابراهيم
وهو على الشرك ثمّ علّم المؤمنين طريق الايمان فقال تعالى **قولوا امنّا بالله** يعني قولوا ايّها المؤمنون هؤلاء
والنصارى الذين قالوا لكم كونوا هودا او نصارى تهتدوا امنّا بالله اي صدّقنا بالله **وما انزل الينا** يعني القرآن
وما انزل الى ابراهيم اي وامنّا بما انزل الى ابراهيم وهي عشر صحائف **واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط** وهم
اولاد يعقوب الاثنى عشر واحدهم سبط وكانوا انبياء وقيل السبط هو ولد الولد وهو الحافد ومنه قيل للحسن والحسين
سبطا رسول الله صلى الله عليه وسلم والاسباط في بني اسرائيل كالقبائل في العرب من بني اسمعيل وكان في الاسباط انبياء
وما اوتي موسى يعني التوراة **و** ما اوتي **عيسى** يعني الانجيل **وما اوتي النبيّون من ربّهم**
والمعنى امنّا ايضا بالتوراة والانجيل والكتب التي اوتي جميع النبيّين وصدّقنا انّ ذلك كلّه حقّ وهدى ونور
وانّ الجميع من عند الله وانّ جميع من ذكر الله من انبيائه كانوا على هدى حقّ **لا نفرّق بين احد منهم**
اي لا نؤمن ببعض الانبياء ونكفر ببعض كما تبرّأت اليهود من عيسى ومحمّد صلى الله عليهما وسلم واقرّت ببعض الانبياء
وكما تبرّأت النصارى من محمّد صلى الله عليه وسلم واقرّت ببعض الانبياء بل نؤمن بكلّ الانبياء وانّ جميعهم كانوا
على حقّ وهدى **ونحن له مسلمون** اي ونحن لله تعالى خاضعون بالطاعة منقادون له بالعبوديّة ح عن ابي هريرة
قال كان اهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانيّة ويفسّرونها بالعربيّة لاهل الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تصدّقوا اهل الكتاب ولا تكذّبوهم وقولوا امنّا بالله وما انزل الينا الآية قوله تعالى **فان امنوا** يعني اليهود والنصارى
بمثل ما امنتم به اي بما امنتم به ومثل صلة فهو كقوله ليس كمثله شيء اي ليس مثله شيء وقيل فان توابما
كايمانكم وتوحيدكم **فقد اهتدوا** والمعنى ان حصلوا دينا آخر مثل دينكم في الصحّة والسداد فقد اهتدوا
لكن لمّا استحال ان يوجد دين آخر يساوي هذا الدين في الصحّة والسداد استحال الاهتداء بغيره لان هذا الدين مبناه
على التوحيد والايمان بكلّ الانبياء وما انزل اليهم وقيل معناه فان امنوا بكتابكم كما امنتم بكتابهم فقد اهتدوا **وان**
تولّوا اي اعرضوا **فانّما هم في شقاق** اي في خلاف ومنازعة وقيل في عداوة ومحاربة وقيل في ضلال واصله

من الشق

من الشق كانّه صار في شق غير شق صاحبه بسبب عداوته وقيل هو من المشقّة لانّ كلّ واحد منهما يحرص على ما يشقّ على
صاحبه ويؤذيه **فسيكفيكهم الله** اي يكفيك الله يا محمّد شرّ اليهود والنصارى وهو ضمان من الله تعالى
لاظهار رسوله صلى الله عليه وسلم لانّه اذا اتّصل بنبيّ اخبره وهو اخبار بغيب فيه معجزة للنبيّ صلى الله عليه وسلم
وقد اخرج الله ما وعده بقتل بني قريظة وسبيهم واجلاء بني النضير وضرب الجزية على اليهود والنصارى **وهو السميع**
لاقوالهم **العليم** باحوالهم يسمع جميع ما ينطقون به ويعلم بجميع ما يضمرون من الحسد والغلّ وهو مجازيهم
ومعاقبهم عليه قوله تعالى **صبغة الله** قال ابن عبّاس دين الله وانّما سمّاه صبغة لانّ اثر الدين يظهر على المتديّن
كما يظهر اثر الصبغ على الثوب وقيل فطرة الله وقيل سنّة الله وقيل اراد به الختان لانّه يصبغ المختّن بالدم قال ابن
عبّاس انّ النصارى اذا ولد لاحدهم مولود واتى عليه سبعة ايّام غمسوه في ماء لهم اصفر يسمّونه ماء المعموديّة
وصبغوه به ليطهّروه به مكان الختان فاذا فعلوا ذلك به قالوا الآن صار نصرانيّا حقّا فاخبر الله انّ دينه لا
لا ما تفعله النصارى **ومن احسن من الله صبغة** اي دينا وقيل تطهيرا لانّه يطهّر من وساخ الكفر
ونحن له عابدون اي مطيعون **قل** يعني يا محمّد لليهود والنصارى الذين قالوا ان ندين به و
امركم يا تباعهم **اتحاجّوننا في الله** اي اتخاصمونا وتجادلونا في دين الله الذي امرنا ان ندين به و
المحاجّة المجادلة لاظهار الحجّة وذلك انّهم قالوا ان ديننا اقدم من دينكم والانبياء منّا وعلى ديننا فنحن اولى بالله
منكم فامر الله المؤمنين بان يقولوا لهم اتحاجّوننا في الله **وهو ربّنا وربّكم** اي نحن وانتم في الله سواء انّه
ربّنا وربّكم **ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم** يعني انّ لكلّ احد جزاء عمله **ونحن له مخلصون** اي مخلصو
الطاعة والعبادة لله وفيه توبيخ لليهود والنصارى والمعنى وانتم به مشركون والاخلاص ان يخلط عبد دينه وعمله
لله تعالى فلا يشرك في دينه ولا يرائي بعمله قال الفضيل بن عياض ترك العمل من اجل النّاس رياء والعمل من اجل النّاس شرك
والاخلاص ان يعافيك الله عنهما وهذه الآية منسوخة بآية السيف قوله عزّ وجلّ **ام تقولون** يعني اليهود
والنصارى وهو استفهام ومعناه التوبيخ **انّ ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا**
او نصارى يعني انّ زعمون انّ ابراهيم وبنيه كانوا على دينكم وملّتكم وانّما حدثت النصرانيّة واليهوديّة
بعدهم فثبت كذبكم يا معشر اليهود والنصارى على ابراهيم وبنيه **قل** يا محمّد **ءانتم اعلم ام الله** اي الله
اعلم بذلك وقد اخبر انّ ابراهيم وبنيه لم يكونوا على اليهوديّة والنصرانيّة ولكن كانوا مسلمين حنفاء **ومن اظلم ممّن كتم**
يعني اخفى **شهادة عنده من الله** وهو علمهم بانّ ابراهيم وبنيه كانوا مسلمين وانّ محمّدا احقّ بنعته وصفته يجدونه
ذلك في كتبهم فكتموه وجحدوه والمعنى ومن اظلم ممّن كتم شهادة جاءته من عند الله فكتمها واخفاها **وما الله**
بغافل عمّا تعملون يعني من كتمانكم الحقّ فيما الزمكم به في كتابه من انّ ابراهيم وبنيه كانوا مسلمين حنفاء
وانّ الدين هو الاسلام لا اليهوديّة والنصرانيّة والمعنى وما الله بساه عن عملكم بل هو محصيه عليكم ثمّ
يعاقبكم عليه في الآخرة **تلك امّة قد خلت** يعني ابراهيم وبنيه **لها ما كسبت** اي جزاء ما كسبت
ولكم ما كسبتم اي جزاء ما كسبتم **ولا تسئلون عمّا كانوا يعملون** يعني انّ كلّ انسان انّما يسئل
يوم القيمة عن كسبه وعمله لا عن كسب غيره وعمله وفيه وعظ وزجر لليهود ولمن يتّكل على فضل الآباء وشرفهم
اي لا تتّكلوا على فضل الآباء فكلّ مؤاخذ بعمله وانّما كرّرت هذه الآية لانّه اذا اختلف مواطن الحجاج والمجادلة
حسن تكريره وتاكيده وقيل انّما كرّره تنبيها لليهود لئلّا يغترّوا بشرف آبائهم قوله تعالى **سيقول السفهاء**
من النّاس اي الجهّال من النّاس والسفه خفّة في النفس لنقصان العقل في الامور الدينيّة والدنيويّة ولا شكّ
انّ ذلك في باب الدين اعظم لانّ العاقل عن الامر الواضح في امر دنياه يعدّ سفيها فمن كان ذلك في امر دينه كان اولى

بهذا الاسم وإن كان فيه الا وهو سفيه وهذا اكثر حملها اللفظ على اليهود والمشركين والمنافقين فقيل نزلت هذه الآية
في اليهود وذلك انهم طعنوا في تحويل القبلة عن بيت المقدس الى الكعبة لانهم لا يرون النسخ وقيل نزلت في مشركي مكة وذلك
انهم قالوا قد تردد على محمد امره واشتاق مولده وقد توجه الى تحويلكم فلعله يرجع الى دينكم وقيل نزلت في المنافقين
وانما قالوا ذلك استهزاء بالاسلام وقيل يحتمل ان لفظ السفهاء للعموم فيدخل فيه جميع الكفار والمنافقين واليهود
ويحتمل وقوع هذا الكلام من كلهم اذ لا فائدة في التخصيص ولان الاعداء يا لفون في الطعن والقدح فاذا واحدوا مقالا قالوا
او محالا قالوا **ما ولاهم** يعني اي شيء صرفهم **عن قبلتهم التي كانوا عليها** يعني بيت المقدس والقبلة في الجهة
التي يستقبلها الانسان وانما سميت قبلة لان المصلي يقابلها وتقابله ولما قال السفهاء ذلك رد الله عليهم بقوله **قل**
لله المشرق والمغرب يعني ان له ظرفي المشرق والمغرب وما بينهما ملكا فلا يستحق شيء ان يكون لذاته قبلة
لان الجهات كلها شيء واحد وانما تصير قبلة لان الله هو الذي جعلها قبلة فلا اعتراض عليه وهو قوله **يهدي من يشاء**
يعني من عباده **الى صراط مستقيم** يعني الى جهة الكعبة وهي قبلة ابراهيم عليه السلام قوله عز وجل **وكذلك**
جعلناكم امة وسطا الكاف في قوله وكذلك كاف التشبيه جاء للتشبيه بر وفيه وجوه احدها انه معطوف على ما تقدم
من قوله في حق ابراهيم ولقد اصطفيناه في الدنيا وكذلك جعلناكم امة وسطا الثاني انه معطوف على قوله والله يهدي
من يشاء الى صراط مستقيم وكذلك هدينا كم وجعلناكم امة وسطا الثالث قيل معناه كما جعلنا قبلتكم وسطا بين
المشرق والمغرب كذلك جعلناكم امة وسطا يعني عدولا اخيارا وحيث الامور اوسطها قال زهير هم وسط يرضى الانام
بحكمهم اذا نزلت احدى الليالي بمعظم وقيل متوسطة والمعنى اهل دين وسط بين الغلو والتقصير لانهما مذمومان في
امر الدين لا كغلو النصارى في عيسى ولا كتقصير اليهود في الدين وهو تحريفهم وتبديلهم وسبب نزول هذه الآية
ان رؤساء اليهود قالوا للمعاذين جبل ما ترك محمد قبلتنا الا حسدا وان قبلتنا قبلة الانبياء ولقد علم محمد انا اعدل الناس
فقال معاذ انا على حق وعدل فانزل الله هذه الآية وروى ابو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم الا وان هذه الامة
توفى سبعين امة هي اخوها واخيرها واكرمها على الله عز وجل قوله تعالى **لتكونوا شهداء على الناس** يعني يوم القيمة
ان الرسل قد بلغتهم رسالات ربهم وقيل ان محمدا صلى الله عليه وسلم شهيد على من ترك الحق من الناس اجمعين **ويكون الرسول**
يعني محمدا صلى الله عليه وسلم **عليكم شهيدا** يعني عدلا مزكيا لكم وذلك ان الله تعالى يجمع الاولين والآخرين في صعيد واحد
ثم يقول لكفار الامم لعلكم تذبر فيكذبون ويقولون ما جاءنا من نذير فيسأل الله الانبياء عن ذلك فيقولون كذبوا قد بلغناهم فيسأل
للبينة وهو اعلم بهم اقامة للحجة فيقولون امة محمد صلى الله عليه وسلم فتشهد لنا فيؤتى بامة محمد صلى الله عليه وسلم
فيشهدون لهم انهم بلغوا فتقول الامم الماضية من اين علمتم وانما اتوا بعدنا فيسأل هذه الامة فيقولون ارسلت الينا
رسولا وانزلت عليه كتابا اخبرتنا فيه بتبليغ الرسل وانت صادق فيما اخبرت ثم توفى نبي محمد صلى الله عليه وسلم فيسأل
عن حال امته فيزكيهم ويشهد بصدقهم ح **عن ابي سعيد الخدري** قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاء بنوح وامته
يوم القيمة فيقال له هل بلغت فيقول نعم اي رب فيسأل امته هل بلغكم فيقولون ما جاءنا من نذير فيقال لنوح من يشهد لك
فيقول محمد وامته فيجاء بكم فتشهدون ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء
على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا زاد الترمذي وسطا قال عدلا قوله تعالى **وما جعلنا القبلة التي كنت عليها**
اي وما جعلنا صرفك عن القبلة التي كنت عليها وهي بيت المقدس وانما حذف ذكر الصرف اكتفاء بالاضافة اليه فقيل
معناه وما جعلنا القبلة التي كنت عليها وهي الكعبة **الا لنعلم من يتبع الرسول** فان قلت ما معنى قوله
الا لنعلم وهو عالم بالاشياء كلها قبل كونها **قلت** اراد به العلم الذي يتعلق به الثواب والعقاب فانه لا يتعلق بما هو عالم به
في الغيب انما يتعلق بما يوجد والمعنى الا لنعلم العلم الذي يستحق العامل عليه الثواب والعقاب وقيل العلم هنا بمعنى

الرؤية

٧ منسوخة وقيل معناه وما جعلنا القبلة التي كنت عليها ع

الرؤية اي لنرى ونميز من يتبع الرسول في القبلة **ممن ينقلب على عقبيه** وقيل معناه الا ليعلم رسلي وحزبي
واوليائي ومن المؤمنين من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وكان من شان العرب اضافة ما فعله الاتباع الى الكبير
كقولهم فتح عمر العراق وحيى خراجها وانما فعل ذلك اتباعه عن امره وقيل انما قال الا ليعلم وهو يعلم ذلك قبل كونه
على وجه الرفق بعباده ومعناه الا لتعلموا انتم اذ كنتم جهالا به قبل كونه فاضاف العلم الى نفسه رفقا بعباده
المخاطبين وقيل معناه لنعلمها لانه تعالى سبق في علمه ان تحويل القبلة سبب هداية قوم وضلالة اخرين ومعنى من
يتبع الرسول اي يطيعه في امر القبلة وتحويلها ممن ينقلب على عقبيه اي يرجع الى ما كان عليه من الكفر فيرتد وفي الحديث
انه لما تحولت القبلة الى الكعبة ارتد قوم الى اليهودية وقالوا رجع محمد الى دين ابائه **وان كانت** اي وقد كانت
لكبيرة يعني تولية القبلة تفعيلة شاقة وقيل هي التولية من بيت المقدس الى الكعبة وقيل الكبيرة هي القبلة
التي وجهه اليها قبل التحويل وهي بيت المقدس وانت الكبيرة لتباين القبلة وقيل لتباين التولية **الا على الذين**
هدى الله يعني الصادقين في اتباع الرسول **وما كان الله ليضيع ايمانكم** يعني صلاتكم الى بيت المقدس
وذلك ان حيي بن اخطب واصحابه من اليهود قالوا للمسلمين اخبرونا عن صلاتكم الى بيت المقدس ان كانت على هدى
فقد تحولتم عنه وان كانت على ضلالة فقد دنتم الله بها مدة ومن مات عليها فقد مات على ضلالة فقال
المسلمون ايما الهدى فيما امر الله به والضلالة فيما نهى الله عنه قالوا فما شهادتكم على من مات منكم على قبلتنا
وكان قد مات قبل ان تحول القبلة الى الكعبة اسعد بن زرارة من بني النجار والبراء بن معرور من بني سلمة وكانا
من النقباء ورجال الخزرج فانطلق عشائرهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله قد صرفك الله الى قبلة
ابراهيم فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يصلون الى بيت المقدس فانزل الله وما كان الله ليضيع ايمانكم يعني صلاتكم
الى بيت المقدس **ان الله بالناس لرؤف رحيم** يعني لا يضيع اجورهم والرأفة اخص من الرحمة وارق وقيل الرأفة
اشد من الرحمة وقيل الرأفة الرحمة وقيل في الفرق بين الرحمة والرأفة ان الرأفة ترك العقوبة مع المقدرة والرحمة
المكروه وازالة الضرر وانما الرحمة فانها اسم جامع يدخل فيه ذلك المعنى ويدخل فيه ايضا جميع الافضال والانعام
فذكر الله الرأفة اولا لانه اراد انه لا يضيع اعمالهم ثم ذكر الرحمة ثانيا لانها اعم واشمل قوله عز وجل **قد نرى**
تقلب وجهك في السماء سبب نزول هذه الآية ان النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه كانوا يصلون بمكة الى الكعبة
فلما هاجروا المدينة احب ان يستقبل بيت المقدس تالفا بذلك اليهود وقيل ان الله تعالى امره بذلك ليكون اقرب
الى تصديق اليهود اياه اذا صلى الى قبلتهم مع ما يجدون من نعته وصفته في التوراة فصلى الى بيت المقدس
بعد الهجرة ستة عشر او سبعة عشر شهرا وكان يحب ان يوجه الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابراهيم وقيل كان يحب
ذلك من اجل ان اليهود قالوا يخالفنا محمد في ديننا ويتبع قبلتنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل
وددت لو حولني الله الى الكعبة فانها قبلة ابي ابراهيم فقال جبريل عليه السلام انما انا عبد مثلك وانت كرم
على ربك فسل انت ربك فانك عند الله بمكان ثم عرج جبريل وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يديم النظر
الى السماء رجاء ان ينزل جبريل بما يحب من امر القبلة فانزل الله عز وجل قد نرى تقلب وجهك في
السماء اي الى جهة السماء وهذه الآية وان كانت متاخرة في التلاوة فهي متقدمة في المعنى لانها راس القصة
واول ما نسخ من احكام الشرع امر القبلة **فلنولينك** اي فلنحولنك ولنصرفنك **قبلة** اي فلنصرفنك
عن بيت المقدس الى قبلة ترضاها اي تحبها وتميل اليها **فول وجهك شطر المسجد الحرام**
اي نحوه وتلقاءه واراد به الكعبة **ق عن ابن عباس** قال لما دخل النبي صلى الله عليه وسلم البيت دعا في نواحيه
كلها ولم يصل حتى خرج منه ولما خرج ركع ركعتين قبل الكعبة وقال هذه القبلة يعني ان امر القبلة قد استقر

٧ في السماء وجهك ع

أهواهم أبدا وقيل هو خطاب له خاصة فيكون ذلك على سبيل التذكير والتنبيه قوله عز وجل **الذين آتيناهم الكتاب** يعني علماء اليهود والنصارى وقيل أراد به مؤمني أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه **يعرفونه** أي يعرفون محمدا صلى الله عليه وسلم معرفة جلية بالوصف المعين الذي يجدونه عندهم **كما يعرفون أبناءهم** أي لا يشكون فيه ولا يشتبه عليهم كما لا تشتبه عليهم أبناؤهم من أبناء غيرهم روى أن عمر بن الخطاب قال لعبد الله بن سلام أرأيت قول الله عز وجل الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم فكيف هذه المعرفة فقال عبد الله يا عمر لقد عرفته حين رأيته كما أعرف ابني ومعرفتي بمحمد صلى الله عليه وسلم أشد من معرفتي بابني فقال عمر فكيف ذاك فقال أشهد أنه رسول الله حق من الله وقد نعته الله في كتابنا ولا أدري ما تصنع النساء فقبل عمر رأس عبد الله وقال وفقك الله يا ابن سلام فقد صدقت وقيل الضمير في يعرفونه يعود إلى أمر القبلة والمعنى أن علماء اليهود والنصارى يعرفون أن القبلة التي صرفت إليها هي قبلة أبيهم وقبلة الأنبياء قبلك كما يعرفون أبناءهم لا يشكون في ذلك **وإن فريقا منهم** أي من علماء أهل الكتاب **ليكتمون الحق** يعني صفة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل أمر القبلة **وهم يعلمون** أن كتمان الحق معصية وقيل يعلمون أن صفة محمد صلى الله عليه وسلم مكتوبة عندهم في التوراة والإنجيل وهم مع ذلك يكتمونه **الحق** أي الذي يكتمونه هو الحق **من ربك فلا تكونن من الممترين** أي الشاكين في أن الذين تقدم ذكرهم علموا صحة نبوتك وقيل يرجع إلى أمر القبلة والمعنى أن بعضهم عاند وكتم الحق فلا تشك في ذلك الحسن

فإن قلت أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يمتر ولم يشك فما معنى هذا النهي **قلت** هذا الخطاب وإن كان للنبي صلى الله عليه وسلم ولكن المراد به غيره والمعنى فلا تشكون أنتم أيها المؤمنون وقد تقدم نظير هذا قوله تعالى **ولكل وجهة** أي ولكل أهل ملة قبلة والوجهة اسم للمتوجه إليه وقيل الوجهة الهيئة والحالة في المتوجه إلى القبلة وقيل في قوله ولكل وجهة أن المراد به جميع المسلمين أي ولكل أهل جهة من الآفاق وجهة من الكعبة يصلون إليها وقيل المراد بالوجهة المنهاج والشرع والمعنى ولكل قوم شريعة وطريقة لأن الشرائع مصالح للعباد فلهذا اختلف الشرائع بحسب اختلاف الأزمان والأشخاص **هو موليها** أي مستقبلها والمعنى أن لكل أهل ملة وجهة هو موليها وجهه إليها وقيل متولها أي مختارها وقيل إن هو عائد على اسم الله تعالى والمعنى أن الله هو مولي إياه وقرئ مولاها أي مصروف إليها **فاستبقوا الخيرات** أي بادروا بالطاعات وقبول الأوامر وفيه حث على المبادرة إلى الأولوية والأفضلية فعلى هذا لا تكون الآية دليلا لمذهب الشافعي في أن الصلاة في أول الوقت أفضل لقوله فاستبقوا الخيرات لأن ظاهر الأمر للوجوب فإذا لم يتحقق الوجوب فلا أقل من الندب **أين ما تكونوا** يعني أنتم وأهل الكتاب **يأت بكم الله جميعا** يعني يوم القيمة فهو وعد لأهل الطاعة بالثواب ووعيد لأهل المعصية بالعقاب **إن الله على كل شيء قدير** أي على الإعادة بعد الموت والإثابة لأهل الطاعة والعقوبة لمستحق العقوبة قوله عز وجل **ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام** أي من أي موضع خرجت في سفر وغيره فول وجهك يا محمد قبل المسجد الحرام ونحوه **وإنه** يعني التوجه إليه **للحق من ربك** أي الحق الذي لا شك فيه فحافظ عليه **وما الله بغافل عما تعملون** أي ليس هو بساه عن أعمالكم ولكنه محصيها لكم وعليكم فيجازيكم بها يوم القيمة **ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره** فإن قيل هل في هذا التكرار فائدة **قلت** فيه فائدة عظيمة جليلة وهو أن هذه الواقعة أول الوقائع التي ظهر النسخ فيها في شرعنا فدعت الحاجة إلى التكرار لأجل التأكيد والتقرير وإزالة الشبهة وإيضاح البيان فحسن التكرار فيه لثقلهم من جهة إلى جهة **لئلا يكون للناس عليكم حجة** قيل أراد بالناس أهل الكتاب وقيل هو على العموم وقيل هم قريش واليهود

على هذا البيت فلا نسخ بعد اليوم فصلوا إلى الكعبة أبدا فهي قبلتكم **ق** عن البراء أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أول ما قدم المدينة نزل على أجداده أو قال أخواله من الأنصار وأنه صلى قبل بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهرا وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت وأنه صلى أول صلاة صلاها صلاة العصر وصلى معه قوم فخرج رجل ممن كان صلى معه فمر على أهل مسجد قبا وهم راكعون فقال أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الكعبة فداروا كما هم قبل البيت وكانت اليهود قد أعجبهم إذ كان يصلي قبل بيت المقدس وهي قبلة أهل الكتاب فلما ولى وجهه قبل البيت أنكروا ذلك قال البراء في حديثه هذا وأنه مات على القبلة قبل أن تحول رجال وقتلوا فلم ندر ما نقول فيهم فأنزل الله **وما كان الله ليضيع إيمانكم** واختلف العلماء في وقت تحويل القبلة فقال الأكثرون كان في يوم الاثنين بعد الزوال للنصف من رجب على رأس سبعة عشر شهرا من مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وقيل كان يوم الثلاثاء لثمانية عشر شهرا وقيل كان لستة عشر شهرا وقيل لثلاثة عشر شهرا وقيل نزلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد بني سلمة وقد صلى بأصحابه ركعتين من صلاة الظهر فتحول في الصلاة واستقبل الميزاب وحول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال فسمي ذلك المسجد مسجد القبلتين ووصل الخبر إلى أهل قبا في صلاة الصبح **ق** عن ابن عمر قال بينما الناس بقبا في صلاة الصبح إذ جاءهم آت فقال إن النبي صلى الله عليه وسلم قد أنزل عليه الليلة قرآن وقد أمر أن يستقبل القبلة فاستقبلوها وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة وقوله تعالى **وحيث ما كنتم** يعني من بر أو بحر مشرق أو مغرب **فولوا وجوهكم شطره** أي نحو البيت وتلقاء عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما بين المشرق والمغرب قبلة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح قيل أراد بالمشرق مشرق الشتاء في قصر يوم من السنة وبالمغرب مغرب الصيف في أطول يوم من السنة فمن جعل مغرب الصيف في هذا الوقت عن يمينه ومشرق الشتاء عن يساره كان مستقبلا للقبلة وهذا في حق أهل المشرق لأن المشرق الشتوي جنوبي مبتاعد عن خط الاستواء بمقدار الميل والمغرب الصيفي شمالي مبتاعد عن خط الاستواء والذي بينهما فسوسها مكة والفرض لمن بمكة في القبلة إصابة عين الكعبة ولمن بعد عن مكة إصابة الجهة ويعرف ذلك بالدلائل القبلة وليس هذا موضع ذكرها ولما تحولت القبلة إلى الكعبة قالت اليهود يا محمد ما هو لا شيء ابتدعته من تلقاء نفسك فتارة تصلي إلى بيت المقدس وتارة إلى الكعبة ولو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو أن تكون صاحبنا الذي ننتظره فأنزل الله تعالى **وإن الذين أوتوا الكتاب** يعني اليهود **ليعلمون أنه الحق من ربهم** يعني أمر القبلة وتحويلها إلى الكعبة ثم هددهم فقال تعالى **وما الله بغافل عما يعملون** يعني وما أنا بساه عما يفعل هؤلاء اليهود فأنا أجازيهم عليه في الدنيا والآخرة وقرئ تعملون بالتاء قال ابن عباس يريد أنكم يا معشر المؤمنين تطلبون مرضاتي وما أنا بغافل عن ثوابكم وجزائكم فأنا أثيبكم على طاعتكم أفضل الثواب وأجزيكم أحسن الجزاء قوله تعالى **ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب** يعني اليهود **بكل آية** أي بكل معجزة وقيل بكل حجة وبرهان وذلك أنهم قالوا ائتنا بآية على ما تقول فأنزل الله تعالى هذه الآية **ما تبعوا قبلتك** يعني الكعبة **وما أنت بتابع قبلتهم** يعني اليهود تصلي إلى بيت المقدس والنصارى إلى المشرق وأنت يا محمد تصلي إلى الكعبة فكيف يكون سبيل إلى اتباع قبلة أحد هؤلاء مع اختلافهم فيما بينها فالزم أنت قبلتك التي أمرت بالصلاة إليها **وما بعضهم بتابع قبلة بعض** يعني وما اليهود بتابعة قبلة النصارى ولا النصارى بتابعة قبلة اليهود لأن اليهود والنصارى لا يجتمعون على قبلة واحدة **ولئن اتبعت أهواءهم** يعني مرادهم ورضاهم لو رجعت إلى قبلتهم **من بعد ما جاءك من العلم** أي من أمر القبلة وقيل معناه من بعد ما وصل إليك من العلم بأن اليهود والنصارى مبطلون على باطل وعناد للحق **إنك إذا لمن الظالمين** يعني إن فعلت ذلك كنت بمنزلة من ظلم نفسه وضرها هذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به الأمة لأنه صلى الله عليه وسلم لا يتبع

فاما قريش فقالت رجع محمد الى الكعبة لانه علم انها الحق وانها قبلة ابيه وسيرجع الى ديننا كما رجع الى قبلتنا وقالت
اليهود لم ينصرف محمد عن بيت المقدس مع علمه انه حق الا انه يعمل برايه فعلى هذا يكون الاستثنا في قوله الا الذين
ظلموا منهم متصلا صحيحا والمعنى لا حجة لاحد عليكم الا مشركوا قريش واليهود فانهم يجادلونكم بالباطل والظلم
وانما سمي الاحتجاج بالباطل حجة لان اشتقاقها من حجه اذا غلبه فكما تكون صحيحة فكذلك قد تسمى حجة وتكون
باطلة قال الله تعالى حجتهم داحضة عند ربهم وقيل هذا الاستثنا منقطع عن الكلام الاول ومعناه لكن الذين
ظلموا منهم يجادلونكم بالباطل كما قال النابغة ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب اي لكن
سيوفهم بهن فلول وليس بعيب وقيل في معنى الاية ان اليهود عرفوا ان الكعبة قبلة ابراهيم ووجدوا في التورية ان
محمدا سيحول اليها فتكون حجتهم انهم يقولون ان النبي الذي نجده في كتابنا سيحول الى الكعبة ولم تحول انت فلما
حول الى الكعبة ذهبت حجتهم الا الذين ظلموا اي الا ان يظلموا فيكتموا ما عرفوا من الحق فلا تخشوهم اي فلا
تخافوهم في انصرافكم الى الكعبة في تظاهرهم عليكم بالمجادلة الباطلة فاني وليكم وناصركم اظهركم عليهم بالحجة
والنصرة واخشوني اي احذروا عقابي ان انتم عدلتم عما الزمتكم به وفرضته عليكم ولاتم نعمتي عليكم
اي ولكي اتم نعمتي عليكم بهدايتي اياكم الى قبلة ابراهيم لتتم لكم الملة الحنيفية وقيل تمام النعمة الموت على الاسلام
ثم دخول الجنة ولعلكم تهتدون اي لكي تهتدوا من الضلالة ولعل وعسى من الله واجب قوله تعالى كما
ارسلنا فيكم كاف التشبيه تحتاج الى شي ترجع اليه فقيل ترجع الى ما قبلها ومعناه ولاتم نعمتي
عليكم كما ارسلنا فيكم وقيل ان ابراهيم قال ربنا وابعث فيهم رسولا منهم وقال ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا
امة مسلمة لك فبعث الله فيهم رسولا منهم وهو محمد صلى الله عليه وسلم ووعده اجابة الدعوة الثانية بان يجعل
في ذريته امة مسلمة والمعنى كما اجيبت دعوته ببعثة الرسول كذلك اجيبت دعوته بان اهديكم لدينه واجعلكم ٥
مسلمين واتم نعمتي عليكم ببيان شرايع الملة الحنيفية وقيل ان الكاف متعلقة بما بعدها وهو قوله فاذكروني اذكركم
والمعنى كما ارسلنا فيكم رسولا منكم فاذكروني ووجه التشبيه ان النعمة بالذكر جارية مجرى النعمة بارسال الرسول
وان قلنا انها متعلقة بما قبلها كان وجه التشبيه ان النعمة في امر القبلة كالنعمة بالرسالة فيكم خطاب لاهل
مكة والعرب وكذلك قوله منكم وفي ارساله رسولا منهم نعمة عظيمة عليهم لما فيه من الشرف لهم ولان المعروف
من حال العرب الانفة الشديدة من الانقياد للغير فكان بعثة الرسول منهم وفيهم اقرب الى قبوله والانقياد له والمعنى كما
ارسلنا فيكم يا معشر العرب رسولا منكم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم يتلو عليكم اياتنا يعني القران
وذلك من اعظم النعم لانه معجزة باقية على الدهر ويزكيكم اي ويطهركم من دنس الشرك والذنوب وقيل يعلمكم
ماذا فعلتم صرتم ازكيا مثل محاسن الاخلاق ومكارم الافعال ويعلمكم الكتاب يعني احكام الكتاب
وهو القران وقيل ان التعليم غير التلاوة فليس بتكرار والحكمة يعني السنة والفقه في الدين ويعلمكم ما لم
تكونوا تعلمون يعني يعلمكم من اخبار الامم الماضية والقرون الخالية وقصص الانبيا والخبر عن الحوادث المستقبلة
ما لم تكونوا تعلمون ذلك قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذكروني قيل الذكر يكون باللسان وهو ان يسبحه
ويحمده ويمجده ونحو ذلك من الاذكار ويكون بالقلب وهو ان يتفكر في عظمة الله وفي الدلائل الدالة على وحدانيته
ويكون بالجوارح وهو ان تكون مستغرقة في الاعمال التي امروا بها مثل الصلاة وسائر الطاعات التي للجوارح
فيها فعل اذكركم اي بالثواب والرضى عنكم قال ابن عباس اذكروني بطاعتي اذكركم بمعونتي وقيل اذكروني
في النعمة والرخا اذكركم في الشدة والبلاء وقال اهل المعاني اذكروني بالتوحيد والايمان اذكركم بالجنان والرضوان
وقيل اذكروني بالاخلاص اذكركم بالخلاص اذكروني بالقلوب اذكركم بغفران الذنوب اذكروني بالدعا اذكركم بالعطا

ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل انا عند ظن عبدي بي وانا معه اذا ذكرني فان ذكرني
في نفسه ذكرته في نفسي وان ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير منهم وان تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا وان تقرب الي
ذراعا تقربت اليه باعا وان اتاني يمشي اتيته هرولة قوله عز وجل انا عند ظن عبدي بي قيل معناه بالغفران اذا استغفر
وبالقبول والاجابة اذا دعا وبالكفاية اذا طلب وقيل المراد منه تحقيق الرجا وتاميل العفو وهذا اصح قوله وانا معه حين
يذكرني يعني بالرحمة والتوفيق والهداية والاعانة وقوله فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي النفس في اللغة لها معان منها ذات
الشي والله تعالى له ذات حقيقة ومنها الغيب فعلى هذا يكون المعنى فاذا ذكرني خاليا ذكرته بالاثابة والمجازاة مما لا يطلع عليه
احد قوله وان ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير منهم الملا اشراف الناس وعظماؤهم الذين يرجع الى رايهم وهذا مما استدلت
به المعتزلة ومن وافقهم على تفضيل الملائكة على الانبيا واجيب عنه بان الذكر غالبا يكون في جماعة لا نبي فيهم قوله وان تقرب
الي شبرا تقربت اليه ذراعا الخ وهذا من احاديث الصفات ويستحيل ارادة ظاهره فلا بد من التاويل فعلى هذا يكون ذكر
الشبر والذراع والباع والمشي والهرولة استعارة ومجازا فيكون المراد بتقرب العبد من الله تعالى القرب بالذكر والطاعة و
العمل الصالح والمراد بتقرب الله من العبد قرب نعمه والطافه وبره وكرمه واحسانه اليه وفيض مواهبه ورحمته عليه
والمعنى كلما زاد بالطاعة والذكر زدت بالبر والاحسان وان اتاني يمشي في طاعتي اتيته هرولة اي صببت عليه
الرحمة صبا وسبقته بها ق عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل انا مع
عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه ق عن ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الذي يذكر ربه
والذي لا يذكره كمثل الحي والميت م عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سبق المفردون
قالوا وما المفردون يا رسول الله قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات المفردون الذين ذهب القرن الذي كانوا فيه وبقوا
وهم يذكرون الله ويقال تفرد الرجل اذا تفقه واعتزل وقوله تعالى واشكروا لي يعني بالطاعة ولا
تكفرون اي بالمعصية فمن اطاع الله فقد شكره ومن عصاه فقد كفره قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا
استعينوا بالصبر والصلاة انما خصهما بذلك لما فيهما من المعونة على العبادات اما الصبر فهو حبس النفس
على احتمال المكاره في ذات الله وتوطينها على تحمل المشاق في العبادات وسائر الطاعات وتجنب الجزع وتجنب المحظورات
ومن الناس من حمل الصبر على الصوم وفسره به ومنهم من حمله على الجهاد واما الاستعانة بالصلاة فلانها يجب ان تفعل
على طريق الخضوع والتذلل للمعبود والاخلاص له وقيل استعينوا على طلب الاخرة بالصبر على الفرايض وبالصلوات الخمس في مواقيتها
على تمحيص الذنوب ان الله مع الصابرين اي بالعون والنصر ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات
نزلت فيمن قتل ببدر من المسلمين وكانوا اربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين وهم عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب وعمير
ابن ابي وقاص بن اهيب بن عبد مناف بن زهرة الزهري اخو سعد بن ابي وقاص وذو الشمالين واسمه عمير بن عبد عمرو
~~بن العاص~~ بن نضلة بن عمرو بن خزاعة ثم بني غبشان وعاقل بن البكير من بني سعد بن ليث بن كنانة ومهجع مولى
لعمر بن الخطاب وصفوان بن بيضا من بني الحارث بن فهر ومن الانصار ثمانية وهم سعد بن خيثمة ومبشر بن عبد
المنذر ويزيد بن الحارث بن فسحم وعمير بن الحمام ورافع بن المعلى وحارثة بن سراقة وعوف ومعوذ ابنا الحارث
بن رفاعة بن سودا وهما ابنا عفرا وهي امهما كان الناس يقولون لمن قتل في سبيل الله مات فلان وذهب عنه نعيم الدنيا
ولذاتها فانزل الله هذه الاية وقيل ان الكفار والمنافقين قالوا ان الناس يقتلون انفسهم طلبا لمرضاة محمد من
غير فايدة فنزلت هذه الاية واخبر ان من قتل في سبيل الله فانه حي بقوله بل احياء وانما احياهم الله عز وجل
في الوقت لايصال الثواب اليهم وعن الحسن ان الشهدا احياء عند الله تعالى تعرض ارزاقهم على ارواحهم ويصل
اليهم الروح والريحان والفرح كما تعرض النار على ارواح ال فرعون غدوا وعشيا فيصل اليهم الالم والوجع ففيه

دليل على أن المطيعين لله يصل إليهم ثوابهم وهم في قبورهم في البرزخ وكذا العصاة يعذبون في قبورهم **فإن قلت**
نحن نراهم موتى فما معنى قوله بل أحياء وما وجه النهي في قوله ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات **قلت**
معناه لا تقولوا أموات بمنزلة غيرهم من الأموات بل هم أحياء تصل أرواحهم إلى الجنان كما ورد أن أرواح الشهداء
في حواصل طير خضر تسرح في الجنة فهم أحياء من هذه الجهة وإن كانوا أمواتا من جهة خروج الروح من أجسادهم ومحلول
آخر وهو أنهم أحياء عند الله تعالى في عالم الغيب لا نهم صاروا إلى الآخرة فنحن لا نشاهدهم كذلك ويدل على ذلك قوله
تعالى **ولكن لا تشعرون** أي لا تروهم أحياء فتعلموا ذلك بحقيقة وإنما تعلمون بإخباري إياكم به **فإن قلت**
أليس سائر المطيعين من المسلمين لله يصل إليهم من نعيم الجنة في قبورهم فلم خصص الشهداء بالذكر **قلت**
إنما خصهم لأن الشهداء قتلوا على غيرهم ممن يرد النعيم وهو أنهم يرزقون من مطاعم الجنة ومآكلها فغيرهم
يتنعمون بما دون ذلك وجواب آخر وهو أنه رد القول من قال إن من قتل في سبيل الله مات وذهب عنه نعيم الدنيا
ولذاتها فأخبر الله بقوله بل أحياء أنهم في نعيم دائم قوله تعالى **ولنبلونكم** أي ولنختبرنكم يا أمة محمد
واللام جواب القسم تقديره والله لنبلونكم والابتلاء الإظهار الطائع من العاصي لا ليعلم شيئا لم يكن عالما
به فإنه سبحانه وتعالى عالم بجميع الأشياء قبل كونها وحدوثها **بشيء** إنما قال بشيء ولم يقل بأشياء لأن المراد
أن أشياء تدل على صروب من الخوف وكذا الباقي فلما قال بشيء كان التقدير بشيء **من الخوف** وبشيء من
الجوع وقيل معناه بشيء قليل من هذه الأشياء من الخوف قال ابن عباس يعني خوف العدو والخوف توقع مكروه
يحصل منه ألم في القلب والجوع يعني القحط وتعذر حصول القوت **ونقص من الأموال** يعني بالهلاك أو
الخسران **والأنفس** أي ونقص من الأنفس بالموت والقتل **والثمرات** يعني الجوائح في الثمار وقيل قد تكون
بالجدب أيضا وبترك العمل والعمارة في الأشجار وحكى عن الشافعي في تفسير هذه الآية قال الخوف خوف الله
تعالى والجوع صيام شهر رمضان ونقص من الأموال يعني إخراج الزكاة والصدقات والأنفس يعني بالأمراض
والثمرات يعني موت الأولاد لأن الولد ثمرة القلب عن أبي موسى الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
إذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملائكته أقبضتم ولد عبدي قالوا نعم قال أقبضتم ثمرة فؤاده قالوا نعم قال
فما قال قالوا حمدك واسترجع قال ابنوا له بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد أخرجه الترمذي وقال حديث حسن
فإن قلت ما الحكمة في تقديم تعريف هذا الابتلاء في قوله ولنبلونكم **قلت** فيه حكم منها أن العبد
إذا علم أنه مبتلى بشيء وطن نفسه على الصبر فإذا نزل به ذلك البلاء لم يجزع ومنها أن الكفار إذا شاهدوا
المؤمنين مقيمين على دينهم قابضين له على البلاء صابرين له علموا بذلك صحة الدين فدعوهم ذلك إلى متابعته
والدخول فيه ومنها أن الله تعالى أخبر بهذا الابتلاء قبل وقوعه فإذا وقع كان ذلك إخبارا عن غيب فيكون معجزة
للنبي صلى الله عليه وسلم ومنها أن المنافقين إنما أظهروا الإيمان طمعا في المال وسعة الرزق من الغنائم فلما
أخبر الله أنه مبتلي عباده فعند ذلك يتميز المؤمن من المنافق والصادق من الكاذب ومنها أن الإنسان في حال
الابتلاء أشد إخلاصا لله من حال الرخاء فإذا علم أنه مبتلى دام على التضرع والابتهال إلى الله تعالى لينجيه مما
عسى أن ينزل به من البلاء ثم قال تعالى **وبشر الصابرين** يعني عند نزول البلاء وبشرا محمد الصابرين
على امتحاني إياهم بمن الشدائد والمكاره ثم وصفهم بقوله تعالى **الذين إذا أصابتهم مصيبة**
أي نائبة **وابتلاء قالوا إنا لله** يعني عبيدا وملكا **وإنا إليه راجعون** يعني في الآخرة
م عن أم سلمة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول إنا
لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيرا منها إلا آجره الله في مصيبته وأخلفه خيرا

منها قيل ما أعطى أحدا أعطيت هذه الآية يعني الاسترجاع عند المصيبة ولو أعطيها أحدا لأعطى يعقوب لاسمع إلى قوله
عند فقد يوسف يا أسفى على يوسف وقيل في قول العبد فإنا لله وإنا إليه راجعون تفويض منه إلى الله وأنه راض بكل ما نزل به
من المصائب **أولئك** يعني من هذه صفته **عليهم صلوات من ربهم** قال ابن عباس أي مغفرة من ربهم
ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل أبي أوفى أي اغفر لهم وارحمهم وإنما جمع الصلاة لأنه عنى مغفرة بعد
مغفرة ورحمة بعد رحمة قال ابن عباس ونعمة والرحمة من الله الإنعام والإفضال والإحسان ومن الآدميين رقة و
تعطف وقيل إنما ذكر الرحمة بعد الصلاة لأن الصلاة من الله الرحمة لاتساع المعنى واتساع اللفظ وتفعل ذلك
العرب كثيرا إذا اختلف اللفظ واتفق المعنى وقيل كررها للتأكيد أي عليهم رحمة بعد رحمة **وأولئك هم المهتدون**
يعني إلى الاسترجاع وقيل إلى الجنة الفائزون بالثواب وقيل المهتدون إلى الحق والصواب وقال عمر من الخطاب
نعم العدلان ونعمت العلاوة فالعدلان الصلاة والرحمة والعلاوة الهداية **فصل** في ذكر أحاديث
وردت في ثواب أهل البلاء وأجر الصابرين خ عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يرد الله
به خيرا يصب منه يعني يبتليه بالمصائب حتى يأجره على ذلك ق عن أبي سعيد وأبي هريرة عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله
عنه بها خطاياه النصب التعب والأعياء والوصب المرض ق عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما من مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه إلا حط الله به سيئاته كما تحط الشجرة ورقها ق عن أبي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المؤمن كمثل الزرع لا تزال الريح تفيئه ولا يزال المؤمن يصيبه البلاء
ومثل المنافق كمثل شجرة الأرز لا تهتز حتى تستحصد الأرزة شجر معروف بالشام ويعرف في العراق ومصر بالصنوبر
والصنوبر ثمرة الأرز وقيل الأرزة الثابتة في الأرض عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا أراد الله
بعبد خيرا عجل له العقوبة في الدنيا وإذا أراد بعبد الشر أمسك عنه حتى يوافي به يوم القيامة وبهذا الإسناد عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال إن عظم الجزاء مع عظم البلاء وإن الله إذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضى ومن
سخط فله السخط أخرجه الترمذي وله عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يود أهل العافية يوم
القيامة حين يعطى أهل البلاء الثواب لو أن جلودهم كانت قرضت في الدنيا بالمقاريض وله عن أبي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده حتى يلقى الله وما عليه خطيئة وقال حديث
حسن صحيح خ عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا
قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة عن سعيد بن أبي وقاص قال قلت يا رسول الله أي الناس أشد
بلاء قال الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان في دينه صلبا اشتد بلاؤه وإن كان في دينه
رقة ابتلي على قدر دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة أخرجه الترمذي وقال حديث
حسن قوله عز وجل **إن الصفا والمروة من شعائر الله** الصفا جمع صفاة وهي
الصخرة الصلبة الملساء وقيل هي الحجارة الصافية والمروة الحجارة الرخوة وجمعها مرو ومروات وهذان أصلهما
في اللغة وإنما عنى الله بهما الجبلين المعروفين بمكة وفي طرفي المسعى ولذلك دخل فيهما الألف واللام وشعائر الله
أعلام دينه وأصلها من الإشعار وهو الإعلام ومراحدتها شعيرة وكلما كان معلما يقربان يتقرب به
إلى الله من صلاة ودعاء وذبيحة فهو شعيرة من شعائر الله ومشاعر الحج معالمه الظاهرة المحسوس ويقال شعائر
الحج فالمطاف والموقف والمحرم كلها شعائر والمراد بالشعائر هنا المناسك التي جعلها الله أعلاما لطاعته
فالصفا والمروة منها حيث يسعى بينهما **فمن حج البيت** أي قصد البيت هذا أصله في اللغة وفي الشرع

مسعد
التاسع

عبارة عن افعال مخصوصة لاقامة المناسك **او اعتمر** اى زار البيت والعمرة الزيارة فى الحج والعمرة المشروعين
قصد وزيارة **فلا جناح عليه** اى فلا اثم عليه واصله من جنح اذا مال عن القصد المستقيم **ان يطوف بهما**
اى يدور بهما ويسعى بينهما وسبب نزول هذه الاية انه كان على الصفا والمروة صنمان يقال لهما اساف ونائلة
فكان اساف على الصفا ونائلة على المروة وكان اهل الجاهلية تطوف بين الصفا والمروة تعظيما للصنمين
فلما جاء الاسلام وكسرت الاصنام تحرج المسلمون عن السعى بين الصفا والمروة فانزل الله هذه الاية توازن فى
السعى بينهما واخبر انه من شعائر الله **ق** عن عاصم بن سليمان الاحول قال قلت لانس اكنتم تكرهون السعى بين
الصفا والمروة فقال نعم لانها كانت من شعائر الجاهلية حتى انزل الله تعالى ان الصفا والمروة من شعائر الله
فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما وفى رواية قال كانت الانصار يكرهون ان يطوفوا بين
الصفا والمروة حتى نزلت ان الصفا والمروة من شعائر الله **فصل** اختلف العلماء فى حكم السعى
بين الصفا والمروة فى الحج والعمرة فذهب جماعة الى وجوبه وهو قول ابن عمر وجابر وعايشة وبه قال الحسن وابن سيرين
ذهب مالك والشافعى وذهب قوم الى انه تطوع وهو قول ابن عباس وبه قال ابن سيرين وذهب الثورى وابو حنيفة
الى انه ليس بركن وعلى من تركه دم وروى عن ابن الزبير ومجاهد وعطا ان من تركه فلا شئ عليه واختلف
الرواية عن احمد فى ذلك فروى عنه ان من ترك السعى بين الصفا والمروة لم يجزه حجه وروى عنه انه لا شئ فى
تركه عمدا ولا سهوا ولا ينبغى ان يتركه ونقل الجمهور عنه انه تطوع وسبب هذا الاختلاف ان قوله تعالى
فلا جناح عليه يصدق عليه انه لا اثم عليه فى فعله فدخل تحت الواجب والمندوب والمباح فظاهر هذه الاية
لا يدل على ان السعى بين الصفا والمروة واجب وليس بواجب لان اللفظ الدال على القدر المشترك بين الاقسام الثلاثة
لا دلالة فيه على خصوصية احدها فاذا لا بد من دليل خارج يدل على ان السعى واجب وغير واجب فحجة الشافعى
ومن وافقه ان السعى بين الصفا والمروة ركن من اركان الحج والعمرة ما روى المثنى فى مسنده عن صفية
بنت شيبة قالت اخبرتنى بنت ابى تجراة واسمها حبيبة احدى نساء بنى عبد الدار قالت دخلت مع نسوة قريش
دار ابى حسين ننظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يسعى بين الصفا والمروة وازاره تدور من شدة السعى حتى
اقول انى ارى ركبته وسمعته يقول اسعوا فان الله كتب عليكم السعى وصححه
الدارقطنى **ق** عن عروة بن الزبير قال قلت لعايشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ارايت قول الله تعالى
ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما فما ارى على احد شيئا
ان لا يطوف بهما فقالت عايشة كلا لو كان كما تقول كانت فلا جناح عليه ان لا يطوف بهما انما انزلت
هذه الاية فى الانصار كانوا يهلون لمناة وكانت مناة حذو قديد وكانوا يتحرجون ان يطوفوا بين الصفا والمروة
فلما جاء الاسلام سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى ان الصفا والمروة من شعائر الله
الاية **م** عن جابر فى حديثه الطويل فى صفة حجة الوداع قال ثم خرج من الباب الى الصفا فلما دنا من الصفا
قرا ان الصفا والمروة من شعائر الله ابدا بما بدا الله به فبدا بالصفا فرقى حتى راى البيت فاستقبل القبلة فوحد الله وكبره
وقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير لا اله الا الله وحده انجز وعده ونصر عبده
وهزم الاحزاب وحده ثم دعا بين ذلك قال مثل هذا ثلث مرات ثم نزل الى المروة حتى اذا انصبت قدماه فى بطن الوادى
رمل حتى اذا صعدتا مشى حتى اتى المروة ففعل على المروة كما فعل على الصفا حتى اذا كان اخر طوافه على المروة قال
انى لو استقبلت من امرى ما استدبرت لم اسق الهدى وجعلتها عمرة فمن كان منكم ليس معه هدى فليحل وليجعلها عمرة
فحل الناس كلهم وقصروا الا النبى صلى الله عليه وسلم ومن كان معه هدى فلما كان يوم التروية توجهوا الى منى
واهلوا بالحج وركب النبى صلى الله عليه وسلم فصلى بمنى الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر ثم مكث قليلا حتى
طلعت الشمس وامر بقبة من شعر تضرب بنمرة فسار النبى صلى الله عليه وسلم ولا تشك قريش الا انه واقف عند
المشعر الحرام كما كانت قريش تصنع فى الجاهلية فاجاز النبى صلى الله عليه وسلم حتى اتى عرفة فوجد القبة قد ضربت
له بنمرة فنزل بها حتى اذا زاغت الشمس امر بالقصواء فرحلت له فاتى بطن الوادى فخطب الناس وقال ان دماءكم
واموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا الا كل شئ من امر الجاهلية تحت قدمى موضوع
ودماء الجاهلية موضوعة وان اول دم اضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث كان مسترضعا فى بنى سعد فقتله هذيل
وربا الجاهلية موضوع واول ربا اضع ربا العباس بن عبد المطلب فانه موضوع كله فاتقوا الله فى النساء فانكم اخذتموهن
بامان الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولكم عليهن ان لا يوطئن فرشكم احدا تكرهونه فان فعلن ذلك فاضربوهن
ضربا غير مبرح ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده ان اعتصمتم به كتاب الله
وانتم تسالون عنى فما انتم قائلون قالوا نشهد انك قد بلغت واديت ونصحت فقال باصبعه السبابة يرفعها الى السماء
وينكتها الى الناس اللهم اشهد اللهم اشهد ثلث مرات ثم اذن بلالا فاقام فصلى الظهر ثم اقام فصلى العصر ولم يصل
بينهما شيئا ثم ركب حتى اتى الموقف فجعل بطن ناقته القصواء الى الصخرات وجعل حبل المشاة بين يديه واستقبل القبلة
فلم يزل واقفا حتى غربت الشمس وذهبت الصفرة قليلا حتى غاب القرص وارد ف اسامة خلفه ودفع رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقد شنق للقصواء الزمام حتى ان راسها ليصيب مورك رحله ويقول بيده اليمنى ايها الناس السكينة السكينة
كلما اتى جبلا من الجبال ارخى لها قليلا حتى تصعد حتى اتى المزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء باذان واحد واقامتين
ولم يسبح بينهما شيئا ثم اضطجع حتى طلع الفجر وصلى الفجر حين تبين له الصبح باذان واقامة ثم ركب القصواء حتى
اتى المشعر الحرام فاستقبل القبلة فدعاه وكبره وهلله ووحده فلم يزل واقفا حتى اسفر جدا فدفع قبل ان تطلع الشمس
وارد ف الفضل بن عباس وكان رجلا حسن الشعر ابيض وسيما فلما دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم مرت به ظعن
يجرين فطفق الفضل ينظر اليهن فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على وجه الفضل فحول الفضل وجهه الى الشق
الاخر ينظر فحول رسول الله صلى الله عليه وسلم يده من الشق الاخر على وجه الفضل يصرف وجهه من الشق الاخر
ينظر حتى اتى محسرا فحرك قليلا ثم سلك الطريق الوسطى التى تخرج على الجمرة الكبرى حتى اتى الجمرة التى عند
الشجرة فرماها بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة منها مثل حصى الخذف رمى من بطن الوادى ثم انصرف الى المنحر
فنحر ثلثا وستين بدنة بيده ثم اعطى عليا فنحر ما غبر وشركه فى هديه ثم امر من كل بدنة ببضعة فجعلت فى قدر
فطبخت فاكلا من لحمها وشربا من مرقها ثم ركب فافاض الى البيت فصلى بمكة الظهر فاتى بنى عبد المطلب وهم
يسقون على زمزم فقال انزعوا بنى عبد المطلب فلولا ان يغلبكم الناس على سقايتكم لنزعت معكم فناولوه دلوا فشرب منه

فلا يكون فيه دلالة على نفى الوجوب وعن الثانى وهو التمسك بقوله تعالى ومن تطوع خيرا فضعيف لان هذا
لا يقتضى ان يكون المراد من هذا التطوع هو الطواف المذكور اولا بل يجوز ان يكون المقصود منه شيئا اخر يدل
على ذلك قول الحسن ان المراد بقوله ومن تطوع خيرا جميع التطوعات فى الدين يعنى فعل فلا زايدا على ما افترض
عليه من صلاة وصدقة وصيام وحج وعمرة وطواف وغير ذلك من انواع الطاعات وقال مجاهد ومن تطوع
خيرا بالطوافين بهما وهذا على قول من لا يرى الطواف بهما فرضا وقيل معناه ومن تطوع خيرا فزاد فى الطواف
بعد الواجب والقول الاول اولى للعموم **فان الله شاكر** اى مجاز على الطاعة **عليم** اى بنيته وحقيقة
الشاكر فى اللغة هو المظهر للانعام عليه والشكر هو تصور النعمة واظهارها والله تعالى لا يوصف بذلك
لانه لا يلحقه المنافع والمضار فالشاكر فى صفة الله تعالى مجاز فاذا وصف به اريد به انه المجازى على الطاعة
بالثواب الا ان اللفظ خرج مخرج التلطف للعباد مظاهرة فى الاحسان اليهم قوله تعالى **ان الذين
يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى** نزلت فى اليهود الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه
وسلم واية الرجم وغيرها من الاحكام التى كانت فى التوراة وقيل ان الاية على العموم فيمن كتم شيئا من امر
الدين لان اللفظ عام والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ومن قال بالقول الاول وانها فى اليهود قال
ان الكتم لا يصح الا منهم لانهم كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ومعنى الكتمان ترك اظهار الشئ مع
الحاجة الى بيانه واظهاره فمن كتم شيئا من امر الدين فقد عظمت مصيبته **ق** عن ابى هريرة قال ولولا
ايتان انزلهما الله فى كتابه ما حدثت شيئا ابدا ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى الى اخر الايتين
وهل اظهار علوم الدين فرض كفاية او فرض عين فيه خلاف والاصح انه اذا اظهره البعض بحيث يتمكن كل
احد من الوصول اليه لم يبق مكتوما وقيل متى سئل العالم عن شئ يعلمه من امر الدين يجب عليه اظهاره
والا فلا **من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب** يعنى فى التوراة من صفة محمد صلى الله عليه
وسلم فعلى هذا يكون المراد بالناس علماء بنى اسرائيل ومن قال ان المراد بالكتاب جميع ما انزل الله على الانبياء
من الاحكام قال المراد بالناس العلماء كافة **اولئك** يعنى الذين يكتمون ما انزل الله من البينات والهدى
يلعنهم الله اى يبعدهم الله من رحمته واصل اللعن فى اللغة الطرد والابعاد **ويلعنهم اللاعنون**
قال ابن عباس جميع الخلايق الا الجن والانس وذلك ان البهايم تقول ما منعنا القطر الا بعاصى بنى ادم
وقيل اللاعنون هم الجن والانس لانه وصفهم بوصف من يعقل وقيل ما تلا عن اثنان من المسلمين
الا رجعت الى اليهود والنصارى الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ثم استثنا فقال
الا الذين تابوا اى ندموا على ما فعلوا ورجعوا عن الكفر الى الاسلام **واصلحوا** يعنى
الاعمال فيما بينهم وبين الله تعالى **وبينوا** يعنى ما كتموا من العلم **فاولئك اتوب عليهم** اى
اتجاوز عنهم واقبل توبتهم **وانا التواب** اى المتجاوز عن عبادى الرجاع بقلوبهم المنصرف عنى الى
الرحيم يعنى بهم بعد اقدامهم على قوله عز وجل **ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار اولئك
عليهم لعنة الله والملايكة والناس اجمعين** قيل هذا اللعن يكون يوم القيمة توبخ به الكافر فى الموقف فيلعنه
الله ثم تلعنه الملايكة ثم يلعنه الناس اجمعون **فان قلت** الكافر لا يلعن نفسه ولا يلعنه اهل
دينه وملته فما معنى قوله والناس اجمعين **قلت** فيه اوجه احدها انه اراد بالناس من يعتد بلعنه
وهم المؤمنون الثانى ان الكفار يلعن بعضهم بعضا يوم القيمة الثالث انهم يلعنون الظالمين والكفار
من الظالمين فيكون قد لعن نفسه **خالدين فيها** اى مقيمين فى اللعنة وقيل فى النار وانما

اضيفت لعظم شانها **لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون** اى لا يمهلون ولا يؤجلون وقيل لا
ينتظرون ليعتذروا وقيل لا ينظر اليهم نظر رحمة **فصل** فيما يتعلق بهذه الاية من الحكم قال العلماء لا يجوز لعن
كافر معين لان حاله عند الوفاة لا تعلم فلعله يموت على الاسلام وقد شرط الله تعالى فى هذه الاية اطلاق اللعنة على
من مات على الكفر ويجوز لعن الكفار يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فجملوها
فباعوها وذهب بعضهم الى جواز لعن انسان معين من الكفار بدليل جواز قتاله واما العصاة من المؤمنين فلا يجوز
لعنة احد منهم على التعيين واما على الاطلاق فيجوز لما روى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لعن الله السارق يسرق
البيضة والحبل فتقطع يده ولعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الواشمة والمستوشمة واكل الربا وموكله ولعن
من غير منار الارض ومن انتسب لغير ابيه وكل هذه فى الصحيح قوله تعالى **والهكم اله واحد** سبب نزول
هذه الاية ان كفار قريش قالوا يا محمد صف لنا ربك وانسبه فانزل الله هذه الاية وسورة الاخلاص ومعنى الواحد الانفراد
وحقيقة الواحد هو الشئ الذى لا يتبعض ولا ينقسم والواحد فى صفة الله انه واحد لا نظير له وليس كمثله شئ وقيل
واحد فى الاهيته وربوبيته ليس له شريك لان المشركين اشركوا معه الالهة فكذبهم الله بقوله والهكم اله واحد
يعنى لا شريك له فى الالهية ولا نظير له فى الربوبية والتوحيد هو نفى الشريك والقسيم والشبيه فالله تعالى واحد
فى افعاله لا شريك له يشاركه فى مصنوعاته وواحد فى ذاته لا قسيم له وواحد فى صفاته لا يشبهه شئ من خلقه
لا اله الا هو تقرير للوحدانية بنفى غيره من الالوهية واثباتها له سبحانه وتعالى **الرحمن الرحيم**
يعنى انه المولى لجميع النعم اصولها وفروعها فلا شئ سواه بهذه الصفة لان كل ما سواه اما نعمة واما منعم عليه
وهو المنعم على خلقه الرحيم بهم عن اسما بنت يزيد قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اسم الله
الاعظم فى هاتين الايتين والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم وفاتحة آل عمران الم الله لا اله الا
هو الحى القيوم اخرجه ابو داود والترمذى وقال حديث صحيح وقيل لما نزلت هذه الاية قال المشركون ان محمدا يقول
الهكم اله واحد فليأتنا باية ان كان صادقا فانزل الله هذه الاية **ان فى خلق السموات والارض** وعلمهم كيفية
الاستدلال على وحدانية الصانع وردهم الى التفكر فى اياته والنظر فى عجائب مصنوعاته واتقان افعاله ففى ذلك
دليل على وحدانيته اذ لو كان فى الوجود صانعان لهذه الافعال لاستحال اتفاقهما على امر واحد ولامتنع فى افعالهما
التساوى فى صفة الكمال فثبت بذلك ان خالق هذا العالم والمدبر له واحد قادر مختار فبين سبحانه من عجائب
مخلوقاته ثمانية انواع اولها قوله تعالى ان فى خلق السموات والارض وانما جمع السموات لانها اجناس مختلفة كل سماء
من جنس غير جنس الاخرى ووحد الارض لانها جنس واحد وهو التراب والاية فى السماء هو سمكها وارتفاعها بغير عمد
ولا علاقة وما يرى فيها من الشمس والقمر والنجوم والاية فى الارض مدها وبسطها على الماء وما يرى فيها من الجبال
والبحار والمعادن والجواهر والانهار والاشجار والثمار والنبات النوع الثانى قوله تعالى **واختلاف الليل
والنهار** اى تعاقبهما فى المجئ والذهاب وقيل اختلافهما فى الطول والقصر والزيادة والنقصان والنور
والظلمة وانما قدم الليل على النهار لان الظلمة اقدم والاية فى الليل والنهار ان انتظام احوال العباد بسبب طلب
الكسب والمعيشة يكون فى النهار وطلب النوم والراحة يكون فى الليل فاختلاف الليل والنهار انما هو لتحصيل مصالح
العباد النوع الثالث قوله تعالى **والفلك التى تجرى فى البحر** اى السفن واحده وجمعه سواء فهو يسمى
البحر بحرا لاتساعه وانبساطه والاية فى الفلك تسخيرها وجريانها على وجه الماء وهى موقرة بالاثقال والرجال
فلا ترسب وجريانها بالريح مقبلة ومدبرة وتسخير البحر لحمل الفلك مع قوة سلطان الماء وهيجان البحر فلا ينجى
منه الا الله تعالى النوع الرابع قوله تعالى **بما ينفع الناس** يعنى ركوبها والحمل عليها فى التجارات

لطلب الارباح والاية فى ذلك ان الله تعالى لو لم يقو قلوب من يركب هذه السفن لما تم الغرض فى تجاراتهم ومنافعهم
وايضا فان الله تعالى خص كل قطر من اقطار العالم بشئ معين واحوج الكل الى الكل فصار ذلك سببا يدعوهم
الى اقتحام الاخطار فى الاسفار من ركوب السفن وخوض البحر وغير ذلك فالحامل ينتفع لانه يربح والمحمول اليه
ينتفع بما حمل اليه النوع الخامس قوله تعالى **وما انزل الله من السماء من ماء** يعنى المطر قيل اراد بالسماء السحاب
سمى سماء لان كل ما علاك فاظلك فهو سماء خلق الله الماء فى السحاب ومنه ينزل الى الارض وقيل اراد السماء بعينها
خلق الله الماء فى السماء ومنه ينزل الى السحاب ثم منه الى الارض **فاحيا به** اى بالماء **الارض بعد موتها**
اى بعد يبسها وجدوبها سماه موتا مجازا لانها اذا لم تنبت شيئا ولم يصبها المطر فهى كالميتة والاية فى انزال
المطر واحياء الارض به ان الله تعالى جعله سببا لحياة الجميع من حيوان ونبات ونزوله عند وقت الحاجة
اليه بمقدار المنفعة وعند الاستسقاء والدعاء وانزاله بمكان دون مكان النوع السادس قوله تعالى
وبث اى فرق **فيها** اى فى الارض **من كل دابة** قال ابن عباس يريد كل ما دب على وجه الارض
من جميع الخلق من الناس وغيرهم والاية فى ذلك ان جنس الانسان يرجعون الى اصل واحد وهو ادم ثم ما فيهم
من الاختلاف فى الصور والاشكال والالوان والالسنة والطبايع والاخلاق والاوصاف الى غير ذلك
ثم يقاس على بنى ادم ساير الحيوان النوع السابع قوله تعالى **وتصريف الرياح** يعنى مهابها قبولا ودبورا
وشمالا وجنوبا ونكباء وهى الريح التى تاتى من غير مهب صحيح فكل ريح يختلف مهابها تسمى نكباء وقيل تصريفها
فى احوال مهابها لينة وعاصفة وحارة وباردة وسميت ريحا لانها تريح قال ابن عباس اعظم جنود الله الريح
وقيل ما هبت ريح الا لشفاء سقيم او ضده وقيل البشارة فى ثلاث من الرياح الصبا والشمال والجنوب والدبور
هى الريح العقيم التى اهلكت بها عاد فلا بشارة فيها والاية فى الريح انها جسم لطيف لا تمسك ولا ترى وهى
مع ذلك فى غاية القوة تقلع الشجر والصخر وتخرب البنيان العظيم وهى مع ذلك حياة الوجود فلو امسكت طرفة عين
لمات كل ذى روح ولنتن ما على وجه الارض النوع الثامن قوله تعالى **والسحاب المسخر بين السماء والارض**
اى الغيم المذلل سمى سحابا لسرعة سيره كانه يسحب والاية فى ذلك ان السحاب مع ما فيه من المياه العظيمة التى
تسيل منها الاودية العظيمة يبقى معلقا بين السماء والارض ففى هذه الانواع الثمانية المذكورة فى هذه الاية
دلالة عظيمة على وجود الصانع القادر المختار وانه الواحد فى ملكه فلا شريك له ولا نظير وهو المراد من قوله
والهكم اله واحد لا اله الا هو وقوله **لايات** اى فيما ذكر من دلايل مصنوعاته الدالة على وحدانيته
وقيل انما جمع ايات لان فى كل واحدة مما ذكر من هذه الانواع ايات كثيرة تدل على ان لها خالقا مدبرا مختارا
لقوم يعقلون اى ينظرون بصفاء عقولهم ويتفكرون بقلوبهم فيعلمون ان لهذه الاشياء خالقا ومدبرا وصانعا
قادرا على ما يريد قوله عز وجل **ومن الناس** يعنى المشركين **من يتخذ من دون الله اندادا** يعنى اصناما
يعبدونها والند المثل المنازع فعلى هذا الاصنام اندادا بعضها لبعض وليست اندادا لله وتعالى الله ان يكون له ند او
مثل منازع وقيل الانداد الاكفاء من الرجال وهم روساؤهم وكبراؤهم الذين يطيعونهم فى معصية الله **يحبونهم**
اى يودونهم ويميلون اليهم والحب نقيض البغض واحببت فلانا اى جعلته معرضا بان تحبه والمحبة الارادة
كحب الله اى كحب المؤمنين الله والمعنى يحبون الاصنام كما يحب المؤمنون ربهم عز وجل وقيل معناه يحبونهم
كحبهم الله فيكون المعنى انهم يسوون بين الاصنام وبين الله فى المحبة فمن قال بالقول الاول لم يثبت للكفار محبة الله
تعالى ومن قال بالقول الثانى اثبت للكفار محبة لله تعالى لكن جعلوا الاصنام شركاء له فى الحب **والذين امنوا
اشد حبا لله** اى اثبت وادوم على محبته لانهم لا يختارون مع الله سواه والمشركون اذا اتخذوا

صنما ثم راوا اخر احسن منه طرحوا الاول واختاروا الثاني وقيل ان الكفار يعدلون عن اصنامهم في الشدائد
ويقبلون الى الله تعالى كما اخبر عنهم فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين والمؤمنون لا يعدلون عن الله تعالى
في السراء ولا في الضراء ولا في الشدة ولا في الرخاء وقيل ان المؤمنين يوحدون ربهم والكفار يعبدون اصناما كثيرة
فتنقص المحبة لصنم واحد وقيل انما قال والذين امنوا اشد حبا لله لان الله احبهم اولا فاحبوه ومن شهد له المعبود
بالمحبة كانت محبته اتم وسياتي بسط الكلام في معنى المحبة عند قوله يحبهم ويحبونه **ولو يرى الذين ظلموا**
قرى بالتاء والمعنى ولو ترى يا محمد الذين ظلموا يعني اشركوا في شدة العذاب لرايت امرا عظيما وقرى بالياء ومعناه
ولو يرى الذين ظلموا انفسهم عند رؤية العذاب حين يقذف بهم في النار لعرفوا مضرة الكفر وان ما اتخذوه من
الاصنام لا ينفعهم **اذ يرون العذاب ان القوة لله جميعا** معناه لو راى الذين كانوا يشركون في الدنيا
عذاب الاخرة لعلموا حين يرون العذاب ان القوة ثابتة لله جميعا والمعنى انهم شاهدوا من قدرة الله تعالى ما تيقنوا
معه ان القوة لله جميعا وان الامر ليس على ما كانوا عليه من الشرك والجحود **وان الله شديد العذاب** قوله تعالى
اذ تبرأ اي تنزه وتباعد **الذين اتبعوا من الذين اتبعوا وراوا العذاب** اي القادة من مشركي
الانس من الاتباع وذلك يوم القيمة حين يجمع القادة والاتباع فيتبرأ بعضهم من بعض عند نزول العذاب
بهم وعجزهم عن دفعه عن انفسهم فكيف عن غيرهم وقيل هم الشياطين يتبرؤن من الانس والقول هو الاول
وتقطعت بهم الاسباب يعني الوصلات التي كانت بينهم في الدنيا يتواصلون بها من قرابة وصداقة وقيل الاعمال
التي كانت بينهم يعملونها في الدنيا وقيل العهود والحلف التي كانت معهم اي بينهم يتوادون عليها واصل السبب
في اللغة الحبل الذي يصعد به النخل وسمي كل ما يتوصل به الى شيء من ذريعة او قرابة او مودة سببا تشبيها
بالحبل الذي يصعد به **وقال الذين اتبعوا** يعني الاتباع **لو ان لنا كرة** اي رجعة الى الدنيا **فنتبرأ منهم**
اي من المتبوعين **كما تبرؤا منا** اليوم **كذلك يريهم الله** اي كما اراهم العذاب يريهم الله
اعمالهم حسرات عليهم لانهم ايقنوا بالهلاك والحسرة والغم على ما فاته وشدة الندم عليه كانه انحسر
عنه الجهل الذي حمله على ما ارتكبه والمعنى ان الله تعالى يريهم السيئات التي عملوها وارتكبوها في الدنيا
فيتحسرون لم عملوها وقيل يريهم ما تركوا من الحسنات فيندمون على تضييعها وقيل ترفع لهم منازلهم من الجنة
فيقال لهم تلك مساكنكم لو اطعتم الله ثم تقسم بين المؤمنين فذلك حين يتحسرون ويندمون على ما فاتهم
ولا ينفعهم الندم **وما هم بخارجين من النار** قوله عز وجل **يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا**
نزلت في ثقيف وخزاعة وعامر بن صعصعة وبني مدلج فيما حرموا على انفسهم من الحرث والانعام والبحيرة
والسائبة والوصيلة والحام والحلال المباح الذي احله الشرع وانحلت عقدة الحظر عنه واصله من الحل الذي
هو نقيض العقد والطيب ما يستلذ والمسلم لا يستطيب الا الحلال ويعاف الحرام وقيل الطيب هو الطاهر لان
النجس تكرهه النفس وتعافه **ولا تتبعوا خطوات الشيطان** اي لا تسلكوا سبيله وقيل معناه لا تأتموا به
ولا تتبعوا اثاره وزلاته والمعنى احذروا ان تتعدوا ما احل الله لكم الى ما يدعوكم اليه الشيطان قيل هي
النذور في المعاصي وقيل هي المحقرات من الذنوب ثم بين علة هذا التحذير بقوله تعالى **انه لكم عدو مبين**
اي ظاهر العداوة وقد اظهر الله عداوته بابائه السجود لادم ثم بين عداوته ما هي فقال تعالى **انما يامركم**
بالسوء يعني بالاثم والسوء ما يسوء صاحبه ويحزنه **والفحشاء** يعني بها المعاصي وما قبح من قول او
فعل قال ابن عباس السوء ما لا حد فيه والفحشاء ما يجب فيه الحد وقيل معنى الفحشاء الزنا وقيل هي البخل **وان تقولوا**
على الله ما لا تعلمون يعني من تحريم الحرث والانعام ويتناول ذلك جميع المعاصي والمذاهب الفاسدة التي لم

يأذن فيها ولم يرد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واعلم ان امر الشيطان ووسوسته عبارة عن هذه الخواطر
التي يجدها الانسان في قلبه وماهية هذه الخواطر حروف واصوات منتظمة خفية تشبه الكلام في الخارج
ثم ان فاعل هذه الخواطر هو الله تعالى وهو المحدث لها في باطن الانسان وانما الشيطان كالعرض والله هو المقدر
له على ذلك وقد ورد في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم وانما
قدر على ذلك لايصال هذه الخواطر الى باطن الانسان قوله تعالى **واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله** هذه قصة
مستانفة والضمير في لهم يعود على غير مذكور قال ابن عباس دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهود الى الاسلام
فقال رافع بن خارجة ومالك بن عوف بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا فهم كانوا خيرا منا واعلم منا فانزل الله هذه
الاية وقيل ان الاية متصلة بما قبلها والضمير في لهم يعود على قوله ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا وهم
مشركوا العرب قالوا بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا يعني من عبادة الاصنام وقيل بل الضمير في لهم يعود على قوله
يا ايها الناس كلوا والمعنى واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله يعني في تحليل ما حرموا على انفسهم **قالوا بل نتبع**
ما الفينا يعني وجدنا **عليه اباءنا** يعني من التحريم والتحليل قال الله تعالى **اولو كان اباؤهم**
يعني الذين يتبعونهم **لا يعقلون شيئا** يعني لا يعلمون شيئا من امر الدين لفظه عام ومعناه خاص
وذلك انهم كانوا يعقلون امر الدنيا **ولا يهتدون** اي الى الصواب ثم ضرب لهم مثلا فقال تعالى **ومثل**
الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء النعيق صوت الراعي للغنم ولا يقال نعق الا للراعي
بالغنم وحدها ومعنى الاية ومثلك يا محمد ومثل الكفار في وعظهم ودعائهم الى الله كمثل الراعي الذي ينعق بالغنم
وهي لا تسمع الا صوتا فصار الداعي الى الله وهو الرسول صلى الله عليه وسلم بمنزلة الراعي وصار الكفار بمنزلة
الغنم المنعوق بها ووجه المثل ان الغنم تسمع الصوت ولا تفطن للمراد وكذلك الكفار يسمعون صوت الرسول
صلى الله عليه وسلم ولكن لا ينتفعون به وقيل معناه ومثل الذين كفروا في قلة عقلهم وفهمهم عن الله ورسوله
كمثل المنعوق به من البهائم التي لا تفقه من الامر والنهي الا الصوت فيكون المعنى بالمثل المنعوق به خارج عن الناعق
وقيل معناه ومثل الذين كفروا في دعائهم الاصنام التي لا تفقه ولا تعقل كمثل الناعق بالغنم فهو لا ينتفع من نعيقه
بشيء غير انه عنا من الدعاء والنداء فكذلك الكافر ليس له من دعاء الاصنام وعبادتها الا العناء والبلاء والفرق
بين هذا القول والقول الذي قبله ان المحذوف هنا هو المدعو وهي الاصنام وفي القول الاول المحذوف هو الداعي
وهو الرسول صلى الله عليه وسلم **صم بكم عمي** لما شبههم بالبهائم زاد في تبكيتهم فقال صم
لانهم اذا سمعوا الحق ودعاء الرسول لم ينتفعوا به صاروا بمنزلة الاصم الذي لا يسمع يقال لمن لم يسمع ولا
يعقل كانه اصم بكم اي عن النطق بالحق عمي عن طريق الهدى **فهم لا يعقلون** وقيل المراد به العقل الكسبي
لان العقل الطبيعي كان حاصلا فيهم قوله عز وجل **يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم**
قيل ان الامر في قوله كلوا قد يكون للوجوب كالاكل لحفظ النفس ودفع الضرر عنها وقد يكون للندب كالاكل مع
الضيف وقد يكون للاباحة اذا خلا من هذه العوارض والطيب هو الحلال م عن ابي هريرة رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله طيب ولا يقبل الا الطيب وان الله امر المؤمنين بما امر
به المرسلين فقال يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وقال يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات
ما رزقناكم ثم ذكر الرجل يطيل السفر اشعث اغبر يمد يديه الى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه
حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فانى يستجاب لذلك قوله اشعث اغبر هو البعيد العهد بالدهن
والغسل والنظافة وقيل الطيب المستلذ من الطعام فلعل قوما تنزهوا عن اكل المستلذ من الطعام

فأباح الله لهم ذلك واشكروا لله يعني على نعمه إن كنتم إياه تعبدون أي اشكروا الله الذي رزقكم
هذه النعم إن كنتم تخصونه بالعبادة وتقرون أنه إلهكم لا غيره وقيل إن كنتم عارفين بالله وبنعمه فاشكروه
عليها قوله تعالى إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير لما أمرنا الله تعالى في الآية التي
تقدمت بأكل الطيبات التي هي الحلالات بين في هذه الآية أنواعا من المحرمات أما الميتة فكل ما فارقه الروح
من غير ذكاة شرعية مما يذبح وأما الدم فهو الجاري كانت العرب تجعل الدم في المصارين ثم تشويه وتأكله فحرم
الله الدم وأما الخنزير فإنه أراد بلحمه جميع أجزائه وإنما خص اللحم بالذكر لأنه المقصود لذاته بالأكل وما
أهل به لغير الله يعني وما ذبح للأصنام والطواغيت وأصل الإهلال رفع الصوت وذلك أنهم كانوا
يرفعون أصواتهم بذكر آلهتهم إذا ذبحوا لها فجرى ذلك مجرى أمرهم وحالهم حتى قيل لكل ذابح مهل وإن لم يجهر
بالتسمية فمن اضطر يعني إلى أكل الميتة وأحوج إليها غير باغ أصل البغي الفساد ولا عاد أصله من العدوان
وهو الظلم ومجاوزة الحد فلا إثم عليه أي فأكل فلا إثم عليه أي فلا حرج في أكلها إن الله غفور رحيم أي لما
أكله في حال الضرورة رحيم يعني حيث رخص لعباده في ذلك فصل في حكم الآية وفيه مسائل
الأولى في حكم الميتة أجمعت الأمة على تحريم أكل الميتة وأنها نجسة واستثنى الشرع منها السمك والجراد
أما السمك فلقوله صلى الله عليه وسلم هو الطهور ماؤه الحل ميتته أخرجه الجماعة غير البخاري ومسلم
قال الترمذي فيه حديث حسن صحيح وأما الجراد فلما روي عن ابن أبي أوفى قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم سبع غزوات أو ستا وكنا نأكل الجراد ونحن معه أخرجاه في الصحيحين واختلف في السمك الميت
الطافي على وجه الماء فقال مالك والشافعي لا بأس به وقال أبو حنيفة وأصحابه والحسن ابن صالح بن حي إنه مكروه
وروي عن علي بن أبي طالب أنه قال ما طفا من صيد البحر فلا تأكله وعن ابن عباس وجابر بن عبد الله مثله
وروي عن أبي بكر الصديق وأبي أيوب إباحته واختلف في الجراد فقال الشافعي وأبو حنيفة لا بأس بأكل الجراد كله
ما أخذته وما وجدته ميتا وروي عن مالك أنه ما وجد ميتا فلا يحل وما أخذ حيا يذكى ذكاة مثله بأن يقطع رأسه
ويشوى فإن غفل عنه حتى يموت فلا يحل المسئلة الثانية في حكم الدم اتفق العلماء على أن الدم حرام
نجس لا يؤكل ولا ينتفع به قال الشافعي يحرم جميع الدماء سواء كان مسفوحا أو غير مسفوح وقال أبو حنيفة
دم السمك ليس بحرام قال لأنه إذا يبس يبيض واستثنى الشارع من الدم الكبد والطحال وروى الدارقطني
عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أحل لنا من
الدم دمان ومن الميتة ميتتان الحوت والجراد ومن الدم الكبد والطحال وفي لفظ أحلت لنا ميتتان
ودمان فأما الميتتان فالجراد والحوت وأما الدمان فالطحال والكبد وأخرجه ابن ماجه وأحمد بن حنبل
قال أحمد وعلي ابن المديني عبد الرحمن بن زيد ضعيف وأخوه عبد الله بن زيد قوي ثقة وقد أخرج الدارقطني هذا الحديث
من رواية عبد الله بن زيد عن أبيه عن ابن عمر مرفوعا وضعف أبو بكر ابن العربي هذا الحديث وقال يروى عن ابن عمر
بما لا يصح سنده وقال البيهقي يروى هذا الحديث عن ابن عمر موقوفا ومعروفا ومرفوعا الصحيح الموقوف
واختلف في تخصيص هذا العموم في الكبد والطحال فقال مالك لا تخصيص لأن الكبد والطحال لحم ويشهد
لذلك العيان الذي لا يفتقر إلى برهان وقال الشافعي هما دمان ويشهد له الحديث فهو مخصص من العموم
المسئلة الثالثة في الخنزير أجمعت الأمة على أن الخنزير بجميع أجزائه محرم وإنما ذكر الله تعالى لحمه لأن
معظم الانتفاع متعلق به ثم اختلفوا في نجاسته فقال جمهور العلماء إنه نجس وقال مالك إنه طاهر وكذا
كل حيوان عنده لأن علة الطهارة هي الحياة وللشافعي قولان في ولوغ الخنزير الجديد أنه كالكلب وفي القديم

يكفي في ولوغه غسلة واحدة والفرق بينهما أن التغليظ في الكلب تعبدي لا يعقل معناه فلا يتعدى إلى غيره المسئلة
الرابعة في حكم قوله وما أهل به لغير الله من الناس من زعم أن المراد بذلك ذبائح عبدة الأوثان الذين كانوا يذبحونها
لأصنامهم وأجاز ذبيحة النصارى إذا سمى عليها باسم المسيح وهو مذهب عطاء ومكحول والحسن والشعبي وسعيد
بن المسيب لعموم قوله وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وقال مالك والشافعي وأبو حنيفة لا يحل ذلك والحجة
فيه أنهم إذا ذبحوا على اسم المسيح فقد أهلوا به لغير الله فوجب أن يحرم وروي عن علي بن أبي طالب أنه قال إذا سمعتم
اليهود والنصارى يهلون لغير الله فلا تأكلوا وإذا لم تسمعوهم فكلوا فإن الله قد أحل ذبائحهم وهو يعلم ما يقولون
المسئلة الخامسة في حكم المضطر المضطر هو المكلف بالشيء الملجأ إليه المكره عليه والمراد بالمضطر في
قوله فمن اضطر أي خاف التلف حتى قيل من اضطر إلى أكل الميتة فلم يأكل منها حتى مات دخل النار والمضطر
على ثلاثة أقسام إما بإكراه أو بجوع في مخمصة أو بفقر لا يجد شيئا البتة فإن التحريم يرتفع مع وجود هذه الأقسام
بحكم الاستثناء في قوله فلا إثم عليه وتباح له الميتة فأما الإكراه فيبيح ذلك إلى زوال الإكراه وأما المخمصة
فلا تخلو إما أن تكون دائمة فلا خلاف في جواز الشبع منها وإن كانت نادرة فاختلف العلماء فيه وللشافعي قولان
أحدهما أنه يأكل ما يسد به الرمق وبه قال أبو حنيفة والثاني يأكل قدر الشبع وبه قال مالك المسئلة السادسة
في قوله غير باغ ولا عاد قال ابن عباس معنى غير باغ غير خارج على السلطان ولا عاد أي متعد يعني العاصي بسفره
بأن يخرج لقطع الطريق أو أبق من مولاه فلا يجوز للعاصي بسفره أن يأكل من الميتة إذا اضطر إليها ولا يترخص
برخص المسافرين حتى يتوب وبه قال الشافعي لأن إباحة الميتة له إعانة له على فساده وذهب قوم إلى أن البغي
والعدوان يرجعان إلى الأكل وبه قال أبو حنيفة وأباح أكل الميتة للمضطر وإن كان عاصيا وقيل في معنى قوله غير باغ
أي غير طالب الميتة وهو يجد غيرها ولا عاد أي غير متعد ما حد له وقيل غير مستحل لها ولا متزود منها والله أعلم
قوله عز وجل إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب نزلت في رؤساء اليهود وعلمائهم وذلك
أنهم كانوا يصيبون من سفلتهم الهدايا والمآكل وكانوا يرجون أن يكون النبي المبعوث منهم فلما بعث محمد صلى الله عليه
وسلم وهو من غيرهم خافوا على ذهاب وزوال رياستهم فعمدوا إلى صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتموها
فأنزل الله إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب أي في الكتاب من صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونعته ووقت
نبوته هذا قول المفسرين قال الإمام فخر الدين الرازي وعند المتكلمين هذا ممتنع لأن التوراة والإنجيل قد بلغا من الشهرة
والتواتر إلى حيث تعذر ذلك فيهما بل كانوا يكتمون التأويل لأنه قد كان منهم من يعرف الآيات الدالة على نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم فكانوا يذكرون لها تأويلات باطلة ويصرفونها عن محاملها الصحيحة الدالة على نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم فهذا هو المراد بالكتمان فيصير المعنى إن الذين يكتمون معاني ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به
أي بالكتمان وقيل يعود الضمير إلى ما أنزل الله من الكتاب ثمنا قليلا أي عوضا يسيرا وهي المآكل التي كانوا
يأخذونها من سفلتهم أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار يعني ما يؤديهم إلى النار وهو الرشى
والحرام فلما كان يفضي ذلك بهم إلى النار فكأنهم أكلوا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة أي كلام
رحمة وما يسرهم بل يكلمهم بالتوبيخ وهو قوله اخسئوا فيها وقيل أراد به الغضب يقال فلان لا يكلم فلانا إذا غضب
عليه ولا يزكيهم أي ولا يطهرهم من دنس الذنوب ولهم عذاب أليم أي وجع يصل ألمه
إلى قلوبهم أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة معناه أنهم
اختاروا الضلالة على الهدى واختاروا العذاب على المغفرة لأنهم كانوا عالمين بالحق ولكن كتموه وأخفوه وكان
في إظهاره الهدى والمغفرة وفي كتمانه الضلالة والعذاب فلما أقدموا على إخفاء الحق وكتمانه كانوا بائعين الهدى

بالضلالة والمغفرة بالعذاب **فما اصبرهم على النار** اى ما الذى اصبرهم واى شىء جسرهم على النار حتى تركوا
الحق واتبعوا الباطل فهو استفهام بمعنى التوبيخ وقيل انه بمعنى التعجب من حالهم فى التباسهم بموجبات النار
من غير مبالاة منهم فلما اقدموا على ما يوجب النار مع علمهم بذلك صاروا كالراضين بالعذاب والصابرين عليه
تعجب من حالهم بقوله فما اصبرهم على النار **ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق** يعنى ذلك العذاب
بسبب ان الله نزل الكتاب بالحق فكفروا به وانكروه وقيل معناه فعلنا بهم ذلك لان الله نزل الكتاب بالحق فحرفوه
فعلى هذا يكون المراد بالكتاب التورية **وان الذين اختلفوا فى الكتاب** يعنى اختلفوا فى معانيه وتاويله
فحرفوها وبدلوها وقيل امنوا ببعض وكفروا ببعض **لفى شقاق** اى خلاف ومنازعة **بعيد**
يعنى عن الحق قوله عز وجل **ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب** هذا خطاب لاهل الكتاب لان
النصارى تصلى قبل المشرق واليهود قبل المغرب الى بيت المقدس وزعم كل طائفة منهم ان البر فى ذلك فاخبر الله تعالى
ان البر ليس فيما زعموا ولكن فيما بينته فى هذه الاية وقال ابن عباس هو خطاب للمؤمنين وذلك ان الرجل كان فى
ابتداء الاسلام اذا اتى بالشهادتين وصلى الى اى جهة كانت ثم مات على ذلك وجبت له الجنة فلما هاجر
رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزلت الفرائض وصرفت القبلة الى الكعبة انزل الله هذه الاية فقال تعالى ليس
البر ان تولوا وجوهكم اى فى صلاتكم قبل المشرق والمغرب ولا تعملوا ذلك **ولكن البر** يعنى ما بينته لكم والبر
اسم جامع لكل الطاعات واعمال الخير المقربة الى الله الموجبة للثواب والمؤدية الى الجنة ثم بين خصالا من البر
فقال تعالى **من امن بالله واليوم الاخر** اى ولكن البر من امن بالله فالمراد بالبر هنا الايمان بالله
والتقوى من الله واليوم الاخر وانما ذكر الايمان باليوم الاخر لان عبدة الاوثان كانوا ينكرون البعث بعد
الموت **والملائكة** اى ومن البر الايمان بالملائكة كلهم لان اليهود قالوا ان جبريل عدونا **والكتاب**
قيل اراد به القران وقيل جميع الكتب المنزلة لسياق ما بعده وهو قوله **والنبيين** يعنى اجمع وانما
خص الايمان بهذه الامور الخمسة لانه يدخل تحت كل واحد منها اشياء كثيرة مما يلزم المؤمن ان يصدق بها
واتى المال على حبه يعنى من اعمال البر ايتاء المال على حبه قيل ان الضمير راجع الى المال فالتقدير على هذا
واتى المال على حب المال **ق** عن ابى هريرة قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اى الصدقة
اعظم اجرا قال ان تصدق وانت صحيح شحيح تخشى الفقر وتامل الغنى ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت
لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان كذا قوله حتى اذا بلغت الحلقوم يعنى الروح وان لم يتقدم لها ذكر
وقوله لفلان كذا هو كناية عن الموصى له وقوله وقد كان لفلان كذا كناية عن الوارث وقيل الضمير فى
حبه راجع على الله اى واتى المال على حب الله وفى طلب مرضاته **ذوى القربى** يعنى اهل قرابة المعطى وانما
قدمهم لانهم احق بالاعطاء عن سليمان بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصدقة على
المسكين صدقة وعلى ذى الرحم ثنتان صدقة وصلة اخرجه النسائى **ق** ان ميمونة اعتقت وليدة ولم
تستاذن النبى صلى الله عليه وسلم فلما كان يومها الذى يدور عليها فيه قالت اشعرت يا رسول الله انى اعتقت
وليدتى قال او فعلت قالت نعم قال اما انك لو اعطيتها اخوالك كان اعظم لاجرك الوليدة الجارية **واليتامى**
اليتيم هو الذى لا اب له مع الصغر وقيل يقع على الصغير والبالغ اى واتى الفقراء من اليتامى **والمساكين**
جمع المسكين سمى بذلك لانه دائم السكون الى الناس لانه لا شىء له **وابن السبيل** يعنى المسافر المنقطع
عن اهله سمى المسافر ابن السبيل لملازمته الطريق وقيل هو الضيف ينزل بالرجل لانه انما وصل اليه من السبيل
وهو الطريق والاول اشبه لان ابن السبيل اسم جامع جعل للمسافر **والسائلين** يعنى الطالبين

المستطعمين

المستطعمين عن على بن ابى طالب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للسائل حق ولو جاء على فرس اخرجه ابو داود
عن زيد بن اسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اعطوا السائل ولو جاء على فرس اخرجه مالك فى الموطا
عن ام بجيد قالت قلت يا رسول الله ان المسكين ليقوم على بابى فما اجد شيئا اعطيه اياه قال ان تجدى الا ظلفا
محرقا فادفعيه اليه فى يده اخرجه ابو داود والترمذى وقال حديث حسن صحيح وفى رواية مالك فى الموطا
عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ردوا المسكين ولو بظلف محرق قوله ردوا المسكين لم يرد به رد
الحرمان وانما اراد به ردوه بشىء تعطوه اياه ولو كان ظلفا وهو خف الشاة وفى كونه محرقا مبالغة فى قلة
ما يعطى **وفى الرقاب** يعنى المكاتبين وقيل هو فك النسمة وعتق الرقبة وفك الاسارى **واقام
الصلاة** يعنى المفروضة فى اوقاتها **واتى الزكوة** يعنى الواجبة **والموفون بعهدهم** يعنى
ما اخذه الله من العهود على عباده بالقيام بحدوده والعمل بطاعته وقيل اراد بالعهد ما يحمله الانسان
على نفسه ابتداء من نذر وغيره وقيل العهد الذى كان بينه وبين الناس مثل الوفاء بالمواعيد واداء الامانات
اذا عاهدوا يعنى اذا وعدوا انجزوا واذا نذروا وفوا واذا حلفوا بروا فى ايمانهم واذا قالوا صدقوا
فى اقوالهم واذا ائتمنوا ادوا **والصابرين فى البأساء** اى فى الشدة والفقر والفاقة **والضراء**
يعنى المرض والزمانة **وحين البأس** يعنى القتال والحرب فى سبيل الله وسمى الحرب بأسا لما فيه من الشدة
ق عن البراء قال كنا والله اذا احمر البأس نتقى به وان الشجاع منا الذى يحاذى به يعنى النبى صلى الله عليه
وسلم قوله احمر البأس اى اشتد الحرب ونتقى به اى نجعله وقاية لنا من العدو **اولئك الذين صدقوا**
اى اهل هذه الاوصاف هم الذين صدقوا فى ايمانهم **واولئك هم المتقون** قوله تعالى **يا ايها الذين امنوا
كتب عليكم القصاص فى القتلى** نزلت فى حيين من احياء العرب اقتتلوا فى الجاهلية بسبب قتيل
فكانت بينهم قتل وحروب وجراحات كثيرة ولم ياخذ بعضهم من بعض حتى جاء الاسلام وقيل نزلت فى
الاوس والخزرج وكان لاحد الحيين طول على الاخر فى الكثرة والشرف وكانوا ينكحون نساءهم بغير مهور
واقسموا لنقتلن بالعبد منا الحر منهم وبالمراة منا الرجل منهم وبالرجل منا الرجلين منهم وجعلوا جراحاتهم
ضعفى جراحات اوليائهم فرفعوا امرهم الى النبى صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الاية وامروا بالمساواة
فرضوا وسلموا وقيل انما نزلت هذه الاية لازالة الاحكام التى كانت قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم
وذلك ان اليهود كانوا يوجبون القتل فقط بلا عفو والنصارى يوجبون العفو بلا قتل والعرب فى الجاهلية
كانوا يوجبون القتل تارة ويوجبون اخذ الدية تارة وكانوا يتعدون فى الحكمين فان وقع القتل على شريف
قتلوا به عددا وياخذون دية الشريف اضعاف دية الخسيس فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم اوجب
رعاية العدل وسوى بين عباده فى حكم القصاص فانزل الله يا ايها الذين امنوا كتب اى فرض عليكم القصاص
او اخذ الدية قلت ان القصاص فرض على القاتل للولى لا على الولى وقيل اذا اراد ثم القصاص فقد فرض عليكم
والقصاص المساواة والمماثلة فى القتل والدية والجراح من قص الاثر اذا اتبعه فالمفعول به يتبع ما فعل
به فيفعل مثل ذلك فلو قتل رجل رجلا بعصى او خنقه او شدخ راسه بحجر فمات فيقتل القاتل بمثل الذى
قتل به وهو قول مالك والشافعى واحدى الروايتين عن احمد وقيل يقتل بالسيف وهو قول ابى حنيفة والرواية
عن احمد **الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى** ومعناه انه اذا تكافأ الدمان
من الاحرار المسلمين او العبيد من المسلمين او الاحرار من المعاهدين او العبيد منهم فيقتل كل صنف اذا قتل
بمثله الذكر بالذكر والانثى بالانثى وبالذكر ولا يقتل مؤمن بكافر ولا حر بعبد ولا والد بولد ويقتل الذمى

بالمسلم والعبد بالحر والولد بالوالد هذا مذهب مالك والشافعي واحمد ويدل عليه ما روى البخاري في صحيحه عن
ابي جحيفة قال سألت عليا هل عندكم من النبي صلى الله عليه وسلم شيء سوى القرآن قال لا والذي فلق الحبة وبرأ
النسمة الا ان يؤتي الله عبدا فهما في القرآن وما في هذه الصحيفة قلت وما في الصحيفة قال العقل وفك الاسير
وان لا يقتل مؤمن بكافر وقد اخرج مسلم عن علي نحو هذا من غير رواية ابي جحيفة العقل هنا هو الدية والعاقلة
الجماعة من اولياء القاتل الذين يعقلون عن ابن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تقام
الحدود في المساجد ولا يقتل الوالد بالولد اخرجه الترمذي وذهب اصحاب الرأي الى ان المسلم يقتل بالذمي والحر
بالعبد وهذه الآية مع الاحاديث حجة لمذهب الشافعي ومن وافقه ويقولون هي مفسرة لما ابهم في قوله النفس
بالنفس وان تلك واردة لحكاية ما كتب على بني اسرائيل في التوراة وهذه الآية خطاب للمسلمين بما كتب عليهم
وذهب اصحاب الرأي الى ان هذه منسوخة بقوله النفس بالنفس وتقتل الجماعة بالواحد يدل عليه ما روى البخاري في صحيحه
عن ابن عمر ان غلاما قتل غيلة فقال عمر لو اشترك فيها اهل صنعاء لقتلتهم قال البخاري وقال المغيرة بن حكيم عن
ابيه ان اربعة قتلوا صبيا فقال عمر مثله وروى مالك في الموطإ عن ابن المسيب ان عمر قتل نفرا خمسة او سبعة
برجل واحد قتلوه غيلة وقال لو تمالأ عليه اهل صنعاء لقتلتهم جميعا الغيلة ان يقتل الرجل خديعة ومكرا من غير
ان يعلم ما يراد به وقوله لو تمالأ اي تعاونوا واجمعوا عليه قوله تعالى فمن عفي له من اخيه شيء اي ترك
له وصفح عنه من الواجب عليه وهو القصاص في قتل العمد ورضي بالدية والعفو فيها هو قبول الدية في قتل العمد من اخيه اي
من ورثة اخيه واراد بالاخ ولي المقتول وانما قيل له اخ لانه لابسه من قبل انه ولي الدم والمطالبة وقيل انما ذكره
بلفظ الاخوة ليعطف احدهما على صاحبه بما هو ثابت بينهما من الجنسية واخوة الاسلام وفي قوله شيء دليل
على ان بعض الاولياء اذا عفى سقط القود وثبتت الدية لان شيئا من الدم قد بطل فاتباع بالمعروف
اي فليتبع الولي القاتل بالمعروف فلا يأخذ اكثر من حقه ولا يعنفه واداء اليه باحسان اي على القاتل اداء
الدية الى ولي الدم من غير مماطلة امر كل واحد منهما بالاحسان فيما له وعليه وقيل في تقدير الآية واذا عفا ولي
الدم عن شيء يتعلق بالقاتل وهو وجوب القصاص فليتبع القاتل ذلك العفو بمعروف وليؤد ما وجب عليه من الدية
الى ولي الدم باحسان من غير مطل ولا مدافعة وفي الآية دليل على ان القاتل لا يصير كافرا وان الفاسق مؤمن
بقوله تعالى يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص فسماهم مؤمنا حال ما اوجب عليه القصاص وانما وجب عليه
بعد صدور القتل منه وقتل العمد والعدوان من الكبائر بالاجماع فدل على ان صاحب الكبيرة مؤمن ووجه ذلك
من وجوه الاول ان الله تعالى خاطبه بعد القتل بالايمان وسماه مؤمنا الوجه الثاني انه تعالى اثبت الاخوة
بين القاتل وولي الدم بقوله فمن عفي له من اخيه شيء واراد بالاخوة اخوة الايمان فلولا ان الايمان باق
على القاتل لم يثبت له الاخوة الوجه الثالث انه تعالى ندب العفو عن القاتل والعفو لا يليق الا عن المؤمن
لا عن الكافر وقوله تعالى ذلك تخفيف من ربكم ورحمة يعني الذي ذكر من الحكم بشرع القصاص
والعفو عن القصاص واخذ الدية تخفيف من ربكم في حقكم ورحمة وذلك لان العفو والدية كانا حراما على
اليهود وكان القصاص حتما في التوراة وكان في شرع النصارى اخذ الدية ولم يكتب عليهم القصاص وقيل كان
عليهم العفو دون القصاص واخذ الدية فخير الله هذه الامة بين القصاص والعفو واخذ الدية توسعة عليهم وتسهيلا
وتفضيلا لهم على غيرهم فمن اعتدى بعد ذلك يعني بعد هذا التخفيف فقتل الجاني بعد العفو او
قبول الدية فله عذاب اليم وهو ان يقتل قصاصا ولا يقبل منه دية ولا يعفى عنه وقيل المراد بالعذاب
الاليم عذاب الآخرة قوله تعالى ولكم في القصاص حياة اي بقاء وذلك ان القاصد للقتل اذا علم

انه اذا قتل قتل ترك القتل وامتنع عنه فيكون فيه بقاؤه وبقاء من هم بقتله وقيل ان نفس القصاص سبب للحياة وذلك
ان القاتل اذا اقتص منه ارتدع غيره ممن كان يهم بالقتل واعلم ان هذا الحكم ليس مختصا بالقصاص الذي هو القتل بل يدخل
فيه جميع الجراح والشجاج وغير ذلك لان الجارح اذا علم انه اذا اجرح جرح لم يجرح فيصير ذلك سببا لبقاء الجارح
والمجروح وربما افضت الجراحة الى الموت فيقتص من الجارح وقيل في معنى الآية ان الحياة سلامته من قصاص الآخرة
فانه اذا اقتص منه في الدنيا لم يقتص منه في الآخرة وفي ذلك حياته واذا لم يقتص منه في الدنيا اقتص منه في الآخرة
يا اولي الالباب اي يا ذوي العقول الذين يعرفون الصواب لان العاقل لا يريد اتلاف نفسه باتلاف غيره
لعلكم تتقون يعني لعلكم تنتهون عن القتل خوفا للقصاص قوله عز وجل كتب عليكم اي فرض
واوجب عليكم اذا حضر احدكم الموت اي قرب ودنا منه وظهرت اماراته عليه من العلل والامراض
المخوفة وليس المراد منه معاينة الموت لان في ذلك الوقت يحجر عن الايصاء ان ترك خيرا يعني مالا وقيل
يطلق على القليل والكثير وهو قول الزهري فيجب الوصية في الكل وقيل ان لفظة الخير لا تطلق الا على المال الكثير
وهو قول الاكثرين واختلفوا في مقداره الكثير الذي تقع فيه الوصية فقيل الف درهم فما زاد عليها وقيل سبعمائة فما
فوقها وقيل ستون دينارا فما فوقها وقيل انه من خمسمائة الى الالف وقيل انه المال الكثير الفاضل عن العيال
روى ان رجلا قال لعائشة اني اريد ان اوصي فقالت له كم مالك قال ثلاثة الاف درهم قالت كم عيالك قال
اربعة قالت انما قال الله ان ترك خيرا وهذا شيء يسير فاتركه لعيالك الوصية اي الايصاء والوصية التقدم
الى الغير بما يعمل به وقيل هي القول المبين لما يستأنف من العمل والقيام به بعد الموت للوالدين والاقربين
كانت الوصية في ابتداء الاسلام فريضة للوالدين والاقربين على من مات وله مال وسبب ذلك ان اهل الجاهلية
كانوا يوصون للابعدين طلبا للفخر والشرف والرياء ويتركون الاقربين فقراء فاوجب الله تعالى الوصية للاقربين
ثم نسخت هذه الآية بآية المواريث ويدل عليه ما روى عن عمرو بن خارجة قال كنت آخذا بزمام ناقة النبي صلى الله عليه
وسلم وهو يخطب فسمعته يقول ان الله اعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث اخرجه النسائي والترمذي نحوه وذهب
ابن عباس الى ان وجوبها صار منسوخا في حق من يرث وبقي وجوبها في حق من لا يرث من الوالدين والاقربين وهو قول الحسن
ومسروق وطاوس والضحاك ومسلم بن يسار وحجة هؤلاء ان الآية دالة على وجوب الوصية للوالدين والاقربين
ثم نسخ ذلك الوجوب في حق من يرث بآية الميراث وبالحديث المتقدم فوجب ان تبقى الآية دالة على وجوب الوصية
للقريب الذي لا يرث ففي قول هؤلاء النسخ بينا وبعض احكام الآية وذهب اكثرون من المفسرين والعلماء وفقهاء
الحجاز والعراق الى ان وجوبها صار منسوخا في حق الكافة وهي مستحبة في حق من لا يرث ويدل على استحباب الوصية
والحث عليها ما روى عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه ووفي
رواية له شيء يريد ان يوصي به ان يبيت ليلتين وفي رواية ثلاث ليال الا ووصيته مكتوبة عنده قال نافع سمعت
عبد الله بن عمر يقول ما مرت علي ليلة منذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك الا ووصيتي
مكتوبة عندي اخرجه الجماعة قوله ما حق امرء الحق يشتمل معناه على الواجب والندب والحث فيحمل هنا على
الحث في الوصية لانه لا يدري متى يأتيه الموت فربما اتاه بغتة فيمنعه عن الوصية وقوله تعالى بالمعروف
اي بالعدل الذي لا وكس فيه ولا شطط فلا يزيد على الثلث ولا يوصي للغني ويدع الفقير روى عن سعيد بن ابي
وقاص قال جاءني رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني عام حجة الوداع من وجع اشتد بي فقلت يا رسول الله
اني قد بلغ بي من الوجع ما ترى وانا ذو مال ولا يرثني الا ابنة لي افاتصدق بثلثي مالي قال لا قلت فالشطر يا رسول الله
قال لا قلت فالثلث قال الثلث والثلث كثير او كبير انك ان تدع ورثتك اغنياء خير من ان تدعهم عالة

يتكففون الناس العالة الفقراء وقوله يتكففون الناس التكفف التسئل من الناس كأنه من الطلب بالكف ق عن ابن عباس قال في الوصية لو أن الناس غضوا من الثلث إلى الربع فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الثلث والثلث كثير وقال علي بن أبي طالب لأن أوصي بالخمس أحب إلي من أن أوصي بالربع وإن أوصى بالربع أحب إلي من أوصى بالثلث فمن أوصى بالثلث فلم يترك وقيل يوصي بالسدس أو الخمس أو الربع حقا أي ثابتا ثبوت ندب لا ثبوت فرض ووجوب على المتقين أي المؤمنين الذين يتقون الشرك فمن بدله أي غير الوصية من الأولياء والأوصياء ودل لك التغيير إما في الكتابة أو في قسمة الحقوق أو الشهود بأن يكتموا الشهادة أو يغيروها وإنما ذكر الكناية في بدله مع أن الوصية مؤنثة لأن الوصية بمعنى الإيصاء كقوله فمن جاءه موعظة أي وعظ والتقدير فمن بدل قول الميت وما أوصى به بعد ما سمعه أي من الموصي وتحققه فإنما إثمه على الذين يبدلونه أي إن إثم ذلك التبديل لا يعود إلا على المبدل والموصي والموصى بريء منه إن الله سميع يعني لما أوصى الموصي عليم يعني بتبديل المبدل فمن خاف أي علم وهو خطاب عام لجميع المسلمين من موص جنفا أي جورا في الوصية وعدولا عن الحق والجنف الميل أو إثما أي ظلما فأصلح بينهم وقيل الجنف الخطأ في الوصية والإثم العمد وقيل في معنى الآية أنه إذا حضر رجل مريضا وهو يوصي فرآه يميل في وصيته إما بتقصير أو إسراف أو وضع الوصية في غير موضعها فلا حرج عليه أن يأمره بالعدل في وصيته وينهاه عن الجنف والميل وقيل إذا أدنى أنه إذا أخطأ الميت في وصيته أو حاف متعمدا فلا حرج على وليه أو وصيه أو والي أمور المسلمين أن يصلح بعد موته بين ورثته وبين الموصى لهم ويرد الوصية إلى العدل والحق فلا إثم عليه أي فلا حرج عليه في الصلح إن الله غفور رحيم أي لمن أصلح وصيته بعد الجنف والميل عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الرجل ليعمل والمرأة بطاعة الله ستين سنة ثم يحضرهما الموت فيضاران في الوصية فتجب لهما النار ثم قرأ أبو هريرة من بعد وصية يوصى بها أو دين إلى قوله ذلك الفوز العظيم أخرجه أبو داود والترمذي وقوله فيضاران المضارة إيصال الضرر إلى شخص ومعنى المضارة في الوصية أن لا يمضي أو ينقص بعضها أو يوصي لغير أهلها أو يحيف في الوصية ونحو ذلك قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا كتب أي فرض عليكم الصيام والصوم في اللغة هو الإمساك يقال لصام النهار إذا اعتدل وقام قائم الظهيرة ومنه قوله تعالى إني نذرت للرحمن صوما أي صمتا لأنه إمساك عن الكلام والصوم في الشرع عبارة عن الإمساك عن الأكل والشرب والجماع في وقت مخصوص وهو من طلوع الفجر إلى غروب الشمس مع النية كما كتب على الذين من قبلكم يعني من الأنبياء والأمم من لدن آدم إلى عهدكم والمعنى أن الصوم عبادة قديمة ما أخلى الله أمة لم يفرضه عليهم كما فرضه عليكم وذلك لأن الصوم عبادة شاقة والشيء الشاق إذا عم سهل عمله وقيل إن صيام شهر رمضان كان واجبا على النصارى كما فرض علينا فصاموا رمضان زمانا فوقعوا في الحر الشديد والبرد الشديد وكان يشق ذلك عليهم في أسفارهم ويضر بهم في معايشهم فاجتمع رأي علمائهم ورؤسائهم أن يجعلوه في فصل من السنة معتدل بين الصيف والشتاء فجعلوه في فصل الربيع ثم زادوا فيه عشرة أيام كفارة لما صنعوا فصاموا أربعين يوما ثم بعد زمان اشتكى ملكهم قرحة فجعل لله عليه إن هو برأه من وجعه أن يزيد في صومهم أسبوعا فبرأ فزاد فيه أسبوعا ثم مات ذلك الملك بعد زمان وولي بعده ملك آخر فقال لما شاء هذه الثلاثة أيام أتموا خمسين يوما فأتموه وقيل أصابهم موتان فقالوا زيدوا في صيامكم فزادوا عشرا قبله وعشرا بعده وقيل إن النصارى فرض عليهم صوم رمضان فصاموا قبله يوما وبعده يوما ثم لم يزالوا يزيدون يوما بعد يوم حتى بلغ خمسين فلذلك نهى عن صوم يوم الشك لعلكم تتقون يعني ما حرم عليكم في صيامكم لأن الصوم وصلة إلى التقوى لما فيه من كسر النفس وتركك

الشهوات من الأكل والجماع وغيرهما وقيل معناه لعلكم تتقون ما فعله النصارى من تغيير الصوم وقيل لعلكم تستطيعون في زمرة المتقين لأن الصوم من شعائرهم أياما معدودات أي أيام مقدرات وقيل قليلات قيل إنه كان في ابتداء الإسلام صوم ثلاثة أيام من كل شهر وجبا وصوم يوم عاشوراء ثم نسخ ذلك بفرضية صوم شهر رمضان قال ابن عباس أول ما نسخ بعد الهجرة أمر القبلة ثم الصوم ق عن عائشة قالت كان يوم عاشوراء تصومه قريش في الجاهلية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه في الجاهلية فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة صامه وأمر بصيامه فلما فرض رمضان ترك عاشوراء فمن شاء صامه ومن شاء تركه وقيل إن المراد من قوله أياما معدودات أيام شهر رمضان ووجهه أن الله تعالى قال أولا كتب عليكم الصيام وهذا يحتمل صوم يوم أو يومين ثم بينه بقوله معدودات على أنه أكثر من ذلك لكنها عين منحصرة بعدد ثم بين جمعها بقوله شهر رمضان فإذا أمكن ذلك فلا وجه لحمل الأيام المعدودات على غير رمضان فتكون الآية غير منسوخة بقال إن فريضة رمضان نزلت في السنة الثانية من الهجرة وذلك قبل غزوة بدر بشهر وأيام وكانت غزوة بدر يوم الجمعة لسبع عشرة خلت من رمضان على رأس ثمانية عشر شهرا من الهجرة فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة أي فأفطر فعليه عدة من أيام أخر يعني غير أيام مرضه وسفره وعلى الذين يطيقونه أي يطيقون الصوم وأختلف العلماء في حكم هذه الآية فذهب أكثرهم إلى أنها منسوخة وهو قول عمر بن الخطاب وسلمة بن الأكوع وغيرهما وذلك أنهم كانوا في ابتداء الإسلام مخيرين بين أن يصوموا وبين أن يفطروا ويفدوا وإنما خيرهم الله تعالى ليلا يشق عليهم لأنهم كانوا لم يتعودوا الصوم ثم نسخ التخيير ونزلت العزيمة بقوله تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه فصارت هذه الآية ناسخة للتخيير ق عن سلمة بن الأكوع قال لما نزلت هذه الآية وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين كان من أراد أن يفطر ويفدي حتى نزلت هذه الآية التي بعدها فنسختها وفي رواية حتى نزلت هذه الآية فمن شهد منكم الشهر فليصمه وقال قتادة هي خاصة في حق الشيخ الكبير الذي يطيق الصوم ولكن يشق عليه رخص له أن يفطر ويفدي ثم نسخ ذلك وقال الحسن هذا في المريض الذي يقع عليه اسم المرض وهو يستطيع الصوم خير بين الصيام وبين أن يفطر ويفدي ثم نسخ وذهب جماعة منهم ابن عباس إلى أن الآية محكمة غير منسوخة ومعناها وعلى الذين كانوا يطيقونه في حال الشباب ثم عجزوا عنه عند الكبر فعليهم الفدية بدل الصوم وقرأ ابن عباس وعلى الذين يطوقونه بضم الياء وفتح الطاء وبالواو والمشددة المفتوحة عوض الياء ومعناه يكلفون الصوم ق عن عطاء أنه سمع ابن عباس يقرأ وعلى الذين يطوقونه فدية طعام مسكين قال ابن عباس ليست بمنسوخة وهو الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما فيطعمان مكان كل يوم مسكينا طعام مسكين الفدية الجزاء وهو القدر الذي يبذله الإنسان يفتي به نفسه من تقصير وقع منه في عبادة ونحوها ويجب على من أفطر في رمضان ولم يقدر على القضاء الكبير أن يطعم مكان كل يوم مسكينا مدا من غالب قوت البلد وهذا قول فقهاء الحجاز وقال بعض فقهاء العراق عليه لكل مسكين نصف صاع عن كل يوم وقال بعضهم نصف صاع من البر وصاعا من غيره وقال ابن عباس يعطى كل مسكين عشاءه وسحوره فمن تطوع خيرا فهو خير له يعني زاد على مسكين واحد فأطعم عن كل يوم مسكينين فأكثر وقيل فمن زاد على القدر الواجب فأطعم صاعا وعليه مد فهو خير له وأن تصوموا خير لكم قيل هو خطاب مع الذين يطيقونه فيكون المعنى وأن تصوموا أيها المطيقون وتتحملوا المشقة فهو خير لكم من الإفطار والفدية وقيل هو خطاب مع الكافة وهو الأصح لأن اللفظ عام فرجوعه إلى الكل أولى إن كنتم تعلمون يعني أن الصوم خير لكم وقيل معناه إذا

ضممتم علمتم ما في الصوم من المعاني المورثة للخير والتقوى واعلم انه لا رخصة لاحد من المسلمين المكلفين
في فطار رمضان بغير عذر والاعذار المبيحة للفطر ثلاثة احدها السفر والمرض والحيض والنفاس وفي هؤلاء
اذا افطروا فعليهم القضاء دون الكفارة الثاني الحامل والمرضع اذا خافتا على ولديهما افطرتا وعليهما القضاء
والكفارة واليه ذهب الشافعي وذهب اصحاب الرأي انه لا فدية عليهما الثالث الشيخ الكبير والعجوز
الكبيرة والمريض الذي لا يرجى برؤه فعليهم الكفارة دون القضاء قوله عز وجل **شهر رمضان** يعني وقت
صيامكم شهر رمضان سمي الشهر شهرا لشهرته يقال للسراج اذا اظهره شهره وسمي الهلال شهرا لشهرته وبيانه وقيل
سمي الشهر شهرا باسم الهلال واتما رمضان فاشتقاقه من الرمضاء وهي الحجارة المحماة في الشمس وقيل انهم
لما نقلوا اسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالازمنة التي وقعت فيها فوافق هذا الشهر ايام رمض الحر
فسموه به وقيل ان رمضان اسم من اسماء الله تعالى فيكون معناه شهر الله والاصح ان رمضان اسم هذا الشهر
كشهر رجب وشهر شعبان وشهر رمضان **الذي انزل فيه القرآن** لما خص الله تعالى شهر رمضان بهذه
العبادة العظيمة بين سبب تخصيصه بانزال اعظم كتبه فيه والقرآن اسم لهذا الكتاب المنزل على رسول الله صلى الله
عليه وسلم روى عن الشافعي انه كان يقول القرآن اسم وليس بمهموز وليس هو من القراءة ولكنه اسم لهذا الكتاب
كالتوراة والانجيل فعلى هذا القول انه ليس بمشتق وذهب الاكثرون الى انه مشتق من القرء وهو الجمع سمي قرآنا
لانه يجمع السور والايات بعضها الى بعض ويجمع الاحكام والقصص والامثال والايات الدالة على وحدانية
الله تعالى قال ابن عباس انزل القرآن جملة واحدة في ليلة القدر من شهر رمضان فوضع في بيت العزة في سماء
الدنيا ثم نزل به جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم نجوما في نحو ثلاث وعشرين سنة قذلك قوله فلا اقسم بمواقع
النجوم وروى ابو ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال انزلت صحف ابراهيم في ثلاث ليال مضين من رمضان وانزل التوراة
وفي رواية في اول ليلة من رمضان وانزلت توراة موسى في ست ليال مضتين من رمضان وانزل الانجيل عيسى
في ثماني عشرة ليلة مضت من رمضان وانزل داود في ثنتي عشرة ليلة مضت من رمضان وانزل الفرقان
على محمد صلى الله عليه وسلم في الرابعة والعشرين لست بقين بعدها فعلى هذا يكون ابتداء نزول القرآن على محمد
صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان وهو قول ابي اسحق وابي سليمان الدمشقي وقيل في معنى الآية شهر رمضان
الذي نزل فرض صيامه القرآن كما تقول نزلت هذه الآية في الصلاة والزكوة وتحو ذلك من الفرائض يروى ذلك
عن مجاهد والضحاك وهو اختيار الحسن بن الفضل **هدى للناس** يعني من الضلال **وبينات من الهدى**
والفرقان فان قلت هذا فيه اشكال وهو انه يقال ما معنى قوله وبينات من الهدى بعد قوله هدى
للناس قلت انه تعالى ذكر اولا انه هدى ثم الهدى على قسمين تارة يكون هدى جليا وتارة لا يكون كذلك
فكانه قال هو هدى ثم قال هو البين من الهدى الفارق بين الحق والباطل وقيل ان القرآن هدى في نفسه فكانه
قال ان القرآن هدى للناس على الاجمال وبينات من الهدى والفرقان على التفصيل لان البينات هي الدلالات
الواضحات التي تبين الحلال والحرام والحدود والاحكام ومعنى الفرقان الفارق بين الحق والباطل قوله تعالى
فمن شهد منكم الشهر فليصمه اي فمن كان حاضرا مقيما غير مسافر فادركه الشهر فليصمه
والشهود الحضور وقيل هو محمول على العادة بمشاهدة الشهر وهي رؤية الهلال ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم
صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته اخرجاه في الصحيحين ولا خلاف انه يصوم رمضان من رأى الهلال ومن اخبر
به واختلف العلماء في وجه الخبر عنه فمنهم من قال يحتاج فيه خبر الواحد قاله ابو ثور ومنهم من اجراه مجرى
الشهادة في سائر الحقوق قاله مالك ومنهم من اجرى اوله مجرى الاخبار فيقبل فيه خبر الواحد واجرى آخره مجرى

الشهادة فلا يقبل في اخره اقل من اثنين قاله الشافعي وهذا للاحتياط في امر العبادة لدخولها وخروجها **ومن كان**
مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر انما كرره لان الله تعالى ذكر في الآية الاولى تخيير المريض
والمسافر والمقيم الصحيح ثم نسخ تخيير المقيم الصحيح بقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه فلو اقتصر على هذا لاحتمل ان
يشمل النسخ الجميع فاعاد بعد ذكر الناسخ الرخصة للمريض والمسافر ليعلم ان الحكم باق على ما كان عليه
فصل في حكم الآية وفيه مسائل المسئلة الاولى اختلفوا في المرض المبيح للفطر على ثلاثة اقوال
احدها وهو قول اهل الظاهر اي مرض كان وهو ما يطلق عليه اسم المرض فله ان يفطر تنزيلا للفظ المطلق على اقل احواله وايه
ذهب الحسن وابن سيرين القول الثاني وهو قول الاصم ان هذه الرخصة مختصة بالمريض الذي لو صام لوقع في مشقة عظيمة
تنزيلا للفظ المطلق على اكمل احواله القول الثالث وهو قول اكثر الفقهاء ان المرض المبيح للفطر هو الذي يؤدي الى ضرر
في النفس او زيادة علة غير محتملة كالمحموم اذا خاف انه لو صام اشتدت حماه وصاحب وجع العين اذا خاف لو صام
ان يشتد وجع عينه فالمراد بالمرض ما يؤثر في تعويقه قال الشافعي اذا اجهده الصوم افطر والا فهو كالصحيح
المسئلة الثانية الفطر في السفر مباح والصوم جائز وبه قال عامة العلماء وقال ابن عباس وابو هريرة وبعض
اهل الظاهر لا يجوز الصوم في السفر ومن صام فعليه القضاء واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم ليس من البر الصيام
في السفر وحمله عامة العلماء على من يجهده الصوم في السفر فالاولى له الفطر ويدل على ذلك ما روى عن جابر
قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فرأى زحاما ورجلا قد ظلل عليه فقال ما هذا قالوا صائم فقال
ليس من البر الصيام في السفر اخرجه البخاري ومسلم وحجة الجمهور على جواز الصوم والفطر في السفر ما روى
عن انس قال سافرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان فلم يعب الصائم على المفطر ولا المفطر على
الصائم اخرجاه في الصحيحين المسئلة الثالثة اختلف العلماء في قدر السفر المبيح للفطر فقال داود الظاهري
اي سفر كان ولو فرسخا وقال الاوزاعي السفر المبيح للفطر مسيرة يوم واحد وقال الشافعي واحمد ومالك
اقله مسيرة ستة عشر فرسخا يومان وقال ابو حنيفة واصحابه اقله مسيرة ثلاثة ايام المسئلة الرابعة
اذا استهل الشهر وهو مقيم ثم انشأ السفر في اثنائه جاز له ان يفطر حالة السفر ويجوز له ان يصوم في بعض
السفر وان يفطر في بعضه ان احب يدل عليه ما روى عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج
الى مكة عام الفتح في رمضان فصام حتى بلغ الكديد ثم افطر وافطر الناس معه وكانوا يأخذون بالاحدث فالاحدث
من امر رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجاه في الصحيحين الكديد اسم موضع وهو على ثمانية واربعين ميلا من
مكة المسئلة الخامسة اختلفوا في الافضل فذهب الشافعي الى ان الصوم افضل من الفطر في السفر وبه
قال مالك وابو حنيفة وقال احمد الفطر اولى وافضل من الصوم في السفر وقالت طائفة من العلماء هما سواء
والافضل الامر ان ايسرهما لقوله تعالى **يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر** المسئلة السادسة
يبيح الفطر كل سفر مباح ليس سفر معصية فلا يجوز للعاصي بسفره ان يترخص برخص الشرع وقوله تعالى **فعدة** من
ايام اخر معناه فافطر فعليه عدة من ايام اخر فظاهر هذا انه يجوز قضاء الصوم متفرقا وان كان التتابع
اولى وفيه ايضا وجوب القضاء من غير تعيين لزمن القضاء يدل على جواز التراخي في القضاء ويدل عليه ايضا
ما روى عن عائشة قالت كان يكون علي الصوم من رمضان فما استطيع ان اقضي الا في شعبان ذاك عن
الشغل بالنبي صلى الله عليه وسلم اخرجاه في الصحيحين **يريد الله بكم اليسر** اي التسهيل في هذه
العبادة وهو اباحة الفطر للسافر والمريض **ولا يريد بكم العسر** اي وقد نفى عنكم الحرج في امر
الدين قيل ما خير رجل بين امرين فاختار ايسرهما الا كان ذلك احب الى الله تعالى **ولتكملوا العدة**

أى عدد الأيام التى افطر فيها بعذر المرض والسفر والحيض لتقضوا بعددها وقيل المراد عدد أيام الشهر ق عن ابن عمر
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الشهر تسع وعشرون ليلة فلا تصوموا حتى تروا الهلال ولا تفطروا حتى تروه فان
غم عليكم فاقدروا له وفى رواية فاكملوا العدة ثلاثين ولتكبروا الله فيه قولان احدهما انه تكبير ليلة العيد
قال ابن عباس حق على المسلمين اذا رأوا هلال شوال ان يكبروا وقال الشافعى واجب اظهارا للتكبير فى العيدين وبه قال مالك
واحمد وابو يوسف ومحمد وقال ابو حنيفة لا يكبر فى عيد الفطر ويكبر فى عيد الاضحى حجة الشافعى ومن وافقه قوله تعالى
ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم قالوا معناه ولتكملوا عدة صوم رمضان ولتكبروا الله على ما هداكم الى احكام
هذه العبادة القول الثانى فى معنى ولتكبروا الله اى ولتعظموا الله شكرا على ما انعم به عليكم ووفقكم للقيام بهذه
العبادة على ما هديكم اى ارشدكم الى طاعته والى ما يرضى به عنكم ولعلكم تشكرون الله على نعمته فصل
فى فضل شهر رمضان وفضل صيامه ق عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل رمضان صفدت
الشياطين وفتحت ابواب الجنة وغلقت ابواب النار الصفد الغل اى شدت بالاغلال ق عنه عن النبى صلى الله عليه
وسلم قال من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ومن قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا
غفر له ما تقدم من ذنبه قوله ايمانا واحتسابا اى طلبا لوجه الله وثوابه وقيل ايمانا بانه فرض عليه واحتسابا
ثوابه عند الله وقيل معناه دينه وعزيمة وهو ان يصوم على التصديق والرغبة فى ثوابه طيبة به نفسه غير كاره له
ق عن ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال كل عمل ابن ادم يضاعف الحسنة عشر امثالها الى سبعمائة
ضعف قال الله تعالى الا الصوم فانه لى وانا اجزى به يدع شهوته وطعامه من اجلى للصائم فرحتان فرحة عند فطره
وفرحة عند لقاء ربه ولخلوف فيه اطيب عند الله من ريح المسك زاد فى رواية والصيام جنة فاذا كان يوم صوم
احدكم فلا يرفث يومئذ ولا يصخب فان شاتمه احد او قاتله فليقل انى صائم قوله كل عمل ابن ادم له معناه ان له
فيه حظا لاطلاع الخلق عليه الا الصوم فانه لا يطلع عليه احد وانما حصل الصوم بقوله تعالى وان كانت
جميع الاعمال الصالحة له وهو يجرى عليها الا ان الصوم لا يظهر من ابن ادم بقول ولا فعل حتى تكتبه الحفظة وانما
هو من اعمال القلوب بالنية ولا يطلع عليه الا الله يقول الله تعالى انا اتولى جزاءه على ما احب لا على حساب ولا كتاب
له وقوله وللصائم فرحتان فرحة عند فطره اى بالطعام لما بلغ منه الجوع ليتأخذ النفس حاجتها منه وقيل فرحة بما
وفق له من اتمام الصوم الموعود عليه بالثواب وهو قوله وفرحة عند لقاء ربه لما يرى من جزيل ثوابه قوله ولخلوف
بضم الخاء وفتحها لغتان وهو تغير طعم الفم وريحه لتأخير الطعام ومعنى كونه اطيب عند الله من ريح المسك
هو الثناء على الصائم والرضى بفعله ليتلذ بتمتع من المواظبة على الصوم اجل للخلوف والمعنى ان خلوف فم الصائم
ابلغ عند الله فى القبول من ريح المسك عند احدكم قوله الصيام جنة اى حصن من المعاصى لان الصوم يكسر الشهوة
فلا يوقع المعاصى قوله فلا يرفث كلمة جامعة لكل ما يريده الانسان من المرأة وقيل هو التصريح بذكر الجماع والصخب
والجلبة والصياح ق عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فى الجنة بابا يقال له الريان يدخل
منه الصائمون يوم القيمة يقال اين الصائمون فيقومون لا يدخل منه احد غيرهم فاذا دخلوا اغلق فلم يدخل منه
احد وفى رواية ان فى الجنة ثمانية ابواب منها باب يسمى الريان لا يدخله الا الصائمون عن ابى امامة قال اتيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله مرنى بامر ينفعنى الله به قال عليك بالصوم فانه لا مثل له وفى رواية اى العمل
افضل فقال عليك بالصوم فانه لا عدل له اخرجه النسائى قوله عز وجل واذا سألك عبادى عنى فانى قريب
قال ابن عباس قال يهود المدينة يا محمد كيف يسمع ربنا دعاءنا وانت تزعم ان بيننا وبين السماء مسيرة خمسمائة عام وان غلظ
كل سماء مثل ذلك فنزلت هذه الاية وقيل سأل بعض الصحابة النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا اقريب ربنا فنناجيه

أم بعيد فنناديه وقيل انهم سألوه فى اى ساعة ندعو ربنا فنزلت هذه الاية وهذا السؤال لا يخلوا اما ان يكون عن
ذات الله او عن صفاته او عن افعاله اما السؤال عن ذات الله تعالى فهو سؤال عن القرب والبعد بحسب الذات
واما السؤال عن صفاته تعالى فهو ان يكون السائل سأل هل سمع ربنا دعاءنا واما السؤال عن افعاله فهو ان يكون
السائل سأل هل يجيب ربنا دعاءنا اذا دعوناه فقوله تعالى واذا سألك عبادى عنى فيحتمل هذه الوجوه كلها وقوله
فانى قريب معناه قريب بالعلم والحفظ لا يخفى على شئ وفيه اشارة الى سهولة اجابته لمن دعاه وانجاح حاجة
من سأله ق عن ابى موسى الاشعرى قال لما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر او قال توجه الى خيبر اشرف
الناس على واد فرفعوا اصواتهم بالتكبير الله اكبر لا اله الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ايها
الناس اربعوا على انفسكم فانكم لا تدعون اصم ولا غائبا انكم تدعون قريبا وهو معكم قوله اربعوا على انفسكم
اى ارفقوا بها وقيل معناه امسكوا عن الجهر فانه قريب يسمع دعاءكم وقوله تعالى اجيب دعوة الداعى
اذا دعان اى اسمع دعاء عبدى الداعى اذا دعانى وقيل الدعاء عبارة عن التوحيد والثناء على الله تعالى
كقول العبد يا الله لا اله الا انت فقولك يا الله فيه دعاء وقولك لا اله الا انت فيه توحيد وثناء على الله تعالى
فسمى هذا دعاء بهذا الاعتبار وسمى قوله اجابة لتجانس اللفظ وفيه اشارة الى ان العبد اذا قال له ربنا ومدبرا
يسمع دعاءه اذا دعاه ولا يخيب رجاءه من رجاه وذلك ظاهر فان العبد اذا دعا ربه تعالى باخلاص وتضرع اجاب الله
دعوته فان قلت انا نرى الداعى يبالغ فى الدعاء والتضرع فلا يجاب له فما وجه قوله اجيب دعوة الداعى
وقوله ادعونى استجب لكم قلت ذكر العلماء فيه اجوبة احدها ان هذه الاية مطلقة وقد وردت
اية اخرى مقيدة وهى قوله بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء والمطلق يحمل على المقيد وثانيها ان معنى
الدعاء هنا هو الطاعة ومعنى الاجابة هو الثواب وذلك فى الاخرة وثالثها ان معنى الايتين خاص وان كان
لفظهما عاما فيكون المعنى اجيب دعوة الداعى اذا وفق لقضاء او اجيبه وان كانت الاجابة خيرا له او اجيبه
اذا لم يسأل اثما او محالا ورابعها ان معناهما عام اى سمع وهو معنى الاجابة المذكورة فى الاية واما اعطاء المسئول
فليس بمذكور فالاجابة حاصلة عند وجود الدعوة وقد يجيب السيد عبده ولا يعطيه سؤاله وخامسها ان للدعاء
ادابا وشرائط وهى اسباب الاجابة فمن استكملها واتى بها كان من اهل الاجابة ومن اخطأها كان من اهل الاعتداء
فى الدعاء فلا يستحق الجواب والله اعلم وقوله تعالى فليستجيبوا لى يعنى اذا دعوتهم الى الايمان
والطاعة كما اتى اجيبهم اذا دعونى لحوائجهم والاجابة فى اللغة الطاعة فالاجابة من العبد الطاعة ومن الله
الاثابة والعطاء وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون اى لكى يهتدوا الى مصالح دينهم ودنياهم فصل
فى فضل الدعاء واداباه عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا حين
يبقى ثلث الليل الاخير فيقول من يدعونى فاستجيب له من يسألنى فاعطيه من يستغفرنى فاغفر له هذا الحديث
من احاديث الصفات وفيه مذهبان مشهوران للعلماء احدهما وهو مذهب جمهور السلف وبعض المتكلمين انه
يجب الايمان به وبانه حق على ما يليق بالله وتكل علمه الى الله ورسوله وان ظاهره المتعارف فى حقنا غير مراد
ولا نتكلم فى تأويله مع اعتقادنا تنزيه الله تعالى عن صفات المخلوق وعن الانتقال والحركات والمذهب
الثانى مذهب اكثر المتكلمين وجماعة من السلف انها تؤول على ما يليق به فعلى هذا نقل عن مالك وغيره
ان معناه تنزل رحمته وامره او ملائكته وانه على الاستعارة ومعناه الاقبال على الداعين بالاجابة واللطف
وفى الحديث الحث على الدعاء والترغيب فيه عن سلمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ربكم حيى كريم
يستحى من عبده اذا رفع يديه ان يردهما صفرا خائبتين اخرجه ابو داود والترمذى وقال حديث حسن غريب

الصفر الخالي يقال بيت صفر ليس فيه متاع عن عبادة بن الصامت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما على الارض مسلم
يدعو الله بدعوة الا آتاه الله اياها او صرف عنه من السوء مثلها ما لم يدع باثم او قطيعة رحم فقال رجل من القوم
اذن نكثر قال الله اكثر اخرجه الترمذي قوله الله اكثر معناه الله اكثر اجابة عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ادعوا الله وانتم موقنون بالاجابة واعلموا ان الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه اخرجه
الترمذي وقال حديث غريب عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس شيء اكرم على الله من
الدعاء اخرجه الترمذي وله عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الدعاء مخ العبادة وله عن ابن عمر
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من فتح له باب من الدعاء فتحت له ابواب الرحمة وما سئل الله شيئا
احب اليه من ان يسئل العافية وان الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل وله عن سلمان ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لا يرد القضاء الا الدعاء ولا يزيد في العمر الا البر وله عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من لم يسئل الله يغضب عليه ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا
يستجاب لاحدكم ما لم يعجل يقول قد دعوت ربي فلم يستجب لي ولمسلم قال لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع باثم او
قطيعة رحم ما لم يستعجل قيل يا رسول الله ما الاستعجال قال يقول قد دعوت وقد دعوت فلم يستجب لي فيستحسر
عند ذلك ويدع الدعاء قوله يستحسر اي يستنكف عن السؤال واصله من حسر الطرف اذا كل وضعف ق عن ابي
هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دعا احدكم فلا يقل اللهم اغفر لي ان شئت اللهم ارحمني ان شئت ولكن
ليعزم على المسئلة فان الله لا مكره له زاد البخاري ارزقني ان شئت ليعزم مسئلته فانه يفعل ما يشاء لا مكره له
قوله ليعزم المسئلة اي لا تكن في دعائك ربك مترددا بل اعزم وجد في المسئلة عن فضالة بن عبيد قال سمع النبي
صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو في صلاته فلم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم
عجل هذا ثم دعاه فقال له ولغيره اذا صلى احدكم فليبدأ بحمد الله والثناء عليه ثم ليصل على النبي صلى الله عليه
وسلم ثم ليدع بعد بما شاء اخرجه الترمذي وقال حديث صحيح قوله تعالى **احل لكم ليلة الصيام**
الرفث الى نسائكم سبب نزول هذه الاية انه كان في ابتداء الامر بالصوم اذا افطر الرجل حل له الطعام والشراب
والجماع الى ان يصلي العشاء الاخيرة او يرقد قبلها فاذا صلى او رقد حرم عليه ذلك كله الى الليلة القابلة ثم
ان عمر بن الخطاب واقع اهله بعد ما صلى العشاء فلما اغتسل اخذ يبكي ويلوم نفسه ثم اتى النبي صلى الله عليه
وسلم فقال يا رسول الله اعتذر الى الله واليك من هذه نفسي الخاطئة اني رجعت الى اهلي بعد ما صليت العشاء
فوجدت ريحة طيبة فسولت لي نفسي فجامعت اهلي فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما كنت جديرا بذلك يا عمر
فقام رجال فاعترفوا بمثل ذلك فنزلت في عمر واصحابه احل لكم اي ابيح لكم ليلة اراد بالليلة ليالي
الصيام الرفث الى نسائكم الرفث كلام يستقبح ذكره من ذكر الجماع ودواعيه وهو هنا كناية عن الجماع
وقال ابن عباس ان الله تعالى حيي كريم يكني فما ذكره من المباشرة والملامسة وغير ذلك انما هو الجماع **هن**
لباس لكم اي سكن لكم **وانتم لباس لهن** اي سكن لهن قيل لا يسكن شيء لشيء كسكون احد الزوجين
الى الاخر وسمي كل واحد من الزوجين لباسا لتجردهما عند النوم واجتماعهما في ثوب واحد وقيل اللباس اسم لما يواري
فيكون كل واحد منهما سترا لصاحبه عما لا يحل كما جاء في الحديث من تزوج فقد احرز ثلثي دينه **علم الله انكم**
كنتم تختانون انفسكم قال ابن عباس يريد فيما ائتمنكم عليه وخيانتهم انهم كانوا يباشرون ليالي
الصيام والمعنى تظلمونها بالمجامعة بعد العشاء وهو من الخيانة واصل الخيانة ان يؤتمن الرجل على شيء فلا يؤدي
فيه الامانة ويقال للعاصي خائن لانه مؤتمن على دينه **فتاب عليكم** اي قبلتم فتاب عليكم وتجاوز

عنكم

اى محا عنكم

عنكم وعفى عنكم اي محا ذنوبكم خ عن البراء قال لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون النساء رمضان كله وكان
رجال يخونون انفسهم فانزل الله علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم الاية قال وكان ذلك
مما نفع الله به الناس ورخص لهم ويسر **فالآن باشروهن** اي جامعوهن فهو حلال لكم في ليالي الصوم
وسميت المجامعة مباشرة لتلاصق بشرة كل واحد بصاحبه **وابتغوا ما كتب الله لكم** اي ما قضى الله لكم
في اللوح المحفوظ يعني الولد وقيل ابتغوا الرخصة التي كتب الله لكم باباحة الاكل والشرب والجماع في اللوح المحفوظ
وقيل اطلبوا ليلة القدر **وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود** نزلت
في صرمة بن قيس بن صرمة الانصاري ويقال قيس بن صرمة وذلك انه ظل يعمل في ارض له وهو صائم فلما امسى رجع
الى اهله بتمر وقال لاهله قدمي الطعام فارادت المرأة ان تطعمه شيئا سخنا فاخذت تعمل له ذلك فلما فرغت فاذا هو قد
نام وكان قد اعيا من التعب فايقظته فكره ان يعصي الله ورسوله وابى ان ياكل واصبح صائما مجهودا فلم ينتصف النهار
حتى غشي عليه فلما افاق اتى النبي صلى الله عليه وسلم فلما رآه قال يا ابا قيس ما لك امسيت طليحا فذكر له حاله فاغتم
لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الاية وقوله طليحا اي مهزولا مجهودا خ عن البراء قال كان اصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم اذا كان الرجل صائما فحضر الافطار فنام قبل ان يفطر لم ياكل ليلته ولا يومه حتى يمسي وان قيس
ابن صرمة الانصاري كان صائما فلما حضر الافطار اتى امرأته فقال اعندك طعام قالت لا ولكن انطلق فاطلب لك وكان
عمل يومه فغلبته عينه فجاءت امرأته فلما رأته قالت خيبة لك فلما انتصف النهار غشي عليه فذكر ذلك للنبي صلى الله
عليه وسلم فنزلت هذه الاية احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم ففرحوا بها فرحا شديدا ونزلت وكلوا واشربوا
حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ومعنى الاية وكلوا واشربوا في ليالي الصوم حتى يتبين لكم
الخيط الابيض من الخيط الاسود بياض النهار من سواد الليل وسميا خيطا لان كل واحد منهما يبدو في الافق
ممتدا كالخيط قال الشاعر فلما اضاءت لنا سدفة ولاح من الصبح خيط انارا السدفة اختلاط الظلام
واسدف الفجر اضاء ق عن سهل بن سعد قال لما انزلت وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط
الاسود ولم ينزل من الفجر فكان رجال اذا ارادوا الصوم ربط احدهم في رجله الخيط الابيض والخيط الاسود
ولا يزال ياكل ويشرب حتى تتبين له رؤيتهما فانزل الله عز وجل بعده **من الفجر** فعلموا انه انما يعني الليل والنهار
ق عن عدي بن حاتم لما نزلت حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود عمدت الى عقال اسود وعقال ابيض
فجعلتهما تحت وسادتي وجعلت انظر في الليل فلا يتبين لي فغدوت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك
له فقال انما ذلك سواد الليل وبياض النهار ق عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان بلالا يؤذن
بليل فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن ام مكتوم وكان رجلا اعمى لا ينادي حتى يقال له اصبحت اصبحت واعلم ان الفجر الذي
يحرم به على الصائم الطعام والشراب والجماع هو الفجر الصادق المستطير المنتشر في الافق سريعا لا الفجر الكاذب
المستطيل فان قلت كيف شبه الصبح الصادق بالخيط والخيط مستطيل والصبح ليس بمستطيل قلت ان القدر
الذي يبدو من البياض هو اول الصبح يكون دقيقا صغيرا ثم ينتشر فلهذا شبه بالخيط والفرق بين الفجر الصادق
والفجر الكاذب ان الفجر الكاذب يبدو في الافق فيرتفع مستطيلا ثم يضمحل ويذهب ثم يبدو الفجر الصادق
بعده منتشرا في الافق مستطيرا م عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغرنكم من سحوركم
اذان بلال ولا بياض الافق المستطيل هكذا حتى يستطير هكذا وحكاه حماد بيديه قال يعني معترضا وفي رواية
الترمذي لا يمنعنكم من سحوركم اذان بلال ولا [illegible] الفجر المستطيل ولكن الفجر المستطير في الافق
فاذا تحقق طلوع الفجر الثاني وهو الصادق حرم على الصائم الطعام والشراب والجماع الى غروب الشمس وهو قوله تعالى

الصادقه

ثم أتموا الصيام إلى الليل يعني منتهى الصوم إلى الليل فإذا دخل الليل حصل الفطر ق عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أقبل الليل من ها هنا وأدبر النهار من ها هنا وغربت الشمس فقد أفطر الصائم وهل يلزم الصائم أن يبتنا وأن يعتقد تحقق غروب الشمس شيئا فيه وجهان أحدهما نعم ويلزم ذلك لنهيه صلى الله عليه وسلم عن الوصال والثاني لا لأنه قد حصل الفطر بمجرد دخول الليل سواء أكل أو لم يأكل وتسقط الحنفية بهذه الآية في أن النفل يجب إتمامه قالوا لأن قوله تعالى ثم أتموا الصيام إلى الليل أمر وهو للوجوب وهو بيتنا ولكل الصيام أجاب أصحاب الشافعي بأن هذا إنما ورد في بيان أحكام صوم الفرض فكان المراد منه صوم الفرض ويدل على إباحة الفطر من النفل ما روى عن عائشة قالت دخل النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال هل عندكم شيء قلنا لا قال فإني إذا صائم ثم أتانا يوما آخر فقلنا يا رسول الله أهدي لنا حيس قال أريه فلقد أصبحت صائما فأكل أخرجه مسلم الحيس هو خلط الأقط والتمر والسمن وقد يجعل عوض الأقط دقيق أو قيت وقيل هو التمر يثرغ نواه ويخلط بالسويق والأول أعرف قوله عز وجل **ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد** الاعتكاف هو الإقبال على الشيء والملازمة له على سبيل التعظيم وهو في الشرع عبادة عن الإقامة في المسجد على عبادة الله تعالى وسبب نزول هذه الآية أن نفرا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يعتكفون في المسجد فإذا عرضت لرجل منهم حاجة إلى أهله خرج إليها وخالطها ثم اغتسل ورجع إلى المسجد فنهوا عن ذلك حتى يفرغوا من اعتكافهم واعلم أن الله تعالى بين أن الجماع يحرم على الصائم بالنهار ويباح له في الليل فكان يحتمل أن يكون حكم الاعتكاف حكم الصوم فبين الله تعالى في هذه الآية أن الجماع يحرم على المعتكف في النهار والليل حتى يخرج من اعتكافه **فصل** في حكم الاعتكاف والاعتكاف سنة ولا يجوز في غير المسجد وذلك لأن المسجد يتميز عن سائر البقاع بالفضل لأنه بني لإقامة الطاعات والعبادات فيه ثم اختلفوا فقيل عن علي أنه لا يجوز إلا في المسجد الحرام لقوله وطهر بيتي للطائفين والعاكفين خصه به وقال عطا لا يجوز إلا في المسجد الحرام ومسجد المدينة وقال حذيفة يجوز في هذين المسجدين ومسجد بيت المقدس وقال الزهري لا يصح إلا في الجامع وقال أبو حنيفة لا يجوز إلا في مسجد له إمام ومؤذن وقال الشافعي وأحمد وما لك يجوز في سائر المساجد لعموم قوله وأنتم عاكفون في المساجد إلا أن المسجد الجامع أفضل حتى لا يحتاج إلى الخروج من معتكفه لصلاة الجمعة ق عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل ثم اعتكف أزواجه بعده ق عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان **فروع** الأول يجوز الاعتكاف بغير صوم والأفضل أن يصوم معه وقال أبو حنيفة الصوم شرط في الاعتكاف ولا يصح إلا به وحجة الشافعي ما روي عن ابن عمر أن عمر قال يا رسول الله إني نذرت في الجاهلية أن أعتكف ليلة في المسجد الحرام قال أوف بنذرك أخرجاه في الصحيحين ومعلوم أنه لا يصح الصوم في الليل الفرع الثاني لا يقدر للاعتكاف زمان عند الشافعي وأقله لحظة ولا حد لأكثره فلو نذر اعتكاف سنة صح نذره ولو نذر أن يعتكف مطلقا يخرج عن نذره باعتكاف ساعة قال الشافعي وأحب أن يعتكف يوما وإنما قال ذلك للخروج عن الخلاف فإن قل زمن الاعتكاف عندما لك وأبي حنيفة يوم بشرط أن يدخل قبل طلوع الفجر ويخرج بعد غروب الشمس الفرع الثالث الجماع حرام في حال الاعتكاف ويفسده وأما ما دون الجماع كالقبلة ونحوها فمكروه ولا يفسد به عند أكثر العلماء وهو أظهر قولي الشافعي والثاني تبطل به وهو قول مالك وقيل إن أنزل بطل اعتكافه وإن لم ينزل لا وهو قول أبي حنيفة وأما الملامسة بغير شهوة فجائز ولا يفسد الاعتكاف لما روي عن عائشة أنها كانت ترجل النبي صلى الله عليه وسلم وهي حائض وهو معتكف في المسجد وهي في حجرتها ينا وهما رأسه زاد في رواية وكان لا يدخل البيت لحاجة إذا كان معتكفا وفي رواية وكان لا يدخل البيت إلا لحاجة الإنسان أخرجاه في الصحيحين الترجيل تسريح الشعر وقوله إلا لحاجة حوائج الإنسان كثيرة

والمراد منها هنا كل ما يضطر الإنسان إليه مما لا يجوز له فعله في المسجد وموضع معتكفه قوله تعالى **تلك حدود الله** يعني تلك الأحكام التي ذكرت في الصيام والاعتكاف من تحريم الأكل والشرب والجماع **حدود الله** وقيل حدود الله فرائض الله وأصل الحد في اللغة المنع والحد الحاجز بين الشيئين الذي يمنع اختلاط أحدهما بالآخر وحد الشيء الوصف المحيط بمعناه المميز له عن غيره وقيل معنى احدود الله المقادير التي قدرها ومنع من مخالفتها **فلا تقربوها** أي فلا تأتوها ولا تغشوها فإن قلت في الآية إشكالان أما الأول فهو أنه قال تلك حدود الله وهو إشارة إلى ما تقدم من الأحكام وبعضها فيه إباحة وبعضها فيه حظر فكيف قال في الجميع فلا تقربوها الإشكال الثاني وهو أنه تعالى قال في هذه الآية تلك حدود الله فلا تقربوها وقال في آية أخرى ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده فكيف الجمع بين هذه الآيات قلت الجواب عن السؤالين من وجهين أما الإشكال الأول فجوابه أن الأحكام التي تقدمت فيما قبل وإن كانت كثيرة إلا أن أقربها إلى هذه الآية قوله تعالى ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد وذلك يوجب تحريم الجماع في حال الاعتكاف وقال قبلها ثم أتموا الصيام إلى الليل وذلك يوجب تحريم الأكل والشرب في النهار فلما كان أقرب إلى هذه الآية جاز أن يكون التحريم قال تعالى تلك حدود الله فلا تقربوها والجواب عن الإشكال الثاني أن من كان في طاعة الله تعالى والعمل بفرائضه فهو منصرف في خير الحق فنهي أن يتعداه لأن من تعداه وقع في خير الباطل ثم يولغ في ذلك فنهي أن يقرب الحد الذي هو الحاجز بين خير الحق والباطل ليأبى الباطل فيقع فيه فهو كقوله صلى الله عليه وسلم كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه وقيل أراد بحدوده هنا محارمه ومناهيه لقوله ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد ونحو هذا من التحريم فهي حدود لا تقرب **كذلك** أي كما بين لكم ما أمركم به ونهاكم عنه كذلك **يبين الله آياته** أي معالم دينه وأحكام شريعته **للناس** مثل هذا البيان الشافي **لعلهم يتقون** أي لكي يتقوا ما حرم الله عليهم فينجوا من العذاب قوله تعالى **ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل** نزلت في امرئ القيس بن عابس الكندي ادعى عليه ربيعة بن عبدان الحضرمي عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في أرض فقال النبي صلى الله عليه وسلم للحضرمي ألك بينة قال لا قال فلك يمينه فانطلق ليحلف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما إن حلف على ماله ليأكله ظلما ليلقين الله وهو عنه معرض فأنزل الله هذه الآية والمعنى لا يأكل بعضكم مال بعض بالباطل أي من غير الوجه الذي أباحه الله له وأصل الباطل الشيء الذاهب **فصل** أقام الحكم هذه الآية على وجوه الأول أن يأكله بطريق التعدي والنهب والغصب والثاني أن يأكله بطريق اللهو كالقمار والمعنى والثمن الخمر والملاهي ونحو ذلك الثالث أن يأكله بطريق الرشوة في الحكم وشهادة الزور الرابع الخيانة وذلك في الوديعة والأمانة ونحو ذلك وإنما عبر عن أخذ المال بالأكل لأنه المقصود الأعظم ولهذا وقع في التعارف فإن يأكل أموال الناس بعني يأخذها بغير حلها **وتدلوا بها إلى الحكام** أي وتلقوا أمور تلك الأموال التي فيها الحكومة إلى الحكام قال ابن عباس هذا في الرجل يكون عليه مال وليس عليه بينة فيجحد ويخاصم إلى الحكام وهو يعلم أن الحق عليه وأنه آثم بمنعه وقيل هو أن يقيم شهادة الزور عند الحاكم وهو يعلم ذلك وقيل معناه ولا تأكلوا المال بالباطل وتسببوه إلى الحكام وقيل لا تدل بمال الخيانة إلى الحاكم وأنت تعلم أنك ظالم فإن قضاءه لا يحل حراما وكان شريح القاضي يقول إني لأقضي لك وأني لأظنك ظالما ولكن لا يسعني إلا أن أقضي بما يحضرني من البينة وإن قضائي لا يحل حراما **ق** عن أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع جلبة خصم ببابي حجرته فخرج إليهم فقال إنما أنا بشر وإنه يأتيني الخصم فلعل بعضهم أن يكون ألحن من بعض وفي رواية الحن بحجته من بعض فأحسب أنه صادق فأقضي له فمن قضيت له بحق مسلم فإنما هي قطعة من النار فليحملها أو ليذرها قوله سمع جلبة خصم يعني أصوات خصم وقوله الحن بحجته يقال ألحن فلان إذا قوم بها منه وأقدر عليها من اللحن بفتح الحاء وهو الفطنة

سبيل الله الذين يقاتلونكم كان في ابتداء الاسلام امر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم بالكف عن قتال المشركين
ثم لما هاجر الى المدينة امر بقتال من قاتله منهم بهذه الاية قال الربيع ابن انس هذه اول اية نزلت في القتال ثم امر الله
بقتال المشركين كافة قاتلوا او لم يقاتلوا بقوله تعالى قاتلوا المشركين كافة وبقوله اقتلوهم حيث ثقفتموهم فصارت
اية السيف ناسخة لهذه الاية وقيل انها محكمة ومعناها على هذا القول وقاتلوا في سبيل الله الذين اعدوا انفسهم
للقتال فاما من لم يعد نفسه للقتال كالرهبان والشيوخ والزمنى والمكافيف والمجانين فلا تقاتلوهم لانهم
لم يقاتلونكم وهو قوله تعالى ولا تعتدوا قال ابن عباس ولا تقتلوا النساء والصبيان والشيوخ والرهبان ولمن
القى اليكم السلام ه عن بريدة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا امر اميرا على جيش او سرية اوصاه
في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا ثم قال اغزوا باسم الله في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا
تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا قوله ولا تغلوا الغل الخيانة وهو ما يخفيه احد الغزاة من الغنيمة
وقوله ولا تغدروا اي ولا تنقضوا العهد وقيل في معنى الاية ولا تعتدوا اي لا تبتدوهم بالقتال فعلى هذا القول
تكون الاية منسوخة بآية القتال قال ابن عباس لما صد المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية
وصالحوه على ان يرجع من قابل فيخلوا له مكة ثلاثة ايام يطوف بالبيت فلما تجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم
واصحابه لعمرة القضاء خافوا ان لا تفي قريش بما قالوا ويصدوهم عن البيت وكره المسلمون قتالهم في الشهر
الحرام وفي الحرم فانزل الله وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم فاطلق لهم قتال الذين يقاتلونهم في الشهر الحرام
وفي الحرم ورفع عنهم الحرج والجناح في ذلك وقال ولا تعتدوا اي بابتداء القتال ان الله لا يحب
المعتدين قوله عز وجل واقتلوهم حيث ثقفتموهم اي حيث وجدتموهم وادركتموهم في الحل والحرم
وتحقيق القول فيه ان الله تعالى امر بالجهاد معهم سواء قاتلوا او لم يقاتلوا واستثنى منه المقاتلة عند المسجد
الحرام واخرجوهم من حيث اخرجوكم اي واخرجوهم من ديارهم كما اخرجوكم من دياركم والفتنة
اشد من القتل يعني ان شركهم بالله اشد واعظم من قتلكم اياهم في الحرم والاحرام وانما سمى
الشرك بالله فتنة لانه فساد في الارض يودي الى الظلم وانما جعل اعظم من القتل لان الشرك ذنب يستحق صاحبه
الخلود في النار وليس القتل كذلك والكفر يخرج صاحبه من الامة وليس القتل كذلك فثبت ان الفتنة اشد من
القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه اختلف العلماء في هذه الاية فذهب
مجاهد في جماعة من العلماء الى انها محكمة وانه لا يحل ان يقاتل في المسجد الحرام الا من قاتل فيه وهو قوله فان
قاتلوكم فاقتلوهم اي فقاتلوهم وثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان مكة
لم تحل لاحد قبلي ولا تحل لاحد بعدي وانما احلت لي ساعة من نهار ثم عادت حراما الى يوم القيمة فثبت هذا تحريم
القتال في الحرم الا ان يقاتلوا فيقاتلوا دفعا لهم وذهب قتادة الى ان هذه الاية منسوخة بقوله اقتلوا المشركين
حيث وجدتموهم فامر بقتالهم في الحل والحرم وقيل انها منسوخة بقوله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة كذلك
جزاء الكافرين فان انتهوا يعني عن القتال وقيل عن الشرك والكفر فان الله غفور يعني لما سلف
رحيم بعباده حيث لم يعاجلهم بالعقوبة وقاتلوهم اي وقاتلوا المشركين حتى لا تكون فتنة
اي شرك والمعنى وقاتلوهم حتى يسلموا ولا يقبل من الوثني الا الاسلام او القتل لا حلا في الكتابي والفرق بينهما
ان اهل الكتاب يقرون على كتب منزلة وفيها شرائع واحكام فيرجعون اليها وان كانوا قد حرفوا وبدلوا فامهلهم الله تعالى
بحرمة تلك الكتب من القتل وامر باصغارهم واخذ الجزية منهم لينظروا في كتبهم ويتدبروها فيقفوا على الحق منها
فيتبعوه كفعل مومني اهل الكتاب الذين عرفوا الحق فاسلموا وانما عبدة الاصنام فلم يكن لهم كتاب يرجعون اليه

لتاكلوا فريقا اي طايفة وقطعة من اموال الناس بالاثم يعني بالظلم وقال ابن عباس
باليمين الكاذبة وقيل بشهادة الزور وانتم تعلمون يعني انكم على الباطل قوله عز وجل يسالونك
اي يا محمد عن الاهلة نزلت في معاذ بن جبل وثعلبة بن عنمة الانصاريين قالا يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا
ثم يزيد حتى يمتلئ نورا ثم لا يزال ينقص حتى يعود دقيقا كما بدا ولا يكون على حالة واحدة فانزل الله يسالونك عن
الاهلة وكان هذا سؤالهم على وجه الفايدة عن وجه الحكمة في تبيين حال الهلال في الزيادة والنقصان
والاهلة جمع هلال وهو اول حال القمر حين يراه الناس اول ليلة من الشهر قل هي مواقيت للناس جمع ميقات
والمعنى انا فعلنا ذلك لمصالح دينية ودنيوية ليعلم الناس اوقات حجهم وصومهم وافطارهم ومحل ديونهم
واجارهم وعدة النساء واوقات الحيض وغير ذلك من الاحكام المتعلقة بالاهلة وهذا خلاف قول من قال
الشمس التي هي ايمة على حالة واحدة والحج اي وللحج وانما اقرد الحج بالذكر وان كان داخلا في جملة العبادات
لفايدة عظيمة وهي ان العرب في الجاهلية كانت تحج بالعدد وتبدل الشهور فابطل الله ذلك من فعلهم واخبر ان
الحج مقصور على الاشهر التي عينها لفرض الحج بالاهلة وانه لا يجوز نقل الحج عن تلك الاشهر التي عينها الله
تعالى لها كما كانت العرب تفعل في النساء وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها قال البراء نزلت هذه
الاية فينا كانت الانصار اذا احجوا فجاوا لم يدخلوا من قبل ابواب البيوت فجاء رجل من الانصار فدخل من قبل بابه
فكانه عير بذلك فنزلت وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى واتوا البيوت من ابوابها
وفي رواية كانوا اذا احرموا في الجاهلية اتوا البيت من ظهره فانزل الله هذه الاية وقيل كان الناس في الجاهلية
وفي اول الاسلام اذا احرم الرجل منهم لم يدخل حايطا ولا دارا ولا فسطاطا من بابه فان كان من اهل المدر نقب
نقبا في ظهر بيته يدخل منه ويخرج او يتخذ سلما فيصعد منه وان كان من اهل الوبر دخل وخرج من حلف
الخباء ولا يدخل ولا يخرج من الباب ويرون ذلك برا وكانت الحمس وهم قريش وكنانة وخزاعة وثقيف ومن دان دينهم
سموا حمسا لتشددهم في دينهم والحماسة الشدة فكانوا اذا احرموا لم يدخلوا بيتا ولا بيتة ولم يستظلوا
بظل ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل حايطا فدخل رجل من الانصار معه وقيل كانت الحمس لا يبالون
بذلك ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل ذات يوم بيتا فدخل على اثره رجل من الانصار يقال له رفاعة
بن التابوت من الباب وهو محرم فانكروا عليه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لم دخلت من الباب
وانت محرم فقال رايتك دخلت فدخلت على اثرك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني احمسي فقال الرجل
ان كنت احمسيا فانا احمسي رضيت بهديك وسمتك ودينك فانزل الله تعالى هذه الاية وقال الزهري كان ناس
من الانصار اذا اهلوا بالعمرة لم يحل بينهم وبين السماء شيء وكان الرجل يخرج مهلا بالعمرة فتشد وله
الحاجة بعد ما خرج من بيته فيرجع ولا يدخل من باب الحجرة من اجل سقف الباب ان يحول بينه وبين السماء ففتح
الجدار من وراية ثم يقوم من حجرته فيامر بحاجته حتى بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل زمن الحديبية
بالعمرة فدخل حجرة فدخل رجل من الانصار من بني سلمة على اثره فقال النبي صلى الله عليه وسلم لم فعلت ذلك
قال اني رايتك دخلت فدخلت على اثرك فقال عليه السلام اني احمسي فقال الانصاري وانا احمسي يقول انا على دينك فانزل الله
تعالى وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى واتوا البيوت من ابوابها يعني في حال
الاحرام وغيره واتقوا الله لعلكم تفلحون قوله تعالى وقاتلوا في سبيل الله اي في طاعة
الله وطلب رضوانه ق عن ابي موسى قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية
ويقاتل رياء اي ذلك في سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في

ويرشادهم الى الحق فكان امهالهم زيادة فى شركهم وكفرهم فابى الله عز وجل ان يرضى منهم الا بالاسلام او القتل ويكون
الدين لله اى الطاعة والعبادة لله وحده فلا يعبد من دونه شئ فان انتهوا يعنى عن القتال وقيل عن الشرك والكفر
فلا عدوان اى فلا سبيل الا على الظالمين قاله ابن عباس فعلى القول الاول تكون الاية منسوخة بآية السيف
وعلى القول الثانى الاية محكمة وقيل معناه فلا تظلموا الا الظالمين سمى جزاء الظالمين ظلما على سبيل المشاكلة وسمى
الكافر ظالما لوضعه العبادة فى غير موضعها قوله تعالى الشهر الحرام بالشهر الحرام نزلت فى عمرة القضاء
وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم خرج معتمرا فى ذى القعدة سنة ست من الهجرة فصده المشركون عن البيت بالحديبية
فصالح اهل مكة على ان يعتمر عامه ذلك ويرجع من قابل فيقضى عمرته فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم رجع فى ذى القعدة سنة سبع فقضى عمرته فذلك قوله تعالى الشهر الحرام يعنى ذا القعدة الذى دخلتم فيه وقضيتم
عمرتكم بالشهر الحرام الذى صددتم فيه عن البيت والحرمات جمع حرمة وانما جمعت لانه اراد حرمة الشهر
وحرمة البلد وحرمة الاحرام قصاص والقصاص المساواة والمماثلة وهو ان يفعل بالفاعل مثل ما فعل
والمعنى انهم لما منعوكم عن العمرة واضاعوا هذه الحرمات فى سنة ست فقدروا فقتلتم حتى قضيتموها على غير ذلك
فى سنة سبع وقيل هذا فى القتال ومعناه فان بدؤكم بالقتال فى الشهر الحرام فاقتلوهم فيه فانه قصاص فمن
اعتدى عليكم اى بالقتال فاعتدوا عليه اى فقاتلوه بمثل ما اعتدى عليكم سمى الجزاء باسم الاعتداء
على سبيل المشاكلة واتقوا الله واعلموا ان الله مع المتقين قوله عز وجل وانفقوا فى سبيل الله
يعنى به الجهاد وذلك ان الله تعالى لما امر بالقتال والاشتغال به يحتاج الى الانفاق فامر به والانفاق هو صرف
المال فى وجوه المصالح الدينية كالانفاق فى الحج والعمرة وصلة الرحم والصدقة وفى الجهاد وتجهيز الغزاة
وعلى النفس والعيال وغير ذلك مما فيه قربة الى الله تعالى لان كل ذلك مما هو فى سبيل الله لكن اطلاق هذه اللفظة
ينصرف الى الجهاد ح عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احتبس فرسا فى سبيل الله ايمانا
واحتسابا بالله وتصديقا بوعده فان شبعه وريه وروثه وبوله فى ميزانه يوم القيمة يعنى حسنات غير محرم
ابن فاتك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من انفق نفقة فى سبيل الله كتب له سبعمائة ضعف اخرجه
الترمذى والنسائى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة قيل الباء زايدة ومعناه لا تلقوا ايديكم الى التهلكة
والمراد بالايدى الانفس والمعنى ولا تلقوا انفسكم الى التهلكة عبر بالايدى عن النفس وقيل الباء على اصلها
وفى الكلام حذف تقديره ولا تلقوا انفسكم بايديكم الى التهلكة كما يقال اهلك فلان نفسه بيده اذا تسبب
فى هلاكها وقيل التهلكة كل شئ تصير عاقبته الى الهلاك وقيل التهلكة ما يمكن الاحتراز عنه والهلاك
ما لا يمكن الاحتراز عنه ومعنى الاية النهى عن ترك الانفاق فى سبيل الله لانه سبب الهلاك قال ابن عباس انفق
فى سبيل الله وان لم يكن لك الا سهم ومشقص ولا يقولن احدكم لا اجد شيئا السهم هنا هو ما يرمى به والمشقص
سهم فيه نصل عريض وقيل كان رجال يخرجون فى البعوث بغير نفقة فاما ان ينقطع بهم واما ان يكونوا عالة
فامرهم الله بالانفاق على انفسهم فى سبيل الله ومن لم يكن عنده شئ ينفق عليه فى الغزو فلا يخرج ليلقى
بيديه الى التهلكة وهو ان يهلك من الجوع والعطش والمشى وقيل نزلت الاية فى ترك الجهاد عن ابى عمران رجلا
اقتحم على العدو فى بلاد الروم فحمل على جمع عظيم من الروم فخرج اليهم من المسلمين مثلهم او اكثر وعلى
اهل مصر عقبة بن عامر وعلى الجماعة فضالة بن عبيد فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل فيهم
فصاح الناس سبحان الله يلقى بيديه الى التهلكة فقام ابو ايوب الانصارى فقال ايها الناس انكم لتأولون
هذه الاية هذا التاويل وانما نزلت هذه الاية فينا معشر الانصار لما اعز الله الاسلام وكثر ناصروه فقال

بعضنا لبعض سرا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اموالنا قد ضاعت وان الله قد اعز الاسلام
وكثر ناصروه فلو اقمنا فى اموالنا فاصلحنا ما ضاع منها فانزل الله تبارك وتعالى على نبيه صلى الله عليه
وسلم يرد علينا ما قلنا وانفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وكانت التهلكة الاقامة
على الاموال واصلاحها وتركنا الغزو فما زال ابو ايوب شاخصا فى سبيل الله حتى دفن بارض الروم اخرجه
الترمذى وقال حديث حسن غريب صحيح مات ابو ايوب فى اخر غزوة غزاها بارض قسطنطينية ودفن فى اصل
سورها فهم يتبركون بقبره ويستسقون به م عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات
ولم يغز ولم يحدث نفسه به مات على شعبة من النفاق قال ابن المبارك فترى ان ذلك كان على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقيل الالقاء الى التهلكة هو ان يقنط من رحمة الله وهو ان الرجل يصيب الذنب فيقول
قد هلكت ليس لى توبة فيياس من رحمة الله وينهمك فى المعاصى فهو القنوط فنهى الله عن ذلك وقيل فى معنى
الاية انفقوا فى سبيل الله ولا تقولوا انا نخاف الفقر اذا انفقنا فهلاكنا هو ان يجعلوا انفسهم هالكين
بالامساك خ عن حذيفة قال وانفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة قال نزلت فى النفقة
واحسنوا اى فى الانفاق على من تلزمكم مؤنته ونفقته وقيل واحسنوا فى الانفاق فلا تسرفوا ولا تقتروا
نهوا عن الاسراف والاقتار فى الانفاق وقيل معناه واحسنوا اذا اقرضتم الله تعالى ان الله يحب المحسنين
اى يثيبهم على احسانهم قوله تعالى واتموا الحج والعمرة لله قال ابن عباس هو ان يتمهما بمناسكهما
وحدودهما وسننهما وقيل اتمامهما ان تحرم بهما من دويرة اهلك وقيل هو ان يفرد لكل واحد منهما سفرا
وقيل اتمامهما ان تكون النفقة حلالا وتنتهى عما نهى الله عنه وقيل اتمامهما ان تخرج من اهلك لهما لا لتجارة
ولا لحاجة وقيل اذا شرع فيهما وجب عليه الاتمام فصل واتفقت الامة على وجوب الحج على من
استطاع اليه سبيلا م عن ابى هريرة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ايها الناس قد فرض
عليكم الحج فحجوا فقال رجل فى كل عام يا رسول الله فسكت حتى قالها ثلاثا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم وفى وجوب العمرة قولان للشافعى صحح منهما انها واجبة وهو قول على وابن
عمر وابن عباس والحسن وابن سيرين وعطاء وطاوس وسعيد بن جبير ومجاهد واليه ذهب احمد بن حنبل
والقول الثانى انها سنة ويروى ذلك عن ابن مسعود وجابر وابراهيم والشعبى واليه ذهب مالك وابو حنيفة
وحجة من اوجب العمرة ما روى فى حديث الصبى بن معبد انه قال لعمر بن الخطاب انى وجدت الحج والعمرة
مكتوبين على وانى اهللت بهما فقال هديت لسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم اخرجه ابو داود والنسائى
باطول من هذا ووجه الدليل انه اخبر عن وجوبهما عليه وصوبه عمر وبين انه مهتد بما رواه فى وجوبهما عليه
لسنة النبى صلى الله عليه وسلم وروى عن ابن عباس انهما مقرونتان فى كتاب الله واتموا الحج والعمرة لله
وعن ابن عمر قال الحج والعمرة فريضتان وعنه ليس احد من خلق الله الا وعليه حجة وعمرة واجبتان
من استطاع الى ذلك سبيلا وعن ابن عباس قال العمرة واجبة كوجوب الحج وعن ابن مسعود قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تابعوا بين الحج والعمرة فانهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفى الكير
خبث الحديد والذهب والفضة وليس لحجة مبرورة ثواب الا الجنة اخرجه النسائى والترمذى وزاد
وما من مؤمن يظل يومه محرما الا غابت الشمس بذنوبه وقال حديث حسن صحيح ووجه الدليل انه امر بالمتابعة
بين الحج والعمرة والامر للوجوب ولانهما قد تضمنتا جمع الحج فى الامر بالاتمام فكانت واجبة كالحج ومحمة من قال
بانها سنة ما روى عن جابر قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العمرة اواجبة هى قال لا وان

تعتمروا واخير لكم اخرجه الترمذي واجيب عنه بان هذا الحديث يرويه حجاج بن ارطاه وحجاج ليس ممن يقبل منه تفرده بما ليس في
حفظه وقلة مراعاته لما يحدث به واجمعت الامة على جواز افراد الحج والعمرة على ثلاثة انواع افراد وتمتع وقران صورة
الافراد ان يحج ثم بعد فراغه منه يعتمر من ادنى الحل ويعتمر قبل اشهر الحج ثم يحج في تلك السنة وصورة التمتع ان
يحرم بالعمرة في اشهر الحج ويأتي باتمامها فاذا فرغ من اتمامها احرم بالحج من مكة في تلك السنة وانما سمي تمتعا لانه يتمتع
بمحظورات الاحرام بعد التحلل من العمرة الى ان يحرم بالحج وصورة القران ان يحرم بالحج والعمرة معا في اشهر الحج فينويهما
بقلبه وكذلك لو احرم بالعمرة في اشهر الحج ثم ادخل عليها الحج قبل ان يفتتح الطواف فيصير قارنا واختلفوا في الافضل
فذهب مالك والشافعي الى ان الافراد افضل ثم التمتع ثم القران ويدل عليه ما روي عن عايشة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم افرد الحج اخرجه مسلم وله عن ابن عمر قال اهللنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحج مفردا وفي
رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل بالحج مفردا وله عن جابر قال قدمنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ونحن
نصرخ بالحج صرخا وعن ابن عمر قال افصلوا بين حجكم وعمرتكم فان ذلك اتم لحج احدكم واتم لعمرته ان يعتمر في غير اشهر الحج
اخرجه مالك في الموطا وذهب الثوري وابو حنيفة الى ان القران افضل ويدل عليه ما روي عن انس قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يلبي بالحج والعمرة جميعا وفي رواية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لبيك عمرة وحجا
اخرجاه في الصحيحين وذهب احمد بن حنبل واسحاق بن راهويه الى ان التمتع افضل ويدل عليه ما روي عن ابن عباس
قال تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر وعثمان قال من نهى عنها معاوية اخرجه الترمذي وعن ابن
عمر قال تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع فبدا بالعمرة ثم اهل بالحج وتمتع الناس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعمرة
الى الحج وكان من الناس من اهدى ومنهم من لم يهد فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة قال للناس من كان منكم
اهدى فانه لا يحل من شيء حرم منه حتى يقضي حجه ومن لم يكن منكم اهدى فليطف بالبيت وبالصفا والمروة وليقصر
وليحلل ثم ليهل بالحج وليهد فمن لم يجد هديا فليصم ثلاثة ايام في الحج وسبعة اذا رجع الى اهله وطاف رسول الله
صلى الله عليه وسلم حين قدم مكة فاستلم الركن اول شيء ثم حب ثلاثة اطواف من السبع ومشى اربعة اطواف
ثم ركع حين قضى طوافه بالبيت عند المقام ركعتين ثم سلم فانصرف فاتى الصفا فطاف بالصفا والمروة سبع
اشواط ثم لم يحلل من شيء حرم منه حتى قضى حجه ونحر هديه يوم النحر وافاض فطاف بالبيت ثم حل من كل شيء حرم منه
وفعل مثل فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهدى وساق الهدى من الناس اخرجه الروايات في حجة النبي صلى الله
عليه وسلم هل كان مفردا او متمتعا او قارنا وهو ثلاثة اقوال للعلماء بحسب مذاهبهم السابقة ورجحت كل طايفة
نوعا واذعنت ان حجة النبي صلى الله عليه وسلم كذلك وطريق الجمع بين روايات الصحابة واختلافهم في حجة النبي صلى الله
عليه وسلم انه كان اولا مفردا ثم انه صلى الله عليه وسلم احرم بالعمرة وبعد ذلك ادخلها على الحج فصار قارنا
فمن روى انه كان مفردا فهو الاصل ومن روى القران اعتمد اخر الامرين ومن روى التمتع اراد التمتع اللغوي وهو الانتفاع
والارتفاق وقد ارتفق بالقران كارتفاق المتمتع وزيادة وهو الاقتصار على فعل واحد وبهذا امكن الجمع بين الاحاديث
المختلفة في صفة حجة الوداع وهو الصحيح وذكر الشافعي في كتاب اختلاف الحديث كلاما موجزا في ذلك فقال ان اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان منهم المفرد والقارن والمتمتع وكل كان ناخذ منه امر نسكه ويصدر عن
تعليمه فاضيف الكل اليه على معنى انه امر به واذن فيه ويجوز في لغة العرب اضافة الفعل الى الامر به كما تجوز اضافة
الى فاعله كما يقال بنى فلان دارا واراد به انه امر ببنيانها وكما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم رجم ماعزا
وانما امر برجمه واختار الشافعي لافراد واحتج في ترجيحه انه صح ذلك من رواية جابر وابن عمر وابن عباس وعايشة

فهولا

فهولاهم مرة في حجة الوداع على عهدهم فاما جابر فهو احسن الصحابة سياقة لرواية حديث حجة الوداع فانه ذكرها من
حين خرج النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة الى اخرها فهو اضبط لها من غيره واما ابن عمر فصح عنه انه كان احد حملة
ناقة النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع وانه سمعه يلبي بالحج واما ابن عباس فمحله من العلم والفقه والدين
معروف مع كثرة تحريه عن احوال رسول الله صلى الله عليه وسلم واما عايشة فهي ربة المنزل من رسول الله صلى الله عليه وسلم
معروف واطلاعها على باطن امره وظاهره مع كثرة فقهها وعلمها ومن دليل ترجيح الافراد ان الخلفاء الراشدين
افردوا الحج بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم واطبقوا عليه واركان الحج خمسة الاحرام والوقوف بعرفة والطواف
والسعي بين الصفا والمروة وحلق الراس او التقصير في اصح القولين واركان العمرة اربعة الاحرام والطواف والسعي
والحلق او التقصير وبهذه الاركان تمام الحج والعمرة قوله تعالى فان احصرتم اصل الحصر في اللغة الحبس والتضييق
ثم اختلف اهل اللغة في الحصر والاحصار فقيل اذا ارد الرجل عن وجهه يريده فقد احصر واذا حبس فقد حصر وقال
ابن السكيت احصره المرض اذا امنعه من السفر وحاجة يريدها وحصره العدو اذا ضيق عليه وقال الزجاج الرواية
عن اهل اللغة يقال للذي يمنعه الخوف والمرض احصر وللمحبوس حصر وقال ابن قتيبة في قوله فان احصرتم هو ان يعرض
للرجل ما يحول بينه وبين الحج من مرض او كسر او عدو ويقال احصره هو ومحصر فان حبس في دار او سجن قيل حصر فهو محصور
وذهب قوم الى انهما بمعنى واحد قال الزجاج يقال للرجل من حصرك ههنا ومن احصرك وقال احمد بن يحيى اصل الحصر والاحصار
الحبس وحصر في الحبس اقوى من احصر وقيل الاحصار يقال في المنع الظاهر كالعدو والمنع الباطن كالمرض والحصر لا يقال الا في
المنع الباطن وقوله فان احصرتم محمول على الامن وحبس اختيار واهل اللغة في معناها اختلف الفقهاء في حكمها فذهب قوم الى
ان كل مانع من عدو او مرض او ذهاب نفقة فانه يبيح له التحلل من احرامه وهو قول عطا ومجاهد وقتادة وهو مذهب ابي حنيفة
ويدل عليه ما روي عن عكرمة قال حدثني الحجاج بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كسر او عرج فقد حل
وعليه حجة اخرى قال عكرمة فذكرت ذلك لابي هريرة وابن عباس فقالا صدق اخرجه ابو داود والنساي والترمذي وقال
حديث حسن وذهب قوم الى انه لا يباح له التحلل الا بحصر العدو وهو قول ابن عمر وابن عباس وانس وبه قال مالك والليث
والشافعي واحمد وقالوا الحصر والاحصار بمعنى واحد واحتجوا بان نزول الاية كان في قصة الحديبية في سنة ست وكان ذلك
حبسا من جهة العدو لان كفار مكة منعوا النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه من الطواف بالبيت فنزلت هذه الاية فحل
النبي صلى الله عليه وسلم من عمرته وحر هديه وقضاها من قابل ويدل عليه ايضا سياق الاية وهو قوله فاذا امنتم والامن
لا يكون الا من خوف وثبت عن ابن عباس انه قال لا حصر الا حصر العدو فثبت بذلك ان المراد من الاحصار هو حصر العدو دون المرض
وغيره واجيب عن حديث الحجاج بن عمرو بانه محمول على من شرط التحلل بالمرض ونحوه حال احرامه ويدل على جواز
الاشتراط في الاحرام ما روي عن ابن عباس ان ضباعة بنت الزبير اتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله اني اريد
الحج افاشترط قال نعم قالت كيف اقول قال قولي لبيك اللهم لبيك محلي من الارض حيث تحبسني اخرجه الترمذي وقال حديث
حسن صحيح ولغيره ان ضباعة بنت الزبير كانت وجعة فقالها النبي صلى الله عليه وسلم بحجي واشترطي وقولي اللهم محلي
حيث حبستني فذهب الشافعي واحمد واسحاق اذا اشترط في الحج فعرضه مرض او عدو ان يتحلل ويخرج من احرامه ثم المحصور
يتحلل من احرامه بذبح الهدى وحلق الراس وهو المراد من قوله تعالى فما استيسر من الهدى ومعنى الاية فان
احصرتم دون تمام الحج او العمرة فحللتم فعليكم ما استيسر من الهدى والهدى ما يهدى الى البيت واعلاه بدنة واوسطه
بقرة وادناه شاة قال ابن عباس شاة لانه اقرب الى اليسر ومحل ذبح هدى المحصر حيث احصر والية ذهب الشافعي لان النبي
صلى الله عليه وسلم ذبح الهدى عام الحديبية بها وذهب ابو حنيفة الى انه يقيم على احرامه وبعث بهديه الى الحرم ووواعد
من يذبحه هناك ثم يحل في ذلك الوقت ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدى محله اي مكانه الذي يجب ان ينحر

فيه وفيه قولان احدهما انه الحرم فان كان حاجا فمحله يوم النحر ان كان معتمرا فمحله يوم يبلغ هديه الى الحرم وهو قول ابي حنيفة
والقول الثاني محل نحره حيث احصر سواء كان في الحل او في الحرم ومعنى محله حيث يحل ذبحه واكله وهو قول مالك والشافعي
واحمد ويدل عليه ما روى عن ابن عمر قال احرجهما مع رسول الله صلى الله عليه وسلم معتمرين فحال كفار قريش دون البيت فنحر رسول الله
صلى الله عليه وسلم وحلق رأسه اخرجه البخاري قوله تعالى **فمن كان منكم مريضا او به اذى من راسه** معناه ولا تحلقوا
رؤوسكم في حال الاحرام الا ان تضطروا الى حلقه لمرض او اذى وهو القمل او الصداع **ففدية** فيه اضمار تقديره فحلق
راسه ففديته نزلت هذه الاية في كعب بن عجرة **ق** عن كعب بن عجرة قال اتى علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا
اوقد تحت قدر لي والقمل يتناثر على وجهي فقال ايوذيك هوام رأسك قال قلت نعم قال فاحلق وصم ثلاثة ايام او اطعم
ستة مساكين او انسك نسيكة لا ادري بايهن بدا وفي رواية قال نزلت في هذه الاية فمن كان منكم مريضا او به اذى
من راسه ففدية من صيام او صدقة او نسك وذكر نحوه وفي اخرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر به والحديبية
قبل ان يدخل مكة وهو محرم وذكره وفي اخرى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له ايؤذيك هوامك قال فامر بحلاقه
او ما كنت ارى ان الجهد قد بلغ بك ما ارى تجد شاة قلت لا قال فصم ثلاثة ايام او اطعم ستة مساكين لكل مسكين
نصف صاع قال كعب فنزلت في خاصة وهي لكم عامة ومعنى قوله تعالى **من صيام** اي صوم ثلاثة ايام **او صدقة**
يعني اطعام ثلاثة اصع ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع **او نسك** واحدتها نسيكة اي ذبيحة واعلاها
بدنة واوسطها بقرة وادناها شاة وهذه الفدية على التخيير ان شاء ذبح او صام او تصدق وكل هدي او اطعام
يلزم الحرم فانه لمساكين الحرم الا هدي الحصر فانه يذبحه حيث احصر وانما الصوم فله ان يصوم حيث شاء قوله عز
وجل **فاذا امنتم** يعني من خوفكم وبرأتم من مرضكم وقيل اذا احصرتم من الاحصار **فمن تمتع**
بالعمرة الى الحج قال ابن الزبير معناه فمن احصر حتى فاته الحج ولم يتحلل فقام بمكة فخرج من احرامه بعمل عمرة
فاستمتع باحلاله ذلك بتلك العمرة الى السنة المستقبلة ثم حج فيكون متمتعا بذلك الاحلال الى احرامه
الثاني في العام القابل وقيل معناه فاذا امنتم وقد حللتم من احرامكم بعد الاحصار ولم تعتمروا في تلك السنة
ثم اعتمرتم في السنة القابلة في اشهر الحج ثم حللتم فاستمتعتم باحلالكم الى الحج ثم احرمتم بالحج **فعليكم**
ما استيسر من الهدي وقال ابن عباس هو الرجل يقدم معتمرا من افق من الافاق في اشهر الحج فقضى عمرته واقام
بمكة حلالا حتى انشأ منها الحج فحج من عامه ذلك فيكون متمتعا بالاحلال من العمرة الى احرامه بالحج ومعنى التمتع
في اللغة هو الاستمتاع بعد الخروج من العمرة والتلذذ بما كان محظورا عليه في حال الاحرام الى احرامه بالحج فما استيسر
من الهدي يعني فعليه ما استيسر من الهدي وهو شاة يذبحها يوم النحر فلو ذبح قبله بعد ما احرم بالحج اجزاه عند الشافعي
كدم الجبرانات ولا يجزيه ذبحه عند ابي حنيفة قبل يوم النحر كدم الاضحية ولوجوب دم التمتع خمس شرائط احدها ان يقدم
العمرة على الحج الثاني ان يحرم بالعمرة في اشهر الحج الثالث ان يحج بعد الفراغ من العمرة في هذه السنة الرابع ان لا يحرم
بالحج من مكة ولا يعود الى ميقات بلده فلو رجع الى الميقات واحرم منه لم يكن متمتعا الخامس ان لا يكون من حاضري
المسجد الحرام فهذه الشروط معتبرة في وجوب دم التمتع ومتى فقد شيئا منها لم يكن متمتعا ودم التمتع جبران عند الشافعي
فلا يجوز ان يأكل منه وقال ابو حنيفة هو دم نسك فيجوز ان يأكل منه وقوله **فمن لم يجد** يعني الهدي **فصيام**
ثلاثة ايام في الحج اي عليه صيام ثلاثة ايام في وقت اشتغاله بالحج قبل يصوم يوما قبل يوم التروية ويوم التروية
ويوم عرفة وقيل بل المستحب ان يصوم في ايام الحج بحيث يكون يوم عرفة مفطرا فان لم يصم قبل يوم النحر فقيل يصوم ايام
التشريق وبه قال مالك واحمد وهو احد قولي الشافعي وقيل بل يصوم بعد ايام التشريق وهو رواية عن احمد والقول
الاخر للشافعي **وسبعة اذا رجعتم** يعني وصوموا سبعة ايام اذا رجعتم الى اوطانكم واهليكم

قال ابن عباس وبه قال الشافعي فلو صام قبل الرجوع الى اهله لم يجزه عنده وقيل المراد من الرجوع هو الفراغ من اعمال الحج
والاصح في الرجوع فعلها ليجزيه ان يصوم بعد الفراغ من اعمال الحج وقبل الرجوع الى اهله وبه قال ابو حنيفة
تلك عشرة كاملة يعني في الثواب والاجر وقيل كاملة في قيامها مقام الهدي الا انه قد يحتمل ان يظن ظان ان
الثلاثة اذا قامت مقام الهدي فاعلم الله ان العشرة بكمالها هي القائمة مقام الهدي وقيل فائدة التكرار التوكيد كقول
القائل رد درهمي ثلاث واثنتان فهن خمس وسادسة تميل الى سهام ولان القرآن انزل بلغة العرب والعرب يكرر الشيء
تريد به التوكيد وقيل فائدة ذلك الفذلكة في علم الحساب وهو ان تعلم العدد مفصلا ثم تعلمه جملة ليحيط به
من جهتين فذلك قوله تعالى فصيام ثلاثة ايام في الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة وقيل ان العرب
لما كانوا لا يعلمون الحساب وكانوا يحتاجون الى زيادة بيان وايضاح فلذلك قال تلك عشرة كاملة فهو وقيل لفظه
خبر ومعناه امر اي اكملوها ولا تنقصوها **ذلك** اي هذا الحكم الذي تقدم **لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام**
قيل حاضروا المسجد الحرام هم اهل مكة وهو قول مالك وقيل هم اهل الحرم وبه قال الطاوس وقال ابن جريج هم اهل عرفة والرجيع
وضجنان ونخلة وقال الشافعي كل من كان وطنه من مكة على اقل من مسافة القصر فهو من حاضري المسجد الحرام وقيل هم
من دون الميقات وقال ابو حنيفة حاضروا المسجد الحرام اهل الميقات والموافيت ذو الحليفة والجحفة وقرن ويلملم
وذات عرق فمن كان من اهل هذه المواضع فما دونها الى مكة فهو من حاضري المسجد الحرام وقيل حاضروا المسجد الحرام
من تلزمه الجمعة فيه ومعنى الاية ان المشار اليه في قوله ذلك يرجع الى اقرب مذكور وهو لزوم الهدي او بدله على المتمتع
وهو الافاقي فاما المكي اذا تمتع او قرن فلا هدي عليه ولا بدله لانه لا يجب عليه ان يحرم من الميقات فاقدامه على
التمتع لا يوجب خللا في حجه فلا يجب عليه الهدي ويدل على ذلك ما اخرجه البخاري تعليقا من حديث عكرمة قال سئل
ابن عباس عن متعة الحج فقال اهل المهاجرون والانصار وازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع واهللنا
فلما قدمنا مكة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوا اهلالكم بالحج عمرة الا من قلد الهدي وطفنا بالبيت وبالصفا
والمروة واتينا النساء ولبسنا الثياب وقال من قلد الهدي فانه لا يحل من شيء حتى يبلغ الهدي محله ثم امرنا عشية
التروية ان نهل بالحج فاذا فرغنا من المناسك جئنا فطفنا بالبيت وبالصفا والمروة وقد تم حجنا وعلينا الهدي
كما قال الله تعالى فما استيسر من الهدي فمن لم يجد فصيام ثلاثة ايام في الحج وسبعة اذا رجعتم الى مصاركم والشاة
تجزي فجمعوا بين نسكين في عام بين الحج والعمرة فان الله انزله في كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم واباحه للناس
غير اهل مكة قال الله تعالى ذلك لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام وفي الحديث زيادة قال الحميدي قال ابو مسعود
الدمشقي هذا حديث غريب ولم اجده الا عند مسلم بن الحجاج ولم يخرجه في صحيحه من اجل عكرمة فانه لم يرو عنه في صحيحه
وعندي ان البخاري انما اخذه من مسلم وقوله تعالى **واتقوا الله** اي فيما فرضه عليكم ونهاكم عنه في الحج وفي
غيره **واعلموا ان الله شديد العقاب** يعني لمن خالف امره ونهاه ون بحدوده وارتكب مناهيه وقوله
عز وجل **الحج اشهر معلومات** يعني اشهر الحج معلومات وقيل وقت الحج اشهر معلومات وهي شوال وذو القعدة
وعشر ليال من ذي الحجة الى طلوع الفجر من يوم النحر وبه قال عبد الله بن مسعود وجابر بن عبد الله وعبد الله بن الزبير ومن
التابعين الحسن وابن سيرين والشعبي وهو قول الشافعي والثوري وابي ثور وحجة الشافعي ومن وافقه ان الحج يفوت
بطلوع الفجر الثاني من يوم النحر والعبادة لا تفوت مع بقاء وقتها فدل على ان يوم النحر ليس من اشهر الحج وايضا فان الاحرام
بالحج فيه لا يجوز فدل على انه وما بعده ليس من اشهر الحج وقال ابن عباس اشهر الحج شوال وذو القعدة وعشر ايام من
ذي الحجة آخرها يوم النحر وبه قال ابن عمر وعروة بن الزبير وعطاء وطاوس والنخعي وقتادة ومكحول والضحاك والسدي
وابو حنيفة واحمد بن حنبل وهو احد الروايتين عن مالك وحجة هذا القول ان يوم النحر هو يوم الحج الاكبر ولا فيه

يقع طواف الافاضة وهو تمام اركان الحج وقيل ان اشهر الحج شوال وذو القعدة وذو الحجة بكماله وهو رواية عن ابن عمر وبه قال
الزهري وهو الرواية الاخرى عن مالك وحجة هذا القول ان الله تعالى ذكر اشهر الحج بلفظ الجمع واقل الجمع المطلق ثلاث
ولان كل شهر كان اوله من اشهر الحج كان آخره كذلك فان قلت هذا اشكال وهو ان الله تعالى قال قبل هذه الآية
ويسألونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس والحج فجعل الاهلة كلها مواقيت للحج قلت قوله هي مواقيت للناس
والحج عام وهذه الآية وهي قوله الحج اشهر معلومات خاص والخاص مقدم على العام وقيل ان الآية الاولى مجملة
وهذه الآية مفسرة لها فان قلت انما قال اشهر بلفظ الجمع وعند الشافعي اشهر الحج شهران وعشر ليال وعند
ابي حنيفة وعشرة ايام فما وجه هذا قلت ان لفظ الجمع يشترك فيه ما وراء الواحد بدليل قوله تعالى فقد
صغت قلوبكما وقيل انه نزل بعض الشهر منزلة كله كما يقال رايتك سنة كذا وانما راه في ساعة منها ولا اشكال فيه
على القول الثاني وهو قول من قال ان اشهر الحج ثلاثة شوال وذو القعدة وذو الحجة بكماله فمن فرض فيهن الحج يعني فمن
الزم نفسه واوجب عليها فيهن الحج والمراد بهذا الفرض ما به يصير حاجا وهو فعل يفعله ثم اختلفوا في ذلك الفعل
فقال الشافعي ينعقد الاحرام بمجرد النية من غير حاجة الى التلبية ووجهه ان فرض الحج عبارة عن النية فوجب ان
تكون النية كافية في انعقاد الحج وقال ابو حنيفة لا يصح الشروع في الاحرام بمجرد النية حتى ينضم اليه التلبية
او سوق الهدي ووجهه ان الحج عبادة لها تحليل وتحريم فلا بد من انضمام شيء آخر الى النية كتكبيرة الاحرام مع
النية في الصلاة وفي الآية دليل على ان الاحرام بالحج لا ينعقد الا في اشهره وهو قول ابن عباس واليه ذهب الشافعي
واحمد واسحق لان الله تعالى خصص هذه الاشهر بفرض الحج فيها فلو انعقد في غيرها لم يكن لهذا التخصيص وجه ولا
فايدة وقال مالك والثوري وابو حنيفة ينعقد احرامه بالحج في سائر السنة ووجهه ان الاحرام الزام الحج فجاز تقديمه
على الوقت كالنذر لان الله تعالى جعل الاهلة كلها مواقيت للحج بقوله قل هي مواقيت للناس والحج وقد تقدم الجواب
عنه قوله تعالى فلا رفث قال ابن عباس الرفث الجماع وفي رواية عنه ان الرفث غشيان النساء والقبل والغمز وان
تعرض لهن بالفحش من الكلام فعلى هذا القول التقطت به في غيبة النساء لا يكون رفثا قال حصين بن قبيصة لحذيفة بن اسيد
بذنب بعيره يلويه وهو يجدد ويقول وهن يمشين بنا هميسا ان يصدق الطير ننك لميسا فقلت اترفث وانت محرم
فقال انما الرفث ما قيل عند النساء وقوله لميسا هو اسم امراة وقيل الرفث كلام مستقبح لما يستقبح ذكره من ذكر الجماع
ودواعيه فقوله فلا رفث يحتمل ان يكون نهيا عن تعاطي الجماع وان يكون نهيا عن الحديث في ذلك لانه من دواعيه
وقيل الرفث هو الفحش والخنا والقول القبيح وقيل الرفث اللغو من الكلام ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم
اذا كان يوم صوم احدكم فلا يرفث يومئذ ولا يصخب ولا فسوق اصله الخروج عن الطاعة قال ابن عباس
هو المعاصي كلها وهو قول طاوس والحسن وسعيد بن جبير وقتادة والزهري والربيع والقرظي وقال ابن عمر هو ما نهى
عنه المحرم في حال الاحرام من قتل الصيد وتقليم الاظفار واخذ الشعر وما اشبه ذلك وقيل هو السباب والشتم
بالالقاب وعن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم
ولدته امه ولا جدال في الحج قال ابن عباس الجدال المراء وهو ان يماري الرجل صاحبه ويخاصمه حتى يغضبه
وقيل هو قول الرجل الحج اليوم ويقول الآخر الحج غدا وقيل هو ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في حجة الوداع وقد امروا
بالحج اجعلوا اهلالكم بالحج عمرة الا من قلد الهدي قالوا وكيف نجعلها عمرة وقد سمينا الحج فهذا كان جدالهم
وقيل هو ما كان عليه اهل الجاهلية كان بعضهم يقف بعرفة وبعضهم بالمزدلفة وكان بعضهم يحج في ذي القعدة وبعضهم
في ذي الحجة وكل يقول الصواب ما فعلته فانزل الله ولا جدال في الحج واخبر ان امر الحج قد استقر على ما فعله رسول الله صلى الله
عليه وسلم فارتحلوا وقفوا بعده وذلك معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان الزمان قد استدار كهيئته

يوم خلق الله السموات والارض وقيل معناه ولا شك في الحج انه في ذي الحجة فابطل النسيء وقيل ظاهر الآية خبر ومعناه نهي
اي لا ترفثوا ولا تفسقوا ولا تجادلوا في الحج وانما نهى عن ذلك وامر باجتنابه في الحج وان كان اجتناب ذلك في كل الاحوال
والازمان واجبا لان الرفث والفسوق والجدال في الحج اسمج واقطع منه في غيره وما تفعلوا من خير يعلمه الله
اي لا يخفى عليه شيء من اعمالكم وهو الذي يجازيكم عليها حث الله على فعل الخير عقيب النهي عن الشر وهو ان يستعملوا امكان
الرفث الكلام الحسن ومكان الفسوق البر والتقوى ومكان الجدال الوفاق والاخلاق الجميلة وقيل جعل الخير عبارة عن ضبط
الانفس عن الشر حتى لا يوجد منهم ما نهوا عنه وقيل انما ذكر الخير وان كان عالما بجميع افعال العباد من الخير والشر لفائدة وهو انه
تعالى اذا علم من العبد الخير ذكره واشهره واذا علم منه الشر ستره واخفاه فاذا كان هذا فعله مع عبده في الدنيا فكيف يكون
في العقبى وهو اكرم الراحمين واكرم الاكرمين وتزودوا فان خير الزاد التقوى نزلت في ناس من اهل اليمن
كانوا يحجون الى الحج بغير زاد ويقولون نحن متوكلون ويقولون نحج بيت ربنا افلا يطعمنا فاذا اقدموا مكة سالوا الناس وربما
افضى بهم الحال الى التهب والغصب فانزل الله وتزودوا اي ما تبلغون به وتكفون به وجوهكم عن الناس واتقوا الرامهم والتثقيل عليهم
فان خير الزاد التقوى وقيل في معنى الآية وتزودوا من التقوى فان الانسان لا بد له من سفر في الدنيا ولا بد فيه من زاد ويحتاج فيه
الى الطعام والشراب والمركب وسفر من الدنيا الى الآخرة ولا بد فيه من زاد ايضا وهو تقوى الله والعمل بطاعته وهذا الزاد افضل
من الزاد الاول فان زاد الدنيا يوصل الى مراد النفس وشهواتها وزاد الآخرة يوصل الى النعيم المقيم في الآخرة وفي هذا المعنى قال الاعشى
اذا انت لم ترحل بزاد من التقى ولاقيت بعد الموت من قد تزودا ندمت على ان لا تكون كمثله وانك لم ترصد كما كان ارصدا واتقوني
اي وحدوا اعتقادي وقيل معناه واستعملوا اتقواي وفيه تنبيه على كمال عظمة الله جل جلاله يا اولي الالباب اي يا ذوي
العقول الذين يعلمون حقائق الامور قوله عز وجل ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم يعني رزقا وربحا وهو
الربح في التجارة خ عن ابن عباس قال كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقا في الجاهلية فلما كان الاسلام فكانهم تاثموا ان
يتجروا في المواسم فنزلت ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم في مواسم الحج وقراها ابن عباس هكذا وفي رواية ان تبتغوا
في مواسم الحج فضلا من ربكم عكاظ سوق معروفة بقرب مكة ومجنة بفتح الميم وكسرها سوق بقرب مكة ايضا قال الازرقي هي
باسفل مكة على يمين منها وذو المجاز سوق عند عرفة كانت العرب في الجاهلية يتجرون في هذه الاسواق ولها مواسم فكانوا يقيمون
بعكاظ عشرين يوما من ذي القعدة ثم يسيرون الى مجنة فيقيمون بها ثمانية عشر يوما عشرة ايام من آخر ذي القعدة وثمانية
ايام من اوائل ذي الحجة ثم يخرجون عرفة فيقيمون بها ثمانية ايام وقال الذاودي مجنة عند عرفة وعند ابي امامة التيمي قلت يا ابا امامة
في هذا الوجه وكان الناس يقولون في انه ليس للحج فلقيت ابن عمر فقلت يا ابا عبد الرحمن اني رجل اكري في هذا الوجه وان ناسا
يقولون انه ليس للحج فقال ابن عمر اليس تحرم وتلبي وتطوف بالبيت وتفيض من عرفات وترمي الجمار قلت بلى قال فان لك
حجا جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فساله عن مثل ما سالتني عنه فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجبه
حتى نزلت هذه الآية ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم فارسل اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقراها عليه
وقال هذا حج خ اخرجه ابو داود وقال بعض العلماء ان التجارة ان وقعت تفصا في اعمال الحج لم تكن مباحة وان لم توقع تفصا
فيه كانت التجارة من المباحات التي الاولى تركها لتجريد العبادة عن غيرها لان الحج بدون التجارة اكمل وافضل وقوله تعالى
فاذا افضتم اي دفعتم والافاضة دفع بكثرة من عرفات جمع عرفة سميت بذلك وان كانت بقعة واحدة لان كل
موضع من تلك المواضع عرفة فسمي مجموع تلك المواضع عرفات وقيل اذا اسم الموضع عرفات واسم اليوم عرفة قال عطاء كان
جبريل يري ابراهيم المناسك ويقول له عرفت فيقول عرفت فسمي ذلك المكان عرفات واليوم عرفة وقال الضحاك ان آدم لما
اهبط وقع بالهند وحواء بجدة فجعل كل واحد منهما يطلب صاحبه فاجتمعا بعرفات في يوم عرفة فتعارفا فسمي اليوم عرفة
والموضع عرفات وقال السدي ان ابراهيم لما اذن في الناس بالحج واجابوه بالتلبية وابى من ابى امره الله ان يخرج الى عرفات

وتعتها له فخرج فلما بلغ الشجرة استقبله الشيطان يريده فرماه بسبع حصيات بكبر مع كل حصاة نهارفوقع على الجمرة الثانية فرماه وكبر فطار فوقع على الجمرة الثالثة فرماه وكبر فطار فلما رأى الشيطان انه لا يطيقه ذهب فاطلع ابراهيم حتى اتى ذا المجاز فقضى اليه فلم يعرفه بحجارته فسمي ذا المجاز ثم اطلق ابراهيم حتى وقف بعرفات فعرفها بالغت فسمي الوقت عرفة والموضع عرفات حتى اذا امسى ازدلف الى جمع فسمي ذلك الموضع المزدلفة وفي رواية عن ابن عباس ان ابراهيم رأى ليلة التروية في منامه انه يؤمر بذبح ابنه فلما اصبح ترى يومه اجمع اي تفكر هل هذه الرؤيا من الله تعالى ام من الشيطان فسمي يوم التروية ثم رأى ذلك ليلة عرفة ثانيا فلما اصبح عرف ان ذلك من الله فسمي اليوم عرفة وقيل سمي بذلك لان الناس يعترفون في ذلك اليوم بذنوبهم وقيل سمي عرفة من العرف وهو الطيب وسمي بها لما يتمى فيها من الدماء اي يصب فيكون فيه الغروث والدماء فاريكون الموضع طيبا وعرفات طاهرة عن مثل هذا فتكون طيبة واعلم ان الوقوف بعرفة ركن من اركان الحج ولا يتم الحج الا به ومن فاته الوقوف في وقته فقد فاته الحج ويدخل وقت الوقوف بعرفة بزوال الشمس من يوم عرفة ويمتد الى طلوع الفجر الثاني من يوم النحر وذلك نصف يوم وليلة كاملة فمن وقف بعرفات في هذا الوقت ولو لحظة واحدة من ليل او نهار فقد حصل له الوقوف وتم حجه وقال احمد وقت الوقوف من طلوع الفجر يوم عرفة الى طلوع الفجر من يوم النحر ووقت الافاضة من عرفات من بعد غروب الشمس فاذا غربت الشمس دفع من عرفات واخر صلاة المغرب حتى يجمع بينها وبين العشاء بمزدلفة ق عن اسامة بن زيد قال دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم من عرفة حتى اذا كان بالشعب نزل فبال ثم توضأ ولم يسبغ الوضوء فقلت الصلاة يا رسول الله فقال الصلاة امامك فركب فلما جاء المزدلفة نزل فتوضأ فاسبغ الوضوء ثم اقيمت الصلاة فصلى المغرب ثم اناخ كل انسان بعيره في منزله ثم اقيمت العشاء فصلى ولم يصل بينهما شيئا وقوله تعالى **فاذكروا الله عند المشعر الحرام** سمي مشعرا من الشعار وهي العلامة لانه من معالم الحج واصل الحرام المنع فهو ممنوع من ان يفعل فيه ما لم يؤذن فيه والمشعر الحرام هو ما بين جبلي المزدلفة من مازمي عرفة الى وادي محسر وليس المازمان ولا وادي محسر من المشعر الحرام وقيل المشعر الحرام هو المزدلفة وسماه الله بذلك لان العلامة والبيت به والدعاء عنده من معالم الحج وقيل المشعر الحرام هو قزح وهو احد حدي المزدلفة والاول اصح وسميت المزدلفة من الازدلاف وهو الاقتراب لانها منزلة من الله وقربة وقيل لنزول الناس بها زلفا لليل وقيل لاجتماع الناس بها وسمي المزدلفة جمعا لانه يجمع فيها بين المغرب والعشاء قيل المراد بالذكر عند المشعر الحرام هو الجمع بين صلاتي المغرب والعشاء هناك ويدل عليه ان قوله واذكروا الله امر وهو للوجوب ولا يجب هناك الا الصلاة والذي عليه جمهور العلماء ان المراد بالذكر هو الدعاء والتلبية والتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير ق عن ابن عباس ان اسامة بن زيد كان ردف النبي صلى الله عليه وسلم من عرفة الى المزدلفة ثم اردف الفضل من المزدلفة الى منى فكلاهما قال لم يزل النبي صلى الله عليه وسلم حتى اتى المزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء باذان واحد واقامتين ولم يسبح بينهما شيئا ثم اضطجع حتى طلع الفجر فصلى الفجر حين تبين له الصبح باذان واقامة ثم ركب القصوى حتى اتى المشعر الحرام فاستقبل القبلة فدعاه وكبره وهلله ووحده ولم يزل واقفا حتى اسفر جدا ودفع قبل ان تطلع الشمس هذا الحديث ذكره البغوي بغير سند ولم اجده في الاصول قال الطاوس كان اهل الجاهلية يدفعون من عرفة قبل ان تغيب الشمس ومن المزدلفة بعد طلوعها وكانوا يقولون اشرق ثبير كيما نغير فسخ الله تعالى احكام الجاهلية فاخر الافاضة من عرفة الى بعد غروب الشمس وقدم الافاضة من المزدلفة الى قبل طلوعها وثبير جبل بمكة ومعنى قولهم اشرق ثبير ادخل انها الجبل في الشروق وهو نور الشمس وقولهم كي ما نغير اي ندفع للفجر يقال اغار اذا اسرع ودفع في عدوه خ عن عمرو بن ميمون قال كان عمر ان اهل الجاهلية لا يفيضون من جمع حتى تطلع الشمس وكانوا يقولون اشرق ثبير كيما نغير فخالفهم النبي صلى الله عليه وسلم فافاض قبل طلوع الشمس وقوله تعالى **واذكروه كما هداكم** اي واذكروه بالتوحيد والتعظيم كما ذكركم بالهداية لدينه ومناسك حجه **وان كنتم من قبله لمن الضالين** اي لا تعرفون كيف تذكرونه وتعبدونه والهاء في قبله راجعة الى الهدى وقيل الى الرسول اي من قبل ارسال الرسول لمن الضالين وهو كناية عن

ليلة حتى رمى جمرة العقبة عن جابر قال اقفله عن ابن عباس قال دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم

غير مذكور وقيل ترجع الى القرآن والمعنى واذكروه كما هداكم بكتابه الذي انزله عليكم وان كنتم من قبل انزاله لمن الضالين قوله تعالى **ثم افيضوا من حيث افاض الناس** اي ليكن افاضكم من حيث افاض الناس وفي المخاطبين بهذا قولان احدهما انه خطاب لقريش قال اهل التفسير كانت قريش ومن دان بدينها وهم الحمس يقفون بالمزدلفة ويقولون نحن اهل الله وقطان حرمه فلا نخلف الحرم ولا نخرج منه ويتعاظمون ان يقفوا مع سائر الناس بعرفات وكانت سائر الناس يقفون بعرفات فاذا افاض الناس من عرفات افاض الحمس من المزدلفة فامرهم الله ان يقفوا بعرفات مع سائر الناس ثم يفيضوا منها الى جمع واخبرهم انه سنة ابراهيم واسمعيل عليهما السلام ق عن عائشة قالت كانت قريش ومن دان دينها يقفون بالمزدلفة وكانوا يسمون الحمس وكان سائر العرب يقفون بعرفات فلما جاء الاسلام امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان ياتي عرفات فيقف بها ثم يفيض منها فذلك قوله ثم افيضوا من حيث افاض الناس قوله كانوا يسمون الحمس جمع لحمس واصله من الشدة والشجاعة وانما سميت قريش وكنانة حمسا لتشددهم في دينهم فعلى هذا القول الناس سمعانهم جميع العرب سوى الحمس والقول الثاني ان الخطاب لسائر المسلمين امرهم ان يفيضوا من حيث افاض ابراهيم وهو المراد بقوله من حيث افاض الناس وقيل الناس هنا آدم وحده بدليل قراءة سعيد بن جبير ثم افيضوا من حيث افاض الناسي بالياء وقال الهوزني عهد اليه فنسي ووجه هذا ان الوقوف بعرفات والافاضة منها شرع قديم وما سواه مبتدع محدث وقيل المراد من هذه الآية الافاضة من المزدلفة الى منى يوم النحر قبل طلوع الشمس للرمي والنحر وارد بالناس ابراهيم واسمعيل وانبياءهما لانه كانت افاضتهم من المزدلفة قبل طلوع الشمس ووجه هذا القول ان الافاضة من عرفات قد تقدم ذكرها في قوله فاذا افضتم من عرفات ثم قال بعد ذلك ثم افيضوا من حيث افاض الناس فدل على ان هذه الافاضة من المزدلفة الى منى لكن القول الاول هو الاصح الذي عليه جمهور المفسرين فان قلت على القول الاول الذي هو قول جمهور المفسرين اشكال وهو ان ظاهر الكلام لا يقتضي ذلك لان قوله فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله والافاضة من عرفات قبل الافاضة من جمع فكيف قال ثم افيضوا من حيث افاض الناس فكانه قال فاذا افضتم من عرفات فافيضوا من عرفات ودلالة غير جائز قلت اجيب عن هذا الاشكال بان فيه تقديما وتاخيرا وتقديره ثم افيضوا من حيث افاض الناس واستغفروا الله ان الله غفور رحيم ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله فعلى هذا الترتيب يصح ان تكون هذه الافاضة تلك الافاضة بعينها وقيل ان ثم في قوله ثم افيضوا بمعنى الواو اي وافيضوا كقوله ثم كان من الذين امنوا والافاضة الدفع ق عن هشام بن عروة عن ابيه قال سئل اسامة بن زيد وانا جالس كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في حجة الوداع قال كان يسير العنق فاذا وجد فجوة نص قال هشام والنص فوق العنق العنق بفتح العين ضرب من السير سريع وهو اسرع من المشي والفجوة الفرجة وهي المتسع من الارض والنص السير السريع حتى يستخرج من الناقة اقصى وسعها خ عن ابن عباس انه دفع مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم عرفة فسمع النبي صلى الله عليه وسلم وراءه زجرا شديدا وضربا للابل فاشار بسوطه اليهم وقال ايها الناس عليكم بالسكينة فان البر ليس بالايضاع السير السريع وقوله تعالى **واستغفروا الله** اي من مخالفتكم في الموقف والجميع ذنوبكم **ان الله غفور رحيم** معنى انه هو الستار لذنوب عباده برحمته والغفور يفيد المبالغة في الغفر وكذا الرحيم وفيه دليل على انه تعالى يقبل التوبة من عباده التائبين ويغفر لهم لانه تعالى لما امر المذنبين بالاستغفار ثم وصف نفسه تعالى بانه كثير الغفران كثير الرحمة دل ذلك على انه تعالى يغفر للمستغفرين ويرحم المذنبين بمنه وكرمه وقوله عز وجل **فاذا قضيتم مناسككم** اي فرغتم من حجكم وعباداتكم وذبحتم نسائكم اي ذبائحكم وذلك بعد رمي جمرة العقبة والاستقرار بمنى **فاذكروا الله** يعني بالتحميد والتهليل والتكبير والثناء عليه **كذكركم آباءكم** قال اهل التفسير كانت العرب في الجاهلية اذا فرغوا من حجهم وقفوا بين المسجد بمنى وبين الجبل وقيل عند البيت فيذكرون مفاخر آبائهم ومآثرهم وكهانهم ومحاسنهم ومناقبهم فيقول

أحدهم كان أبي كبير الجفنة رحب الفناء يقري الضيف وكان كذا وكذا بعد مفاخره ومناقبه ويتناشدون في ذلك الأشعار ويتكلمون بالمنثور والمنظوم من الكلام الفصيح وغرضهم بذلك الشهرة والسمعة والرفعة بذكر مناقبهم وآبائهم فلما من الله عليهم بالإسلام أمرهم أن يكون ذكرهم لله لا لآبائهم وقال اذكروني فأنا الذي فعلت ذلك بكم وبهم وأحسنت إليكم وإليهم وقال ابن عباس معناه فاذكروا الله كذكركم الصبيان الصغار الآباء وذلك لأن الصبي أول ما يفصح بالكلام يقول أبه أمه لا يعرف غير ذلك فأمرهم أن يذكروه كذكرهم الصبيان الصغار الآباء **أو أشد ذكرا** أي بل اشدذكرا وقيل أو بمعنى الواو أي واشد ذكرا أي وأكثر ذكرا للآباء لأنه هو المنعم عليهم وعلى الآباء فهو المستحق للذكر والحمد مطلقا وسئل ابن عباس عن هذه الآية وقيل له قد يأتي على الرجل اليوم لا يذكر فيه آباءه فقال ليس كذلك ولكن ان تغضبه عز وجل إذا عصى أشد من غضبك لوالديك إذا اشتما **فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا** يعني أن المشركين كانوا يسألون الله تعالى في حجهم الدنيا ويعمها كانوا يقولون اللهم اعطنا غنما وابلا وبقرا وعبيدا وإماء وكان أحدهم يقوم فيقول اللهم إن أبي كان عظيم الفيئة كبير الجفنة كثير المال فأعطني مثل ما أعطيته قال قتادة هذا عبد نيته الدنيا لها انفق ولها عمل ونصب خ عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة إن أعطي رضي وإن لم يعط سخط تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش قوله تعس عبد الدينار هذا دعاء عليه بالهلاك وهو الوقوع على الوجه من العثار والخميصة ثوب من خز أو صوف معلم قوله وانتكس هذا دعاء عليه أيضا لأن من انتكس على رأسه أو في أمره فقد خاب وخسر قوله وإذا شيك هذا فعل ما لم يسم فاعله يقال شاكه الشوكة إذا دخلت في جسمه والانتقاش خروج الشوكة من الجسم وإنما كان سؤال المشركين للدنيا ولم يطلبوا التوبة والمغفرة ونعيم الآخرة لأنهم كانوا ينكرون البعث **ومالة في الآخرة من خلاق** أي ومالة في الآخرة من حظ ولا نصيب **ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة** يعني المؤمنين واعلم أن الله تعالى قسم الداعين فريقين وبين أقتصر في الدعاء على طلب الدنيا وهم الكفار لأنهم كانوا لا يعتقدون البعث والآخرة والفريق الثاني وهم المؤمنون الذين جمعوا في الدعاء بين طلب الدنيا والآخرة وذلك لأن الإنسان مطبوع ضعيفا محتاجا لا طاقة له بآلام الدنيا ومتاعبها فالأولى له أن يستعيذ بالله من شرها والأمر بها لأنه لو اضطر على الإنسان عرق من عروقه تشوش عليه حياته في الدنيا وتعطل عن الاشتغال بطاعة الله تعالى فثبت بذلك أن طلب الدنيا في الدعاء من أمر الدين فلذلك قال تعالى إخبارا عن المؤمنين ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة فقيل الحسنة في الدنيا عبارة عن الصحة والأمن والكفاية والتوفيق إلى الخير والنصر على الأعداء والولد الصالح والزوجة الصالحة م عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة وقيل الحسنة في الدنيا العلم والعبادة وفي الآخرة الجنة وقيل الحسنة في الدنيا الرزق الحلال والعمل الصالح وفي الآخرة المغفرة والثواب وقيل من آتاه الله الإسلام والقرآن وأهلا ومالا فقد أوتي في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقيل في الدنيا حسنة يعني عافية وفي الآخرة عافية م عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عاد رجلا من المسلمين فقد فصار مثل الفرخ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هل كنت تدعو الله بشيء أو تسأله إياه قال نعم كنت أقول اللهم ما كنت معاقبني به في الآخرة فعجله لي في الدنيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله لا تطيقه ولا تستطيعه أفلا قلت اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة **وقنا عذاب النار** قال فدعا الله له فشفاه ى عن ابن بريدة قال كثيرا ما كان يدعو النبي صلى الله عليه وسلم اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار عن عبد الله بن السائب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بين الركنين ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار أخرجه أبو داود **أولئك** إشارة إلى المؤمنين الداعين بالحسنتين ووجه هذا القول أن الله ذكر حكم الفريق بكماله فقال ومالة في الآخرة من خلاق وقيل يرجع إلى الفريقين جميعا **لهم** أي لكل فريق من هؤلاء **نصيب** أي حظ **مما كسبوا** يعني من الخير والدعاء بالثواب والأجر على الدعاء بالدنيا من جنس

ما كسبت ودعا **والله سريع الحساب** ذكروا في معنى الحساب أن الله تعالى يعلم العباد بما لهم وعليهم يعني أنه تعالى يخلق العلوم الضرورية في قلوبهم بمقادير أعمالهم وكيفياتها وكيفياتها وبمقادير ما لهم من الثواب وعليهم من العقاب وقيل إن المحاسبة عبارة عن المجازاة ويدل عليه قوله تعالى وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا وقيل إن الله تعالى يكلم عباده يوم القيمة ويعرفهم أحوال أعمالهم وما لهم من الثواب والعقاب فقيل إنه تعالى إذا حاسب عباده فحسابه سريع لأنه تعالى لا يحتاج إلى عقد يد ورؤية فكر ووصف نفسه تعالى بسرعة الحساب مع كثرة المحاسبين وكثرة أعمالهم ليدل بذلك على كمال قدرته لأنه تعالى لا يشغله شأن عن شأن ولا يحتاج إلى آلة ولا مادة ولا مساعد لأجرم كان قادرا على أن يحاسب جميع الخلائق في أقل من لحة البصر روي أنه تعالى يحاسب الخلائق في قدر حلب شاة أو ناقة وقيل في معنى كونه تعالى سريع الحساب أي سريع القبول لدعاء عباده والإجابة لهم وذلك أنه تعالى يسأله السائلون في الوقت الواحد كل واحد منهم أشياء مختلفة من أمور الدنيا والآخرة فيعطي كل واحد مطلوبه من غير أن يشتبه عليه شيء من ذلك لأنه تعالى عالم بجميع أحوال عباده وأعمالهم وقيل في معنى الآية إن إتيان القيمة قريب لأن كل ما هو كائن وآت فهو قريب لا محالة وفيه إشارة إلى المبادرة بالدعاء والذكر وسائر الطاعات وطلب الآخرة قوله تعالى **واذكروا الله** يعني بالتوحيد والتعظيم والتكبير في أدبار الصلوات وعند رمي الجمرات وذلك أنه يكبر مع كل حصاة من حصى الجمار فقد ورد في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم كبر مع كل حصاة **في أيام معدودات** يعني أيام التشريق وهي أيام منى ورمي الجمار سميت معدودات لعلتين وهي قارة أيام بعد يوم النحر أولها اليوم الحادي عشر من ذي الحجة وهو قول ابن عمر وابن عباس والحسن وعطاء ومجاهد وقتادة وهو مذهب الشافعي وقيل إن الأيام المعدودات يوم النحر ويومان بعده وهو قول علي بن أبي طالب ويروى عن ابن عمر أيضا وهو مذهب أبي حنيفة م عن بشيشة الهذلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر الله ومن الذكر في هذه الأيام التكبير خ عن ابن عمر أنه كان يكبر بمنى تلك الأيام وخلف الصلوات وعلى فراشه وفي فسطاطه وفي مجلسه وفي ممشاه وفي تلك الأيام جميعا وفي رواية أنه كان يكبر في قبته فيسمعه أهل المسجد فيكبرون ويكبر أهل الأسواق حتى ترتج منى تكبيرا أخرجه البخاري بهذا الإسناد أجمع العلماء على أن المراد بهذا هو التكبير عند رمي الجمار وهو أن يكبر مع كل حصاة يرمي بها في جميع أيام التشريق وأجمعوا أيضا على أن التكبير في عيد الأضحى وفي هذه الأيام في أدبار الصلوات سنة واختلفوا في وقت التكبير فقيل يبتدئ به من صلاة الظهر يوم النحر إلى صلاة الصبح من آخر أيام التشريق فيكون التكبير على هذا القول في خمسة عشر صلاة وهو قول ابن عباس وابن عمر وبه قال الشافعي في أصح أقواله قال الشافعي لأن الناس فيه تبع للحاج وذكروا الحاج قبل هذا الوقت هو التلبية ويأخذون في التكبير يوم النحر من صلاة الظهر وقيل إنه يبتدئ به من صلاة المغرب ليلة النحر ويختم بصلاة الصبح من آخر أيام التشريق وهو القول الثاني للشافعي فيكون التكبير على هذا القول في ثمانية عشر صلاة والقول الثالث للشافعي أنه يبتدئ بالتكبير من صلاة الصبح يوم عرفة ويختم بعد صلاة العصر من آخر أيام التشريق فيكون التكبير على هذا القول في ثلاث وعشرين صلاة وهو قول علي بن أبي طالب ومكحول وبه قال أبو يوسف ومحمد وقال ابن مسعود يبتدئ به من صبح يوم عرفة ويختم بصلاة العصر من يوم النحر فعلى هذا القول يكون التكبير في ثمانية صلوات وبه قال أبو حنيفة وقال أحمد بن حنبل إن كان حاجا لا كبر عقيب ثلاث وعشرين صلاة أولها صلاة الصبح من يوم عرفة وآخرها صلاة العصر من آخر أيام التشريق وإن كان محرما كبر عقيب سبع عشرة صلاة أولها الظهر من يوم النحر وآخرها عصر أيام التشريق ولفظ التكبير عند الشافعي ثلاثا الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر وهو قول سعيد بن جبير والحسن وهو قول أهل المدينة قال الشافعي وما زاد من ذكر الله فحسن ويروى عن ابن مسعود أنه كبر مرتين فيقول الله أكبر الله أكبر وهو قول أهل العراق وقوله تعالى **فمن تعجل في يومين** أي فمن تعجل النفر الأول وهو في الثاني من أيام التشريق **فلا إثم عليه**

اى فلا حرج عليه وذلك انه يجب على الحاج المبيت بمنى الليلة الاولى والثانية من ليالى ايام التشريق ليرمى كل يوم بعد الزوال احدى
وعشرين حصاة يرمى عند كل جمرة سبع حصيات ثم من رمى فى اليوم الثانى واراد ان ينفر ويدع البيتوتة الليلة الثالثة ورمى
يومها فذلك واسع له لقوله تعالى فمن تعجل فى يومين فلا اثم عليه يعنى فلا اثم على من تعجل فنفر فى اليوم الثانى فى تعجيله
ومن تاخر فلا اثم عليه يعنى ومن تاخر الى النفر الثانى وهو اليوم الثالث من ايام التشريق فلا اثم عليه فى تاخره واعلم
انه انما يجوز التعجيل لمن نفر بعد الزوال من اليوم الثانى من ايام التشريق وقبل غروب الشمس من ذلك اليوم فان غربت عليه
الشمس وهو بمنى لزمه المبيت بها لرمى اليوم الثالث هذا مذهب الشافعى واكثر الفقهاء وقال ابو حنيفة يجوز له ان ينفر
ما لم يطلع الفجر لانه لم يدخل وقت الرمى بعد ورخص لرعاة الابل واهل سقاية الحاج ترك المبيت بمنى ليالى منى فان قلت
قوله ومن تاخر فلا اثم عليه فيه اشكال وهو ان الذى اتى بافعال الحج كاملة تامة فقد اتى بما يلزمه فما معنى قوله فلا اثم
عليه انما يخاف من الاثم من قصر فيما يلزمه قلت فيه اجوبة احدها انه تعالى لما اذن فى التعجيل على سبيل الرخصة
احتمل ان يخطر ببال قوم ان من لم يجر على موجب هذه الرخصة فانه يأثم فازال الله تعالى هذه الشبهة وبين انه لا اثم عليه فى الامرين
فان شاء عجل وان شاء اخر الجواب الثانى ان من الناس من كان يتعجل ومنهم من كان يتاخر وكل فريق يصوب فعله على فعل الفريق الآخر
فبين الله تعالى ان كل واحد من الفريقين مصيب فى فعله وانه لا اثم عليه الجواب الثالث انما قال ومن تاخر فلا اثم عليه لمشاكلة
اللفظ الاول فهو كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها ومعلوم ان جزاء السيئة ليس بسيئة الجواب الرابع ان فيه دلالة على جواز الامرين
فكانه تعالى قال فتعجلوا او تاخروا فلا اثم فى التعجيل ولا فى التاخير لمن اتقى اى ذلك التخيير ونفى الاثم للحاج المتقى وقيل لمن اتقى
ان يصيب فى حجه شيئا مما نهاه الله عنه من قتل صيد وغيره مما هو محظور فى الحج وقيل معناه انه ذهب اثمه ان اتقى فيما بقى من
عمره وذلك ان الحاج يرجع مغفورا له بشرط ان لا يرتكب ما نهى عنه فيما بقى من عمره وهو قوله واتقوا الله اى فى المستقبل
والتقوى عبارة عن فعل الواجبات وترك المحظورات واعلموا انكم اليه تحشرون اى فيجازيكم باعمالكم وفيه حث على التقوى
قوله عز وجل ومن الناس من يعجبك قوله فى الحيوة الدنيا نزلت فى الاخنس بن شريق الثقفى حليف بنى زهرة واسمه ابى وانما سمى
الاخنس لانه خنس يوم بدر بثلثمائة رجل عن قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك انه اشار على بنى زهرة بالرجوع
يوم بدر وقال لهم ان محمدا ابن اختكم فان يك كاذبا كفاكموه الناس وان يك صادقا كنتم اسعد الناس به قالوا نعم ما رأيت
قال انى ساخنس بكم فاتبعونى فخنس فسمى الاخنس بذلك وكان الاخنس حلو الكلام حلو المنظر وكان يأتى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ويجالسه ويظهر الاسلام ويقول انى لاحبك ويحلف بالله على ذلك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدنى مجلسه
وكان الاخنس منافقا فنزل فيه ومن الناس من يعجبك قوله اى يروقك وتستحسنه ويعظم فى قلبك فى الحيوة الدنيا
يعنى ان حلاوة كلامه فيما يتعلق بامر الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه يعنى به قوله والله انى بك مؤمن ولك محب
وهو الد الخصام اى شديد الجدال فى الباطل وقيل هو كاذب القول وقيل هو شديد القسوة فى المعصية جدل بالباطل
يتكلم بالحكمة ويعمل بالخطيئة ق عن عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان ابغض الرجال الى الله الالد الخصم يعنى الشديد
فى الخصومة واذا تولى اى ادبر واعرض عنك بعد الانة القول وحلاوة المنطق سعى فى الارض اى سار ومشى فى الارض
ليفسد فيها يعنى بقطع الارحام وسفك دماء المسلمين ويهلك الحرث والنسل وذلك ان الاخنس بن شريق
كان بينه وبين ثقيف خصومة فبيتهم ليلا فاحرق زروعهم واهلك مواشيهم وقيل خرج الى الطائف مقتضيا دينا كان
له على غريم فاحرق له كدسا وعقر له اتانا وقيل معناه اذا تولى اى صار واليا وملك الامر سعى فى الارض ليفسد فيها يعنى بالظلم
والعدوان كما يفعله ولاة السوء والظلمة وقيل يظهر ظلمه حتى يمنع الله بشؤم ظلمه القطر فيهلك الحرث والنسل بسبب منع المطر
وقيل ان الآية عامة فى حق كل من كان موصوفا بهذه الصفات المذكورة ولا يمتنع ان تنزل فى رجل واحد ثم تكون عامة فى كل من
كان موصوفا بهذه الصفات والله لا يحب الفساد قال ابن عباس لا يرضى بالمعاصى واحتجت المعتزلة بهذه الآية على ان المحبة

عبارة

عبارة عن الارادة واجيب عنه بان الارادة معنى غير المحبة فان الانسان قد يريد شيئا ولا يحبه وذلك بان يتناول الدواء المر ولا
يحبه فبان الفرق بين الارادة والمحبة وقيل ان المحبة مدح الشىء وتعظيمه والارادة بخلاف ذلك واذا قيل له اتق الله
اى خف الله فى سرك وعلانيتك اخذته العزة بالاثم اى حملته العزة وحمية الجاهلية على فعل الاثم وقيل بان يعمل
الاثم وهو الظلم وترك الالتفات الى الوعظ وعدم الاصغاء اليه واصل العزة المنع والتكبر فحسبه جهنم اى كافيه
له جهنم جزاء وعذابا وجهنم اسم من اسماء النار التى يعذب بها الكفار فى الآخرة وقيل هو اسم اعجمى وقيل بل هو عربى
سميت النار بذلك لبعد قعرها ولبئس المهاد اى الفراش والمهاد التوطئة ايضا والمعنى ان المعذب بالنار يجعل
تحته وفوقه قال ابن عباس ابن مسعود ان من اكبر الذنوب عند الله تعالى ان يقال للعبد اتق الله فيقول عليك بنفسك وروى
انه قيل لعمر اتق الله فوضع خده على الارض تواضعا لله تعالى قوله تعالى ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله
قال ابن عباس نزلت هذه الآية فى سرية الرجيع وكانت بعد احد خ عن ابى هريرة قال بعث النبى صلى الله عليه وسلم سرية عينا
وامر عليهم عاصم بن ثابت وهو جد عاصم بن عمر بن الخطاب فانطلقوا حتى اذا كانوا بين عسفان ومكة ذكروا لحى من هذيل
يقال لهم بنو لحيان فتبعوهم بقريب من مائة رام فاقتصوا آثارهم حتى اتوا منزلا نزلوه فوجدوا فيه نوى تمر تزودوه
من المدينة فقالوا هذا تمر يثرب فتبعوا آثارهم حتى لحقوهم فلما احس بهم عاصم واصحابه لجأوا الى فدفد وجاء القوم
فاحاطوا بهم فقالوا لكم العهد والميثاق ان نزلتم الينا ان لا نقتل منكم رجلا فقال عاصم اما انا فلا انزل فى ذمة
كافر اللهم اخبر عنا رسولك فقاتلوهم فرموهم حتى قتلوا عاصما فى سبعة نفر بالنبل وبقى خبيب وزيد ورجل آخر
فاعطوهم العهد والميثاق فلما اعطوهم العهد والميثاق نزلوا اليهم فلما استمكنوا منهم حلوا اوتار قسيهم فربطوهم
بها فقال الرجل الثالث الذى معهم هذا اول الغدر فابى ان يصحبهم فجروه وعالجوه على ان يصحبهم فلم يفعل فقتلوه وانطلقوا
بخبيب وزيد حتى باعوهما بمكة فاشترى خبيبا بنو الحارث بن عامر بن نوفل وكان خبيب هو الذى قتل الحارث يوم بدر
فمكث عندهم اسيرا حتى اذا اجمعوا على قتله استعار موسى من بعض بنات الحارث ليستحد بها فاعارته قالت فغفلت
عن صبى لى فدرج اليه حتى اتاه فوضعه على فخذه فلما رأيته فزعت فزعة عرف ذلك منى وفى يده الموسى فقال اتخشين
ان اقتله ما كنت لافعل ذلك ان شاء الله وكانت تقول ما رأيت اسيرا قط خيرا من خبيب لقد رأيته يأكل قطف عنب
وما بمكة يومئذ ثمرة وانه لموثق فى الحديد وما كان الا رزقا رزقه الله فلما خرجوا به من الحرم ليقتلوه قال دعونى اصلى
ركعتين ثم انصرف اليهم فقال لولا ان تروا ان ما بى جزع من الموت لزدت فكان اول من سن الركعتين عند القتل وقال اللهم
احصهم عددا وقال ۝ فلست ابالى حين اقتل مسلما ۝ على اى جنب كان لله مصرعى ۝ وذلك فى ذات الاله وان يشا
يبارك على اوصال شلو ممزع ۝ ثم قام اليه عقبة بن الحارث فقتله وبعثت قريش الى عاصم ليؤتوا بشىء من جسده بعد
موته وكان قتل عظيما من عظمائهم يوم بدر فبعث الله عليه مثل الظلة من الدبر فحمته من رسلهم فلم يقدروا منه
على شىء زاد فى رواية واخبر يعنى النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه يوم اصيبوا خبرهم الفدفد اسم للموضع الذى فيه غلظ
وارتفاع وقوله ليستحد الاستحداد حلق العانة والقطف العنقود من العنب قوله على اوصال شلو الشلو العضو من اعضاء
الانسان والممزع المفرق والظلة الشىء الذى يظل من فوق الانسان والدبر جماعة من النحل والزنابير قال اهل التفسير
ان كفار قريش بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة انا قد اسلمنا فابعث الينا نفرا من علماء اصحابك
يعلمونا دينك وكان ذلك مكرا منهم فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خبيب بن عدى الانصارى ومرثد بن ابى مرثد الغنوى
وخالد بن بكير وعبد الله بن طارق بن شهاب البلوى وزيد بن الدثنة وامر عليهم عاصم بن ثابت بن ابى الافلح الانصارى وذكروا
نحو حديث البخارى وزاد عليه فقالوا فاصلبوا خبيبا حيا فقال اللهم انك تعلم انه ليس لى احد حولى يبلغ سلامى رسولك
فابلغه سلامى فقام اليه ابو سروعة عقبة بن الحارث فقتله ويقال كان رجل من المشركين يقال له ابو ميسرة سلامان

رفع وضعه بين ثدي حبيب فقال له حبيب اتق الله فما اراده ذلك لا عتوا فطعنه فانفذه فذلك قوله تعالى واذ اقبل له اتقوا
احدثه العزة يعني سلامان وانما زيد بن الدثنة فابتاعه صفوان بن امية ليقتله بأبيه امية بن خلف فبعثه مع مولى له يسمى
قسطاس الى التنعيم ليقتله في الحل واجمع رهط من قريش فيهم ابو سفيان بن حرب فقال له ابو سفيان بن حرب حين قدم ليقتل
انشدك الله يا زيد اتحب محمدا عندنا الان مكانك تضرب عنقه وانك في اهلك فقال زيد والله ما احب انا محمدا الا في مكانه
الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وانا جالس في اهلي فقال ابو سفيان ما رايت احدا يحب احدا كحب اصحاب محمد محمدا ثم قتله
قسطاس فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم خبرهما قال لاصحابه ايكم يسر لخبيبا عن خشبته وله الجنة فقال الزبير انا
يا رسول الله وصاحبي المقداد بن الاسود فخرجا يمشيان الليل ويكمنان النهار حتى اتيا التنعيم ليلا فاذا حول الخشبة اربعون
من المشركين نيام وهم سكارى فانزلاه من خشبته فاذا هو رطب ينثني ولم يتغير منه شئ بعد اربعين يوما وبدنه على حاله
وهي تضرد دما اللون لون الدم وريح المسك فحمله الزبير على فرسه وسار فانتبه الكفار وقد فقدوا خبيبا فاخذوا
قريشا فوكب معهم سبعون فارسا فلما لحقوهم قذف الزبير خبيبا فابتلعته الارض فسميت بليع الارض وقال الزبير ما جرأكم
علينا يا معشر قريش ثم رفع العمامة عن راسه وقال انا الزبير بن العوام وامي صفية بنت عبد المطلب وصاحبي المقداد بن الاسود
اسدان ضاريان يدفعان عن اشبالهما فان شئتم فانا لكم وان شئتم فارجعوا فانصرفوا فاتصرفوا الى مكة وقدم
الزبير وصاحبه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبريل عنده فقال يا محمد ان الملائكة لتباهي بدنين من اصحابك ونزل
في الزبير والمقداد ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله حين شرى انفسهما يا نزال خبيب عن خشبته وقال اكثر
المفسرين نزلت في صهيب بن سنان الرومي وانما نسب الى الروم لان منازلهم كانت بارض الموصل فاغارت الروم على تلك
الناحية فسبته وهو غلام صغير فنشا بالروم وانما هو من العرب من النمر بن قاسط قال سعيد ابن المسيب وعطا اقبل صهيب
مهاجرا الى النبي صلى الله عليه وسلم فاتبعه نفر من مشركي قريش فنزل عن راحلته وقفل ما كان في كنانته وقال والله لا
تصلون الي او ارمي بكل سهم معي ثم اضربكم بسيفي ما بقي في يدي وان شئتم دللتكم على مالي بمكة وخليتم سبيلي
فقالوا نعم ففعل فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله
الاية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ربح البيع ابا يحيى وتلا عليه هذه الاية وقال الحسن اتدرون هذه الاية نزلت
في المسلم يلقى الكافر فيقول له لا اله الا الله فيابى ذا يقولها فيقول المسلم والله لاشرين نفسي فيقاتله حتى قتل وقيل نزلت هذه الاية في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر قال ابن عباس اذا رأى من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله
يقوم فيامره بالمعروف وينهاه عن المنكر فيقتل واخذته العزة بالاثم قال هذا واتا اشري نفسي لله فقاتله وكان على اذا قرا هذه
الاية يقول قتلا ورب الكعبة وسمع عمر رجلا يقرا هذه الاية ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله فقال
عمر انا لله وانا اليه راجعون قام رجل فامر بالمعروف ونهى عن المنكر فقتل عن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من اعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب واما تفسير الاية فذكر
المفسرون ان المراد بهذا الشراء البيع ومنه قوله وشروه بثمن اي وباعوه والمعنى ان المسلم باع نفسه بثواب الله تعالى
في الدار الاخرة وهذا البيع هو ان يبذل نفسه في طاعة الله من صلاة وصيام وحج وجهاد وامر بمعروف ونهي عن
منكر فكان ما بذله من نفسه كالسلعة فصار كالبايع والله تعالى المشتري والثمن هو ثواب الله في الاخرة ابتغاء
مرضات الله اي طلب رضى الله والله رؤف بالعباد اي من رافته بعباده ان جعل النعيم الدايم في الجنة جزاء على
العمل القليل المنقطع ومن رافته ان يقبل توبة عبده ومن رافته ان نفس العباد واموالهم له ثم انه تعالى يشتري ملكه
بملكه فضلا واحسانا قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا ادخلوا في السلم كافة نزلت في مومني اهل الكتاب
عبد الله بن سلام واصحابه وذلك لما اسلموا اقاموا على تعظيم شرايع موسى فعظموا السبت وكرهوا لحوم الابل وابانها

قالوا ان ترك هذه الاشياء مباح في الاسلام وواجب في التوراة وقالوا ايضا يا رسول الله ان التوراة كتاب الله فدعنا فلنقم به في
صلاة ليلا فانزل الله هذه الاية وامرهم ان يدخلوا في السلم اي في شرايع الاسلام ولا يتمسكوا بالتوراة فانها منسوخة والمعنى
استسلموا لله واطيعوه فيما امركم به وقيل هو خطاب لمن يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم من اهل الكتاب يا ايها الذين امنوا بموسى
وعيسى ادخلوا في السلم اي في الاسلام وروى جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم حين اتاه عمر فقال انا نسمع
احاديث من يهود فتعجبنا افترى ان نكتب بعضها فقال البتي صلى الله عليه وسلم امتهوكون كما تهوكت اليهود والنصارى لقد
جيتكم بها بيضاء نقية ولو ان عيسى حيا ما وسعه الا اتباعي قوله امتهوكون اي متحيرون في دينكم حتى تاخذوه من
اليهود والنصارى وقوله لقد جيتكم بها يعني بالملة الحنيفية بيضاء نقية اي لا تحتاج الى شئ وقيل يحتمل ان يكون
خطابا للمنافقين من المومنين والمعنى يا ايها الذين امنوا بالسنتهم ادخلوا في السلم اي في الانقياد والطاعة لان اصل
السلم الاستسلام وهو الانقياد كافة اي في جميعكم ولا تفرقوا وقيل ان يرجع الى الاسلام والمعنى ادخلوا في احكام الاسلام وشرايعه
كافة وهذا المعنى اليق بظاهر التفسير لانهم امروا بالقيام بها كلها قال حذيفة بن اليمان في هذه الاية الاسلام ثمانية اسهم فعل الصلاة
والزكاة والصوم والحج والعمرة والجهاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر قال وقد خاب من لا سهم له ولا تتبعوا خطوات الشيطان
اي فاره فيما دون لكم من تحريم السبت ولحوم الابل وغير ذلك وقيل لا تلتفتوا الى الشبهات التي يلقيها اليكم اصحاب الضلالة
والغوايت والاهواء المضلة لان من اتبع سنة انسان فقد تبع اثره انه لكم عدو مبين فان قلت عداوته باي حال
الضرر والبلاء والقاء الوسوسة فكيف يصح ذلك مع الاعتقاد بان الله هو الفاعل لجميع الاشياء قلت انه يحاول ايصال
الضرر والبلاء الينا ولكن الله منعه عن ذلك وانما الوسوسة انه يزين المعاصي والقاء الشبهات وكل سبب يوقع العبد
في مخالفة الله تعالى فيصده بذلك عن الثواب فهذا من اعظم جهاتي العداوة فان قلت كيف وصف الشيطان بانه
مبين مع انا لا نراه قلت ان الله بين عداوته بما هي فكانه بين وان لم نشاهد فان زللتم اي ملتم وضللتم
وقال ابن عباس اشركتم من بعد ما جاءتكم البينات اي الدلالات الواضحات فاعلموا ان الله عزيز اي في نقمته ممن
خالفه لا يعجزه شئ حكيم يعني انه لا ينتقم الا بحق والحكيم ذو الاصابة في الامور كلها وفي الاية وعيد شديد للمبدلين في
قلبه شك ونفاق وعيده شبهة في الدين قوله تعالى هل ينظرون اي ينتظرون الداركون الدخول في السلم والمتبعون
خطوات الشيطان الا ان ياتيهم الله في ظلل جمع ظلة من الغمام يعني السحاب البيض الرقيق سمي غماما لانه يغم
ويستر وقيل هو شئ مثل السحاب ولم يكن الا لبني اسرايل في تيههم وهو كهيئة الضباب الابيض والملائكة اي وتاتيهم الملائكة
وروى الطبراني في تفسيره بسند متصل عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من الغمام
طاقات ياتي الله عز وجل فيها محفوفا وذلك قوله هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الامر وقال
عكرمة والملائكة حوله وقيل معناه حول الغمام وقيل حول الرب سبحانه وتعالى واعلم ان هذه الاية من ايات الصفات ولنا فيها
في ايات الصفات واحاديث الصفات مذهبان احدهما وهو مذهب هذه الامة واعلام اهل السنة الايمان والتسليم لما جاء في ايات
الصفات واحاديث الصفات وانه يجب علينا الايمان بظاهرها ونؤمن بها كما جاءت ونكل علمها الى الله عز وجل والى رسوله صلى الله
عليه وسلم مع الايمان والاعتقاد بان الله منزه عن سمات الحدث وعن الحركة والسكون قال الكلبي هذا من الذي لا يفسر
وقال سفيان بن عيينة كل ما وصف الله به نفسه في كتابه تفسيره قراءته والسكوت عليه ليس لاحد ان يفسره الا الله ورسوله
وكان الزهري والاوزاعي ومالك وابن المبارك وسفيان الثوري والليث بن سعد واحمد بن حنبل واسحق ابن راهويه يقولون
في هذه الاية وامثالها اقروها كما جاءت بلا كيف ولا تشبيه ولا تاويل هذا مذهب اهل السنة ومعتقد سلف الامة واشار
بعضهم في المعنى عقيدتنا ان ليس مثل صفاته ولا ذاته شئ عقيدة صايب نسلم ايات الصفات باسرها
واخبارها للظاهر المتقارب ونوئس عنها كنه فهم عقولنا وتاويلها فعل اللبيب الغالب وتركيب التسليم شعارنا فانها

لعم صح
والمعنى صح
أنتم صح
يحتمل صح
يعني الشيطان صح
فعلوم صح
سالف صح

لتسليم دين المرء حيث المراكب ۞ المذهب الثاني وهو قول جمهور المتكلمين من المعتزلة والمعتبرين من اصحاب النظر انه تعالى منزه عن المجيء والذهاب ويدل على ذلك ان كل ما يصح عليه المجيء والذهاب لا ينفك عن الحركة والسكون وهما محدثان وما لا ينفك عن المحدث فهو محدث والله تعالى منزه عن ذلك فيستحيل ذلك في حقه تعالى فثبت بذلك ان ظاهر الآية ليس مرادا فلا بد من التأويل على سبيل التفصيل فعلى هذا يقال في معنى الآية هل ينظرون الا ان يأتيهم الله بالآيات فيكون مجيء الآيات مجيئا لله على سبيل التفخيم لشأن الآيات وقيل معناه الا ان يأتيهم امر الله ووجه هذا التأويل ان الله تعالى فسره في آية اخرى فقال هل ينظرون الا ان تأتيهم الملائكة او يأتي امر ربك فصار هذا الحكم مفسرا لهذا المجمل في هذه الآية وقيل معناه يأتيهم الله بما وعد من الحساب والعقاب فحذف ما يأتي به تهويلا عليهم اذ لو ذكر ما يأتي به كان اسهل عليهم من باب الوعيد واذا لم يذكر كان ابلغ وقيل يحتمل ان يكون الفاء بمعنى الباء لان بعض الحروف يقوم مقام بعض فيكون المعنى هل ينظرون الا ان يأتيهم الله بظلل من الغمام والملائكة والمراد العذاب الذي يأتي من الغمام مع الملائكة وقيل معناه ما ينظرون الا ان يأتيهم امر الله وعذابه في ظلل من الغمام فان قلت لم كان يأتيان العذاب من الغمام قلت لأن الغمام مظنة الرحمة ومنه ينزل المطر فاذا نزل منه العذاب كان ابلغ واقطع وقيل انه تنزل الغمام علامة لظهور احوال القيمة وأهوالها **وقضي الأمر** اي وجب العذاب ووقع من الحساب وذلك فصل القضاء بين العباد في يوم القيمة **وإلى الله ترجع الأمور** اي الى الله تصير امور العباد في الآخرة فان قلت هل كانت ترجع الى غيره قلت ان امور جميع العباد ترجع اليه في الدنيا والآخرة لكن المراد من هذا اعلام الخلق انه المجازي على الاعمال بالثواب والعقاب وجواب آخر وهو انه لما عبد قوم عزير في الدنيا واضافوا افعاله الى سواه ثم اذا كان يوم القيمة انكشف الغمام ورد والى الله ما اضافوه الى غيره في الدنيا قوله عز وجل **سل بني إسرائيل** الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم امره ان يسأل يهود المدينة وليس المراد بهذا السؤال العلم بالآيات لانه كان صلى الله عليه وسلم قد علمها باعلام الله اياه ولكن المراد بهذا السؤال التوبيخ والتقريع والمبالغة في الزجر عن الاعراض عن دلائل الله وترك الشكر وقيل المراد بهذا السؤال التقدير وتذكير النعم التي انعم الله بها على سلفهم **كم آتيناهم من آية بينة** اي من دلالة واضحة على نبوة موسى عليه السلام مثل العصى واليد البيضاء وفلق البحر وانزال المن والسلوى **ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته** يعني بغير الآيات التي جاءته من الله لانها هي سبب الهدى والنجاة من الضلالة وقيل هي حجج الله الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك انهم انكروها وبدلوها وقيل المراد بنعم الله عهده الذي عهد اليهم فلم يفوا به **فإن الله شديد العقاب** يعني لمن بدل نعمة الله قوله تعالى **زين للذين كفروا الحيوة الدنيا** نزلت في مشركي العرب بجهال واصحابه لانهم كانوا يتنعمون بما بسط لهم في الدنيا من المال ويكذبون بالمعاد وقيل نزلت في المنافقين عبد الله واصحابه وقيل نزلت في رؤساء اليهود ويحتمل انها نزلت في الكل والمزين هو الله تعالى بدليل قراءة من قرأ زين بفتح الزاي وذلك لا يمنع ان يكون الله تعالى هو المزين لهم بما اظهره في الدنيا من الزهرة والنضارة والطيب واللذة وخلق الاشياء العجيبة والمناظر الحسنة وانما فعل ذلك ابتلاء لعباده وذلك انه جعل الدنيا دار ابتلاء وامتحان وركب في الطباع الميل الى اللذات وحبب الشهوات لا على سبيل الالجاء والقسر الذي لا يمكن تركه بل على سبيل التحبيب الذي يميل النفس اليه مع امكان رده عنه فنظر الخلق الى الدنيا اكثر من قدرها فاحبوها حسنها وزهرتها وزينتها فاحبوها وفتنوا بها وقيل ان المراد من التزيين انه تعالى امهلهم في الدنيا حتى اقبلوا عليها واحبوها فكان هذا الامهال هو التزيين وقيل ان المزين هو الشيطان وعواة الجن والانس وذلك انهم زينوا للكفار الحرص على الدنيا وطلبها وقبحوا لهم امر الآخرة وقيل او هموهم ان الآخرة ليقبلوا على لذات الدنيا والحرص عليها وهذا التأويل ضعيف لان قوله تعالى ان الذين كفروا يتناول جميع الكفار فيدخل فيه الشيطان وعواة الجن والانس وان لكلهم مزينين يزينون لهم وهذا المزين لا بد وان يكون مغايرا لهم فثبت بهذا ضعف قول المعتزلة **ويسخرون من الذين آمنوا** يعني الكفار يسخرون بفقراء المؤمنين قال ابن عباس منهم عبد الله بن مسعود وعمار وبلال وصهيب

وبلال وقيل كانوا يقولون انظروا الى هؤلاء الذين يزعم محمد انه يغلبهم **والذين اتقوا** يعني الفقراء من المؤمنين **فوقهم** اي فوق الكفار **يوم القيمة** لان الفقر في عليين والكفار والمنافقين في اسفل السافلين ق عن حارثة بن وهب سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الا اخبركم باهل الجنة كل ضعيف مستضعف لو اقسم على الله لابره الا اخبركم باهل النار كل عتل جواظ مستكبر العتل الفظ الغليظ الشديد في الخصومة الذي لا ينقاد لخير والجواظ الفاحش المختال في مشيه وقيل هو الذي يتمدح بما ليس فيه او عنده ق عن اسامة بن زيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قمت على باب الجنة فكان عامة من دخلها المساكين واصحاب الجد محبوسون غير ان اصحاب النار قد امر بهم الى النار وقمت على باب النار فاذا عامة من دخلها النساء الجد بفتح الجيم الحظ والغنى وكثرة المال **والله يرزق من يشاء بغير حساب** قال ابن عباس يعطي كثيرا بغير عد اي لان ما يدخل عليه الحساب فهو قليل والمعنى انه يوسع على من شاء من عباده وقيل يرزقه في الدنيا ولا يحاسبه في الآخرة وقيل معناه انه يرزق من شاء من حيث لا يحتسب وقيل معناه انه يرزقهم بغير استحقاق وقيل معناه انه تعالى لا يخاف نفاد ما في خزائنه حتى لا يحتاج الى حساب لما يخرج منها لان الحساب انما يكون ليعلم قدر ما يعطي فالله غني عالم بما يعطي لا يخاف نفاد ما في خزائنه لانها بين الكاف والنون وقيل معناه ان الله تعالى يقتر الرزق على من يشاء ويبسط الرزق على من يشاء ولا يعطي كل احد على قدر حاجته بل يعطي الكثير لمن لا يحتاج اليه ولا معارض له في حكمه ويحاسب فيما رزق ولا يقال له لم اعطيت هذا وحرمت هذا ولا لم اعطيت هذا اكثر من ذلك لانه تعالى لا شريك له في ملكه يثاب غيره ولا يسئل عما يفعل وقيل يحتمل ان يكون المراد منه ما يعطي المتقين في الآخرة من الثواب والكرامة بغير محاسبة منه لهم على ما منّ به عليهم بغير حساب وذلك انه نعيم الجنة لا نفاد له ولا انقطاع وقيل انه تعالى يعطي اهل الجنة من الثواب والاجر بقدر اعمالهم ثم يتفضل عليهم بذلك الفضل منه اليهم بغير حساب قوله تعالى **كان الناس أمة واحدة** اي على دين واحد قيل هو آدم وذريته كانوا مسلمين على دين واحد الى ان قتل قابيل هابيل فاختلفوا وقيل الناس على شريعة واحدة من الحق والهدى من وقت آدم الى مبعث نوح ثم اختلفوا فبعث الله نوحا وهو اول رسول بعث ثم بعث بعده الرسل وقيل هم اهل السفينة الذين كانوا مع نوح كانوا مؤمنين ثم اختلفوا بعد وفاته وقيل كانت العرب على دين ابراهيم عليه السلام الى ان غيره عمرو بن لحي وقيل كان الناس امة واحدة حين اخرجوا من ظهر آدم عليه السلام لاخذ الميثاق فقال الست بربكم قالوا بلى فاعترفوا بالعبودية ولم يكونوا امة واحدة غير ذلك اليوم ثم لما ظهروا الى الوجود اختلفوا بسبب البغي والحسد وقيل ان آدم وحده كان امة واحدة يعني اما مسلمة او كافرة يقتدي به وانما ظهر الاختلاف بعده وقيل كان الناس امة واحدة على الكفر والباطل بدليل قوله فبعث الله النبيين فان قيل اليس قد كان فيهم من هو مسلم نحو هابيل وشيث وادريس ونحوهم فالجواب ان الغالب في ذلك الزمان كان الكفر والحكم للغالب وقيل ان الآية دلت على ان الناس كانوا امة واحدة وليس فيها ما يدل على ايمان او كفر فهو موقوف على دليل من خارج **فبعث الله النبيين** وجملتهم مائة الف واربعة وعشرون الفا الرسل منهم ثلثمائة وثلاثة عشر المذكورون منهم في القرآن باسمائهم والاعلام منهم ثمانية وعشرون نبيا **مبشرين** يعني بالثواب لمن امن واطاع **ومنذرين** يعني محوفين بالعذاب لمن كفر وعصى وانما قدم البشارة على الانذار لان البشارة تجري مجرى حفظ صحة الابدان والانذار يجري مجرى ازالة المرض ولا شك ان المقصود هو الاول فكان اولى بالتقديم **وأنزل معهم الكتاب** الى الكتب او يكون التقدير وانزل مع كل واحد كتابا **بالحق** اي بالعدل والصدق وجملة الكتب المنزلة من السماء مائة واربعة كتب انزل على آدم عشر صحايف وعلى ادريس خمسين صحيفة وعلى نوح عشرين صحيفة وعلى ابراهيم عشر صحايف وعلى موسى عشر صحايف والتوراة وعلى داود الزبور وعلى عيسى الانجيل وعلى محمد صلى الله عليه وسلم القرآن **ليحكم بين الناس** يعني الكتاب وانما اضيف الحكم الى الكتاب وان كان الحاكم هو الله تعالى لانه انزله والمعنى ليحكم الله بالكتاب

الذى انزله وقيل معناه وليحكم بين الناس كل نبى بكتابه المنزل عليه واسناد الحكم الى الكتاب والنبى مجاز والله هو الحاكم على الحقيقة **فيما اختلفوا فيه** اى فى الحق الذى اختلفوا فيه بعد ما كانوا متفقين عليه **وما اختلف فيه** اى فى الحق **الا الذين اوتوه** اى اعطوا الكتاب والمراد به التوراة والانجيل الذى اوتوه اليهود والنصارى واختلافهم هو تكفير بعضهم بعضا بغيا وحسدا وقيل اختلافهم هو تحريفهم وتبديلهم وقيل الكناية فيه راجعة الى محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى وما اختلف فى امر محمد صلى الله عليه وسلم بعد وضوح الدلالات على صحة نبوته الا اليهود الذين اوتوا الكتاب بغيا منهم وحسدا **من بعد ما جاءتهم البينات** فالدلالات الواضحات على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم **بغيا بينهم** يعنى انهم لم يسبق لهم عذر فى العدول عنه وترك اتباعه بغيا وحسدا وهو طلب الدنيا وطلب الرياسة **فهدى الله الذين امنوا لما اختلفوا فيه** اى الى ما اختلفوا فيه **من الحق** والمعنى فهدى الله الذين امنوا لمعرفة ما اختلفوا فيه من الحق وقيل هو من المقلوب فهدى الله الذين امنوا للحق الذى اختلفوا فيه وكان اختلافهم الذى اختلفوا فيه الجمعة فهدى الله هذه الامة الاسلامية اليها ق عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن الاخرون السابقون يوم القيمة اوتوا الكتاب من قبلنا واوتيناه من بعدهم فهذا اليومهم الذى اختلفوا فيه فهدانا الله فهذا لليهود وبعد غد للنصارى وفى رواية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نحن الاخرون السابقون بيد انهم اوتوا الكتاب من قبلنا ثم هذا يومهم الذى فرض عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له فالناس لنا فيه تبع اليهود غدا والنصارى بعد غد م عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اضل الله عن الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت وللنصارى يوم الاحد فجاء الله بنا فهدانا اليوم الجمعة فجعل الله الجمعة والسبت والاحد وكذلك هم تبع لنا يوم القيمة نحن الاخرون من اهل الدنيا والاولون يوم القيمة المقضى لهم يوم القيمة قبل الخلائق وقيل اختلفوا فى شأن القبلة فصلت اليهود نحو الغرب الى بيت المقدس وصلت النصارى الى الشرق وهدانا الله الى الكعبة وقيل اختلفوا فى الصيام فهدانا الله لشهر رمضان واختلفوا فى ابراهيم فقالت اليهود كان يهوديا وقالت النصارى كان نصرانيا فهدانا الله الى الحق فقلنا كان حنيفا مسلما واختلفوا فى عيسى ابن مريم عليه السلام فالیهود فوطوا فيه والنصارى افرطوا فيه فهدانا الله فى ذلك كله للحق والمعنى فهدى الله الذين امنوا الى الحق الذى اختلف فيه من اختلف فيه **باذنه** يعنى بعلمه وامره واراديته **والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم** قوله تعالى **ام حسبتم ان تدخلوا الجنة** نزلت فى غزوة الاحزاب وهى غزوة الخندق وذلك ان المسلمين اصابهم ما اصابهم من الجهد والشدة والخوف والبرد وضيق العيش الذى كانوا فيه يومئذ وقيل نزلت فى غزوة احد وقيل لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه المدينة فى اول الهجرة اشتد عليهم الضر لانهم خرجوا بلا اموال وتركوا اموالهم وديارهم بايدى المشركين واثروا رضى الله ورسوله واظهرت اليهود العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم واسر قوم النفاق فانزل الله هذه الاية تطييبا لقلوبهم ومعنى الاية ام حسبتم والميم صلة وقيل هل حسبتم والمعنى اظننتم ايها المؤمنون ان تدخلوا الجنة بمجرد الايمان ولم يصبكم مثل ما اصاب من كان قبلكم من اتباع الانبيا والرسل من الشدايد والمحن والابتلاء والاختبار وهو قوله **ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم** اى شبه الذين مضوا من قبلكم **وابتاعهم من المؤمنين ومثل محنتهم** **مستهم البأساء** اى اصابتهم الفقر والشدة والمسكنة وهو اسم من البؤس **والضراء** يعنى المرض والزمانة وضروب الحوف **وزلزلوا** اى وحركوا بانواع البلايا والرزايا واصل الزلزلة الحركة وذلك لان الخائف لا يستقر بل لا يزال يضطرب ويتحرك لقلقه **حتى يقول الرسول والذين امنوا معه متى نصر الله** وذلك ان الرسل اثبت من غيرهم واصبر واصبط للنفس عند نزول البلاء وكذلك اتباعهم من المؤمنين والمعنى انه بلغ بهم الجهد والشدة والبلاء ولم يبق لهم صبر وذلك هو الغاية القصوى فى الشدة ولما بلغ الحال فى الشدة الى هذه الغاية واستيطوا النصر

قيل لهم **الا ان نصر الله قريب** اجابة لهم الى طلبهم والمعنى هكذا كان حالهم لم يغيرهم طول البلاء والشدة عن دينهم الى ان ياتيهم نصر الله فكونوا يا معشر المؤمنين كذلك وتحملوا الاذى والشدة والمشقة فى طلب الحق فان نصر الله قريب خ عن خباب بن الارت قال شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له فى ظل الكعبة فقلنا الا تستنصر لنا الا تدعو لنا فقال قد كان من قبلكم يوخذ الرجل فيحفر له فى الارض فيجعل فيها ثم يوتى بالمنشار فيوضع على راسه فيجعل فرقتين ويمشط بامشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يصده ذلك عن دينه والله ليتمن الله هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعا الى حضرموت لا يخاف الا الله والذيب على غنمه ولكنكم تستعجلون قوله تعالى **يسئلونك ماذا ينفقون** نزلت فى عمرو بن الجموح وكان شيخا كبيرا ذا مال فقال يا رسول الله بماذا نتصدق وعلى من ننفق فانزل الله تعالى يسئلونك ماذا ينفقون **قل ما انفقتم من خير** اى مال والمعنى وما تفعلوا من انفاق شئ من المال قل او كثر **فللوالدين** وانما قدم الانفاق على الوالدين لوجوب حقهما على الولد لانهما كانا السبب فى اخراجه من العدم الى الوجود **والاقربين** وانما ذكر بعد الوالدين الاقربين لان الانسان لا يقدر ان يقوم بمصالح جميع الفقرا فيقدم القرابة اولى من غيرهم **واليتامى** وانما ذكر بعد الاقربين اليتامى لصغرهم ولانهم لا يقدرون على الاكتساب ولا لهم احد ينفق عليهم **والمساكين** وانما اخرهم لان حاجتهم اقل من حاجة غيرهم **وابن السبيل** يعنى المسافر فانه بسبب انقطاعه عن بلده قد يقع فى الحاجة والفقر فانظر الى هذا الترتيب الحسن العجيب فى كيفية الانفاق ثم لما فصل الله تعالى هذا التفصيل الحسن الكامل اتبعه بالاجمال فقال تعالى **وما تفعلوا من خير فان الله به عليم** والمعنى وما تفعلوا من خير مع هؤلاء او غيرهم طلبا لوجه الله تعالى وثوابه فان الله به عليم فيجازيكم عليه ود كر علماء التفسير ان هذه الاية منسوخة قال ابن مسعود نسخها اية الزكوة وقال الحسن انها محكمة ووجه احكامها ان الله ذكر فيها من يجب النفقة عليه مع فقره وهم الوالدان وقال ابن زيد هذا فى النفل وهو ظاهر الاية فمن لحت التقرب الى الله تعالى بالانفاق فالاولى به ان ينفق فى الوجوه المذكورة فى الاية فيقدم الاولى فالاولى وهى فى الاية سؤال وهو انه كيف طابق السؤال الجواب وهو انهم سالوا بيان ما ينفقون فاجيبوا ببيان المصرف واجيب عن هذا السؤال بانه قد تضمن قوله وما انفقتم من خير بيان ما ينفقونه وهو المال ثم ضم الى جواب السؤال ما يكمل به المقصود وهو بيان المصرف لان النفقة لا تعد نفقة الا ان تقع موقعها قال الشاعر ان الصنيعة لا تعد صنيعة حتى يصاب بها طريق المصنع قوله عز وجل **كتب عليكم القتال** اى فرض عليكم الجهاد واختلف العلما فى حكم الاية فقال عطا الجهاد تطوع والمراد من الاية اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم دون غيرهم واليه ذهب الثورى وحكى عن الاوزاعى نحوه وحجة هذا القول ان قوله كتب يقتضى الايجاب وكفى العمل به مرة واحدة وحجة من اوجبه على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قوله عليكم يقتضى تخصيص هذا الخطاب بالموجودين فى ذلك الوقت وقيل بل الاية على ظاهرها والجهاد فرض على كل مسلم ويدل على ذلك ما روى عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجهاد واجب عليكم مع كل امير برا كان او فاجرا خرجه ابو داود وزيادة فيه ق عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية واذا استنفرتم فانفروا وقيل الجهاد فرض على الكفاية اذا قام به البعض سقط الفرض عن الباقين وهذا القول هو المختار الذى عليه جمهور العلما قال الزهرى كتب الله القتال على الناس جاهدوا او لم يجاهدوا فمن غزى فيها وغنم ومن قعد فهو عدة ان استعين به اعان وان استنفر نفر وان استغنى عنه فقد قال الله تعالى فضل الله المجاهدين على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى ولو كان القاعد تاركا فرضا لم يعده بالحسنى واختلف العلما الناسخ فى هذه الاية على ثلاثة اقوال احدها انها محكمة ناسخة للعفو عن المشركين القول الثانى انها منسوخة لان فيها وجوب الجهاد على الكافة ثم نسخ بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة القول الثالث انها ناسخة من وجه ومنسوخة من وجه فالناسخ منه ايجاب الجهاد مع المشركين بعد المنع منه والمنسوخ ايجاب الجهاد

على الكافة وقوله وهو كره لكم اى القتال شاق عليكم وهذا الكره انما حصل من حيث نفور الطبع عن القتال لما فيه من مؤنة
المال ومشقة النفس وخطر الروح والخوف لا انهم كرهوا امر الله وقيل نسخ هذا الكره بقوله اجابوا داعيه منهم وقالوا سمعنا
واطعنا وقيل انما كان كراهتهم للقتال قبل ان يفرض عليهم لما فيه من الخوف والشدة وكثرة الاعداء قيل ان الله تعالى
ان الذى تكرهونه من القتال هو خير لكم من تركه لئلا تكرهونه بعد ان فرض عليكم وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم
لفظة عسى توهم الشك مثل لعل وهى من الله اليقين وقيل انها كلمة مطمعة فهى لا تدل على حصول الشئ المقابل وتدل
على حصول الشك للمسمع والمعنى ان الغزو فيه احد الحسنيين اما الظفر والغنيمة واما الشهادة والجنة وقيل ربما
كان الشئ شاقا فى الحال وهو سبب المنافع الجليلة فى المستقبل ومثله شرب الدواء المر فانه ينفر عنه الطبع فى الحال
ويكرهه لكن يتحمل هذه الكراهة والمشقة لتوقع حصول الصحة فى المستقبل وعسى ان تحبوا شيئا يعنى القعود
عن الغزو وهو شر لكم يعنى لما فيه من فوت الغنيمة والاجر وطمع العدو فيكم لانه اذا علم ميلكم الى الراحة
والدعة والسكون قصد بلادكم وحاول قتالكم واذا علم ان فيكم شهامة وجلادة على القتال كف عنكم
والله يعلم يعنى ما فى الجهاد من الاجر والغنيمة والخير وانتم لا تعلمون يعنى ذلك والمعنى ان العبد اذا علم
قصور علمه وكمال علم الله ثم ان الله تعالى امره بامر كان ذلك الامر فيه مصلحة عظيمة فيجب على العبد امتثال امر الله
وان كان يشق على النفس فى الحال قوله تعالى يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه سبب نزول هذه الآية ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله بن جحش وهو ان عمته فى سرية فى جمادى الاخرة قبل قتال بدر بشهرين وامره على السرية
وكتب له كتابا وقال سر على اسم الله ولا تنظر فى الكتاب حتى تسير يومين فاذا نزلت فافتح الكتاب واقرأه على اصحابك ثم امضه
لما امرتك ولا تستكرهن احدا منهم على السير معك فسار عبد الله يومين ثم نزل وفتح الكتاب فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم
اما بعد فسر على بركة الله بمن معك من اصحابك حتى تنزل بطن نخلة فارصد بها عير قريش لعلك ان تأتينا بخبر فقال سمعا وطاعة
ثم قال لاصحابه ذلك وقال لهم انه نهانى ان استكره احدا منكم فمن كان يريد الشهادة فلينطلق ومن كره فليرجع ثم مضى
ومضى اصحابه معه وكانوا ثمانية رهط لم يتخلف عنه احد منهم حتى اذا كان بمعدن فوق الفرع بمضيع من الحجاز يقال له بحران
اضل سعد بن ابى وقاص وعتبة بن غزوان بعيرا لهما كانا يتعقبانه فتخلفا فى طلبه ومضى عبد الله ببقية اصحابه حتى نزل فى
بطن نخلة بين مكة والطايف فبينما هم كذلك مرت بهم عير لقريش تحمل زبيبا وادما وتجارة من تجارة الطايف وفى العير عمرو
ابن الحضرمى والحكم بن كيسان وعثمان بن عبد الله بن المغيرة ونوفل بن عبد الله المخزومى فلما راوا اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم هابوهم وقد نزلوا قريبا منهم فقال عبد الله بن جحش ان القوم قد عرفوا مكانكم فاحلقوا راس رجل منكم ويتعرض
لهم فاذا راوه محلوقا راسه امنوا فحلقوا راس عكاشة بن محصن ثم اشرف عليهم فلما راوه امنوا وقالوا قوم عمار ما علينا
باس عليهم وكان ذلك فى اخر يوم من جمادى الاخرة وكانوا يرون انه من رجب فتشاوروا القوم فيهم وقالوا
متى تركتموهم هذه الليلة ليدخلن الحرم وليمتنعن منكم فاجمعوا امرهم فى مواقعة القوم ورمى واقد بن عبد الله التميمى عمرو
بن الحضرمى بسهم فقتله فكان اول قتيل من المشركين واسر الحكم وعثمان فكانا اول اسيرين فى الاسلام واقبلت نوفل فاعجزهم
واستاق المسلمون العير والاسيرين حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت قريش قد استحل محمد الشهر الحرام
وسفك الدماء واخذ الحاير يعنى المال وعير بذلك اهل مكة من كان بها من المسلمين وقالوا يا معشر الصباة استحللتم
الشهر الحرام وقاتلتم فيه فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لعبد الله بن جحش واصحابه ما امرتكم بالقتال فى
الحرام ووقف العير والاسيرين وابى ان ياخذ شيئا من ذلك ووقف المسلمون اصحاب السرية فيما صنعوا وقالوا لم صنعتم
ما لم تؤمروا به فعظم ذلك على اصحاب السرية وظنوا ان قد هلكوا وسقط فى ايديهم وقالوا يا رسول الله انا قتلنا ابن الحضرمى
ثم امسينا فنظرنا الهلال رجب فلا ندرى فى رجب اصبناه ام فى جمادى واكثر الناس فى ذلك فانزل الله هذه الآية فاخذ

رسول الله صلى الله عليه وسلم العير وفرق منها الخمس فكان اول خمس فى الاسلام واول غنيمة قسمت فقسم لباقى على اصحاب السرية
وبعث اهل مكة فى فداء اسيريهم فقال بل نقفهما حتى يقدم سعد وعتبة وان لم يقدما قتلناهما بهما فلما قدما فاداهما فاما الحكم
بن كيسان فاسلم واقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقتل يوم بئر معونة شهيدا واما عثمان فرجع
الى مكة فمات بها كافرا واما نوفل فضرب بطن فرسه يوم الاحزاب ليقتحل الخندق فوقع فى الخندق مع فرسه فتحطما جميعا وقتله الله
وطلب المشركون جيفته بالثمن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذوه فانه جيف الجيفة خبيث الدية فاما تفسير الآية
فقوله تعالى يسئلونك يعنى يا محمد عن الشهر الحرام يعنى رجبا سمى بذلك لتحريمهم القتال فيه وفى السائلين رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقولان احدهما انهم المسلمون سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم هل اخطاوا ام اصابوا وقيل ان المسلمين
كانوا يعلمون ان القتال فى الحرم وفى الاشهر الحرم لا يحل فلما كتب عليهم القتال سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القتال
فى الشهر الحرام فنزلت هذه الآية والقول الثانى ان السائلين هم المشركون وانما سالوه على وجه العيب على المسلمين فنزلت هذه
الآية يسالونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل اى قل يا محمد قتال فيه كبير اى عظيم مستكبر واختلف العلماء فى حكم هذه
الآية على قولين احدهما انها محكمة وانه لا يجوز الغزو فى الشهر الحرام الا ان يقاتلوا فيه فيقاتلوا على سبيل الدفع روى عن عطا
انه كان يحلف بالله ما يحل للناس ان يغزوا فى الشهر الحرام ولا ان يقاتلوا فيه وما نسخت والقول الثانى الذى عليه جمهور العلماء
وهو الصحيح انها منسوخة وقال سعيد بن المسيب سليمان بن يسار القتال جائز فى الشهر الحرام وهذه الآية منسوخة بقوله
اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وبقوله قاتلوا المشركين كافة يعنى فى الاشهر الحرم وغيرها وصد عن سبيل الله
هذا ابتداء كلام والمعنى وصدكم المسلمين عن الحج او وصدكم عن الاسلام ممن يريده وكفر به اى بالله والمسجد الحرام
اى وصدكم عن المسجد الحرام واخراج اهله منه يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين حين اذ وهم
حتى هاجروا وتركوا مكة وانما جعلهم اهله لانهم كانوا هم القايمين بحقوق المسجد الحرام دون المشركين اكبر عند الله
اى اعظم وزرا عند الله من القتال فى الشهر الحرام والفتنة اى الشرك الذى انتم عليه اكبر من القتل يعنى قتل
ابن الحضرمى فى الشهر الحرام فلما نزلت هذه الآية كف عبد الله بن جحش واصحابه عن المشركين فلم يتعرضوا لهم حتى رجعوا الى مكة
بالقتال فى الشهر الحرام فعيروهم انتم بالكفر وباخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة والمسلمين ومنكم ايا هم من
البيت ولا يزالون يعنى مشركى مكة يقاتلونكم يعنى يا معشر المؤمنين حتى يردوكم عن دينكم يعنى الى دينهم
وهو الكفر ان استطاعوا يعنى ان قدروا على ذلك وفيه استبعاد لاستطاعتهم فيه كقول الرجل لعدوه ان ظفرت بى فلا تبقى
على وهو واثق انه لا يظفر به ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر يعنى ومن يطاوعهم منكم فيرجع
الى دينهم فيمت على ردته قبل ان يتوب فاولئك حبطت اعمالهم اى بطلت اعمالهم فى الدنيا والاخرة وهو المرتد
يقتل وتبين زوجته منه ولا يستحق الميراث من اقاربه المؤمنين ولا يضمن ان استهلك مال ولا يمدح ولا يثنى عليه ويكون
ماله فيئا للمسلمين هذا فى الدنيا ولا يستحق الثواب على اعماله ويحبط اجرها فى الاخرة وظاهر الآية يقتضى ان الارتداد
انما يتقرر عليه الاحكام اذا مات المرتد على الكفر اما اذا اسلم بعد الردة لم يثبت عليه شئ من احكام الردة وفيه
دليل للشافعى ان الردة لا تحبط الاعمال حتى يموت المرتد على ردته وعند ابى حنيفة ان الردة تحبط العمل وان اسلم
واولئك اصحاب النار يعنى الذين ماتوا على الردة والكفر هم اصحاب النار هم فيها خالدون
ان الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله نزلت فى عبد الله بن جحش واصحابه وذلك ان اصحاب
السرية قالوا يا رسول الله هل نوجر على وجهنا هذا ونطمع ان يكون لنا غزو فانزل الله هذه الآية وعن خبيب بن عبد الله
قال لما كان من امر عبد الله بن جحش واصحابه وامر الحضرمى ما كان قال بعض المسلمين انا لم نكن نؤاخذ بما اصابوا فى سفرهم وزرا
فليس لهم فيه اجر فانزل الله هذه الآية ان الذين امنوا والذين هاجروا اى فارقوا اماكنهم وعشايرهم واهواءهم وفارقوا

مساكنة المشركين في امصارهم ومجاورتهم في ديارهم فحثوا على الهجرة عن بلادهم الى غيرها وجاهدوا اهل المشركين في سبيل الله
اى في طاعة الله فجعل الله لاصحابه بهذه السيرة جهادا **اولئك يرجون رحمة الله** اى يطمعون في نيل رحمة الله اجتزأ بهم
على جاه الرحمة وقيل المراد من الرجاء هنا القطع في اصل الثواب وانما دخل الظن في كميته ووقته قال قتادة انثنى الله تعالى
على اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم احسن الثناء فقال ان الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك
يرجون رحمة الله هؤلاء هم خيار هذه الامة ثم جعلهم الله اهل رجاء كما تسمعون وانه من رجا طلب ومن خاف هرب
والله غفور اى لذنوب عباده **رحيم** بهم والمعنى انه تعالى غفر لعبد الله بن جحش واصحابه ما لم يفعلوا به قوله عز وجل
يسئلونك عن الخمر والميسر الاية نزلت في عمر بن الخطاب رضى الله عنه ومعاذ بن جبل وجماعة من الانصار اتوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله افتنا في الخمر والميسر فانها مذهبة للعقل مسلبة لنا فانزل الله هذه الاية
واصل الخمر في اللغة الستر والتغطية وسميت الخمر خمرا لانها تخامر العقل اى تخالطه وقيل لانها تستره وتغطيه وجملة
القول في تحريم الخمر ان الله عز وجل انزل في الخمر اربع ايات نزلت بمكة ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا
فكان المسلمون يشربونها في اول الاسلام وهي حلال ثم نزلت بالمدينة يسئلونك عن الخمر والميسر فيهما اثم كبير وسئل عمر ومعاذ رضى الله عنهما يسئلونك
عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير فتركها قوم لقوله واثمهما اكبر من نفعهما وشربها قوم لقوله ومنافع للناس ثم ان عبدا الرحمن بن عوف
صنع طعاما ودعا اليه اناسا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطعمهم وسقاهم الخمر وحضرت صلاة المغرب فقدموا
احدهم ليصلي بهم فقرأ قل يا ايها الكافرون اعبد ما تعبدون فحذف حرف لا الى اخر السورة فانزل الله عز وجل يا ايها الذين
امنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون فحرم السكر في اوقات الصلاة فترك قوم شربها وترك قوم
شربها في اوقات الصلاة فكان الرجل يشربها بعد صلاة العشاء فيصبح وقد زال سكره فيصلي الصبح ويشربها بعد صلاة الضحى
فيصحو اوقت الظهر ثم ان عتبان بن مالك اتخذ صنيعا يعني وليمة ودعا رجالا من المسلمين فيهم سعد بن ابي وقاص
وكان قد شوى لهم رأس بعير فاكلوا وشربوا الخمر حتى اخذت منهم فافتخروا عند ذلك وانتشوا وتناسبوا وتناشدوا
الاشعار فانشد سعد قصيدة فيها فخر قومه وهجا الانصار فاخذ رجل من الانصار لحى البعير فضرب يديه راس سعد فشجه
موضحة فانطلق سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا اليه الانصاري فقال عمر اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا
ويروى ان حمزة بن عبد المطلب شرب الخمر يوما وخرج فلقي رجلا من الانصار ويديه ناضح والانصاري يمتثل بين كتفي
ابن مالك يمدح قومه وهما جمعنا مع الايواء نصرا وهجرة فكم بين حي مثلنا في المعاشر فاحيانا من خير احياء من مضى
واموانا من خير اهل المقابر فقال حمزة اولئك المهاجرون وقال الانصاري اولئك الانصار فهز يد الانصاري وترك
ناضحه فقطعها حمزة وجاء الانصاري مستغيثا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبره بفعل حمزة فغرم رسول الله صلى الله
عليه وسلم له ناضحا فقال عمر اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فانزل الله تعالى الاية التي في المائدة الى قوله فهل انتم منتهون
فقال عمر انتهينا يا رب وذلك بعد غزوة الاحزاب بايام والحكمة في وقوع التحريم على هذا الترتيب ان الله تعالى علم ان القوم
كانوا قد الفوا شرب الخمر وكان انتفاعهم بذلك كثيرا فاعلم انه لو منعهم من الخمر دفعة واحدة لشق ذلك عليهم فلم يجز
استعمال هذا التدريج وهذا الرفق قال انس حرمت الخمر ولم يكن يومئذ للعرب عيش اعجب اليهم منها وما حرم عليهم شيء اشد
من الخمر ق عن انس رضى الله عنه قال ما كان لنا خمر غير فضيخكم واني لقائم اسقي ابا طلحة وابا ايوب وفلانا وفلانا اذ جاء
رجل فقال حرمت الخمر فقالوا اهرق هذه القلال يا انس فما سالوا عنها ولا رجعوا بعد خبر الرجل الفضيخ بالضاد والخاء المعجمتين
شراب يتخذ من بسر مطبوخ والمفضوخ المكسور والاهراق الصب والقلال جمع قلة وهي الجرة الكبيرة **فصل** في تحريم
الخمر ووعيد من شربها اجمعت الامة على تحريم الخمر وانه يحد شاربها ويفسق بذلك مع اعتقاد تحريمها فان استحلها كفر ويجب
قتله ق عن ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل مسكر خمر وكل مسكر حرام ومن شرب الخمر في الدنيا

او مسكر هو قال نعم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقوله سبق فهما

ومات وهو يدمنها لم يتب منها لم يشربها في الاخرة لفظ مسلم **م** عن جابر رضى الله عنه ان رجلا قدم من جيشان وجيشان
من اليمن فسال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شراب يشربونه بارضهم من الذرة يقال له المزر فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اكل مسكر حرام وان على الله عهدا لمن يشرب المسكر ان يسقيه من طينة الخبال قالوا يا رسول الله وما طينة الخبال
قال عرق اهل النار او عصارة اهل النار عن ابن عباس رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل مسكر خمر
وكل مسكر حرام ومن شرب مسكرا لم تقبل صلاته اربعين صباحا فان تاب تاب الله عليه فان عاد الرابعة كان حقا على الله ان
يسقيه من طينة الخبال وقيل وما طينة الخبال قال صديد اهل النار اخرجه ابو داود وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله
عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من شرب الخمر فخمرها وطينه لم يقبل منه صلاة سبعا وان مات فيها مات
كافرا فان اذهبت عقله عن شيء من الفرائض وفي رواية عن القرآن لم تقبل صلاته اربعين يوما وان مات فيها مات كافرا
النسائي عن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال اجتنبوا الخمر فانها ام الخبائث فوالله لا يجتمع الايمان وادمان الخمر الا يوشك
ان يخرج احدهما صاحبه اخرجه النسائي موقوفا عليه وفي قصة عن ابن رضى الله عنه قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الخمرة عشرة عاصرها ومعتصرها وشاربها وساقيها وحاملها والمحمولة اليه وبائعها ومبتاعها واكل ثمنها
اخرجه الترمذي **فصل** في احكام تتعلق بالخمر وفيه مسائل الاولى في ماهيتها قال الشافعي الخمر عبارة عن عصير
العنب النيء الشديد الذي قذف بالزبد وكذلك نقيع الزبيب والتمر والمتخذ من العسل والحنطة والشعير والارز والذرة وكل ما
اسكر فهو خمر وقال ابو حنيفة الخمر من العنب والرطب ونقيع التمر والزبيب فان طبخ حتى ذهب ثلثاه حل شربه والمسكر منه حرام
واحتج على ذلك بما روي عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه كتب الى بعض عماله ان ارزق المسلمين من الطلاء ما ذهب ثلثاه
ويبقى ثلثه وفي رواية اما بعد فاطبخوا شرابكم حتى يذهب منه نصيب الشيطان فان له اثنين ولكم واحد اخرجه النسائي
الطلاء بكسر الطاء والمد الشراب المطبوخ من عصير العنب الذي ذهب ثلثاه وبقي ثلثه واحتج ايضا بما روي عن ابن عباس قال اتيت
الخمر لعينها قليلها وكثيرها والمسكر من كل شراب اخرجه النسائي واستدل ايضا على ان السكر حرام بما روي عن ابي الاحوص
عن القاسم بن عبد الرحمن عن ابيه عن ابي بردة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اشربوا ولا تسكروا وعن عائشة نحوه
اخرجه النسائي وقال هذا حديث غير ثابت واستدل الشافعي على كون الخمر من عدة اشياء بما روي عن ابن عمر قال على منبر رسول الله
صلى الله عليه وسلم اما بعد ايها الناس انه نزل تحريم الخمر وهي من خمسة من العنب والتمر والعسل والحنطة والشعير والخمر
ما خامر العقل وفاتت وودت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عهد الينا فيها عهدا تنتهي اليه الجد والكلالة وابواب
من ابواب الربا اخرجه البخاري ومسلم ق عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن البتع فقال كل شراب
اسكر فهو حرام البتع شراب يتخذ من العسل كان اهل اليمن يشربونه عن النعمان بن بشير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان من العنب خمرا وان من التمر خمرا وان من البر خمرا وان من الشعير خمرا اخرجه ابو داود وزاد في رواية والذرة
واني انهاكم عن كل مسكر وللترمذي نحوه وزاد وان من العسل خمرا **ح** عن ابن عباس سئل عن الباذق فقال سبق محمد صلى الله عليه وسلم
ما اسكر فهو حرام عليك الشراب الحلال الطيب ليس بعد الحلال الطيب الا الحرام الخبيث قال صاحب المطالع الباذق بفتح الذال
المعجمة وهو الطلاء المطبوخ من عصير العنب كان اول من صنعه وسماه بهذا امية ليستقلوه عن اسم الخمر وكل ما اسكر
فهو خمر لان الاسم لا يثقله عن معناه الموجود فيه وقال ابن الاثير في النهاية الباذق الخمر تعريب باذه وهو اسم الخمر
بالفارسية اى لم يكن في زمانه او سبق قوله فيها وفي غيرها من جنسها وقيل معناه سبق حكم محمد صلى الله عليه وسلم
ان ما اسكر فهو حرام عن ام سلمة قالت نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل مسكر ومفتر اخرجه ابو داود والمفتر
كل شراب اورث الجسد وصار فيه فتور وضعف وانكسار واستدل الشافعي على ما اسكر كثيره فقليله حرام بما روي
عن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما اسكر كثيره فقليله حرام اخرجه الترمذي وابو داود وعن عائشة

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل مسكر حرام وما اسكر منه الفرق فمل ء الكف منه حرام اخرجه ابو داود والترمذي
وفي رواية له والحسوة منه حرام الفرق بالتحريك مكيال يسع ستة عشر رطلا بالبغدادي واجيب عن حديث عمر في الطلاء بانه
معارض بما روي عن السايب بن يزيد ان عمر قال وجدت من فلان ريح شراب وزعم انه شراب الطلاء وانا سائل عنه فان كان
يسكر جلدته فسأل عنه ففيل له انه يسكر فجلده عمر الحد تاما اخرجه مالك في الموطإ واما حديث ابن عباس فموقوف عليه
ومعارض بما روي عنه في الباذق وقوله والمسكر من كل شراب فقد رواه الحفاظ السكر بفتح السين قال صاحب الغريبين السكر
حمل الاعاجم ويقال لما يسكر السكر وروى هذا الحديث احمد بن حنبل وقال فيه والمسكر من كل شراب وقال موسى بن هارون
وهو الصواب واما حديث ابي الاحوص ففيه وهمان احدهما في سنده حيث قال عن ابي بردة وانما يرويه سماك عن القسيم عن ابي
بردة عن ابيه والوهم الثاني في متنه حيث قال اشربوا ولا تسكروا وانما يروي الناس ولا تشربوا مسكرا ويدل على صحة هذا
ما روى مسلم في صحيحه عن محارب بن دثار عن ابي بريدة عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت نهيتكم
عن الاشربة في ظروف الادم فاشربوا في كل وعاء غير انه لا تشربوا مسكرا وقال النسائي في حديث ابي الاحوص هذا احاديث منكر
غلط فيه ابو الاحوص سلام بن سليم لا نعلم ان احدا تابعه عليه من اصحاب سماك واما حديث سماك فهو غير ثابت
كما مر من قول النسائي المسئلة الثانية في الحكم بنجاسة الخمر وما يلحق بها نجاسة العين ويدل على نجاستها انما الخمر
والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه والرجس في اللغة النجس والنهي المستفاد من قوله
تعالى فاجتنبوه فامر باجتنابها فكانت نجاسة العين ويدل على نجاستها ايضا انها محرمة التناول والانتفاع ولان الناس
مشغولون بها فينبغي ان يحكم بنجاستها تأكيدا للزجر عنها المسئلة الثالثة في تحريم بيعها والانتفاع بها اجمعت الامة
على تحريم بيع الخمر والانتفاع بها وتحريم ثمنها ويدل على ذلك ما روى عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول عام فتح مكة ان الله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والاصنام اخرجاه في الصحيحين مع زيادة اللفظ عن عائشة
قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حرمت التجارة في الخمر عن ابن عباس قال لما بلغ عمر بن الخطاب ان فلانا
باع خمرا فقال قاتل الله فلانا الم يعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فباعوها
عن المغيرة بن شعبة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من باع الخمر فليشقص الخنازير اخرجه ابو داود وقوله فليشقص
الخنازير اي فليقطعها قطعا كما تقطع الشاة للبيع والمعنى من استحل بيع الخمر فليستحل بيع الخنازير فانهما في التحريم سواء
عن ابي طلحة قال يا نبي الله اني اشتريت خمرا لايتام في حجري فقال اهرق الخمر واكسر الدنان اخرجه الترمذي وقال وقد روي عن
انس ان ابا طلحة كان عنده خمر ليتامى وهو اصح فان قلت فما وجه قوله تعالى ومنافع للناس فيها قلت منافعها اللذة التي تجد
عند شربها والفرح والطرب معها وما كانوا يصيبون من الربح في ثمنها وكان ذلك قبل التحريم فلما حرمت حرم ذلك كله

فصل واما الميسر فهو القمار واشتقاقه من اليسر لانه احد ما يسهولة من غير تعب يكد قال ابن عباس كان الرجل
في الجاهلية يخاطر الرجل على اهله وماله فايتهما قمر صاحبه ذهب باهله وماله فانزل الله هذه الآية واصل الميسر ان اهل
الثروة من العرب في الجاهلية كانوا يشترون جزورا فيجزرونها ويجزئونها ثمانية وعشرين جزأ ثم يسهمون عليها بعشرة
اقداح يقال لها الازلام والافلام واسماؤها الغد والتوءم والرقيب والحلس والمنافس والمسبل والمعلى والمنيح والسفيح
والوغد وكانوا يسهمون لسبعة منها انصباء فللفذ سهما وللتوءم سهمين وللرقيب ثلاثة اسهم وللحلس اربعة وللنافس خمسة
وللمسبل ستة وللمعلى سبعة وثلاثة من الاقداح لا انصباء لها وهي المنيح والسفيح والوغد قال بعضهم ولي في الدنيا سهام
ليس فيها سهم سمي وغد ومنيح وسفيح ثم يجمعون القداح في خريطة يسمونها الربابة ويضعونها على يد رجل عدل عندهم
يسمونه المجيل والمفيض فيجيلها في الخريطة ويخرج منها قداحا باسم رجل منهم فاينهم خرج اسمه اخذ نصيبه على قدر ما يخرج
من القداح وان خرج له قدح من الثلاثة التي لا انصباء لها لم يأخذ شيئا وغرم ثمن الجزور كله وقيل لا يأخذ ولا يغرم ويسمون

ذلك القدح لغوا ثم يدفعون ذلك الجزور الى الفقراء ولا يأكلون منه شيئا وكانوا يفتخرون بذلك ويذمون من لا يفعله ويسمونه
البرم يعني البخيل الذي لا يخرج شيئا بين اصحابه واما حكم الآية فالمراد بها جميع انواع القمار فكل شيء فيه خطر يعني الرهن
فهو الميسر حتى لعب الصبيان بالجوز والكعاب واما النرد فيحرم اللعب به سواء كان بخطر او لا ويدل على تحريمه ما روى
عن بريدة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لعب بالنرد شير فكأنما صبغ يده في دم خنزير اخرجه مسلم وعن ابي
موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لعب بنرد او بنرد شير فقد عصى الله ورسوله اخرجه ابو داود وروي
عن علي ابن ابي طالب ان النرد والشطرنج من الميسر واختلفوا في الشطرنج فمذهب ابي حنيفة انه يحرم اللعب به سواء كان
برهن او بغير رهن ومذهب الشافعي انه مباح بشروط ذكرها الشافعي فقال اذا خلا الشطرنج عن الرهان واللسان
عن الطغيان ويروى عن الهذيان والصلاة عن النسيان لم يكن حراما وهو خارج عن الميسر لان الميسر ما وجب دفع مال
واخذ مال وهذا ليس كذلك وقوله تعالى **قل فيهما** يعني في الخمر والميسر **اثم كبير** اي ورزء عظيم وقيل ان الخمر
عدو للعقل فاذا غلبت على عقل الانسان ارتكب كل قبيح ففي ذلك اثم كبير منها اقدامه على شرب المحرم ومنها فعل ما لا يحل
فعله واما الاثم الكبير في الميسر فهو اكل المال الحرام بالباطل وما يجري بينهما من الشتم والمخاصمة والمعاداة وكل ذلك فيه
آثام كثيرة **ومنافع للناس** يعني انهم كانوا يربحون في بيع الخمر قبل تحريمها واما منافع الميسر فهو اخذ مال بغير كد ولا تعب
قيل ربما ان الواحد منهم كان يقمر في المجلس الواحد مائة بعير فيحصل له المال الكثير وربما كان يصرف الى المحتاجين فيكسب
بذلك الثناء والمدح وهو المنفعة **واثمهما اكبر من نفعهما** يعني اثمهما بعد التحريم اكبر من نفعهما قبل التحريم وقيل
انهما قوله تعالى انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة
فكل هذه ذنوب يترتب عليها آثام كثيرة بسبب الخمر والميسر قوله تعالى **ويسألونك ماذا ينفقون** وذلك ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم حضهم على الصدقة فقالوا اماذا ننفق فقال الله تعالى **قل العفو** يعني الفضل والعفو ما فضل
عن قدر الحاجة فكانت الصحابة يكسبون المال وينفقون قدر النفقة ويتصدقون بالفاضل فحكم هذه الآية ثم نسخ
ذلك بالزكاة وقيل هو التصدق عن ظهر غنى ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الصدقة ما كان
عن ظهر غنى واليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول وقيل هو الوسط في الانفاق من غير اسراف ولا اقتار
وقيل هو في صدقة التطوع اذ لو كان المراد به هذا الانفاق لوجب بيان ان الله قدره فلما لم يبينه دل ذلك على ان المراد صدقة
التطوع **كذلك يبين الله لكم الآيات** اي يبين لكم الامور التي سألتم عنها من وجوه الانفاق ومصارفه
لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة يعني فتأخذون ما يصلحكم في الدنيا وتنفقون الباقي فينفعكم في الآخرة وقيل
لعلكم تتفكرون في زوال الدنيا فترهدوا فيها وفي قبال الآخرة وبقائها فترغبوا فيها قوله عز وجل **ويسألونك**
عن اليتامى قال ابن عباس لما نزلت ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما تحرج المسلمون من اموال اليتامى فجعلوا يخرجون
حتى عزلوا اموالهم وتركوا مخالطتهم وربما كان يصنع لليتيم الطعام فيفضل منه فيتركه ولا يأكله فاشتد ذلك عليهم
فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله ويسألونك عن اليتامى **قل اصلاح لهم خير** اي اصلاح اموال
اليتامى من غير اخذ اجرة ولا عوض خير لكم اي اعظم اجرا وقيل هو ان يوسع على اليتيم من طعام نفسه ولا يتوسع من طعام
اليتيم **وان تخالطوهم** يعني في الطعام والخدمة والسكنى وهذا اليه اباحة المخالطة اي شاركوهم في اموالهم
واخلطوها باموالكم ونفقاتكم ومساكنكم وخدمكم ودوابكم فتصيبوا من اموالهم عوضا من قيامكم باموورهم او كأنهم
على ما تصيبون من اموالهم **فاخوانكم** اي فهم اخوانكم والاخوان يعين بعضهم بعضا ويصيب بعضهم من مال البعض على وجه
الاصلاح والرضى **والله يعلم المفسد من المصلح** يعني المفسد لمال اليتيم والمصلح له ويعلم الذي يقصد بالخلطة الخيانة
واكل مال اليتيم بغير حق والذي يقصد الاصلاح **ولو شاء الله لاعنتكم** اي لضيق عليكم وما اباح لكم مخالطتهم واصل

ذلك

العنت الشدة والمشقة والمعنى لكلفكم في كل شيء ما يشق عليكم إن الله عزيز حكيم أي غالب يقدر أن يشق على عباده
ويعنتهم ولكنه حكيم لا يكلف عباده إلا ما تتسع فيه طاقتهم قوله تعالى ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن نزلت في مرثد
ابن أبي مرثد الغنوي واسم أبي مرثد كناز بن حصين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة ليخرج منها ناسا من المسلمين سرا
فلما قدمها سمعت به امرأة مشركة يقال لها عناق وكانت خليلته في الجاهلية فأتته فقالت ألا تخلو فقال ويحك يا عناق
إن الإسلام قد حال بيني وبين ذلك فقالت هل لك أن تتزوج بي قال نعم ولكن أرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت
أبي تتبرم واستغاثت عليه فضربوه ضربا شديدا ثم خلوا سبيله فلما قضى حاجته بمكة وانصرف إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وأعلمه بما كان من أمره وأمر عناق وما لقي بسببها وقال يا رسول الله أيحل لي أن أتزوج بها فأنزل الله هذه
الآية وأصل النكاح في اللغة الوطء ثم كثر حتى قيل للعقد نكاح ومعنى الآية ولا تنكحوا أيها المؤمنون المشركات حتى يؤمن
أي يصدقن الله ورسوله وهو الإقرار بالشهادة والتزام أحكام المسلمين واختلف العلماء في حكم هذه الآية فقيل إنها
تدل على أن كل مشركة يحرم نكاحها على كل مسلم من أي أجناس الشرك كانت كالوثنية والمجوسية والنصرانية أو غيرهم
من أصناف المشركات ثم استثنى الله تعالى من ذلك نكاح الحرائر الكتابيات بقوله تعالى والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب
من قبلكم فأباح الله تعالى نكاحهن بهذه الآية قال ابن عباس في قوله ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ثم استثنى نساء أهل
الكتاب فقال والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وقيل إن حكم الآية نزلت في مشركات العرب الوثنيات خاصة
ولم ينسخ منها شيء ولم يستثن وإنما حكمها عام مخصوص قال قتادة في قوله ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن يعني مشركات
العرب اللاتي ليس لهن كتاب يقرأنه وبيان هذا في مسئلة وهي أن لفظ الشرك على من يطلق فالأكثرون من العلماء وهو القول
الصحيح المختار أن لفظ الشرك يندرج فيه أهل الكتاب من اليهود والنصارى وكذلك عبدة الأصنام والمجوس وغيرهم ويدل
على أن اليهود والنصارى يطلق عليهم اسم الشرك قوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ثم
قال تعالى اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو
سبحانه عما يشركون فهذه الآية صريحة في شرك اليهود والنصارى وقيل كل من كفر بالنبي صلى الله عليه وسلم وإن زعم أن الله
تعالى واحد فهو مشرك وذلك أن من كفر بالنبي صلى الله عليه وسلم مع صحة نبوته وظهور معجزاته فقد زعم أن ما أتى به النبي
صلى الله عليه وسلم هو من عند غير الله فقد أشرك مع الله غيره فعلى هذا القول أيضا يدخل فيه اليهود والنصارى لإنكارهم نبوة
محمد صلى الله عليه وسلم وقيل إن اسم الشرك لا يتناول إلا عبدة الأوثان فقط والأول أصح لما تقدم من الأدلة فعلى من قال اسم
الشرك لا يتناول إلا الوثنيات تكون الآية محكمة وعلى قول الأكثرين أن اسم الشرك يتناول الوثنيات وغيرهن تكون الآية
محكمة في حق الوثنيات منسوخة في حق الكتابيات وقوله تعالى ولأمة مؤمنة خير يعني أنفع وأصلح وأفضل
من مشركة يعني حرة ولو أعجبتكم يعني بجمالها ومالها ونسبها فالأمة المؤمنة خير وأفضل عند الله من المشركة الحرة
نزلت في خنساء وليدة كانت لحذيفة بن اليمان قال يا خنساء قد ذكرت في الملأ الأعلى على سوادك ودمامتك ثم أعتقها
وتزوجها وقيل نزلت في عبد الله بن رواحة كانت عنده أمة سوداء فغضب عليها يوما فلطمها ثم فزع فأتى النبي صلى الله عليه
وسلم فأخبره فقال وما هي يا عبد الله قال هي تشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله وتصوم رمضان وتحسن الوضوء وتصلي
قال هذه مؤمنة قال عبد الله فوالذي بعثك بالحق لأعتقنها ولأتزوجنها ففعل فطعن عليه ناس من المسلمين فقالوا أنكح
أمة وعرضوا عليه حرة مشركة فأنزل الله هذه الآية ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا هذا خطاب لأولياء المرأة أي لا تزوجوا
المسلمة من المشركين حرم على المؤمنات أن ينكحن مشركا من أي أصناف الشرك كان وانعقد الإجماع على أنه لا يجوز للمسلمة أن
تتزوج بالمشرك ولعبد مؤمن خير من مشرك يعني حر ولو أعجبكم بحسنه وجماله وماله أولئك يدعون إلى النار
يعني يدعون إلى الشرك الذي يؤدي إلى النار والله يدعو إلى الجنة والمغفرة يعني أنه تعالى لما بين هذه الأحكام وأباح بعضها

وحرم بعضها قال

فاعملوا

فاعملوا بما أمركم به وانتهوا عما نهاكم عنه فإن من عمل بذلك استحق الجنة والمغفرة بإذنه أي بتيسير الله وإرادته وتوفيقه
ويبين آياته للناس أي يوضح أدلته وحججه في أوامره ونواهيه وأحكامه لعلهم يتذكرون أي فيتعظون قوله عز وجل
ويسألونك عن المحيض (م) عن أنس أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها ولم يجامعوها في البيوت فسأل
أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا
النساء في المحيض إلى آخر الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصنعوا كل شيء إلا النكاح فبلغ ذلك اليهود
فقالوا ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئا إلا خالفنا فيه فجاء أسيد بن حضير وعباد بن بشر فقالا يا رسول الله إن اليهود
تقول كذا وكذا أفلا نجامعهن فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظننا أن قد وجد عليهما فخرجا فاستقبلهما
فسقاهما هدية من لبن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسل في آثارهما فعرفنا أنه لم يجد عليهما الوجد الغضب وأصل الحيض السيلان
والانفجار يقال حاض الوادي إذا سال وفاض ماؤه قل هو أذى أي هو شيء قذر والأذى في اللغة ما يكره من كل شيء
فاعتزلوا النساء في المحيض أي فاجتنبوا مجامعتهن ولا تقربوهن يعني بالوطء والمجامعة فهو كالتوكيد
لقوله فاعتزلوا النساء في المحيض حتى يطهرن يعني من الحيض والمعنى ولا تقربوهن حتى يزول عنهن الدم وقرئ
يطهرن بتشديد الطاء ومعناه حتى يغتسلن فإذا تطهرن أي اغتسلن من حيضهن فأتوهن من حيث
أمركم الله قال ابن عباس طؤوهن في الفرج ولا تعدوا إلى غيره فإنه هو الذي أمر الله به ولا تأتوهن في غير المأتى وقيل
فأتوهن من الوجه الذي أمركم الله به وهو الطهر وقيل معناه وأتوهن من حيث يحل لكم غشيانهن وذلك بأن لا يكن
صائمات ولا معتكفات ولا محرمات فصل في حكم الآية وفيه مسائل المسئلة الأولى أجمع المسلمون على تحريم الجماع
في زمن الحيض ومستحله كافر (م) عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم من أتى حائضا أو امرأة في دبرها أو كاهنا
فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم أخرجه الترمذي وقال إنما معنى هذا عند أهل العلم على التغليظ ومن فعله
وهو عالم بالتحريم عزره الإمام وفي وجوب الكفارة قولان أحدهما أنه يستغفر الله ويتوب إليه ولا كفارة عليه وهو قول
أبي حنيفة والشافعي في الجديد والقول الثاني أنه يجب عليه الكفارة وهو القول القديم للشافعي وبه قال أحمد بن حنبل
لما روي عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم في الرجل يقع على امرأته وهي حائض قال يتصدق بنصف دينار وفي رواية
قال إذا كان دما أحمر فدينار وإن كان دما أصفر فنصف دينار أخرجه الترمذي وقال رفعه بعضهم عن ابن عباس
ووقفه بعضهم المسئلة الثانية أجمع العلماء على جواز الاستمتاع بالمرأة الحائض بما فوق السرة ودون الركبة وجواز
مضاجعتها وملامستها ويدل على ذلك ما روي عن عائشة قالت كانت إحدانا إذا كانت حائضا وأراد رسول الله صلى الله
عليه وسلم أن يباشرها أمرها أن تأتزر بإزار في فور حيضتها ثم يباشرها وأيكم يملك إربه كما كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يملك إربه وفي رواية قالت كنت أغتسل أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم من إناء واحد وكلانا جنب وكان يأمرني
فأتزر فيباشرني وأنا حائض أخرجاه في الصحيحين المراد بالمباشرة هنا الاستمتاع بما دون الفرج وفور كل شيء أوله
وابتداؤه وقولها يملك إربه بسكون الراء وهو العضو أي الذكر وبفتحها وهو الحاجة (م) عن عائشة قالت قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ناوليني الخمرة من المسجد قالت قلت إني حائض قال إن حيضتك ليست في يدك الخمرة حصير صغير
مظفور من سعف النخل أو غيره بقدر الكف وقولها من المسجد يعني ناولنيها من المسجد لأنه صلى الله عليه وسلم كان
معتكفا في المسجد وعائشة في حجرتها فطلب منها الخمرة وهي حائض المسئلة الثالثة يحرم على الحائض الصلاة والصوم
ودخول المسجد وقراءة القرآن ومس المصحف وحمله فلو أمنت الحائض من التلويث في عبورها المسجد جاز في أحد الوجهين
قياسا على الجنب والثاني لا لأن حدثها أغلظ ويجب على الحائض قضاء الصوم دون الصلاة لما روي عن معاذة العدوية
قالت سألت عائشة فقلت ما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة قالت أحرورية أنت قالت لست بحرورية

قال اندري فيم نزلت هذه الآية قلت لا قال نزلت في رجل اتى امراته في دبرها فشق ذلك عليه فنزلت هذه الآية وروى عبد الله
بن الحسن انه لقي سالم بن عبد الله بن عمر فقال له يا ابا عمر ما حديث يحدث فافم عن عبد الله انه لم يكن يرى بأسا بإتيان النساء في
ادبارهن فقال كذب العبد واخطأ انما قال عبد الله يؤتون في فروجهن من ادبارهن ويحكى عن مالك باحة ذلك وانكره اصحابه
واجمع جمهور العلماء على تحريم اتيان النساء في ادبارهن وقالوا لان الله حرم الفرج في حال الحيض لاجل النجاسة العارضة وهو
الدم فاولى ان يحرم الدبر لاجل النجاسة اللازمة ولان الله تعالى نص على ذكر الحرث والحرث غير يكون نبات الولد فلا يحمل العدول
عنه الى غيره وقوله تعالى وقدموا لانفسكم يعني الولد وقيل قدموا التسمية والدعاء عند الجماع ق عن ابن عباس قال قال
النبي صلى الله عليه وسلم لو ان احدكم اذا اراد ان يأتي اهله قال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا
فانه ان يقدر بينهما ولد في ذلك لم يضره الشيطان ابدا وقيل اراد به تقديم الاقوال ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا يموت لاحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار الا تحلة القسم قوله الا تحلة القسم يعني الا قدر ما يبر الله
قسمه فيه وهو قوله تعالى وان منكم الا واردها فاذا وردها جاوزها فقد بر قسمه وقيل قدموا لانفسكم يعني الخير والعمل
الصالح بدليل سياق الآية واتقوا الله اي احذروا ان تأتوا شيئا مما نهاكم الله عنه واعلموا انكم ملاقوه اي صائرون
اليه في الآخرة فيجزيكم باعمالكم وبشر المؤمنين يعني بالكرامة من الله تعالى قوله عز وجل ولا تجعلوا الله
عرضة لايمانكم نزلت في عبد الله بن رواحة كان بينه وبين ختنه بشير بن النعمان شيء فحلف عبد الله لا يدخل عليه ولا يكلمه
ولا يصلح بينه وبين خصم له فكان اذا قيل له فيه يقول قد حلفت بالله ان لا افعل فلا يحل لي الا ان تبر يميني فانزل الله هذه
الآية وقيل نزلت في ابي بكر الصديق حين حلف ان لا ينفق على مسطح حين خاض في حديث الافك والعرضة ما يجعل معرضا للشيء وقيل
العرضة الشدة والقوة وكل ما يعترض فيمنع عن الشيء فهو عرضة والمعنى ولا تجعلوا الحلف بالله سببا مانعا لكم من البر والتقوى
يدعى احدكم الى بر او صلة ثم فيقول قد حلفت بالله لا افعله فيعتل بيمينه في ترك البر والاصلاح ان تبروا وتتقوا
وتصلحوا بين الناس قيل معناه لا تحلفوا بالله ان لا تبروا ولا تتقوا ولا تصلحوا بين الناس ع عن ابي هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأتها وليكفر عن يمينه وقيل معناه لا تكثروا الحلف
بالله وان كنتم بارين متقين مصلحين فان كثرة الحلف بالله ضرب من الجراءة عليه والله سميع اي لحلفكم عليم
بنياتكم قوله تعالى لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم اللغو كل ساقط مطرح من الكلام وما لا يعتد
وهو الذي يورد لا عن روية واللغو في اليمين هو الذي لا عقد معه كقول القائل لا والله بلى والله على سبق اللسان
من غير قصد وبنية وبه قال الشافعي ويعضده ما روي عن عائشة قالت نزل قوله تعالى لا يؤاخذكم الله باللغو في
ايمانكم في قول الرجل لا والله بلى والله اخرجه البخاري موقوفا ورفعه ابو داود قال قالت عائشة قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم هو قول الرجل في بيته كلا والله وبلى والله ورواه عنها ايضا موقوفا وقيل في معنى اللغو هو ان يحلف الرجل على شيء يرى
انه صادق ثم يتبين له خلاف ذلك وبه قال ابو حنيفة ولا كفارة ولا اثم عليه عنده قال مالك في الموطا احسن ما
سمعت في ذلك ان اللغو حلف الانسان على الشيء يتيقن انه كذلك ثم يوجد خلافه فلا كفارة فيه قال والذي يحلف على الشيء
وهو يعلم انه فيه آثم كاذب بلى رضي احدا او يعتذ للخلوق او يقطع به مما لا فهذا اعظم من ان تكون فيه كفارة وانما
الكفارة على من حلف ان لا يفعل الشيء المباح له فعله ثم فعله او ان يفعله ثم لا يفعله مثل ان حلف لا يبيع ثوبه
بعشرة دراهم ثم يبيعه بذلك او حلف ليضربن غلامه ثم لا يضربه وقايدة الخلاف الذي بين الشافعي وابي حنيفة
في لغو اليمين ان الشافعي لا يوجب الكفارة في قول الرجل لا والله وبلى والله ووجوبها فيما اذا حلف على شيء يعتقد انه كان ثم
بان انه لم يكن وابو حنيفة يحكم بضد ذلك ومذهب الشافعي هو قول عائشة والشعبي وعكرمة ومذهب ابي حنيفة هو قول
ابن عباس والحسن ومجاهد والنخعي والزهري وسليمان بن يسار وقتادة ومكحول وقيل في معنى اللغو انه اليمين في الغضب

وقدموا

ولكني اسأل قالت كان يصيبنا ذلك فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة اخرجاه في الصحيحين المسئلة الرابعة
لا يرتفع شيء مما منعته الحايض بانقطاع الدم ما لم تغتسل او تتيمم عند عدم الماء الا الصوم فانها اذا انقطع دمها
بالليل ونوت الصوم فانه يصح وان اغتسلت في النهار وذهب ابو حنيفة الى انه يجوز للزوج غشيانها اذا انقطع الدم
لاكثر الحيض وهو عشرة ايام عند قبل الغسل ومذهب الشافعي وغيره من العلماء انه لا يجوز للزوج غشيانها ما لم تغتسل
من الحيض او تتيمم عند عدم الماء لان الله تعالى علق جواز وطي الحايض بشرطين احدهما انقطاع الدم والثاني الغسل
فقال ولا تقربوهن حتى يطهرن يعني من الحيض فاذا تطهرن يعني اغتسلن فاتوهن من حيث امركم الله فدل ذلك
على ان الوطء لا يحل قبل الغسل وقوله تعالى ان الله يحب التوابين يعني من الذنوب والتواب الذي كلما اذنب
جدد توبة وقيل التواب هو الذي لا يعود الى الذنب ويحب المتطهرين يعني من الاحداث وساير النجاسات بالماء
وقيل المتطهرين من الشرك وقيل هم الذين لم يصيبوا الذنوب قوله تعالى نساؤكم حرث لكم الآية ق
عن جابر قال كانت اليهود تقول اذا جامعها من ورايها جاء الولد احول فانزلت نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم انى
شئتم وفي رواية الترمذي كانت اليهود تقول من اتى امراته في قبلها من دبرها وذكر الحديث وعن ابن عباس قال جاء
عمر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هلكت قال وما اهلكك قال حولت رحلي الليلة قال فلم يرد عليه
شيئا قال فاوحى الله الى رسوله صلى الله عليه وسلم هذه الآية نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم انى شئتم اقبل وادبر
واتقي الدبر والحيضة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح قوله حولت رحلي هو كناية عن الاتيان في غير المحل
المعتاد هذا ظاهره ويحتمل انه يريد انه اتاها في المحل المعتاد لكن من جهة ظهرها وعن ابن عباس قال كان هذا الحي من
الانصار وهم اهل وثن مع هذا الحي من يهود وهم اهل كتاب فكانوا يرون لهم فضلا عليهم في العلم فكانوا يقتدون
بكثير من فعلهم وكان من شان اهل الكتاب انهم لا يأتون النساء الا على حرف وذلك استر ما تكون المراة فكان هذا الحي
من الانصار قد اخذوا بذلك من فعلهم وكان هذا الحي من قريش يشرحون النساء شرحا منكرا ويتلذذون منهن
مقبلات ومدبرات ومستلقيات فلما قدم المهاجرون المدينة تزوج رجل منهم امراة من الانصار فذهب
يصنع بها ذلك فانكرته عليه وقالت انا كنا نوتى على حرف فاصنع ذلك والا فاجتنبني حتى سرى امرهما فبلغ ذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم انى شئتم اي مقبلات
ومدبرات ومستلقيات يعني بذلك موضع الولد اخرجه ابو داود وذكر ان الصمم وقيل الصورة لاجنتها وقوله
على حرفي الخرف الجانب وحرف كل شيء جانبه وقوله يشرحون النساء يقال شرح فلان جاريته اذا وطيها على قفاها
واصل الشرح البسط وقوله حتى سرى امرهما اي ارتفع وعظم وتفاخم واصله من سرى البرد اذا الح في اللمعات
عن ام سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في قوله تعالى نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم انى شئتم في ضمام
واحد ويروى سمام بالسين اخرجه الترمذي وقال حديث حسن وقوله تعالى حرث لكم معناه مزرع لكم ومنبت
للولد وهذا على سبيل التشبيه فجعل فرج المراة كالارض والنطفة كالبذر والولد كالنبات الخارج فاتوا حرثكم
انى شئتم يعني كيف شئتم وحيث شئتم اذا كان في القبل والمعنى كيف شئتم مقبلة ومدبرة وعلى كل حال اذا كان
في الفرج وفي الآية دليل على تحريم اتيان النساء في ادبارهن لان محل الحرث والزرع هو القبل لا الدبر ويؤيد ذلك ما روي
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ملعون من اتى امراة في دبرها اخرجه ابو داود وقال سعيد بن
المسيب هذا في العزل يعني اذا شئتم فاعزلوا واذا شئتم لا تعزلوا وسيل ابن عباس عن العزل فقال حرثك اذا شئت
فعطش ان شئت فاروه ويروى عنه انه قال استامر من الحرة في العزل ولا استامر من الجارية وبه قال احمد وكره جماعة
العزل وقالوا هو الوأد الخفي وروى نافع قال كنت امسك على ابن عمر المصحف فمر هذه الآية نساؤكم حرث لكم

قال

وقيل هو ما يقع سهوا من غير قصد البتة ومعنى لا يؤاخذكم الله اى لا يعاقبكم بلغو اليمين وقيل لا يؤاخذكم اى لا يلزمكم الكفارة بلغو اليمين **ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم** يعنى لكن يؤاخذكم بما عزمتم عليه وقصدتم له وكسب القلب هو العقد والنية

فصل في بيان حكم الاية وفيه مسائل المسئلة الاولى لا ينعقد اليمين الا بالله وباسمائه وصفاته فاما اليمين بالله فهو قول الرجل والذى نفسى بيده والذى اعبده ونحو ذلك والحلف باسمائه كقوله والله والرحمن والمهيمن ونحوه والحلف بصفاته فهو كقوله وعزة الله وقدرة الله وعظمة الله ونحو ذلك فاذا حلف بشيء من ذلك ثم حنث فعليه الكفارة والمسئلة الثانية لا يجوز الحلف بغير الله كقوله والكعبة والنبى وابى ونحو ذلك فان حلف بشيء من ذلك لا تنعقد يمينه ولا كفارة عليه ويكره الحلف به لما روى عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ادرك عمر وهو يسير في ركب وهو يحلف بابيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ينهاكم ان تحلفوا بابائكم فمن كان حالفا فليحلف بالله او ليصمت اخرجاه في الصحيحين المسئلة الثالثة اذا حلف على امر في المستقبل فحنث فعليه الكفارة وان كان على امر ماض ولم يكن او على انه لم يكن فكان فان كان عالما به حال حلفه بان يقول والله ما فعلت وقد فعل او لقد فعلت وما فعل فهذه اليمين الغموس وهو من الكبائر سميت غموسا لانها تغمس صاحبها في الاثم وتجب فيها الكفارة عند الشافعى سواء كان عالما او جاهلا وذهب ابو حنيفة الى انه لا كفارة عليه فان كان عالما فهى كبيرة وان كان جاهلا فهى من لغو اليمين **والله غفور** يعنى لعباده فيما لغوا من ايمانهم التى اخبر الله لا يؤاخذهم عليها ولو شاء واخذهم والزمهم الكفارة في العاجل والعقوبة عليها في الاجل **حليم** يعنى في تركه معاجلة اهل العصيان بالعقوبة قال الحليمى في معنى الحليم انه الذى لا يحبس انعامه وافضاله عن عباده لاجل ذنوبهم ولكنه يرزق العاصى كما يرزق المطيع ويبقيه وهو منهمك في معاصيه كما يبقى البر المتقى وقد يقيه الافات والبلايا وهو غافل لا يذكره فضلا عن ان يدعوه كما يقيها للناسك الذى يدعوه ويسئاله وقال ابو سليمان الخطابى الحليم ذو الصفح والاناة الذى لا يستفزه غضب ولا يستخفه جهل جاهل ولا عصيان عاص ولا يستحق الصافح مع العجز اسم الحلم انما الحليم هو الصفوح مع القدرة على الانتقام المتانى الذى لا يعجل بالعقوبة قوله تعالى **للذين يؤلون من نسائهم** يؤلون اى يحلفون والالية اليمين قال قليل الالايا حافظ ليمينه وان ندرت منه الالية برت والايلاء في عرف الشرع هو اليمين على ترك الوطى كما اذا قال والله لا اجامعك او لا اباضعك او لا اقربك قال ابن عباس كان اهل الجاهلية اذا طلب الرجل من امراته شيئا فابت ان تعطيه حلف لا يقربها السنة والسنتين والثلث فيدعها لا ايما ولا ذات بعل فلما كان الاسلام جعل الله ذلك للمسلمين اربعة اشهر وانزل هذه الاية وقال سعيد بن المسيب كان الايلاء ضرار اهل الجاهلية فكان الرجل لا يريد امراته ولا يحب ان يتزوجها غيره فيحلف ان لا يقربها ابدا فيتركها لا ايما ولا ذات بعل وكانوا عليه في ابتداء الاسلام فجعل الله تعالى له الاجل الذى يعلم به ما عند الرجل في المراة اربعة اشهر ونزلت هذه الاية للذين يؤلون من نسائهم **تربص** اى انتظار **اربعة اشهر** والتربص التثبت والانتظار **فان فاؤا** اى رجعوا عن اليمين بالوطى والمعنى فان رجعوا عما حلفوا عليه من ترك جماعها **فان الله غفور رحيم** للزوج اذا تاب من اضراره بامراته فانه غفور رحيم لكل التائبين فروع تتعلق بحكم الاية الفرع الاول حلف ان لا يقرب زوجته ابدا او مدة هى اكثر من اربعة اشهر فهو مول فاذا مضت اربعة اشهر يوقف الزوج ويؤمر بالفيء وهو الرجوع او الطلاق وذلك بعد مطالبة الزوجة فان رجع عما قال بالوطى ان قدر عليه او بالقول مع العجز عنه فان لم يفيء ولم يطلق طلق عليه الحاكم واحدة وهو قول عمر وعثمان وابى الدرداء وابن عمر قال سليمان بن يسار ادركت بضعة عشر من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم كلهم يقول يوقف المولى واليه ذهب سعيد بن جبير وسليمان بن يسار ومجاهد وبه قال مالك والشافعى واحمد واسحق وقال ابن عباس وابن مسعود اذا مضت مدة اربعة اشهر يقع عليها طلقة باينة وبه قال سفيان الثورى وابو حنيفة وقال سعيد بن المسيب والزهرى يقع عليها طلقة رجعية الفرع الثانى لو حلف ان لا يطاها

اقل

اقل من اربعة اشهر فليس بمول بل هو حالف فان وطيها قبل مضى المدة لزمه كفارة يمين الفرع الثالث لو حلف ان لا يطاها اربعة اشهر فليس بمول بعد مضى المدة عند الشافعى لان بقاء المدة شرط للوقوف وثبوت المطالبة بالفيء او الطلاق وقد مضت المدة وعند ابى حنيفة يكون موليا ويقع الطلاق بمضى المدة الفرع الرابع مدة الايلاء اربعة اشهر في حق الحر والعبد جميعا عند الشافعى لانها مدة ضربت لمعنى يرجع الى الطبع وهو قلة صبر المراة عن الزوج فيستوى فيه الحر والعبد كمدة العنة وعند مالك وابى حنيفة تتنصف مدة الايلاء بالرق غير ان عند ابى حنيفة تتنصف المدة برق المراة وعند مالك برق الزوج كما قالا في الطلاق الفرع الخامس اذا وطى خرج عن الايلاء وتجب عليه كفارة يمين وهذا قول اكثر العلماء وقيل لا كفارة عليه لان الله وعده المغفرة فقال فان فاؤا فان الله غفور رحيم ومن قال بوجوب الكفارة عليه قال ذلك في اسقاط العقوبة عنه لا في الكفارة وقوله تعالى **وان عزموا الطلاق** اى حققوا بالايقاع **فان الله سميع** يعنى لاقوالهم **عليم** يعنى بنياتهم وفيه دليل على انها لا تطلق ما لم يطلقها زوجها لانه تعالى شرط فيه العزم قوله عز وجل **والمطلقات** اى المخليات من حبال ازواجهن والمطلقة هى التى اوقع الزوج عليها الطلاق **يتربصن بانفسهن** اى ينتظرن فلا يتزوجن **ثلثة قروء** جمع قرء والقرء اسم يقع على الحيض والطهر قال ابو عبيدة الاقراء من الاضداد كالشفق اسم للحمرة والبياض وقيل انه حقيقة في الحيض مجاز في الطهر وقيل بالعكس واختلفوا في اصله فقيل اصله الجمع من قرا اى جمع لان وقت الحيض يجتمع الدم في الرحم وفى وقت الطهر يجتمع في البدن وقيل اصله الوقت يقال رجع فلان لقرئه اى لوقته الذى كان فيه لان الحيض ياتى لوقت والطهر ياتى لوقت وبحسب اختلاف اهل اللغة في الاقراء اختلف الفقهاء على قولين احدهما ان الاقراء هى الحيض يروى ذلك عن عمر وعلى وابن مسعود وابن عباس وابى موسى وعبادة بن الصامت وابى الدرداء وبه قال عكرمة والضحاك والسدى والاوزاعى وسفيان الثورى وابو حنيفة واصحابه وقال احمد بن حنبل كنت اقول ان الاقراء الاطهار وانا اليوم اذهب الى انها الحيض القول الثانى انها الاطهار يروى ذلك عن زيد بن ثابت وابن عمر وعايشة وبه قال الزهرى وابان بن عثمان ومالك والشافعى وحجة من يقول ان الاقراء هى الحيض قوله صلى الله عليه وسلم للمستحاضة دعى الصلاة ايام اقرائك يعنى ايام حيضك لان المراة لا تدع الصلاة الا ايام حيضها وحجة من يقول بانها الاطهار ان ابن عمر لما طلق امراته وهى حائض قال النبى صلى الله عليه وسلم لعمر مره فليراجعها حتى تطهر ثم ان شاء امسكها وان شاء طلق قبل ان يمس فتلك العدة التى امر الله ان يطلق لها فاخبر ان زمان العدة هو الطهر لا الحيض ويعضده من اللغة قول الاعشى ففى كل عام انت جاشم غزوة تشد لاقصاها عزيم عزائكا مورثة مالا وفى الحى رفعة لما ضاع فيها من قروء نسائكا اراد انه كان يخرج للغزو ولم يغش نساءه فيضيع اقراؤهن وانما كان يضيع بالسفر زمان الطهر لا زمان الحيض وفائدة الخلاف ان مدة العدة عند الشافعى اقصر وعند غيره اطول وذلك ان المعتدة اذا شرعت في الحيضة الثالثة فقد انقضت عدتها وحلت للازواج ويحسب بقية الطهر الذى وقع فيه الطلاق قرءا على قول من يجعل الاقراء اطهارا قالت عائشة اذا دخلت المطلقة في الحيضة الثالثة فقد بانت من زوجها وحلت للازواج وروى عنها انها قالت القرء الطهر ليس بالحيضة قال الشافعى والنساء بهذا اعلم لان هذا انما يبتلى به النساء وان طلقها في حال الحيض فاذا شرعت في الحيضة الرابعة انقضت عدتها وعلى قول من يجعل الاقراء حيضا وهو مذهب ابى حنيفة لا تنقضى عدتها ما لم تطهر من الحيضة الثالثة ان كان وقع الطلاق في حال الطهر او من الحيضة الرابعة ان وقع في حال الحيض فان **قلت** ما معنى الاخبار عنهن بالتربص في قوله والمطلقات يتربصن بانفسهن **قلت** هو خبر في صورة معنى الامر واصل الكلام وليتربص المطلقات فاخرج الامر في صورة الخبر تاكيدا للامر واشعارا بانه مما يجب ان يتلقى بالمسارعة الى امتثاله فكانهن امتثلن الامر بالتربص فهو يخبر عن موجود ونظيره قولهم في الدعاء رحمك الله اخرج في صورة الخبر ثقة بالاجابة فكانه قال وجدت الرحمة فهو يخبر عنها

فصل في احكام العدد وفيه مسائل المسئلة الاولى عدة الحمل تنقضى بوضع الحمل سواء المطلقة

والمتوفى عنها زوجها وسواء في ذلك الحرة والامة المسئلة الثانية عدة المتوفى عنها زوجها قبل الدخول وبعده وسواء
في ذلك الحايض والايسة المسئلة الثالثة عدة المطلقة المدخول بها وهي ضربان احدهما الحيض فعدتها بالاقراء وهي ثلاثة
اقراء والضرب الثاني الايسات من الحيض اما لكبر او لم تكن تحيض قط فعدتها ثلاثة اشهر واما المطلقة قبل الدخول
فلا عدة عليها المسئلة الرابعة عدة الامة نصف عدة الحرة فيما له نصف وفي الاقراء قولان لا تنتصف قال عمر بن الخطاب
يتكمل العبد اثنتين ويطلق تطليقتين وتعتد الامة حيضتين قوله تعالى **وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ**
قال ابن عباس يعني الولد وقيل الحيض والمعنى انه لا يحل للمراة وكتمان ما خلق الله في رحمها من الحيض والحمل ليبطل بذلك الكتمان
حق الزوج من الرجعة والولد **إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ** هذا وعيد شديد لتاكيد تحريم الكتمان وايجاب
اداء الامانة في الاخبار عما في الرحم من الحيض والولد والمعنى ان هذا من فعل المؤمنات وان كانت المؤمنة والكافرة
فيه سواء فهو كقولك ادخل حتى ان كنت مؤمنا يعني اداء الحقوق ومن اقال المؤمنين وتقول للذي يظلم ان كنت مؤمنا
فلا تظلمني والمعنى ينبغي ان يمنعك ايمانك من الظلم وفي سبب وعيد التسابهذا قولان احدهما انه لاجل ما يستحقه الزوج
من الرجعة قال ابن عباس والثاني لاجل الحاق الولد بغير ابيه قال قتادة وقيل كانت المراة اذا رغبت في زوجها تقول اني
حايض وان كانت قد طهرت ليراجعها وان كانت زاهدة فيه كتمت حيضها وتقول قد طهرت ليقوته فنهاهن الله
عن ذلك وامرهن باداء الامانة **وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ** يعني ازواجهن سمى الزوج بعلا لقيامه
بامر زوجته واصل البعل السيد قال مالك والمعنى واذ واجمحن اولى برجعتهن وردهن اليهم في ذلك اي في حال العدة
فاذا انقضى وقت العدة فقد بطل حق الرد والرجعة **إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا** يعني ان اراد الزوج بالرجعة الاصلاح
وحسن العشرة لا الاضرار بهن وذلك ان اهل الجاهلية كانوا يراجعون ويريدون بذلك الاضرار فنهى الله المؤمنين عن
مثل ذلك وامرهم بالاصلاح وحسن العشرة بعد الرجعة **وَلَهُنَّ** يعني وللنساء على الازواج **مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ**
بِالْمَعْرُوفِ وذلك ان حق الزوجية لا يتم الا اذا كان كل واحد منهما يراعي حق الاخر فيما له وعليه فيجب
على الزوج ان يقوم بجميع حقها ومصالحها ويجب على الزوجة الانقياد والطاعة له قال في معنى الاية اني احب ان
اتزين لامراتي كما احب ان تتزين لي لان الله تعالى قال ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف م عن جابر انه ذكر خطبة
النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع وقال فيها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتقوا الله في النساء فانكم اخذتموهن
بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله وعليهن ان لا يوطئن فرشكم احدا تكرهونه فان فعلن ذلك فاضربوهن ضربا
غير مبرح ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف وقوله فاتقوا الله في النساء فيه الحث على الوصية بهن ومراعاة حقوقهن
ومعاشرتهن بالمعروف قوله فانكم اخذتموهن بامانة الله ويروى بامان الله قوله واستحللتم فروجهن بكلمة الله معناه
باباحة الله والكلمة هي قوله فانكحوا ما طاب لكم من النساء وقيل الكلمة هي قوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان
وقيل الكلمة هي كلمة التوحيد وهي لا اله الا الله محمد رسول الله اذ لا تحل مسلمة لغير مسلم وقوله ولا يوطئن فرشكم احدا
تكرهونه معناه ولا ياذن لاحد ان يتحدث اليهن وكان من عادة العرب ان يتحدث الرجال مع النساء ولا يرون ذلك عيبا
ولا يعدونه ريبة الى ان نزلت اية الحجاب فنهوا عن ذلك وليس المراد توطئ الفرش نفس الزنا فان ذلك محرم على كل الوجوه
فلا معنى لاشتراط الكراهة فيه ولو كان المراد ذلك لم يكن الضرب فيه ضربا غير مبرح انما كان فيه الحد والضرب
المبرح هو الشديد وقوله ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف يعني بالعدل وفيه وجوب نفقة الزوجة وكسوتها
وذلك ثابت بالاجماع وقوله تعالى **وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ** اي منزلة ورفعة قال ابن عباس يعني ساق اليها من المهر
وانفق عليها من المال وقيل ان فضيلة الرجال على النساء بامور منها العقل والشهادة والميراث والدية وصار حيفه الامامة
والقضاء وللرجل ان يتزوج عليها ويتسرى وليس لها ذلك وبيد الرجل الطلاق وهو قادر على تطليقها واذا اطلقها راجعها

فهو قادر على رجعتها وليس شئ من ذلك بيدها **وَاللَّهُ عَزِيزٌ** اي غالب لا يمتنع عليه شئ **حَكِيمٌ** اي في جميع افعاله
واحكامه روى البغوي بسنده عن ابي ظبيان ان معاذ بن جبل خرج في غزاة بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ثم رجع
فراى رجالا يسجد بعضهم لبعض فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لو امرت احدا ان يسجد
لاحد لامرت المراة ان تسجد لزوجها قوله عز وجل **الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ** عن عروة بن الزبير قال كان الرجل اذا طلق زوجته
ثم ارتجعها قبل ان تنقضي عدتها كان له ذلك وان طلقها الف مرة فعمد رجل الى امراته فطلقها حتى اذا شارفت انقضاء
عدتها ارتجعها ثم قال والله لا اوويك الي ولا تحلين ابدا فانزل الله الطلاق مرتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان
فاستقبل الناس الطلاق وجديدا من ذلك اليوم من كان طلق او لم يطلق اخرجه الترمذي وله عن عايشة قالت كان الناس
والرجل يطلق امراته ما شاء الله ان يطلقها وهي امراته اذا ارتجعها وهي في العدة وان طلقها ماية او اكثر حتى قال رجل لامراته
والله لا اطلقك فتبيني مني ولا اويك ابدا قالت وكيف ذلك قال اطلقك فكلما همت عدتك ان تنقضي راجعتك فذهبت
المراة حتى دخلت على عايشة فاخبرتها فسكتت عايشة حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته فسكت النبي صلى الله عليه
وسلم حتى نزل القران الطلاق مرتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان قالت عايشة فاستانف الطلاق مستقبلا
من كان طلق ولم يطلق ومعنى الاية ان الطلاق الرجعي مرتان ولا رجعة بعد الثالثة الا ان تنكح زوجا اخر وهذا التفسير
هو قول من جوز الجمع بين الطلاق الثلاث في دفعة واحدة وهو الشافعي وقيل في معنى الاية ان التطليق الشرعي يجب
ان يكون تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع والارسال دفعة واحدة وهذا التفسير هو قول من قال ان الجمع بين
الثلاث حرام الا ان ابا حنيفة قال لقع الثلاث وان كان حراما وقيل ان الاية دالة على عدد الطلاق الذي يكون للرجل
فيه الرجعة على زوجته والعدد الذي تبين به زوجته منه والمعنى ان عدد الطلاق الذي لكم الرجعة على ازواجكم
اذا كن مدخولا بهن تطليقتان واية لا رجعة له بعد التطليقتين ان سرحها وطلقها الثالثة **فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ**
يعني بعد الرجعة وذلك انه اذا راجعها بعد التطليقة الثانية فعليه ان يمسكها بالمعروف وهو كل ما عرف في الشرع
من الحقوق المتعلقة بالنكاح وحسن الصحبة **أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ** يعني انه يتركها بعد الطلاق حتى تنقضي عدتها
من غير مضارة وقيل هو انه اذا طلقها اداى اليها جميع حقوقها المالية ولا يذكرها بعد المفارقة بسوء ولا ينفر
الناس عنها • فروع تتعلق باحكام الطلاق الفرع الاول صريح اللفظ الذي يقع به الطلاق من غير نية ثلاث
الطلاق والفراق والسراح وعند ابي حنيفة الصريح هو لفظ الطلاق فقط الفرع الثاني الحر اذا طلق زوجته طلقة
او طلقتين بعد الدخول بها فله مراجعتها من غير رضاها ما دامت في العدة فاذا لم يراجعها حتى انقضت عدتها
او طلقها قبل الدخول بها او خالعها فلا تحل له الا بنكاح جديد باذنها واذن وليها الفرع الثالث العبد يملك على زوجته
الامة ثلاث تطليقات والعبد يملك على زوجته الحرة طلقتين واختلف فيما اذا كان احد الزوجين حرا فالحر يملك
على زوجته الامة ثلاث تطليقات والعبد يملك على زوجته الحرة طلقتين فالاعتبار بحال الزوج في عدد الطلاق
وبه قال الشافعي ومالك واحمد وذهب ابو حنيفة الى ان الاعتبار بالمراة فالعبد يملك على زوجته الحرة ثلاث
طلقات والحر يملك على زوجته الامة طلقتين **وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ**
شَيْئًا يعني من مهر او غيره ثم استثنى الخلع فقال تعالى **إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ** نزلت في
جميلة بنت عبد الله بن ابي وقيل حبيبة بنت سهل الانصاري كانت تحت ثابت بن قيس بن شماس وكانت تبغضه وهو
يحبها فكان بينهما كلام فاتت اباها تشكو اليه زوجها انه يسيء الي ويضربني فقال ارجعي الى زوجك فاني اكره
للمراة ان لا تزال دافعة يديها تشكو زوجها قال فرجعت اليه الثالثة وبها اثر الضرب فقال لها ارجعي الى زوجك فلما
راات ان اباها لا يشكيها اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكت اليه وزوجها وارته اثارا بها من ضربه فقالت

يا رسول الله لا انا ولا هو فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ثابت فقال ما لك ولاهلك فقال والذي بعثك بالحق نبيا ما على
وجه الارض احب الي منها غيرك فقال لها ما تقولين فكرهت ان تكذب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سالها فقالت صدق
يا رسول الله ولكن قد خشيت ان يهلكني فاخرجني منه وقالت يا رسول الله ما كنت احدثك حديثا ينزل عليك خلافه فهو اكرم الناس
حبا لزوجته ولكني ابغضه فلا انا ولا هو قال ثابت اعطيتها حديقة نخل فقل لها فلتردها علي واخلي سبيلها فقال لها تردين
عليه حديقته وتملكين امرك قالت نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ثابت خذ منها ما اعطيتها وخل سبيلها
ففعل عن ابن عباس ان امراة ثابت بن قيس اتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان ثابت بن قيس ما اعتب عليه
في خلق ولا دين ولكني اكره الكفر في الاسلام قال ابو عبد الله يعني تبغضه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تردين عليه حديقته قالت
نعم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقبل الحديقة وطلقها تطليقة قولها ما اعتب يعني ما اجد عليه والعتبى المواخذة والحديقة
البستان من النخل اذا كان عليه الحائط ومعنى قوله تعالى الا ان يخافا اي يعلما الزوجان من انفسهما الا يقيما حدود الله والمعنى
تخاف المراة ان تعصي الله في امر زوجها ويخاف الزوج انها اذا لم تطعه ان يعتدي عليها فنهى الله الرجل ان ياخذ من امراته شيئا مما اعطاها
الا ان يكون النشوز من قبلها وذلك ان تقول لا اطيع لك امرا ولا اطا لك مضجعا ونحو ذلك وقرئ يخافا بضم اليا ومعناه الا
ان يعلم ذلك من حالهما يعني يعلم القاضي والولي **فان خفتم** يعني فان خشيتم واشفقتم وقيل معناه فان ظننتم
الا يقيما حدود الله يعني ما اوجب الله على كل واحد منهما من طاعته فيما امره به من حسن الصحبة والمعاشرة
بالمعروف وقيل هو يرجع الى المراة وهو سوء خلقها واستخفافها بحق الزوج **فلا جناح عليهما فيما افتدت به**
اي لا جناح على المراة في النشوز اذا خشيت الهلاك والمعصية فيما افتدت به نفسها واعطت من المال لانها ممنوعة
من اتلاف المال بغير حق ولا على الزوج فيما اخذ من المال اذا اعطته المراة طايعة راضية **فصل** في حكم
الخلع وفيه مسايل المسالة الاولى قال الزهري والنخعي وداود لا يباح الخلع الا عند الغضب والخوف من ان لا يقيما حدود الله
فان وقع الخلع في غير هذه الحالة فهو فاسد وحجة هذا القول ان الاية صريحة في انه لا يجوز للزوج ان ياخذ من المراة
عند طلاقها شيئا ثم استثنى الله تعالى حالة مخصوصة فقال الا ان يخافا الا يقيما حدود الله فكانت هذه صريحة
في انه لا يجوز الاخذ في غير حالة الغضب والخوف من ان لا يقيما حدود الله وذهب جمهور العلما الى انه يجوز الخلع من غير نشوز
ولا غضب غير انه يكره لما فيه من قطع الوصلة بلا سبب عن ثوبان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ايما امراة
سالت زوجها الطلاق من غير باس فحرام عليها رايحة الجنة اخرجه ابو داود والترمذي عن ابن عمر عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال ابغض الحلال الى الله الطلاق اخرجه ابو داود ودليل الجمهور على جواز الخلع من غير نشوز قوله تعالى
فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا فاذا جاز لها ان تهب مهرها من غير ان يحصل لها شيئا بازاء ما وهبت
وبذلت كان ذلك في الخلع الذي تصير بسببه مالكة نفسها اولى واجيب عن الاستثنا المذكور في هذه الاية انه محمول
على الاستثنا المنقطع المسالة الثانية الخلع جايز على اكثر مما اعطاها وبه قال اكثر العلما وقيل لا يجوز ان ياخذ اكثر
مما اعطاها وهو قول علي وبه قال الشعبي والزهري والحسن وعطا وطاوس وقال سعيد بن المسيب بل ياخذ دون ما اعطاها
حتى يكون الفضل له وحجة الجمهور ان الخلع عقد على معاوضة فوجب ان لا تتقيد بمقدار معين كما ان للمراة ان لا ترضى
عند عقد النكاح الا بالكثير فكذلك للزوج ان لا يرضى عند المخالفة الا بالبذل الكثير لا سيما وقد اظهرت الاستخفاف
بالزوج حيث اظهرت بغضه وكراهته المسالة الثالثة اختلف العلما في الخلع هل هو فسخ او طلاق قال الشافعي
في القديم انه فسخ وهو قول ابن عباس وطاوس وعكرمة وبه قال احمد واسحق وابو ثور وقال الشافعي في الجديد انه طلاق
وهو الاظهر وهو قول عثمان وعلي وابن مسعود والحسن والشعبي والنخعي وعطا وابن المسيب ومجاهد ومكحول والزهري
وبه قال ابو حنيفة ومالك وسفيان الثوري وحجة القول القديم ان الله تعالى ذكر الطلاق مرتين ثم ذكر بعده الخلع

ثم

ثم ذكر بعده الخلع ثم ذكر الطلقة الثالثة فقال فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره ولو كان الخلع طلاقا لكان
الطلاق اربعا وحجة القول الجديد انه لو كان فسخا لما صح بالزيادة على المهر المسمى كالاقالة في البيع وايضا لو كان الخلع فسخا
فاذا خالعها ولم يذكر عوضا وجب ان يجب المهر عليها كالاقالة فان الثمن يجب رده وان لم يذكره فثبت ان الخلع ليس بفسخ
واذا بطل ذلك ثبت انه طلاق وايضا فان الطلقة الثالثة قوله او تسريح باحسان وفايدة الخلاف انا اذا جعلناه طلاقا
ينقص به عدد الطلاق فان تزوجها بعده كانت معه على طلقتين وان جعلناه فسخا بانت منه بثلاث قوله تعالى **تلك
حدود الله** يعني هذه اوامر الله ونواهيه وهو ما تقدم من احكام الطلاق والرجعة والخلع وحدود الله ما منع من مجاوزتها
وهو قوله **فلا تعتدوها** اي لا تجاوزوها **ومن يتعد حدود الله** اي يجاوزها **فاولئك هم الظالمون**
قوله تعالى **فان طلقها** اي الطلقة الثالثة **فلا تحل له من بعد** اي لا يحل له رجعتها بعد الثلاث **حتى تنكح زوجا غيره**
يعني حتى تتزوج زوجا اخر غير المطلق فيجامعها والنكاح يتناول العقد والوطء جميعا والمراد هنا الوطء نزلت في تميمة وقيل
عايشة بنت عبد الرحمن بن عتيك القرظي وكانت تحت ابن عمها رفاعة بن وهب بن عتيك القرظي فطلقها ثلاثا **ق** عن عايشة
قالت جاءت امراة رفاعة القرظي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت اني كنت عند رفاعة فطلقني فبت طلاقي فتزوجت
بعده عبد الرحمن بن الزبير وانما معه مثل هدبة الثوب فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اتريدين ان ترجعي الى رفاعة
لا حتى يذوق عسيلتك وتذوقي عسيلته قوله فبت طلاقي اي قطعه والبت القطع وقولها مثل هدبة الثوب اي طرفه وهو
كناية عن استرخاء الذكر قوله حتى يذوق عسيلتك بضم العين تصغير عسل شبه لذة الجماع بالعسل وهو كناية عنه وانما
انث العسل لان من العرب من يؤنثه وقيل انه حمله على المعنى لان المراد منه النطفة وعبد الرحمن المذكور هو عبد الرحمن
بن الزبير بفتح الزاي وكسر البا المشددة وروي انها لبثت ما شاء الله ثم رجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت
ان زوجي قد مسني فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم كذبت بقولك الاول فلن اصدقك في الاخر فلبثت حتى قبض رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاتت ابا بكر فقالت يا خليفة رسول الله ارجع الى زوجي الاول فان زوجي الثاني قد مسني وطلقني فقال لها
ابو بكر قد شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اتيته وقال لك ما قال فلا ترجعي اليه فلما قبض ابو بكر اتت عمر وقالت
له مثل ما قالت لابي بكر فقال لها لين رجعت اليه لارجمنك وقوله تعالى **فان طلقها** يعني الزوج الثاني بعد وطيها
فلا جناح عليهما يعني على المراة والزوج الاول **ان يتراجعا** يعني بنكاح جديد **ان ظنا** اي علما وايقنا
وقيل ان رجوا لان احدا لا يعلم ما هو كاين الا الله تعالى **ان يقيما حدود الله** يعني يقيما بينهما الاصلاح وحسن العشرة
والصحبة وقيل معناه ان علما ان نكاحهما على غير دلسة والمراد بالدلسة التحليل فرع ان الاول مذهب جمهور العلما ان المطلقة
بالثلاث لا تحل للزوج المطلق منه بالثلاث الا بشرايط وهي ان تعتد منه ثم تتزوج بزوج اخر ويطاها ثم يطلقها
ثم تعتد منه فاذا حصلت هذه الشرايط حلت للاول والا فلا وقال سعيد بن جبير وسعيد بن المسيب تحل بمجرد العقد والمذهب
الاول هو الاصح واختلف العلما في اشتراط الوطء هل ثبت بالكتاب او بالسنة على ثلاثة اقوال الثالث وهو المختار انه
ثبت بهما الثاني اذا تزوج بالمطلقة ثلاثا ليحلها للاول فهذا نكاح باطل وعقد فاسد وبه قال مالك واحمد لما روي
عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه لعن المحلل والمحلل له اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وروي
انه قال هو التيس المستعار ولو تزوجها ولم يشترط في النكاح انه يفارقها فالنكاح صحيح ويحصل به التحليل اذا طلقها
وانقضت العدة غير انه يكره اذا كان في عزمها ذلك وبه قال الشافعي وابو حنيفة ودليل ذلك ان الاية دلت على ان
الحرمة تنتهي بوطء مسبوق بعقد وقد وجد ذلك فوجب القول بانتها الحرمة وقال نافع اتى رجل الى ابن عمر فقال ان رجلا طلق
امراته ثلاثا فانطلق اخ له من غير مؤامرة فتزوجها ليحلها للاول فقال لا الا نكاح رغبة كنا نعد هذا سفاحا على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى **وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون** يعني يعلمون ما امرهم الله به وما نهاهم

عنه وانما خص الله العلماء لانهم هم الذين ينتفعون بذلك البيان قوله عز وجل **وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن** نزلت في ثابت بن يسار رجل من الانصار طلق امرأته حتى اذا قرب انقضاء عدتها راجعها ثم طلقها يقصد بذلك مضارتها فبلغن اجلهن اى قاربن انقضاء عدتهن وشارفن منتهاها ولم يرد انقضاء العدة لانه لو انقضت عدتها لم يكن للزوج امساكها فالبلوغ هنا بلوغ مقاربة كما يقال بلغ فلان البلد اذا قاربه وشارفه فهذا من باب المجاز الذي يطلق اسم الكل فيه على الاكثر وقيل ان الاجل اسم للزمان فيحمل على الزمان الذي هو اخر زمان يمكن ايقاع الرجعة فيه بحيث اذا فات لا يبقى بعده مكنة الرجعة وعلى هذا التأويل فلا حاجة بنا الى المجاز **فأمسكوهن** اى راجعوهن **بمعروف** وهو ان يشهد على رجعتها وان يراجعها بالقول لا بالوطئ **أو سرحوهن بمعروف** اى اتركوهن حتى تنقضي عدتهن فيملكن انفسهن **ولا تمسكوهن ضرارا** اى لا تقصدوا بالرجعة المضارة بتطويل الحبس وقيل كانوا يضارونهن لتفتدي المرأة منه بمالها **لتعتدوا** اى لتظلموهن بمجاوزتكم في امرهن حدود الله التي بينها لكم وقيل معناه لا تضاروهن على قصد الاعتداء عليهن **ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه** اى ضر نفسه بمخالفة امر الله وتعريضها الى عذاب الله **ولا تتخذوا آيات الله هزوا** يعني بذلك ما بين من حلاله وحرامه وامره ونهيه في وحيه وتنزيله فلا تتخذوا ذلك استهزاء ولعبا فمن وجب عليه طاعة الله وطاعة رسوله ثم وصل اليه هذه الاحكام التي تقدم ذكرها في العدة والرجعة والخلع وترك المضارة فلا يتخذها هزوا ففيه تهديد عظيم ووعيد شديد وقيل هو راجع الى قوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان فكل من خالف امرا من امور الشرع فهو متخذ آيات الله هزوا وقيل كان الرجل يطلق ويعتق ويتزوج ويقول كنت لاعبا فنهوا عن ذلك عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاث جدهن جد وهزلهن جد النكاح والطلاق والرجعة اخرجه ابو داود والترمذي وقوله تعالى **واذكروا نعمت الله عليكم** يعني بالايمان الذي انعم الله به عليكم فهذا كله و سائر نعمه التي انعم بها عليكم **وما أنزل عليكم** اى واذكروا نعمه فيما انزل عليكم **من الكتاب** يعني القرآن **والحكمة** يعني السنة التي علمها رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنها لكم وقيل اراد بالحكمة مواعظ القرآن **يعظكم به** اى بالكتاب الذي انزله على نبيه صلى الله عليه وسلم **واتقوا الله** يعني خافوا الله فيما امركم به و نهاكم عنه **واعلموا أن الله بكل شيء عليم** يعني انه تعالى يعلم ما اخفيتم من طاعة ومعصية في سر وعلن لا يخفى عليه شيء من ذلك قوله تعالى **وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن** نزلت في معقل بن يسار المزني عضل اخته جميلة وكانت تحت ابي البداح عاصم بن عدي فطلقها عن معقل بن يسار قال كانت لي اخت تخطب الي وامنعها من الناس فاتاني ابن عم لي فانكحتها اياه فاصطحبا ما شاء الله ثم طلقها طلاقا له رجعة ثم تركها حتى انقضت عدتها فلما خطبت الي اتاني يخطبها مع الخطاب فقلت له خطبت الي فمنعتها الناس واثرتك بها فزوجتك اياها ثم طلقتها طلاقا لك فيه رجعة ثم تركتها حتى انقضت عدتها فلما خطبت الي اتيتني تخطبها مع الخطاب والله لا انكحها ابدا ففي نزلت هذه الآية وإذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن الآية فكفرت عن يميني وانكحتها اياه اخرجه البخاري وقيل ان جابر بن عبد الله كانت له ابنة عم فطلقها زوجها تطليقة فلما انقضت عدتها اراد ان يراجعها فابى جابر وقال طلقت ابنة عمنا ثم تريد ان تنكحها الثانية وكانت المرأة تريد زوجها قد رضيته فنزلت هذه الآية واراد ببلوغ الاجل في قوله فبلغن اجلهن انقضاء العدة بخلاف هذه الآية التي قبل هذه قال الشافعي دل اختلاف الكلامين على افتراق البلوغين **فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن** خطاب للاولياء والمعنى لا تضيقوا عليهن بان تمنعوهن من مراجعة ازواجهن بنكاح جديد تبتغون بذلك مضارتهن فهو خطاب عام لجميع الاولياء وان كان سبب الآية خاصا واصل العضل المنع والتضييق ومنه قول اوس بن حجر وليس اخوك الدائم العهد بالذي يذمك ان ولى ويرضيك مقبلا ولكنه النائي اذا كنت آمنا وصاحبك الادنى اذا الامر اعضلا يعني اذا ضاق الامر وفي الآية دليل

للشافعي ومن وافقه في ان المرأة لا تلي عقد النكاح ولا تأذن فيه اذ لو كانت تملك ذلك لم يكن عضل ولا لنهي الولي عن العضل معنى وقوله تعالى **إذا تراضوا بينهم بالمعروف** يعني اذا تراضى الخطاب والنساء والمعروف هنا ما وافق الشرع من عقد حلال ومهر جائز وقيل هو ان يرضى كل واحد منهما بما التزمه لصاحبه بحق العقد حتى تحصل الصحبة الحسنة والعشرة الجميلة **ذلك** اى ذلك الذي ذكر من النهي **يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر** يعني ان المؤمن هو الذي ينتفع بالوعظ دون غيره **ذلكم أزكى لكم وأطهر** يعني انه خير لكم واطهر لقلوبكم واطيب عند الله **والله يعلم** يعني ما في ذلك من الزكوة والتطهير **وأنتم لا تعلمون** يعني ذلك قوله عز وجل **والوالدات** يعني المطلقات اللاتي لهن اولاد من ازواجهن وقيل المراد بهن جميع الوالدات سواء كن مطلقات او مزوجات ويدل عليه ان اللفظ عام وما قام دليل التخصيص فوجب تركه على عمومه ولانه ظاهر اللفظ فوجب حمله عليه **يرضعن أولادهن** هذا خبر بمعنى الامر والتقدير والوالدات يرضعن اولادهن في حكم الله الذي اوجبه وهذا الامر ليس امر ايجاب وانما هو امر ندب واستحباب لان تربية الطفل بلبن الام اصلح له من لبن غيرها ولكمال شفقتها عليه ويدل على انه لا يجب على الوالدة ارضاع الولد قوله فان ارضعن لكم فآتوهن اجورهن ولو وجب عليها الرضاع لما استحقت الاجرة وقال تعالى وان تعاسرتم فسترضع له اخرى وهذا نص صريح في ذلك فاذا لم يوجد من يرضع الطفل او لم يقبل غير لبن امه وجب عليها ارضاعه كما يجب على كل احد مواساة المضطر وان رغبت الام في ارضاع ولدها فهي اولى به من غيرها **حولين كاملين** الحول السنة واصله من حال يحول اذا انقلب وانما قال كاملين للتوكيد لانه مما يتسامح فيه تقول اقمت عند فلان حولا وان لم تستكمله فبين الله انهما حولان كاملان اربعة وعشرون شهرا وهذا التحديد في الحولين ليس تحديد ايجاب ويدل على ذلك قوله تعالى **لمن أراد أن يتم الرضاعة** فلما علق الاتمام بارادتنا علمنا ان هذا الاتمام غير واجب فثبت ان المقصود من هذا التحديد قطع التنازع بين الزوجين في مقدار زمن الرضاعة فقدر الله تعالى ذلك بالحولين حتى يرجعا اليه عند التنازع قال ابن عباس في رواية عكرمة اذا ارضعت الولد لستة اشهر ارضعته حولين وان وضعته لسبعة اشهر ارضعته ثلاثة وعشرين شهرا وان وضعته لتسعة اشهر ارضعته احدى وعشرين شهرا كل ذلك ثلاثون شهرا لقوله تعالى وحمله وفصاله ثلاثون شهرا وقال في رواية الوالبي عنه هو حد لكل مولود في اي وقت ولد لا ينقص رضاعه عن حولين الا باتفاق من الابوين فايهما اراد فطام الولد قبل الحولين فليس له ذلك الا اذا اتفقا عليه يدل على ذلك قوله فان ارادا فصالا عن تراض منهما وقيل فرض الله على الوالدات ارضاع الولد حولين ثم انزل التخفيف فقال لمن اراد ان يتم الرضاعة اي هذا منتهى الرضاعة لمن اراد اتمام الرضاعة وليس فيما دون ذلك حد محدود وانما هو على مقدار اصلاح الطفل وما يعيش به **وعلى المولود له** يعني الاب وانما عبر عنه بهذا لان الوالدات انما ولدن للآباء ولذلك ينسب الولد الى الاب دون الام قال بعضهم انما امهات الناس اوعية مستودعات وللآباء ابناء وقيل ان هذا تنبيه على ان الولد انما يلحق بالوالد لكونه مولودا على فراشه فكانه قال اذا ولدت المرأة الولد لاجل الرجل وعلى فراشه وجب عليه رعاية مصالحه **رزقهن** اى اطعامهن **وكسوتهن** اى لباسهن **بالمعروف** اى على قدر الميسرة **لا تكلف نفس إلا وسعها** يعني طاقتها والمعنى ان ابا الولد لا يكلف في الانفاق عليه وعلى امه الا قدر ما تتسع به مقدرته ولا يبلغ اسراف القدرة **لا تضار والدة بولدها** يعني لا ينزع الولد من امه بعد ان رضيت بارضاعه ولا يدفع الى غيرها لان ذلك ليس بواجب عليها **ولا مولود له بولده** يعني ولا تلقي المرأة الولد الى ابيه وقد الفها تضاره بذلك وقيل معناه لا يلزم الاب ان يعطي ام الولد اكثر مما يجب عليه لها اذا لم يرضع الولد من غير امه فعلى هذا يرجع الضرار الى الوالدين فيكون المعنى لا يضار كل واحد صاحبه بسبب الولد وقيل يحتمل ان يكون الضرار راجعا الى الولد والمعنى لا يضار كل واحد من الابوين الولد فلا ترضعه حتى يموت فيتضرر بذلك ولا ينفق عليه الاب او ينزعه من امه فيضره بذلك فعلى هذا تكون الباء صلة والمعنى لا تضار والدة ولدها ولا اب ولده **وعلى الوارث مثل ذلك**

يعني وعلى وارث الولد اذا مات مثل ما كان يجب عليه من النفقة والكسوة فيلزم وارث الاب ان يقوم مقامه في القيام بحق الولد وقيل المراد بالوارث وارث الصبي الذي لو مات الصبي ورثه فعلى هذا الوارث مثل ما كان على ابي الصبي في حال حياته واختلف في اي وارث هو فقيل هم عصبة الصبي كالجد والاخ والعم وابنيه وقيل هو كل وارث من الرجال والنساء وبه قال احمد فيجبروا على نفقة الصبي كل على قدر سهمه منه وقيل هو من كان ذا رحم محرم منه وبه قال ابو حنيفة وقيل المراد بالوارث الصبي نفسه فعلى هذا تكون اجرة رضاع الصبي في ماله فان لم يكن له مال فعلى الام ولا يجبر على نفقة الصبي غير الابوين وبه قال مالك والشافعي وقيل معناه وعلى الوارث ترك المضارة فان ارادا يعني الوالدين فصالا يعني فطام الولد قبل الحولين عن تراض منهما اي على اتفاق من الوالدين في ذلك وتشاور اي تشاورون اهل العلم بذلك حتى يخبروا ان الفطام قبل الحولين لا يضر بالولد والمشاورة استخراج الراي بما فيه مصلحة فلا جناح عليهما اي فلا حرج ولا اثم على الوالدين في الفطام قبل الحولين اذا لم يضر بالولد وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم اي للاولاد كم مراضع غير امهاتهم اذا ابت امهاتهم ارضاعهم او تعذر ذلك لعلة بهن من انقطاع لبن وغير ذلك واردن الترويج فلا جناح عليكم اذا سلمتم يعني الى المراضع ما اتيتم يعني هن من اجرة الرضاع وقيل اذا سلمتم الى امهاتهم من اجرة الرضاع بقدر ما ارضعن بالمعروف اي بالاحسان والاجمال امروا ان يكونوا عند تسليم الاجرة مستبشرين الوجوه ناطقين بالقول الجميل مطيبين لانفس المراضع بما امكن حتى يؤمن من نفر يطهن بقطع معاذيرهن واتقوا الله اي وخافوا الله فيما فرض عليكم من الحقوق وفيما اوجب عليكم لاولادكم واعلموا ان الله بما تعملون بصير يعني لا يخفى عليه خافية من جميع اعمالكم سرها وعلانيتها فانه تعالى يراها ويعلمها قوله تعالى والذين يتوفون منكم اصل التوفي اخذ الشيء وافيا فكأن من مات فقد استوفى عمره كاملا وقيل توفي فلان بمعنى قبض واخذ ويذرون اي ويتركون ازواجا والمراد بالازواج هنا النساء لان العرب تطلق اسم الزوج على الرجل والمراة يتربصن اي ينتظرن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا يعني قد زهدن في هذه المدة وانما قال عشرا بلفظ التانيث لان العرب اذا اتهمت العدد من الليالي والايام غلبوا الليالي حتى ان احدهم ليقول صمت عشرا من الشهر لكثرة تغليبهم الليالي على الايام فاذا اظهروا الايام قالوا صمنا عشرة ايام وقيل ان هذه الايام ايام حزن وليس حداد فشبهها بالليالي على سبيل الاستعارة ووجه الحكمة في ان الله تعالى حد العدة بهذا القدر لان الولد يركض في بطن امه لنصف مدة الحمل يعني يتحرك وقيل ان الروح ينفخ في الولد في هذه العشرة ايام ويدل على ذلك ما روي عن ابن مسعود قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان خلق احدكم يجمع في بطن امه اربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله اليه ملكا يكتب رزقه واجله وعمله وشقي او سعيد ثم ينفخ فيه الروح الحديث اخرجاه في الصحيحين بزيادة قال هذا الحديث على ان خلق الولد يجتمع في مدة اربعة اشهر ويتكامل خلقه وينفخ الروح فيه في هذه الايام الثلاثة

فصل في حكم عدة المتوفى عنها زوجها والاحداد وفيه مسائل المسئلة الاولى عدة المتوفى عنها زوجها اربعة اشهر وعشر وعدة الامة على نصف عدة الحرة شهران وخمسة ايام وبه قال جمهور العلماء وقال ابو بكر الاصم عدة الامة كعدة الحرائر وتمسك بظاهر هذه الاية وعدة الحامل بوضع الحمل سواء في الحرة والامة ولو وضعت بعد وفاة زوجها بلحظة حل لها ان تتزوج ويدل على ذلك ما روي عن سبيعة الاسلمية انها كانت تحت سعد بن خولة وهو من بني عامر بن لوي وكان ممن شهد بدرا فتوفي عنها في حجة الوداع وهي حامل فلم تنشب ان وضعت حملها بعد وفاته فلما تعلت من نفاسها تجملت للخطاب فدخل عليها ابو السنابل بن بعكك رجل من بني عبد الدار فقال لها مالي اراك تجملت للخطاب لعلك ترجين النكاح وانك والله ما انت بناكح حتى تمر عليك اربعة اشهر وعشر قالت سبيعة فلما

قال لي ذلك جمعت علي ثيابي حين امسيت واتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالته عن ذلك فافتاني بانني قد حللت حين وضعت حملي وامرني بالتزويج ان بدا لي اخرجاه في الصحيحين وفيه قال ابن شهاب ولا ارى باسا ان تتزوج حين وضعت وان كانت في دمها غير انه لا يقربها حتى تطهر فعلى هذا يكون حكم الاية عاما في كل من توفي عنها زوجها بان تعتد اربعة اشهر وعشرا ثم خصص من هذا العموم اولات الاحمال بهذا الحديث وبقوله تعالى واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن المسئلة الثانية يجب على المتوفى عنها زوجها الاحداد وهو ترك الزينة والطيب والدهن للراس بكل دهن والكحل الطيب فان اضطرت الى كحل فيه زينة فيرخص لها وبه قال مالك وابو حنيفة وقال الشافعي تكتحل بالليل وتمسحه بالنهار عن ام سلمة قالت دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم حين توفي ابو سلمة وقد جعلت على صبرا فقال ما هذا يا ام سلمة فقلت انما هو صبر يا رسول الله ليس فيه طيب فقال انه يشب الوجه فلا تجعليه الا بالليل وتنزعينه بالنهار ولا تمتشطي بالطيب ولا بالحناء فانه خضاب قلت باي شيء امتشط يا رسول الله قال بالسدر تغلفين به راسك اخرجه ابو داود وللنسائي نحوه قوله فانه يشب الوجه اي يوقده ويحسنه ويزينه من شب الناار اذا اوقدها قوله تغلفين به اي تطلخين به راسك والتغليف هو الغمرة على وجه المراة وكذا راسها اذا الطخته بشيء فاكثرت منه ولا يجوز لها لبس الديباج والحرير والحلي والمصبوغ للزينة كالاحمر والاصفر ويجوز ما صبغ لغير الزينة كالاسود والازرق ويجوز ان تلبس البياض من الثياب والصوف والمروق عن زينب بنت ابي سلمة قالت دخلت على ام حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم حين توفي ابوها ابو سفيان بن حرب فدعت ام حبيبة بطيب فيه صفرة خلوق او غيره فدهنت به جارية ثم مسته بعارضيها ثم قالت والله مالي بالطيب من حاجة غير اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر لا يحل لامراة تومن بالله واليوم الاخر ان تحد على ميت فوق ثلاث الا على زوج اربعة اشهر وعشرا متفق عليه وعن عايشة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يحل لامراة تومن بالله واليوم الاخر ان تحد على ميت فوق ثلاث الا على زوجها ق وعن ام عطية قالت كنا نهينا ان نحد على ميت فوق ثلاث الا على زوج اربعة اشهر وعشرا ولا نكتحل ولا نتطيب ولا نلبس ثوبا مصبوغا الا ثوب عصب وقد رخص لنا عند الطهر اذا اغتسلت احدانا من حيضها في نبذة من كست اظفار وقسط والاظفار المملتين من البرود التي صبغ غزله قبل النسج وقسط نبذة من كست النبذة الشيء اليسير والكست لغة في القسط وهو نبت معروف يتبخر به عن ام سلمة قالت قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تلبس المتوفى عنها زوجها المعصفرة من الثياب ولا الممشقة ولا الحلي ولا تختضب ولا تكتحل اخرجه ابو داود وقولها ولا الممشقة الثياب الممشقة هي المصبوغة بالمشق وهي المغرة عن نافع ان صفية بنت عبيد استكت عينها وهي حادة على زوجها ابن عمر فلم تكتحل حتى كادت عيناها ترمصان اخرجه مالك في الموطا المسئلة الثالثة اختلفوا في ان هذه المدة سببها الوفاة او العلم بالوفاة فقال بعضهم ما لم تعلم بوفاة زوجها لا تعتد بانقضاء الايام في العدة واحتجوا على ذلك بان الله تعالى قال يتربصن بانفسهن وذلك لا يحل الا بالقصد الى التربص ولا يحل ذلك الا مع العلم وقال الجمهور السبب هو الموت قالوا انقضت المدة او كنفها او بعضها ثم بلغها خبر موت الزوج وجب ان تعتد بما انقضى ويدل على ذلك ان الصغيرة التي لا علم لها بكيفي في انقضاء عدتها انقضاء هذه الازمنة يعني المدة المسئلة الرابعة اجمع العلماء على ان هذه الاية ناسخة لما بعدها من الاعتداد بالحول وان كانت هذه الاية متقدمة في التلاوة وسنذكر تمام الكلام عليه بعد في موضعه ان شاء الله تعالى والله اعلم وقوله تعالى فاذا بلغن اجلهن اي انقضت عدتهن فلا جناح عليكم ايها الاولياء لانهم هم الذين يلون العقد فيما فعلن في انفسهن بالمعروف يعني من التزين والتطيب

والقلة من المسكن الذي كانت معتدة فيه ونكاح من يحرم نكاحه وقيل انما عنى بذلك النكاح خاصة وقيل معنى قوله بالمعروف وهو النكاح الحلال الطيب واحتج اصحاب ابي حنيفة على جواز النكاح بغير ولي بهذه الآية لان اضافة الفعل الى الفاعل محمول على المباشرة واجاب اصحاب الشافعي بان قوله تعالى فلا جناح عليكم خطاب للاولياء ولو صح العقد بغير ولي لما كان مخاطبا لهم واجيب عن قوله فيما فعلن في انفسهن انما هو التزين والتطيب بعد انقضاء العدة لا انهن تزوج انفسهن **والله بما تعملون خبير** يعني انه تعالى لا تخفى عليه خافية والخبير في صفة الله تعالى هو العالم بكنه الشيء وحقيقته من غير شك والخبير في صفة المخلوقين انما يستعمل في نوع من العلم وهو الذي يتوصل اليه بالاجتهاد والفكر والله تعالى منزه عن ذلك كله قوله عز وجل **ولا جناح عليكم فيما عرضتم به** اي لا حرج **والتعريض** ضد التصريح ومعناه ان يضمن كلامه ما يصلح للدلالة على مقصوده ويصلح للدلالة على غير مقصوده ولكن اشعاره بجانب المقصود اتم وارجح وقيل هو الاشارة الى الشيء بما يفهم السامع مقصوده من غير تصريح به وقيل التعريض من الكلام ما له ظاهر وباطن **من خطبة النساء** يعني المعتدات في عدتهن **والخطبة** بالكسر طلب النكاح والتماسه وقيل هو ذكر النساء والخطبة بالضم كلامه منظوم له اول واخر ومعنى الآية فيما عرضتم به من ذكر النساء عند هن والتعريض في الخطبة في العدة مباح وهو ان يقول انا اريد التزويج واني فيك لراغب وعسى الله ان ييسر لي امرأة صالحة ونحو ذلك من الكلام الموهم من غير تصريح بان يقول اني اريد ان انكحك او اتزوجك ونحو ذلك ويدل على صحة هذا التاويل ما روي عن ابن عباس في قوله تعالى فيما عرضتم به من خطبة النساء هو ان يقول اني اريد التزويج وان النساء لمن حاجتي ولوددت انه يسر لي امرأة صالحة اخرجه البخاري وروي ان سكينة بنت حنظلة تايمة فدخل عليها ابو جعفر محمد بن علي الباقر في عدتها فقال قد علمت قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحقي جدي على وقدمي في الاسلام وقالت سكينة غفر الله لك اتخطبني في عدتي وانت يوخذ عنك فقال انما اخبرتك بقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على ام سلمة وهي في عدة زوجها ابي سلمة فذكر لها منزلته من الله عز وجل وهو متحامل على يديه حتى اثر الحصير في يديه من شدة تحامله عليها فما كانت تلك خطبة **او اكننتم في انفسكم** يعني من نكاحهن وقيل هو ان يدخل ويسلم ويهدي ان شاء ولا يتكلم بشيء والمقصود انه لا حرج عليكم في التعريض للمراة في عدة الوفاة ولا في ما يضمر الرجل في نفسه من الرغبة فيها **علم الله انكم ستذكرونهن** يعني بقلوبكم لان شهوة النفس والتمني لا يخلو منه احد فلما كان هذا الخاطر كالشيء الشاق اسقط عنه الحرج **ولكن لا تواعدوهن سرا** اختلفوا في معنى هذا السر المنهي عنه فقيل هو الزنا كان الرجل يدخل على المراة يعرض لها بالنكاح ومراده الزنا ويقول لها دعيني فاذا اوفيت عدتك اظهرت نكاحك فنهوا عن ذلك وقيل هو قول الرجل للمراة لا تفوتيني بنفسك فاني ناكحك وقيل هو ان ياخذ عليها العهد والميثاق ان لا تتزوج غيره وقيل هو ان لا يحظها في العدة وقال الشافعي السر الجماع وهو رواية عن ابن عباس قال الكلبي اي لا تصفوا انفسكم لهن بكثرة الجماع ويدل على ان لفظ السر كناية عن الجماع قول امرئ القيس

الا زعمت بسباسة القوم اني كبرت وان لا يحسن السر امثالي

لبسباسة اسم المراة وانما اوقع الكناية عن الجماع بالسر لانه مما يستر والله تعالى حيي كريم فكنى به عن لفظ الجماع الصريح ومعنى الآية لا تواعدوهن مواعدة سرية ولا تواعدوهن بالشيء الموصوف بالسر وقيل في معنى الآية ان الله تعالى اذن في اول الآية في التعريض بالخطبة ومنع في اخرها عن التصريح بالخطبة **الا ان تقولوا قولا معروفا** يعني هو ما ذكر من التعريض بالخطبة وقيل هو اعلام ولي المراة انه راغب في نكاحها **ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب اجله** اي لا تحققوا العزم على عقد النكاح في العدة حتى تنقضي وانما سماها كتابا لانها فرضه **واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه** اي تخافوه **واعلموا ان الله غفور حليم** لا يعجل بالعقوبة

والمتعة التمتع صح

على من جاهره بالمعصية بل يستر عليه قوله تعالى **لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن او تفرضوا لهن فريضة** اي ولم تمسوهن ولم تفرضوا لهن فريضة يعني ولم تعينوا لهن صداقا ولم توجبوه عليكم نزلت في رجل من الانصار تزوج امراة من بني حنيفة ولم يسم لها صداقا ثم طلقها قبل ان يمسها فنزلت هذه الآية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم امتعها ولو بقلنسوتك فان قلت هل على من طلق امراته جناح بعد المسيس حتى يوضع عنه الجناح قيل المسيس فما وجه نفي الحرج والجناح عنه قلت فيه قطع سبب الوصلة وما جاء في الحديث ان ابغض الحلال الى الله الطلاق فنفى الله الجناح عنه اذا كان الفراق اروح من الامساك وقيل معناه لا جناح عليكم في تطليقهن قبل المسيس في اي وقت شئتم حايضا كانت او طاهرا لانه لا سنة في طلاقهن قبل الدخول **ومتعوهن** اي اعطوهن من مالكم ما يتمتعن به والمتاع ما يتبلغ به من الزاد **على الموسع** اي الغني الذي يكون في سعة من غناه **قدره** اي قدر امكانه **وعلى المقتر** اي الفقير الذي هو في ضيق من فقره **قدره** اي قدر امكانه **متاعا بالمعروف** يعني متعوهن تمتيعا بالمعروف من غير ظلم ولا حيف **حقا** اي ذلك حقا واجبا لازما **على المحسنين** يعني الى المطلقات بالتمتع وانما خص المحسنين بالذكر لانهم هم الذين ينتفعون بهذا البيان وقيل معناه من اراد ان يكون من المحسنين فهذا شانه وطريقه والمحسن هو المؤمن

فصل في بيان حكم الآية وفيه وقوع الفرع الاول اذا تزوج امراة ولم يفرض لها مهرا ثم طلقها قبل المسيس يجب لها عليه المتعة وبه قال الشافعي وابو حنيفة واحمد ودليله قوله تعالى لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن او تفرضوا لهن فريضة ونفي الجناح يدل على الوجوب وقال مالك المتعة مستحبة ولو طلقها قبل الدخول وقد فرض لها مهرا وجب لها عليه نصف المهر المفروض ولا متعة لها الفرع الثاني المطلقة المدخول بها فيها قولان قال في القديم لا متعة لها لانها تستحق المهر كاملا وبه قال ابو حنيفة وهو احد الروايتين عن احمد وقال في الجديد لها المتعة لقوله تعالى وللمطلقات متاع بالمعروف وهو الرواية الاخرى عن احمد قال ابن عمر لكل مطلقة متعة الا التي فرض لها المهر ولم يدخل بها فحقها نصف المهر الفرع الثالث في قدر المتعة قال ابن عباس اعلاها خادم واوسطها ثلاثة اثواب درع وخمار وازار واقلها دون ذلك وقاية او متعة او شيء من الورق وهو مذهب الشافعي لانه قال اعلاها على الموسر خادم واوسطها ثوب واقلها ما له ثمن وحسن ثلاثون درهما روي ان عبد الرحمن بن عوف طلق امراته وحمم لها يعني متعها جارية سوداء ومتع الحسن بن علي امراته بعشرة الاف درهم فقالت متاع قليل من حبيب مفارق وقال ابو حنيفة مبلغها اذا اختلف الزوجان قدر نصف مهر مثلها لا يجاوزه وقال احمد في احدى الروايتين عنه يقدر بما يجزي فيه الصلاة وقال في الرواية الاخرى يقدر بتقدير الحاكم والآية تدل على ان المتعة تعتبر بحال الزوج في اليسر والعسر وانه مفوض الى الاجتهاد لانها كالنفقة التي اوجبها الله تعالى للزوجين وبين ان حال الموسر مخالف لحال المعسر وذلك الفرع الرابع ومن حكم الآية ان من تزوج امراة بالغة برضاها على غير مهر صح النكاح ولها مطالبته بان يفرض لها صداقا فان دخل بها قبل الفرض فلها عليه مهر مثلها وان طلقها قبل الفرض والدخول لها المتعة قوله عز وجل **وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن** يعني نكحا معهن وهذا في المطلقة بعد تسمية المهر وقبل الدخول حكم الله لها بنصف المهر ولا عدة عليها وهو قوله **وقد فرضتم لهن فريضة** اي سميتم لهن مهرا **فنصف ما فرضتم** اي فلهن نصف المهر المسمى ومذهب الشافعي ان الخلوة من غير مسيس لا توجب الا نصف المهر المسمى لان المسيس انما حقيقة في الجس في البدن او جعل كناية عن الجماع وانما كان فقد وجد الطلاق وقبله وقال ابو حنيفة الخلوة الصحيحة تقدر المهر ومعنى الخلوة الصحيحة ان يخلو بها وليس هناك مانع حسي ولا شرعي فالحسي نحو الرتق والقرن او يكون معها ثالث والشرعي نحو الحيض والنفاس والصوم وصوم الفرض وصلاة الفرض والاحرام سواء كان فرضا او نفلا والآية حجة لمذهب الشافعي قال شريح لم اسمع الله ذكر في كتابه بابا ولا ستارا اذ زعم انه لم يمسها فلها نصف الصداق وقال ابن عباس اذا خلا بها ولم

ولم يمسها فلها نصف المهر فرع لو مات احد الزوجين بعد التسمية قبل المسيس فلها المهر كاملا وعليها العدة ان كان الزوج هو الميت وقوله **الا ان يعفون** يعني النساء المطلقات والمعنى الا ان تترك المراة نصيبها من الصداق فتهبه للزوج فيعود جميع الصداق الى الزوج **او يعفوا الذي بيده عقدة النكاح** فيه قولان احدهما انه الولي وهو قول ابن عباس في رواية عنه والحسن وعلقمة وطاوس والشعبي والنخعي والزهري والسدي وبه قال الشافعي في القديم ومالك والقول الثاني انه الزوج وهو قول علي وابن عباس في الرواية الاخرى وجبير بن مطعم وسعيد بن المسيب وابن جبير ومجاهد والربيع وقتادة ومقاتل والضحاك ومحمد بن كعب معنى الاية الا ان تعفو المراة اذا كانت ثيبا بالغة من اهل العفو عن نصيبها للزوج او يعفو وليها اذا كانت المراة بكرا صغيرة او غير جائزة التصرف فيجوز عفو وليها فيترك نصيبها للزوج وانما يجوز عفو الولي بشروط وهي ان تكون بكرا صغيرة ويكون الولي ابا او جدا لان غيرهما لا يزوج الصغيرة وعلى القول الثاني الذي بيده عقدة النكاح هو الزوج وصحح هذا القول الطبري والواحدي فيكون معنى الاية او يعفو الذي بيده عقدة النكاح يعني الزوج فيعطي المراة الصداق كاملا لان الله تعالى لما ذكر عفو المراة عن النصف الواجب لها ذكر عفو الزوج عن النصف الساقط عنه فيحسن للمراة ان تعفو ولا تطالب بشيء من الصداق وللرجل ان يعفو فيوفي لها المهر كاملا روي ان جبير بن مطعم تزوج امراة ثم طلقها قبل الدخول بها فاكمل لها الصداق وقال انا احق بالعفو ولان المهر حق للمراة فليس لوليها ان يهب من مالها شيئا فكذلك المهر لانه مال لها **وان تعفوا اقرب للتقوى** هذا خطاب للرجال والنساء جميعا وانما غلب جانب التذكير لان الذكورة هي الاصل والتانيث فرع عليه والمعنى وعفو بعضكم عن بعض ايها الرجال والنساء اقرب الى حصول التقوى وقيل هو خطاب للزوج والمعنى وليعف الزوج فيترك حقه الذي ساقه من المهر اليها قبل الطلاق فهو اقرب للتقوى **ولا تنسوا الفضل بينكم** يعني ليتفضل بعضكم على بعض فيعطي الرجل الصداق كاملا او تترك المراة نصيبها من الصداق حثهما جميعا على الاحسان ومكارم الاخلاق **ان الله بما تعملون** يعني من عفو بعضكم لبعض عما وجب له عليه من حق **بصير** اي لا يخفى عليه شيء من ذلك قوله عز وجل **حافظوا على الصلوات** اي داوموا واظبوا يعني الخمس المكتوبات امر الله عز وجل عباده بالمحافظة على الصلوات الخمس بجميع شروطها وحدودها واتمام اركانها وفعلها في اوقاتها المختصة بها **والصلوة الوسطى** تانيث الاوسط ووسط كل شيء خيره واعدله وقيل الوسطى يعني الفضلى من قولهم للافضل اوسط وانما افردت وعطفت على الصلوات لانفرادها بالفضل وقيل سميت وسطى لانها اوسط الصلوات محلا

فصل في ذكر اختلاف العلماء في الصلاة الوسطى قد اختلف العلماء من الصحابة فمن بعدهم في الصلاة الوسطى على مذاهب الاول ان الصلاة الوسطى هي صلاة الفجر وهو قول عمر وابن عمر وابن عباس ومعاذ وجابر وعطاء وعكرمة ومجاهد والربيع بن انس وبه قال مالك والشافعي ويدل على ذلك ان مالكا بلغه ان علي بن ابي طالب وابن عباس كانا يقولان الصلاة الوسطى صلاة الفجر اخرجه مالك في الموطا واخرجه الترمذي عن ابن عباس وابن عمر تعليقا لانها بين صلاتي جمع فالظهر والعصر يجمعان وهما صلاتا نهار والمغرب والعشاء يجمعان وهما صلاتا ليل وصلاة الفجر لا تقصر ولا تجمع الى غيرها ولانها تاتي في وقت مشقة بسبب برد الشتاء وطيب النوم في الصيف وفتور الاعضاء وكثرة النعاس وغفلة الناس عنها فخصت بالمحافظة عليها لكونها معرضة للضياع ولان الله تعالى قال عقبها وقوموا لله قانتين والقنوت هو طول القيام وصلاة الفجر مخصوصة بطول القيام ولان الله تعالى خصها بالذكر في قوله وقران الفجر ان قران الفجر كان مشهودا يعني تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار فهي مكتوبة في ديوان حفظة الليل وديوان حفظة النهار فدل ذلك على مزيد فضلها المذهب الثاني انها صلاة الظهر وهو قول زيد بن ثابت واسامة بن زيد وابي سعيد الخدري ورواية عن عائشة وبه قال عبيد الله بن شداد وهو رواية عن ابي حنيفة ويدل على ذلك ما روي عن زيد بن ثابت وعائشة قالا الصلاة الوسطى

صلاة الظهر اخرجه مالك في الموطا عن زيد والترمذي عنهما تعليقا واخرجه ابو داود وعن زيد قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الظهر بالهاجرة ولم يكن يصلي صلاة اشد على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منها فنزلت حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقال ان قبلها صلاتين وبعدها صلاتين ولان صلاة الظهر تاتي وسط النهار وفي شدة الحر ولانها تاتي بين البردين يعني صلاة الفجر وصلاة العصر المذهب الثالث انها صلاة العصر وهو قول علي وابن مسعود وابي ايوب وابي هريرة وابن عمر وابن عباس وابي سعيد الخدري وعائشة وهو قول عبيدة السلماني والحسن البصري وابراهيم النخعي وقتادة والضحاك والكلبي ومقاتل وبه قال ابو حنيفة واحمد وداود وابن المنذر وقال الترمذي هو قول اكثر الصحابة فمن بعدهم وقال الماوردي من اصحابنا هذا مذهب الشافعي لصحة الاحاديث فيه قال وانما نص على انها الصبح لانه لم تبلغه الاحاديث الصحيحة في العصر ومذهبه اتباع الحديث ويدل على صحة هذا المذهب ما روي عن علي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم الاحزاب وفي رواية يوم الخندق ملا الله قبورهم وبيوتهم نارا كما شغلونا عن صلاة الوسطى حتى غابت الشمس وفي رواية شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر وذكر نحوه وزاد في اخرى ثم صلاها بين المغرب والعشاء اخرجاه في الصحيحين م عن ابن مسعود قال حبس المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة العصر حتى احمرت الشمس واصفرت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملا الله اجوافهم وقبورهم نارا او حشا الله اجوافهم وقبورهم نارا عن سمرة بن جندب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصلاة الوسطى صلاة العصر اخرجه الترمذي وله عن ابن مسعود مثله وقال في كل واحد منهما حسن صحيح م عن ابي يونس مولى عائشة قال امرتني عائشة ان اكتب لها مصحفا وقالت اذا بلغت هذه الاية فاذني حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى قال فلما بلغتها اذنتها فاملت علي حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى صلاة العصر وقوموا لله قانتين قالت عائشة سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم وروي عن حفصة نحو ذلك ولان صلاة العصر تاتي في وقت اشتغال الناس بمعايشهم فكان الامر بالمحافظة عليها اولى ولانها تاتي بين صلاتي نهار وهي الفجر والظهر وصلاتي ليل وهي المغرب والعشاء وقد خصت بمزيد التاكيد والامر بالمحافظة والتغليظ لمن ضيعها ويدل على ذلك ما روي عن ابي المليح قال كنا مع بريدة في غزوة فقال في يوم ذي غيم بكروا بصلاة العصر فان النبي صلى الله عليه وسلم قال من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله اخرجه البخاري قوله بكروا بصلاة العصر اي قدموها في اول وقتها ق عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الذي تفوته صلاة العصر فكانما وتر اهله وماله قوله وتر اي نقص وسلب اهله وماله فبقي فردا بلا اهل ولا مال ومعنى الحديث ليكن حذره من فوت صلاة العصر كحذره من ذهاب اهله وماله المذهب الرابع انها صلاة المغرب قاله قبيصة بن ذؤيب وحجة هذا المذهب ان صلاة المغرب تاتي بين بياض النهار وسواد الليل ولانها ازيد من ركعتين كما في الصبح واقل من اربع ولا تقصر في السفر وهي وتر النهار ولان صلاة الظهر تسمى الاولى لان ابتدا جبريل كان بها واذا كانت الظهر اول الصلوات كانت المغرب هي الوسطى المذهب الخامس انها صلاة العشاء ولم ينقل عن احد من السلف فيها شيء وانما ذكرها بعض المتاخرين وحجة هذا المذهب انها متوسطة بين صلاتين لا تقصران وهما المغرب والصبح ولانها اثقل صلاة على المنافقين المذهب السادس ان الصلاة الوسطى هي احدى الصلوات الخمس لا بعينها لان الله امر بالمحافظة على الصلوات الخمس ثم عطف الصلاة الوسطى وليس في الاية ذكر بيانها واذا كان كذلك امكن ان يقال في كل واحدة من الصلوات الخمس انها هي الوسطى ابهمها الله على عباده مع ما خصها بمزيد التوكيد تحريضا لهم في المحافظة على اداء جميع الصلوات على صفة الكمال والتمام ولهذا السبب اخفى الله تعالى ليلة القدر في شهر رمضان واخفى ساعة الاجابة في يوم الجمعة واخفى اسمه الاعظم في جميع اسمائه ليحافظوا على ذلك كله وهذا المذهب اختاره جمع من العلماء قال محمد بن سيرين ان رجلا سال زيد بن ثابت عن الصلاة الوسطى فقال حافظ على الصلوات كلها تصبها وسئل الربيع بن خثيم عن الصلاة الوسطى فقال للسائل الوسطى واحدة منهن فحافظ على الكل تكن محافظا على الوسطى ثم قال ارايت لو علمتها بعينها اكنت محافظا عليها ومضيعا لسائرهن فقال السائل لا فقال الربيع انك ان حافظت عليهن فقد حافظت على الوسطى والصحيح من هذه الاقوال كلها انها

العصر للاحاديث الصحيحة الواردة فيها والله اعلم قوله تعالى **وقوموا لله قانتين** اى طايعين فهو عبارة عن اكمال الطاعة واتمامها والاحتراز عن ايقاع الخلل في اركانها فيل لكل اهل دين صلاة يقومون فيها عاصين فقوموا انتم لله في صلاتكم طايعين وقيل القنوت هو الدعاء والذكر دليل ام من هو قانت وله امر بالمحافظة على الصلوات فوجب ان يحمل هذا القنوت على ما فيها من الذكر والدعا فعنى الاية وقوموا لله داعين ذاكرين وقيل انما خص القنوت بصلاة الصبح والوتر بهذا المعنى وقيل القنوت هو السكوت عما لا يجوز التكلم به في الصلاة ويدل عليه ما روى عن زيد بن ارقم قال كنا نتكلم في الصلاة يكلم الرجل صاحبه وهو الى جنبه في الصلاة حتى نزلت وقوموا لله قانتين فامرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام واخرجاه في الصحيحين وقيل القنوت هو طول القيام في الصلاة ويدل عليه ما روى عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل الصلاة طول القنوت اخرجه مسلم ومن القنوت ايضا طول الركوع والسجود وغض البصر والهدو في الصلاة وخفض الجناح والخشوع فيها وكان العلما اذا قام احدهم يصلي يها بالرحمن ان يلتفت او يقلب الحصى او يعبث بشيء او يحدث نفسه بشيء من امور الدنيا الا ناسيا قوله تعالى **فان خفتم فرجالا** اى رجالة **او ركبانا** تعني على الدواب جمع راكب والمعنى اذا لم تمكنكم ان تصلوا قانتين موفين حقوق الصلاة من اتمام الركوع والسجود والخضوع والخشوع لحوفي عدوا وغيره فصلوا مشاة على ارجلكم او ركبانا على دوابكم مستقبلي القبلة وغير مستقبليها وهذا في حال الملقاة والمسايقة في وقت الحرب وصلاة الخوف على ثمان احدها ان يكون في حال القتال وهو المراد بهذه الاية وستاتي في غير حالة القتال وهو المذكور في سورة النسا في قوله تعالى واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة وسياتي الكلام عليها ان شا الله تعالى في موضعها فاذا التحم القتال وهو المراد بهذه الاية ولم يمكن تركه لاحد فمذهب الشافعي انهم يصلون ركبانا على الدواب مشاة على الارجل الى القبلة والى غير القبلة يومون بالركوع والسجود ويكون السجود اخفض من الركوع ويجزيهم ذلك عن الصياح فانه لا حاجة اليه وقال ابو حنيفة لا يصلي الماشي بل يؤخر الصلاة ويقضيها لان النبي صلى الله عليه وسلم اخر الصلاة يوم الخندق فصلى الظهر والعصر والمغرب بعد ما غربت الشمس فوجب علينا الاقتدا به في ذلك واجاب الشافعي لمذهبه بهذه الاية واجيب عن تاخير النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة يوم الخندق بانه لم يكن ترك حكم صلاة الخوف فلما نزلت صلاة الخوف لم يوخرها النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك صلاة قط اما الخوف الحاصل لا في القتال لاسباب اخر كما لهارب من العدو او قصده سبع هايج او غشيه سيل يخاف على نفسه الهلاك لو صلى صلاة امن فله ان يصلي صلاة شدة الخوف بالايما في حال العدو لان قوله تعالى فان خفتم مطلق يتنا ول الكل فان قلت قوله تعالى فرجالا او ركبانا يدل على ان المراد منه خوف العدو حال القتال قلت هو كذلك الا انه هناك ثابت لدفع الضرر وهذا المعنى موجود هنا فوجب ان يكون الحكم كذلك هنا وروى عن ابن عباس قال فرض الله الصلاة على لسان نبيكم صلى الله عليه وسلم في الحضر اربعا وفي السفر ركعتين وفي الخوف ركعة اخرجه مسلم وقد عمل بظاهر هذا جماعة من السلف منهم الحسن البصري وعطا وطاوس ومجاهد وقتادة والضحاك واسحق بن راهوية قالوا يصلي في حال شدة الخوف ركعة وقال الشافعي ومالك وجمهور العلما صلاة الخوف كصلاة الامن في عدد الركعات فان كان الخوف في الحضر وجب عليه ان يصلي اربع ركعات وان كان في السفر صلى ركعتين ولا يجوز الاقتصار على ركعة واحدة في حال من الاحوال وتاولوا حديث ابن عباس هذا على ان المراد به ركعة مع الامام وركعة اخرى ياتي بها منفردا كما جاءت الاحاديث الصحيحة في صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه في صلاة الخوف وهذا التاويل لا بد منه للجمع بين الاحاديث وقوله تعالى **فاذا امنتم** يعني من خوفكم **فاذكروا الله** اى صلوا لله الصلوات الخمس تامة باذكارها وسننها **كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون** فيه اشارة الى انعام الله تعالى علينا بالعلم ولولا هدايته وتعليمه اياانا لم نعلم شيئا ولم نهتد الى معرفة شيء فله الحمد على ذلك قوله عز وجل **والذين يتوفون منكم** يعني يا معشر الرجال **ويذرون ازواجا** يعني ذوجات **وصية لازواجهم** قرى بالنصب على معنى فليوصوا وصية وبالرفع على معنى كتب عليكم وصية

متاعا الى الحول اى متعوهن متاعا وقيل جعل الله لهن متاعا والمتاع نفقة اطعامها وكسوتها وما تحتاج اليه **غير اخراج** اى غير مخرجات من بيوتهن نزلت هذه الاية في رجل من اهل الطايف يقال له حكيم بن الحارث هاجر الى المدينة ومعه ابواه وامراته وله اولاد فمات فوقع ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى هذه الاية فاعطى النبي صلى الله عليه وسلم ابويه واولاده ميراثه ولم يعط امراته شيئا وامرهم ان ينفقوا عليها من تركة زوجها حولا وكان الحكم في ابتداء الاسلام اذا مات الرجل اعتدت زوجته حولا وكان يحرم عليها الخروج من البيت قبل تمام الحول وكان نفقتها واسكناها واجبة في مال زوجها تلك السنة وليس لها من الميراث شيء ولكنها تاكل من الميراث فان شاءت اعتدت في بيت زوجها ولها النفقة والسكنى وان شاءت خرجت قبل تمام الحول وليس لها سكنى ولا نفقة وكان يجب على الرجل ان يوصي بذلك فذلك هذه الاية على مجموع امرين احدهما ان لها النفقة والسكنى من مال زوجها سنة والثاني ان عليها عدة سنة ثم ان الله تعالى نسخ هذين الحكمين اما الوصية بالنفقة والسكنى فنسخ باية الميراث فجعل لها الربع او الثمن عوضا عن النفقة والسكنى ونسخ عدة الحول باربعة اشهر وعشرا فان قلت كيف نسخت الاية المتقدمة المتاخرة قلت قد تكون الاية المتقدمة متاخرة في التلاوة متاخرة في التنزيل كقوله تعالى سيقول السفهاء من الناس مع قوله تعالى قد نرى تقلب وجهك في السماء وقوله تعالى **فان خرجن فلا جناح عليكم** يعني يا معشر اولياء الميت **فيما فعلن في انفسهن من معروف** يعني التزين للنكاح ولا رفع الحرج عن الورثة وجهان احدهما انه لا جناح عليكم في قطع النفقة عنهن اذا خرجن قبل انقضاء الحول والوجه الثاني لا جناح عليكم في ترك معقبين من الخروج لان مقامها وبيت زوجها حولا غير واجب عليها خيرها الله تعالى بين ان تقيم في بيت زوجها حولا ولها النفقة والسكنى وبين ان تخرج ولا نفقة لها ولا سكنى ثم نسخ الله تعالى ذلك باربعة اشهر وعشر **والله عزيز** اى غالب قوي في انتقامه ممن خالف امره ونهيه وتعدى حدوده **حكيم** يعني فيما شرع من الشرايع وبين من الاحكام قوله تعالى **وللمطلقات متاع بالمعروف** انما اعاد الله تعالى ذكر المتعة هنا لزيادة معنى وهو ان في غير هذه الاية بيان حكم جميع المطلقات في المتعة وقيل لانه لما نزل قوله تعالى ومتعوهن على الموسع قدره الى قوله حقا على المحسنين فقال رجل من المسلمين ان فعلت احسنت وان لم افعل لم افعل فانزل الله تعالى وللمطلقات متاع بالمعروف وجعل المتعة لهن بلام التمليك وقال تعالى **حقا على المتقين** يعني على المومنين الذين يتقون الشرك وقد تقدم احكام المتعة **كذلك يبين الله لكم اياته** يعني يبين لكم ما يلزمكم ويلزم ازواجكم لانها الموصون وعرفكم احكامي والحق الذي يجب لبعضكم على بعض في هذه الايات كذلك يبين لكم سايز احكامي في اياتي التي انزلتها على محمد صلى الله عليه وسلم في هذا الكتاب **لعلكم تعقلون** اى لكي تعقلوا ما بينت لكم من الفرايض والاحكام وما فيه صلاح دينكم وصلاح دنياكم قوله عز وجل **الم تر** قال اكثر المفسرين كانت قرية يقال لها داوردان وقع بها الطاعون فخرجت طايفة منها وبقيت طايفة فسلم الذين خرجوا وهلك اكثر من بقي بالقرية فلما ارتفع الطاعون رجع الذين خرجوا سالمين فقال الذين بقوا كان اصحابنا اخرم منا رايا لو صنعنا كما صنعوا لبقينا كما بقوا ولئن وقع الطاعون ثانية لنخرجن الى ارض لا وبا فيها فوقع الطاعون من قابل فهرب عامة اهلها فخرجوا حتى نزلوا واديا افيح اى اوسع فلما نزلوا المكان الذي يبتغون فيه النجاة نادا هم ملك من اسفل الوادي وملك اخر من اعلاه ان موتوا فماتوا جميعا ق ان عمر خرج الى الشام فلما جاء سرغ بلغه ان الوبا قد وقع بها فاخبره عبد الرحمن بن عوف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا سمعتم به بارض فلا تقدموا عليه واذا وقع بارض وانتم فيها فلا تخرجوا فرارا منه فحمد الله عمر ثم انصرف وقيل انما فر من شيء الى مثله فله الحمد على ذلك قوله عز وجل **الذين خرجوا من ديارهم** فروا من الجهاد وذلك ان ملكا من ملوك بني اسراييل امرهم ان يخرجوا الى قتال عدو هم فعسكروا ثم جبنوا وكرهوا الموت فاعتلوا وقالوا للملك انا لا نرى ان الارض التي ناتيها بها وبا فلا نخرج حتى ينقطع منها الوبا فارسل الله

عليهم الموت فخرجوا فرارا منه فلما رأى الملك ذلك قال اللهم رب يعقوب وإله موسى قد ترى معصية عبادك فأرهم آية في أنفسهم
حتى يعلموا أنهم لا يستطيعون الفرار منك فلما خرجوا قال الله لهم موتوا عقوبة لهم فماتوا وماتت دوابهم كموت رجل واحد
فأتى عليهم ثمانية أيام حتى انتفخوا وأروحت أجسادهم فخرج الناس إليهم فعجزوا عن دفنهم فحظروا حظيرة دون السباع
فذلك قوله تعالى ألم تر يعني ألم تعلم يا محمد بإعلامي إياك وهو من رؤية القلب قال أهل المعاني هو تعجيب له يقول هل رأيت مثل
هؤلاء كما تقول ألم تر إلى صنيع فلان وكل ما في القرآن من قوله ألم تر ولم يعاينه النبي صلى الله عليه وسلم فهذا معناه إلى
الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف قيل هو من العدد واختلفوا في مبلغ عددهم فقيل ثلاثة آلاف وقيل عشرة آلاف
وقيل بضعة وثلاثون ألفا وقيل أربعون ألفا وقيل سبعون ألفا وأصح الأقاويل قول من قال إنهم كانوا زيادة على عشرة آلاف
لأن الله تعالى قال وهم ألوف والألوف جمع الكثير وجمع القليل آلاف وقيل معنى وهم ألوف مؤتلفون جمع آلف والأول أصح قال
فمر عليهم مدة فبليت أجسامهم وعريت عظامهم فمر عليهم حزقيل بن بوذي وهو ثالث خلفاء بني إسرائيل بعد موسى وذلك أن القيم
بأمر بني إسرائيل بعد موسى كان يوشع بن نون ثم بعده كالب بن يوقنا ثم قام بعده حزقيل وكان يقال له ابن العجوز لأن أمه
كانت عجوزا فسألت الله تعالى الولد بعد ما كبرت وعقمت فوهب الله لها حزقيل ويقال له ذا الكفل سمي به لأنه تكفل سبعين
نبيا وأنجاهم من القتل فلما مر حزقيل على أولئك الموتى وقف عليهم وجعل يتفكر فيهم فأوحى الله تعالى إليه أتريد أن أريك
آية قال نعم يا رب فأحياهم الله تعالى وقيل دعا حزقيل ربه أن يحييهم فأحياهم الله تعالى وقيل إنهم كانوا قومه أحياهم الله
بعد ثمانية أيام وذلك أنه لما أصابهم ذلك خرج في طلبهم فوجدهم موتى فبكى وقال يا رب كنت في قوم يعبدونك ويذكرونك
فبقيت وحيدا لا قوم لي فأوحى الله إليه إني قد جعلت حياتهم إليك فقال حزقيل احيوا بإذن الله تعالى فعاشوا وقيل
إنهم قالوا حين أحيوا سبحانك ربنا وبحمدك لا إله إلا أنت ثم رجعوا إلى قومهم وعاشوا دهرا طويلا وسحنة الموت
على وجوههم لا يلبسون ثوبا إلا عاد دسما مثل الكفن حتى ماتوا لآجالهم التي كتبت لهم قال ابن عباس وإنها لتوجد
اليوم تلك الريح في ذلك السبط من اليهود وقال قتادة مقتهم الله على فرارهم من الموت فأماتهم عقوبة لهم ثم بعثوا
ليستوفوا بقية آجالهم ولو جاءت آجالهم لما بعثوا فإن قلت كيف أميت هؤلاء مرتين في الدنيا وقد قال الله تعالى لا يذوقون
فيها الموت إلا الموتة الأولى قلت إن موتهم كان عقوبة لهم كما قال قتادة وقيل إن موتهم وإحياءهم كان معجزة من معجزات
ذلك النبي ومعجزات الأنبياء خوارق العادة ونوادر فلا يقاس عليها فيكون تقدير قوله إلا الموتة عام مخصوص بمعجزات
الأنبياء فيكون تقدير قوله إلا الموتة الأولى أي التي ليست من معجزات الأنبياء ولا من خوارق العادات وفي هذه الآية
احتجاج على اليهود ومعجزة عظيمة لنبينا صلى الله عليه وسلم حيث أخبرهم بأمر لم يشاهده وهم يعلمون صحة ذلك
وفيه احتجاج على منكري البعث أيضا إذ قد أخبر الله تعالى وهو الصادق في خبره أنه أماتهم ثم أحياهم في الدنيا فهو
تعالى قادر على أن يحييهم يوم القيامة حذر الموت أي مخافة الطاعون وكان قد نزل بهم وقيل إنهم أمروا بالجهاد ففروا
منه حذر الموت فقال لهم الله موتوا يحتمل أنهم ماتوا عند قوله تعالى موتوا ويحتمل أن يكون ذلك من تحويل كقوله
تعالى كونوا قردة خاسئين ثم أحياهم يعني بعد موتهم إن الله لذو فضل على الناس يعني أنه تعالى تفضل على
أولئك الذين أماتهم بإحيائهم لأنهم ماتوا على معصية فتفضل عليهم بإعادتهم إلى الدنيا ليتوبوا وقيل هو على العموم فهو تعالى
يتفضل على كافة الخلق في الدنيا ويخص المؤمنين بفضله يوم القيامة ولكن أكثر الناس لا يشكرون يعني أن أكثر
من أنعم عليهم لا يشكروه أما الكافر فإنه لم يشكر أصلا وأما المؤمنون فلم يبلغوا غاية شكره قوله تعالى وقاتلوا في سبيل الله
قيل هو خطاب للذين أحيوا أحياهم الله ثم أمرهم بالجهاد فعلى هذا القول فيه إضمار تقديره وقيل لهم قاتلوا في سبيل الله وقيل
هو خطاب لأمة محمد صلى الله عليه وسلم ومعناه لا تهربوا من الموت كما هرب هؤلاء فلم ينفعهم ذلك ففيه تحريض المؤمنين على الجهاد
واعلموا أن الله سميع يعني لما يقوله المتعلل عن القتال عليم بما يضمره قوله عز وجل من ذا الذي يقرض الله قرضا

حسنا القرض اسم لكل ما يعطيه الإنسان ليجازى عليه فسمى الله تعالى عمل المؤمنين له قرضا على رجاء ما وعدهم به من الثواب
لأنهم يعملون لطلب الثواب وقيل القرض ما أسلفت من عمل صالح أو سيئ قال أمية بن أبي الصلت كل امرئ سوف يجزى قرضه حسنا
أو سيئا أو مدينا كالذي دانا وأصل القرض في اللغة القطع سمي به لأن المقرض يقطع من ماله شيئا فيعطيه ليرجع إليه مثله
ومعنى الآية من ذا الذي يقدم لنفسه إلى الله ما يرجو ثوابه عنده وهذا تلطف من الله تعالى في استدعاء عباده إلى أعمال البر
والطاعة وقيل في الآية اختصار تقديره من ذا الذي يقرض عباد الله المحتاجين من خلقه فهو كقوله إن الذين يؤذون الله
أي يؤذون عباد الله وكما جاء في الحديث الصحيح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى
يوم القيامة يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني قال يا رب كيف وأنت رب العالمين قال استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه
أما لو علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي الحديث واختلفوا في المراد بهذا القرض فقيل هو الإنفاق في سبيل الله
وقيل هو الصدقة الواجبة وقيل هو صدقة التطوع لأن الله تعالى سماه قرضا والقرض لا يكون إلا تبرعا ولما روى الطبري
بسنده عن ابن مسعود قال لما نزلت من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا قال أبو الدحداح وإن الله يريد منا القرض قال
النبي صلى الله عليه وسلم نعم يا أبا الدحداح قال أرني يدك قال فناوله يده قال فإني قد أقرضت ربي حائطي حائطا فيه
ستمائة نخلة ثم جاء يمشي حتى أتى الحائط وأم الدحداح فيه في عيالها فناداها يا أم الدحداح قالت لبيك قال اخرجي
من الحائط فإني قد أقرضته لربي زاد غيره فقال النبي صلى الله عليه وسلم كم من عذق رداح لأبي الدحداح وقيل في
معنى يقرض الله ينفق في طاعته فيدخل فيه الواجب والتطوع وهو الأقرب حسنا يعني محتسبا طيبة به نفسه وقيل هو الإنفاق
من المال الحلال في وجوه البر وقيل هو أن لا يمن بالقرض ولا يؤذي وقيل هو الخالص لله تعالى ولا يكون فيه رياء ولا سمعة
فيضاعفه له يعني ثواب ما أنفق أضعافا كثيرة قيل هو يضاعفه إلى سبعمائة ضعف وقال السدي هو التضعيف
لا يعلمه إلا الله وهذا هو الأصح وإنما أبهم ذلك لأن ذكر المبهم في باب الترغيب أقوى من ذكر المحدود والله يقبض ويبسط
قيل يقبض بإمساك الرزق والتقتير على من يشاء ويبسط يعني يوسع على من يشاء وقيل يقبض بقبول الصدقة ويبسط
بالخلف والثواب وقيل إنه تعالى لما أمرهم بالصدقة وحثهم على الإنفاق أخبر أنه لا يمكنهم ذلك إلا بتوفيقه وإرادته
وإعانته والمعنى فالله يقبض بعض القلوب حتى لا تقدر على فعل الطاعة وعمل الخير ويبسط بعض القلوب حتى تقدر
على فعل الطاعات والإنفاق في البر كما روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول إن قلوب بني آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اللهم مصرف القلوب ثبت قلوبنا على طاعتك أخرجه مسلم وهذا الحديث من أحاديث الصفات التي يجب الإيمان بها
والسكوت عنها وإمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا إثبات جارحة هذا مذهب أهل السنة وسلف هذه
الأمة وإليه ترجعون يعني في الآخرة فيجزيكم بأعمالكم قوله تعالى ألم تر إلى الملإ من بني إسرائيل الملأ
أشراف القوم ووجوههم وأصله من الناس لا واحد له من لفظه كالقوم والرهط من بعد موسى أي من بعد موت الجماعة
موسى أو من بعد زمنه إذ قالوا لنبي لهم يعني أولئك الملأ اختلفوا في ذلك النبي فقيل هو يوشع بن نون
ابن أفرائيم بن يوسف بن يعقوب وقيل هو شمعون بن صفية بن علقمة من ولد لاوي بن يعقوب وإنما سمي شمعون لأن أمه
دعت الله أن يرزقها غلاما فاستجاب الله لها فولدت غلاما فسمته شمعون ومعناه سمع الله دعائي وتبدل السين
بالعبرانية شينا وقال أكثر المفسرين هو اشمويل بن بالي وقيل ابن هلقانا قيل إنه من ولد هارون ومعرفة حقيقة ذلك النبي
بعينه ليس مرادا من القصة إنما المراد منها الترغيب في الجهاد وحاصل ذكر الإشارة إلى القصة كأن سبب مسألة
أولئك الملأ لذلك النبي أنه لما مات موسى عليه السلام وخلف من بعده في بني إسرائيل يوشع بن نون يقيم فيهم أمر الله ويحكم
بالتوراة حتى قبضه الله ثم خلف من بعده كالب بن يوقنا كذلك ثم حزقيل كذلك حتى قبضه الله فعظمت الأحداث بعده

في بني إسرائيل ونسوا عهد الله حتى عبدوا الأصنام فبعث الله إليهم إلياس نبيا فدعاهم إلى الله تعالى وكانت الأنبياء من بني إسرائيل من بعد موسى يبعثون إليهم ليجددوا ما نسوا من التوراة ويأمروهم بالعمل بأحكامها ثم خلف من بعد إلياس اليسع فكان فيهم ما شاء الله تعالى ثم قبضه الله تعالى ثم خلف من بعده خلوف وعظمت فيهم الخطايا فظهر لهم عدو يقال لهم البلثاثا وهم قوم جالوت وكانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين وهم العمالقة فظهروا على بني إسرائيل وغلبوا على كثير من أرضهم وسبوا كثيرا من ذراريهم وأسروا من أبناء ملوكهم أربعمائة وأربعين غلاما فضربوا عليهم الجزية وأخذوا توراتهم ولقي بنو إسرائيل منهم بلاء وشدة ولم يكن لهم نبي يدبر أمرهم وكان سبط النبوة قد هلكوا كلهم إلا امرأة حبلى فحبسوها في بيت رهيبة أن تلد جارية فتبدلها بغلام لما ترى من رغبة بني إسرائيل في ولدها وجعلت المرأة تدعو أن الله يرزقها غلاما فولدت غلاما فسمته أشمويل ومعناه بالعبرانية إسماعيل تقول سمع الله دعائي فلما كبر الغلام أسلمته التوراة في بيت المقدس وكفله شيخ من علمائهم وتبناه فلما بلغ الغلام أتاه جبريل عليه السلام وهو نائم إلى جنب الشيخ وكان الشيخ لا يأمن عليه أحدا فدعاه جبريل بلحن الشيخ يا أشمويل فقام الغلام فزعا إلى الشيخ وقال يا أبتاه رأيتك دعوتني فكره الشيخ أن يقول لا فيفزع الغلام فقال يا بني ارجع فنم فدعاه الثانية فقال الغلام دعوتني فقال نم فإن دعوتك فلا تجبني فلما كان الثالثة ظهر له جبريل عليه السلام وقال له اذهب إلى قومك فبلغهم رسالة ربك فإن الله قد بعثك فيهم نبيا فلما أتاهم كذبوه وقالوا له استعجلت بالنبوة ولم تنلك وقالوا له إن كنت صادقا فابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله آية على نبوتك وإنما كان قوام أمر بني إسرائيل بالاجتماع على الملوك وطاعة الملوك أنبياءهم وكان الملك هو الذي يسير بالجموع والنبي هو الذي يقيم له أمره ويشير عليه ويرشده ويأتيه بالخبر من ربه قال وهب فبعث الله أشمويل نبيا فلبثوا أربعين سنة بأحسن حال ثم كان من أمر جالوت والعمالقة ما كان فذلك قوله تعالى **ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله** جزم على جواب الأمر فلما قالوا له ذلك **قال** يعني قال النبي **هل عسيتم** هذا استفهام شك يقول العالم **إن كتب عليكم** أي فرض عليكم **القتال** أي مع ذلك الملك **ألا تقاتلوا** يعني لا تفوا بما قلتم وتجبنوا عن القتال معه **قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله** فإن قلت ما وجه دخول أن والعرب لا تقول ما لك أن لا تفعل كذا ولكن تقول ما لك لا تفعل كذا قلت دخول أن وحذفها لغتان صحيحتان فالإثبات كقوله ما لك أن لا تكون مع الساجدين والحذف كقوله ما لكم لا تؤمنون وقيل معناه وما لنا في أن لا نقاتل بحذف حرف الجر وقيل أن هنا زائدة ومعناه ما لنا لا نقاتل في سبيل الله **وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا** أي أخرج من غلب عليهم من ديارهم فظاهر الكلام العموم وباطنه الخصوص لأن الذين قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا كانوا في ديارهم وأوطانهم وإنما أخرج من أسر منهم ومعنى الآية أنهم قالوا لنبيهم إنا إنما كنا تركنا الجهاد لأنا كنا ممنوعين في بلادنا أن لا يظهر علينا عدونا فإذا بلغ ذلك منا فنطيع ربنا في جهاد عدونا ونمنع نساءنا وأولادنا قال الله تعالى **فلما كتب عليهم القتال** في الكلام حذف تقديره فسأل الله ذلك النبي فبعث الله إليهم ملكا وكتب عليهم القتال **تولوا** أي أعرضوا عن الجهاد وضيعوا أمر الله **إلا قليلا منهم** يعني لم يتولوا عن الجهاد وهم الذين عبروا النهر مع طالوت واقتصروا على الغرفة على ما سيأتي في قصتهم إن شاء الله تعالى **والله عليم بالظالمين** يعني هو عالم بمن ظلم نفسه حتى خالف أمر ربه ولم يف بما قال قوله تعالى **وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا** وذلك أن أشمويل سأل الله عز وجل أن يبعث لهم ملكا فأتي بعصى وقرن فيه دهن القدس وقيل له إن صاحبكم الذي يكون ملكا يكون طوله طول هذه العصى وانظر إلى القرن الذي فيه الدهن فإذا دخل عليك رجل فنش الدهن في القرن فهو ملك بني إسرائيل فادهن رأسه بالدهن وملكه عليهم واسمه طالوت بالعبرانية ساؤل بن قيس من سبط بنيامين بن يعقوب وإنما سمي طالوت لطوله وكان أطول من جميع الناس برأسه ومنكبيه وكان طالوت رجلا دباغا يدبغ الأديم قال وهب وقيل كان سقاء يستقي الماء على حمار فضل حماره فخرج يطلبه وقال وهب ضلت حمر لأبي طالوت فأرسله أبوه ومعه غلام في طلبها فمرا على بيت أشمويل النبي فقال الغلام

طالوت لو دخلنا على هذا النبي فسألناه عن أمر الحمر ليرشدنا أو يدعو لنا فدخلا عليه فبينما هما عنده يذكران له حاجتهما إذ نش الدهن في القرن فقام أشمويل فقاس طالوت بالعصا فكانت على طوله فقال لطالوت قرب رأسك فقربه إليه فدهنه بدهن القدس وقال له أنت ملك بني إسرائيل الذي أمرني الله تعالى أن أملكك عليهم فقال طالوت أوما علمت أن سبطي أدنى أسباط بني إسرائيل قال بلى قال فبأي آية قال بآية أنك ترجع وقد وجد أبوك حمره فكان كذلك ثم قال لبني إسرائيل إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا وقيل إنه جلس عنده وقال الناس ملك طالوت فأتت عظماء بني إسرائيل إلى نبيهم أشمويل وقالوا له ما شأن طالوت يملك علينا وليس هو من بيت النبوة ولا المملكة وقد عرفت أن النبوة في سبط لاوي بن يعقوب والمملكة في سبط يهوذا بن يعقوب فقال لهم نبيهم أشمويل إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا **قالوا أنى يكون له الملك علينا** أي من أين يكون له الملك وكيف يستحقه **ونحن أحق بالملك منه** إنما قالوا ذلك لأنه كان في بني إسرائيل سبطان سبط نبوة وسبط مملكة فسبط النبوة سبط لاوي بن يعقوب ومنه كان موسى وهارون عليهما السلام وسبط المملكة سبط يهوذا بن يعقوب ومنه كان داود وسليمان عليهما السلام ولم يكن طالوت من أحدهما وإنما كان من بنيامين بن يعقوب فلهذا السبب أنكروا كونه ملكا وزعموا أنهم أحق بالملك منه ثم إنهم أكدوا ذلك بقوله **ولم يؤت سعة من المال** يعني أنه فقير والملك يحتاج إلى المال **قال** يعني أشمويل النبي **إن الله اصطفاه عليكم** أي اختاره عليكم وخصه بالملك وفي هذه الآية دليل على بطلان قول من زعم من الشيعة أن الإمامة موروثة وذلك لأن بني إسرائيل أنكروا أن يكون ملكهم من لا يكون من بيت المملكة فرد الله عليهم وأعلمهم أن هذا شرط فاسد والمستحق للملك من خصه الله به **وزاده بسطة** أي فضيلة وسعة **في العلم** وذلك لأنه كان من أعلم بني إسرائيل وقيل إنه أوحي إليه حين أوتي الملك وقيل هو العلم في الحرب **والجسم** يعني بالطول وذلك لأنه كان أطول الناس برأسه ومنكبيه وقيل بالجمال وكان طالوت من أجمل بني إسرائيل وقيل المراد به القوة لأن العلم بالحروب والقوة على الأعداء إنما فيه حفظ الملك **والله يؤتي ملكه من يشاء** يعني أنه تعالى واسع الفضل والرزق والرحمة وسعت رحمته كل شيء ووسع فضله ورزقه كل خلقه والمعنى أنكم طعنتم في طالوت بكونه فقيرا **والله واسع** الفضل والرزق فإذا فوض إليه الملك فتح عليه أبواب الرزق والمال من فضله وسعته وقيل الواسع ذو السعة وهو الذي يعطي عن غنى **عليم** يعني أنه تعالى مع قدرته على إغناء الفقير عليم بما يحتاج إليه في تدبير نفسه وملكه والعليم هو العالم بما يكون وما كان قوله عز وجل **وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت** وذلك أنهم سألوا أشمويل فقالوا وما آية ملكه فقال إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت وكان **قصة** التابوت على ما ذكره علماء السير والأخبار أن الله تعالى أنزل على آدم عليه السلام تابوتا فيه صور الأنبياء وكان التابوت من خشب الشمشاد طوله ثلاثة أذرع في عرض ذراعين فكان عند آدم ثم صار إلى شيث ثم توارثه أولاد آدم إلى أن بلغ إبراهيم عليه السلام ثم كان عند إسماعيل لأنه كان أكبر أولاده ثم صار إلى يعقوب ثم كان في بني إسرائيل إلى أن وصل إلى موسى عليه السلام فكان يضع فيه التوراة ومتاعا من متاعه فكان عنده إلى أن مات ثم تداوله أنبياء بني إسرائيل إلى وقت أشمويل وكان في التابوت ما ذكره الله وهو قوله **فيه سكينة من ربكم** واختلفوا في تلك السكينة ما هي فقال علي بن أبي طالب هي ريح خجوج هفافة لها رأسان ووجه كوجه الإنسان وقال مجاهد هي شيء يشبه الهرة لها رأس كرأس الهرة وذنب كذنب الهرة ولها جناحان وقيل له عينان لهما شعاع وجناحان من زمرد وزبرجد وكانوا إذا سمعوا صوته تيقنوا النصر فكانوا إذا خرجوا وضعوا التابوت قدامهم فإذا سار ساروا وإذا وقف وقفوا وقال ابن عباس هي طست من ذهب من الجنة كان يغسل فيه قلوب الأنبياء وقال وهب هي روح من الله تعالى يتكلم إذا اختلفوا في شيء فتخبرهم ببيان ما يريدون وقال عطاء بن أبي رباح هي ما يعرفون من الآيات التي يسكنون إليها وقال قتادة

يكونوا م

والكلبي هي فعيلة من السكون اي طمأنينة من ربكم ففي اي مكان كان التابوت اطمأنوا اليه وسكنوا اليه وهذا القول اولى بالصحة فعلى هذا كل شيء كانوا اليه فهو سكينة فيحمل على جميع ما قيل فيه لان كل شيء يسكن القلب اليه فهو سكينة ولم يرد فيه نص صريح فالمعول عليه تصويب قول وتضعيف آخر وقوله تعالى **وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون** يعني موسى وهارون انفسهما بدليل قوله صلى الله عليه وسلم لابي موسى لقد اوتيت مزمارا من مزامير آل داود والمراد داود نفسه واختلفوا في تلك البقية التي تركها آل موسى وآل هرون فقيل هي رضاض من الواح التوراة وعصى موسى قال ابن عباس وقيل عصى موسى وعصى هرون وشيء من الواح التوراة وقيل كانت العلم والتوراة وقيل كان فيه عصى موسى ونعلاه وعصى هارون وعمامته وقفيز من المن الذي كان ينزل على بني اسرائيل فكان التابوت يخبئ بني اسرائيل يتوارثونه قرنا بعد قرن وكانوا اذا اختلفوا في شيء يتحاكمون اليه فيتكلم ويحكم بينهم وكانوا اذا حضروا القتال قدموه بين ايديهم يستفتحون به على عدوهم فينصرون فلما عصوا وافسدوا سلط الله عليهم العمالقة فغلبوهم على التابوت واخذوه منهم وكان السبب في ذلك انه كان لعيلى وهو الشيخ الذي رباه اسمويل بنان شابان وكان عيلى حبر بني اسرائيل وصاحب قربانهم في زمنه فاحدث ابناه في القربان شيئا لم يكن فيه وذلك انه كان منسط القربان الذي كانوا يشوطونه به كالدبين فما اخرجاه كان لكاهن الذي يشوطه فجعل ابناه كلاليكا ان التسليصليين في بيت المقدس فيقتتلان بهن فاوحى الله الى اسمويل ان انطلق الى عيلى وقل له منعك حبك الولد ان ترجو ابنيك عن ان يحدثا في قرباني وقدسي شيئا وان تعصيني فلاترعى عن الكهانة منك ومن ولدك ولاهلكنك واياهما فاخبره اسمويل بذلك ففزع وسار اليهم عدوهم من حوههم فامر عيلى ابنيه ان يخرجا بالناس فيقاتلا العدو ففعلا واخرجا معهم التابوت فلما تهيئوا للقتال جعل عيلى يتوقع الخبر فجاء رجل فاخبره ان الناس قد انهزموا وقتل ابناه قال فما فعل التابوت قال اخذه العدو وكان عيلى قاعدا على كرسيه فشهق ووقع على قفاه فمرج امر بني اسرائيل وتفرقوا الى ان بعث الله طالوت ملكا فسالوا اسمويل البينة على صحة ملك طالوت فقال لهم نبيهم يعني اسمويل ان اية ملكه يعني علامة ملكه التي تدل على صحته ان ياتيكم التابوت وكان قصة رجوع التابوت على ما ذكره اصحاب الاخبار ان الذين اخذوا التابوت من بني اسرائيل اتوا به قرية من قرى فلسطين يقال لها ازدود فجعلوه في بيت اصنامهم ووضعوه تحت الصنم الاعظم فاصبحوا من الغد والصنم تحته فاخذوه ووضعوه فوقه وسمروا قدمي الصنم على التابوت فاصبحوا وقد قطعت يدا الصنم ورجلاه واصبح الصنم ملقى تحت التابوت واصبحت اصنامهم منكسة فاخرجوا التابوت من بيت الاصنام ووضعوه في ناحية من مدينتهم فاخذ تلك الناحية وجع في اعناقهم حتى هلك اكثرهم فقال بعضهم لبعض ليس قد علمتم ان اله بني اسرائيل لا يقوم له شيء فاخرجوه الى قرية اخرى فبعث الله على اهل تلك الناحية فارا فكانت الفارة تثب الرجل فيصبح ميتا وقد اكلت ما في جوفه فاخرجوه الى الصحراء ودفنوه في مخراة لهم فكان كل من يتبرز هناك اخذه الباسور والقولنج فتحيروا فيه فقالت امراة من بني اسرائيل كانت عندهم وهي من بنات الانبياء لا ترالون ترون ما تكرهون ما دام هذا التابوت فيكم فاخرجوه عنكم فاقروه بعجلة باشارة تلك المراة وحملوا عليها التابوت ثم علقوها على ثورين وضربوا وجوههما فاقبل الثوران يسيران ووكل الله بالثورين اذ بعة املاك يسوقونهما فاقبلا حتى وقفا على ارض بني اسرائيل فكسرا نيرهما وقطعا جبالهما ووضعا التابوت في ارض فيها حصاد لبني اسرائيل ورجعا الى ارضهما فلم يدع بنو اسرائيل الا والتابوت عندهم فكبروا وحمدوا الله تعالى **تحمله الملائكة** اي تسوقه وقال ابن عباس جاءت الملائكة بالتابوت تحمله بين السماء والارض وهم ينظرون اليه حتى وضعته عند طالوت وقال الحسن كان التابوت مع الملائكة في السماء فلما ولي طالوت الملك حملته الملائكة ووضعته بينهم وقال قتادة بل كان التابوت في البيت خلفه موسى عند يوشع بن نون فبقي هناك فاقبلت الملائكة تحمله حتى وضعته في دار طالوت فاصبح في داره فاقروا بالملك **ان في ذلك لاية لكم** يعني قال لهم

بينهم اسمويل ان في مجيء التابوت تحمله الملائكة لاية لكم يعني علامة ودلالة على صدقي فيما اخبركم به ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا **ان كنتم مؤمنين** يعني مصدقين بذلك المفسرون فلما جاءهم التابوت واقروا بالملك لطالوت تاهب للخروج الى الجهاد فاسرعوا في طاعته وخرجوا معه فذلك قوله تعالى **فلما فصل طالوت بالجنود** اي خرج واصل الفصل القطع يعني قطع مستقره شاخصا الى غير مخرج طالوت من بيت المقدس بالجنود وهم سبعون الف مقاتل وقيل ثمانون الفا وقيل مائة وعشرون الفا ولم يتخلف عنه الا كبير يكبره او مريض لمرضه او معذور ليعذره وذلك انهم لما رأوا التابوت لم يشكوا في النصر فسارعوا الى الخروج في الجهاد وكان مسيرهم في حر شديد فشكوا الى طالوت قلة الماء بينهم وبين عدوهم وقالوا ان المياه لا تحملنا فادع الله ان يجري لنا نهرا فقال طالوت **ان الله مبتليكم بنهر** اي مختبركم به ليتبين طاعتكم وهو اعلم بذلك قال ابن عباس هو نهر فلسطين وقيل هو نهر عذيب بين الاردن وفلسطين **فمن شرب منه فليس مني** اي فليس من اهل ديني وطاعتي **ومن لم يطعمه** اي لم يذقه يعني الماء **فانه مني** يعني من اهل طاعتي **الا من اغترف غرفة بيده** قرئ بفتح العين وضمها الغترف وقيل الغرفة بالضم الذي يحمل في الكف من الماء والغرفة بالفتح الاغتراف فالضم اسم والفتح مصدر **فشربوا منه** يعني من النهر **الا قليلا منهم** قيل هم اربعة الاف لم يشربوا منه وقيل ثلثمائة وبضعة عشر رجلا وهو الصحيح ويدل على ذلك ما روي عن البراء ابن عازب رضي الله عنه قال كان اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يتحدثون ان عدة اصحاب بدر على عدة اصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر لم يجاوزه معه الا بضعة عشر رجلا وقيل ثلثمائة اخرجه البخاري وقيل البضع هنا ثلاثة عشر فلما وصلوا الى النهر القى عليهم العطش فشرب منه الكل الا هذا العدد القليل وكان من اغترف كما امره الله تعالى عرفة كفته لشربه وشربه دابه وقوي قلبه وصح ايمانه وعبر النهر سالما والذين شربوا منه وخالفوا امر الله تعالى اسودت شفاههم وغلبهم العطش ولم يروا وحسوا وبقوا على شط النهر ولم يجاوزوه وقيل جاوزوا وكلهم ولكن الذين شربوا لم يحصروا والقتال انما قاتل اولئك القليل الذين لم يشربوا وهو قوله تعالى **فلما جاوزه هو** يعني جاوز النهر طالوت **والذين امنوا معه** يعني اولئك القليل **قالوا** يعني الذين شربوا من النهر وخالفوا امر الله وكانوا اهل شك ونفاق فعلى هذا يكون جاوز النهر مع طالوت المؤمن والمنافق والطايع والعاصي فلما راوا العدو قال المنافقون **لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده** فاجابهم المؤمنون بقولهم كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة وقيل لم يجاوز النهر مع طالوت الا المؤمنون خاصة لقوله تعالى فلما جاوزه هو والذين امنوا معه فان قلت فعلى هذا القول من القائل لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قلت يحتمل ان يكون اهل الايمان وهم الثلثمائة وبضعة عشر انقسموا الى قسمين حين راوا العدو فقسم قالوا لما راوا العدو وكثرتهم وقلة المؤمنين لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده فاجابهم القسم الاخر بقولهم كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ومعنى لا طاقة لنا اليوم لا قوة لنا اليوم بجالوت وجنوده **قال الذين يظنون** اي يتيقنون ويعلمون **انهم ملاقوا الله** اي ملاقوا ثواب الله ورضوانه في الدار الاخرة **كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله** الفئة الجماعة لا واحد له من لفظه كالرهط **غلبت فئة كثيرة باذن الله** اي بقضاء الله وقدرته وارادته **والله مع الصابرين** يعني بالنصر والمعونة قوله عز وجل **ولما برزوا** يعني طالوت وجنوده المؤمنين **لجالوت وجنوده** يعني المشركين ومعنى برزوا صاروا بالبراز من الارض وهو ما ظهر واستوى منها **قالوا** يعني المؤمنين اصحاب طالوت **ربنا افرغ علينا** اي اصبب علينا **صبرا وثبت اقدامنا** اي قوها لنثبت اقدامنا **وانصرنا على القوم الكافرين** وذلك انهم جالوت وقومه كانوا يعبدون الاصنام فسال المؤمنون الله ان ينصرهم على القوم الكافرين **فهزموهم باذن الله** يعني ان الله تعالى استجاب دعاء المؤمنين فافرغ عليهم الصبر وثبت اقدامهم ونصرهم على القوم الكافرين حين التقوا فهزموهم باذن الله يعني بقضائه

وارادته واصل الهزم في اللغة الكسر اي كسروهم وردوهم **وقتل داود جالوت** وكانت قصة قتله على ما ذكر اهل التفسير
واصحاب الاخبار انه عبر النهر فيمن عبر مع طالوت ايشا ابو داود في ثلاثة عشر ابنا له وكان داود اصغرهم وكان يرمي بالقذافة
فقال داود لابيه يوما يا ابتاه ما ارمي بقذافتي شيئا الا صرعته فقال له ابوه ابشر يا بني فان الله تعالى جعل رزقك في قذافتك
ثم اتاه مرة اخرى فقال يا ابتاه لقد دخلت بين الجبال فوجدت اسدا رابضا فركبته واخذت باذنه فلم يهجني فقال له ابوه
ابشر يا بني فان هذا خير يريده الله بك ثم اتاه يوما اخر فقال يا ابتاه اني لامشي بين الجبال فاسبح فما يبقى جبل الا سبح
معي فقال يا بني ابشر فان هذا خير اعطاكه الله تعالى قالوا فارسل جالوت الجبار الى طالوت ملك بني اسرائيل ان ابرز الي
وابرز الي من يقاتلني فان قتلني فلكم ملكي وان قتلته فلي ملككم فشق ذلك على طالوت ونادى
في عسكره من قتل جالوت زوجته ابنتي وناصفته ملكي فهاب الناس جالوت فلم يجبه احد فسال طالوت نبيهم ان
يدعو الله في ذلك فدعا الله فاتي بقرن فيه دهن القدس وتنور حديد وقيل له ان صاحبكم الذي يقتل جالوت هو الذي
يوضع هذا القرن على راسه حتى يدهن منه راسه ولا يسيل على وجهه بل يكون على راسه كهيئة الاكليل ويدخل في هذا
التنور فيملاه ولا يتقلقل فيه فدعا طالوت بني اسرائيل وجربهم فلم يوافقه احد منهم فاوحى الله تعالى الى نبيهم
ان في ولد ايشا من يقتل جالوت فدعا ايشا وقال له اعرض علي بنيك فاخرج له اثني عشر رجلا امثال السواري
فجعل يعرض واحدا واحدا على القرن فلا يرى شيئا فقال لايشا هل بقي لك ولد غير هؤلاء فقال لا فقال النبي صلى الله عليه
وسلم يا رب انه قد زعم انه لا ولد له غيرهم فقال له كذب فقال له النبي ان ربي قد كذبك فقال ايشا صدق ربي يا نبي الله
ان لي ولدا صغيرا مسقاما اسمه داود استحييت ان يراه الناس لقصر قامته وحقارته فجعلته في الغنم يرعاها
وهو في شعب كذا وكان داود عليه السلام رجلا قصيرا مسقاما ازرق امعر اصفر فدعا به طالوت ويقال انه خرج
اليه فوجده في الوادي وقد سال الوادي ماء وهو يحمل شاتين يعبر بهما السيل الى الزريبة التي يريح فيها غنمه فلما
راه طالوت قال هذا هو الرجل المطلوب لا شك فيه فهذا يرحم البهائم فهو بالناس ارحم فدعاه طالوت ووضع
القرن على راسه ففش وفاض فقال له هل لك ان تقتل جالوت وازوجك ابنتي واجري خاتمك في ملكي قال نعم
فقال له انست من نفسك شيئا تتقوى به على قتله قال نعم انا ارعى الغنم فيجيء الاسد او النمر او الذئب فياخذ شاة
من الغنم فاقوم فافتح لحييه عنها فاخرقهما الى قفاه فاخذ طالوت داود ورده الى العسكر فمر داود عليه
السلام في طريقه بحجر فناداه يا داود احملني فاني حجر هارون فحمله ثم مر بحجر اخر فقال له يا داود احملني فاني
حجر موسى فحمله ثم مر بحجر اخر فقال له يا داود احملني فاني حجرك الذي تقتل به جالوت فحمله فوضع الثلاثة في مخلاته
فلما رجع طالوت الى العسكر ومعه داود وتهيأوا وتصافوا للقتال برز جالوت يطلب المبارزة انتدب له داود عليه
السلام فاعطاه طالوت فرسا وسلاحا فلبس السلاح وركب الفرس وسار قريبا ثم رجع الى طالوت فقال من حوله جبن
الغلام فجاء فوقف على طالوت فقال له ما شانك فقال داود عليه السلام ان لم ينصرني الله لم يغن هذا السلاح عني
شيئا وان نصرني فلا حاجة لي به فدعني اقاتل كما اريد قال نعم فاخذ داود مخلاته وتقلدها واخذ المقلاع بيده ومضى نحو
جالوت وكان جالوت من اشد الناس واقواهم وكان يهزم الجيوش وحده وكان له بيضة حديد وزنها ثلاثمائة رطل
فلما نظر الى داود وهو يريده وقع الرعب في قلبه فقال له جالوت وانت تبرز لي قال نعم وكان جالوت على فرس ابلق عليه
السلاح التام فقال اتيتني بالمقلاع والحجر كما يؤتى الكلب فقال نعم وانت شر من الكلب فقال جالوت لا جرم لاقسمن
لحمك بين سباع الارض وطير السماء فقال داود عليه السلام او يقسم الله لحمك ثم قال داود بسم اله ابراهيم
واخرج حجرا ثم قال بسم اله اسحق واخرج حجرا ثم قال بسم اله يعقوب واخرج حجرا ووضعها في مقلاعه فصارت
الثلاثة حجرا واحدا وادار داود المقلاع ورمى به جالوت فسخر الله له الريح فحملت الحجر حتى اصاب انف البيضة

فخلط دماغ جالوت فخرج من قفاه وقتل من ورائه ثلاثين رجلا وخر جالوت صريعا قتيلا فاخذه داود يجره حتى القاه
بين يدي طالوت ففرح بنو اسرائيل فرحا شديدا وهزم الله الجيش فرجع طالوت بالناس الى المدينة سالمين غانمين وجعل
الناس يذكرون داود فجاء الى طالوت وقال له انجز لي ما وعدتني به فقال اتريد ابنة الملك بغير صداق فقال داود ما شرطت
علي صداقا وليس لي شيء فقال لا اكلفك الا ما تطيق انت رجل جريء وفي جبالنا اعداء لنا غلف فان قتلت منهم مائتي
رجل وجئتني بغلفهم زوجتك ابنتي فاتاهم فجعل كلما يقتل واحدا منهم نظم غلفته في خيط حتى نظم مائتي غلفة فجاء بها
الى طالوت والقاها بين يديه وقال ادفع الي امراتي فزوجه ابنته واجرى خاتمه في ملكه فمال الناس الى داود عليه السلام
واحبوه واكثروا ذكره فحسده طالوت واراد قتله فاخبر بذلك ابنة طالوت رجل يقال له ذو العينين فاخبرت بذلك
داود وقالت له انك مقتول الليلة قال ومن يقتلني قالت ابي قال وهل اجرمت جرما يوجب القتل قالت حدثني بذلك من لا
يكذب ولا عليك ان تغيب الليلة حتى تنظر مصداق ذلك فقال لئن كان اراد ذلك فلا استطيع خروجا ولكن ائتيني بزق
خمر فاتته به فوضعه في مضجعه على سريره وسجاه ودخل داود تحت السرير فدخل طالوت نصف الليل فقال لابنته اين
بعلك قالت هو نائم على سريره فضربه بالسيف فسال الخمر فلما وجد ريح الخمر قال يرحم الله داود ما اكثر شربه للخمر وخرج
فلما اصبح علم انه لم يفعل شيئا فقال ان رجلا طلبت منه ما طلبت لحقيق ان لا يدعني حتى يدرك ثاره مني فاشتد حجابه
وحراسه واغلق ابوابه دونه ثم ان داود اتاه ليلة وقد هدات العيون واعمى الله عنه الحجبة ففتح الابواب ودخل عليه
وهو نائم على فراشه فوضع سهما عند راسه وسهما عند رجليه وسهما عن يمينه وسهما عن شماله وخرج فاستيقظ
طالوت فبصر بالسهام فعرفها فقال يرحم الله داود هو خير مني ظفرت به فقصدت قتله وظفر بي فكف عني ولو شاء
لوضع هذا السهم في حلقي وما انا بالذي امنه فلما كان من الليلة القابلة اتاه ثانيا فاعمى الله عنه الحجاب فدخل وهو
نائم فاخذ ابريق وضوئه وكوزه الذي يشرب منه وقطع شعرات من لحيته وشيئا من طرف ثوبه ثم خرج وتوارى فلما
اصبح طالوت وراى ذلك سلط على داود العيون وطلبه اشد الطلب فلم يقدر عليه ثم ان طالوت ركب يوما فوجد
داود يمشي في البرية فقال اليوم اقتله وركض في اثره فاشتد داود في عدوه وكان اذا فزع لم يدرك فدخل غارا
فاوحى الله الى العنكبوت فنسجت عليه فلما انتهى طالوت الى الغار ونظر الى بناء العنكبوت فقال لو كان هنا لتخرق هذا
النسج فانطلق طالوت وتركه فخرج داود حتى اتى جبل المتعبدين فتعبد معهم وطعن العلماء والعباد على طالوت في شان
داود فجعل طالوت لا ينهاه احد عن قتل داود الا قتله فقتل خلقا كثيرا من العلماء والعباد حتى اتى بامراة تعلم الاسم
الاعظم فامر جبارا بقتلها فرحمها الجبار فلم يقتلها وقال لعلنا نحتاج الى عالم فتركها فوقع في قلب طالوت التوبة
والندم على ما فعل واقبل على البكاء حتى رحمه الناس وكان كل ليلة يخرج الى القبور ويبكي ويقول وينادي انشد الله
عبدا يعلم لي توبة الا اخبرني بها فلما اكثر ذلك منه ناداه مناد من القبور يا طالوت اما ترضى ان قتلتنا حتى تؤذينا
امواتا فازداد حزنا وبكاء فدخل الجبار الى طالوت لما راى من حاله فقال ما لك ايها الملك فاخبره وقال هل تعلم
لي توبة او تعلم في الارض عالما اساله عن توبتي فقال له الجبار ايها الملك اذ دللتك على عالم يوشك ان تقتله فقال
لا فوثق منه باليمين فاخبره ان تلك المراة العالمة عنده فقال انطلق بي اليها لاسالها عن توبتي قال نعم فانطلق
به فلما قربا من الباب قال له الجبار ايها الملك اذا راتك فزعت ولكن ايت خلفي فلما دخلا عليها قال لها الجبار
يا هذه الست تعلمين حقي عليك قالت بلى قال فان لي اليك حاجة فاقضيها قالت نعم قال هذا طالوت قد جاءك
يسالك هل له من توبة فلما سمعت بذكر طالوت غشي عليها فلما افاقت قالت والله لا اعلم له توبة ولكن دلوني على
قبر نبي فانطلقوا بها الى قبر اشمويل فوقفت عليه ودعت وكانت تعلم الاسم الاعظم ثم نادت يا صاحب القبر فخرج
ينفض التراب عن راسه فلما نظر الى ثلاثتهم قال ما لكم اقامت القيامة قالت لا ولكن هذا طالوت قد جاء يسالك

هل له من توبة فقال اشموئيل يا طالوت كم لك من الولد قال عشرة رجال قال ما اعلم لك من توبة الا ان تتخلى عن ملكك وتخرج انت وولدك في سبيل الله ثم تقدم ولدك حتى يقتلوا بين يديك ثم تقاتل انت حتى تقتل آخرهم ثم ان اشموئيل سقط ميتا ورجع طالوت احزن ما كان رهبة الا يتابعه بنوه على ما يريد وكان قد بكى بكاء شديدا حتى سقطت اشفار عينيه ونحل جسمه فجمع اولاده وقال لهم ارايتم لو دفعت الى النار هل كنتم تنقذونني منها فقالوا ابلى ننقذك بما نقدر عليه قال فانها النار ان لم تفعلوا ما امر به قالوا اعرض علينا ما اردت فذكر لهم القصة قالوا وانك لمقتول قال نعم قالوا فلا خير لنا في الحيوة بعدك قد طابت انفسنا بالذي سألت فتجهز هو وولده وخرج طالوت مجاهدا في سبيل الله فقدم اولاده فقاتلوا حتى قتلوا ثم شد هو من بعدهم فقاتل حتى قتل وجاء قاتل طالوت الى داود فبشره بقتله وقال له قد قتلت عدوك فقال داود ما انت بباق بعده وقتله فكان ملك طالوت الى ان قتل مدة اربعين سنة واتى بنو اسرائيل الى داود فملكوه عليهم واعطوه خزاين طالوت قال الكلبي والضحاك ملك داود بعد قتل طالوت نحو تسع سنين ولم يجتمع بنو اسرائيل على ملك واحد الا على داود فذلك قوله تعالى **وآتاه الله الملك والحكمة** يعني النبوة جمع الله لداود بين الملك والنبوة ولم يكن كذلك من قبل بل كانت النبوة في سبط والملك في سبط وقيل الحكمة هي العلم مع العمل به **وعلمه مما يشاء** اي وعلم الله داود صنعة الدروع فكان يصنعها ويبيعها وكان لا ياكل الا من عمل يده وقيل علمه منطق الطير وقيل علمه الزبور وقيل هو الصوت الطيب والالحان ولم يعط الله احدا من خلقه مثل صوت داود فكان اذا قرا الزبور تدنو منه الوحوش حتى توخذ باعناقها وتظله الطير مصيخة له ويركد الماء الجاري وتسكن الريح عند قراءته وقيل علمه الله سياسة الملك وضبطه وذلك لانه لم يكن من بيت الملك حتى يتعلمه من آبائه وقال ابن عباس هو ان الله تعالى اعطاه سلسلة بالمجرة وراسها عند صومعته قوتها قوة الحديد ولونها لون النور وحلقها مستديرة مفصلة بالجواهر مدسرة بقضبان اللولو الرطب فكان لا يحدث في الهوى حدث الا صلصلت السلسلة فيعلم داود ذلك الحدث ولا يمسها ذو عاهة الا برأ وكانوا يتحاكمون اليها بعد داود الى ان رفعت فمن تعدى على صاحبه او انكره حقا اتى السلسلة فمن كان صادقا مد يده الى السلسلة فنالها ومن كان كاذبا لم ينلها فكانت كذلك الى ان ظهر فيهم المكر والخبث فبلغنا ان بعض ملوكهم اودع رجلا جوهرة ثمينة فلما طلبه بالوديعة انكره اياها فتحاكما الى السلسلة فعمد الذي عنده الجوهرة الى عكازة فنقرها وجعل الجوهرة فيها واعتمد عليها حتى اتيا السلسلة فقال صاحب الجوهرة رد علي الوديعة فقال لصاحبها لا اعلم لك عندي وديعة فان كنت صادقا فتناول السلسلة فتناولها بيده وقيل للمنكر قم انت ايضا فتناولها فقال لصاحب الجوهرة امسك عكازي فاخذها الرجل منه وقام المنكر الى السلسلة وقال اللهم ان كنت تعلم ان الوديعة التي يدعيها قد وصلت اليه فقرب السلسلة مني فمد يده فتناولها فعجب القوم من ذلك وشكوا فيها فاصبحوا وقد رفعها الله قوله تعالى **ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض** يعني ولولا ان الله يدفع ببعض الناس وهم اهل الايمان والطاعة له بعضا وهم اهل الكفر والمعاصي قال ابن عباس ولولا دفع الله بجنود المسلمين لغلب المشركون على الارض فقتلوا المؤمنين وخربوا المساجد والبلاد وقيل معناه ولولا دفع الله بالمؤمنين والابرار عن الكفار والفجار **لفسدت الارض** اي لهلكت بمن فيها ولكن يدفع الله بالمؤمن عن الكافر وبالصالح عن الفاجر روى احمد بن حنبل عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة اهل بيت من جيرانه البلاء ثم قرا ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض **ولكن الله ذو فضل على العالمين** يعني ان دفع الفساد بهذا الطريق انعام وافضال عم الناس كلهم **تلك آيات الله** يعني القصص التي قصها من حديث الالوف واماتتهم واحيائهم وتمليك طالوت واظهاره بالاية وهي التابوت واهلاك الجبابرة على يد صبي **نتلوها عليك بالحق** اي باليقين الذي لا يشك فيه اهل الكتاب لانه في كتبهم **وانك لمن المرسلين** يعني حيث تخبر بهذه الاخبار العجيبة والقصص القديمة من غير ان تعرف بقراءة كتاب ولا استماع اخبار فدل ذلك على انك من المرسلين وان الذي تخبر به وحي من الله تعالى قوله عز وجل **تلك الرسل** يعني جماعة الرسل الذين تقدم ذكرهم في هذه السورة

فضلنا بعضهم على بعض فيه دليل على زوال الشبهة لمن اوجب التسوية بين الانبيا في الفضيلة لاستوائهم في القيام بالرسالة واجمعت الامة على ان الانبيا بعضهم افضل من بعض وان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم افضلهم لعموم رسالته وهو قوله تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا **منهم** اي الرسل **من كلم الله** اي كلمه الله وهو موسى عليه السلام **ورفع بعضهم درجات** يعني محمدا صلى الله عليه وسلم رفع الله منصبه ومرتبته كافة على ساير الانبيا بما فضله عليهم من الآيات البينات والمعجزات الباهرات فما اوتي نبي من الانبيا آية او معجزة الا اوتي نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مثل ذلك وفضل محمد صلى الله عليه وسلم على غيره من الانبيا بآيات ومعجزات حتى مثل انشقاق القمر باشارته وحنين الجذع اليه عند مفارقته وتسليم الحجر والشجر عليه وكلام البهايم له شهادة برسالته ونبع الماء من بين اصابعه وغير ذلك من الآيات والمعجزات التي لا تحصى كثرة واعظمها واظهرها معجزة وآية القرآن العظيم الذي عجز اهل الارض عن معارضته والاتيان بمثله فهي معجزة ثابتة الى يوم القيمة ق عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من نبي من الانبيا الا وقد اعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وانما كان الذي اوتيته وحيا اوحاه الله الي فارجو ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيمة ق عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطيت خمسا لم يعطهن احد من الانبيا قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا فايما رجل من امتي ادركته الصلوة فليصل واحلت لي الغنايم ولم تحل لاحد قبلي واعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة م عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فضلت على الانبيا بست اعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب واحلت لي الغنايم وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا وارسلت الى الخلق كافة وختم بي النبوة فان قلت لم ذكره على سبيل الرمز والاشارة ولم يصرح باسمه صلى الله عليه وسلم قلت في هذا الابهام والرمز من تفخيم فضله واعلاء قدره صلى الله عليه وسلم ما لا يخفى لما فيه من الشهادة بانه العلم الذي لا يشتبه ولا يلتبس فهو كما يقول الرجل وقد فعل شيئا فعله بعضكم او احدكم ويريد نفسه فيكون افخم من التصريح به كما سئل الحطيئة من اشعر الناس فذكر زهيرا والنابغة ثم قال ولو شئت لذكرت الثالث اراد نفسه قوله تعالى **وآتينا عيسى ابن مريم البينات** يعني الحجج والادلة الباهرة والمعجزات الظاهرة على نبوته مثل ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى **وايدناه بروح القدس** اي قويناه بجبريل عليه السلام فكان معه الى ان رفعه الى السما فان قلت لم خص موسى وعيسى بالذكر من بين سائر الانبيا قلت لما اوتيا من الآيات العظيمة والمعجزات الباهرة ولقد بين الله وجه التفضيل حيث جعل التكليم من الفضل وهو آية عظيمة وتاييد عيسى بروح القدس آية عظيمة ايضا فلما اوتي موسى وعيسى من الآيات العظيمة خصا بالذكر في باب التفضيل فعلى هذا كل من كان من الانبيا اعظم آيات واكثر معجزات كان افضل ولهذا الحوز نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قصبات السبق في الفضل لانه اعظم الانبيا آيات واكثرهم معجزات فهو افضلهم صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين **ولو شاء الله** اي ولو اراد الله واصل المشيئة الارادة **ما اقتتل الذين من بعدهم** يعني بعد الرسل الذين وصفهم الله **من بعد ما جاءتهم البينات** اي الدلالات الواضحات من الله بما فيه مزدجر لمن هداه الله ووفقه **ولكن اختلفوا** اي اختلف هؤلاء الذين من بعد الرسل **فمنهم من آمن** اي ثبت على ايمانه بالله ورسوله بفضل الله **ومنهم من كفر** اي ومنهم من ثبت على الكفر بعد قيام الحجة وبعثة الرسل **ولو شاء الله ما اقتتلوا** اي ولو اراد الله ان يحجزهم عن الاقتتال والاختلاف لحجزهم عن ذلك **ولكن الله يفعل ما يريد** يعني انه تعالى يوفق من يشاء لطاعته والايمان به فضلا منه ورحمة ويخذل من يشاء عدلا منه لا اعتراض عليه في ملكه وفعله سال رجل علي بن ابي طالب رضي الله عنه عن القدر فقال يا امير المؤمنين اخبرني عن القدر فقال طريق مظلم فلا تسلكه فاعاد السؤال فقال سر الله قد خفي عليك فلا تفتشه فاعاد السؤال فقال بحر عميق فلا تلجه قوله تعالى **يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم** قيل اراد به الزكاة الواجبة وقيل اراد به صدقة التطوع

والانفاق في وجوه الخير من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه أي لا فدية فيه وإنما سماه بيعا لأن الفداء شراء النفس من الهلاك
والمعنى قدموا لأنفسكم اليوم من أموالكم من قبل أن يأتي يوم لا تجارة فيه فيكسب الانسان ما يفتدي به من العذاب ولا خلة
أي لا مودة ولا صداقة ولا شفاعة وظاهر هذا يقتضي نفي الخلة والشفاعة وقد دلت النصوص على ثبوت المودة والشفاعة
بين المؤمنين فيكون هذا عاما مخصوصا والكافرون هم الظالمون لأنهم وضعوا العبادة في غير موضعها قوله عز
وجل الله لا إله إلا هو الحي القيوم فصل في فضل هذه الآية الكريمة عن أبي هريرة رضي الله عنه
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكل شيء سنام وإن سنام القرآن البقرة وفيها آية هي سيدة آي القرآن آية الكرسي
أخرجه الترمذي قوله إن لكل شيء سناما وسنام الشيء أعلاه تشبيها بسنام البعير والمراد منه تعظيم هذه السورة
والسيد الفاضل في قومه والشريف الكريم وأصله من ساد يسود وقوله هي سيدة آي القرآن أي أفضله م عن أبي بن
كعب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا المنذر أتدري أي آية في كتاب الله معك أعظم قلت
الله لا إله إلا هو الحي القيوم فضرب في صدري وقال ليهنيك العلم أبا المنذر عن واثلة بن الأسقع أن النبي صلى الله عليه
وسلم جاءهم في صفة المهاجرين فسأله إنسان أي آية في القرآن أعظم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله لا إله
إلا هو الحي القيوم أخرجه أبو داود وقال العلماء إنما تميزت آية الكرسي بكونها أعظم آية في القرآن لما جمعت من
أصول الأسماء والصفات من الإلهية والوحدانية والحيوة والعلم والقيومية والملك والقدرة والإرادة فهذه
أصول الأسماء وذلك لأن الله تعالى أعظم مذكور فما كان ذكرا له من توحيد وتعظيم كان أعظم الأذكار وفي هذا
الحديث حجة لمن يقول بجواز تفضيل بعض القرآن على بعض وتفضيله على سائر الكتب المنزلة ومنع من جواز
تفضيل بعض القرآن على بعض أبو الحسن الأشعري وأبو بكر الباقلاني قالا لأن تفضيل بعضه على بعض يقتضي
نقص المفضول وليس في كلام الله عز وجل نقص وتأول هؤلاء ما ورد من إطلاق لفظ أعظم وأفضل في بعض الآيات
أو السور بمعنى عظيم وفاضل ومن أجاز تفضيل بعض القرآن على بعض من العلماء والمتكلمين قالوا هذا التفضيل
هو راجع إلى عظم أجر القاري وجزيل ثوابه وقوله إن هذه الآية أو هذه السورة أعظم أو أفضل يعني أن الثواب
المتعلق بها أكثر وهذا هو المختار وهو معنى الحديث والله أعلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من قرأ حين يصبح آية الكرسي وآيتين من أول حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم حفظ يومه ذلك حتى يمسي
ومن قرأها حين يمسي حفظ ليلته حتى يصبح أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وأما التفسير فقوله عز وجل الله
لا إله إلا هو نفي الإلهية كل إله سواه وإثبات الإلهية له سبحانه وتعالى فهو كقولك لا كريم إلا زيد فإنه أبلغ من قولك
زيد كريم الحي يعني الباقي على الأبد الدائم بلا زوال والحي في صفة الله هو الذي لم يزل موجودا وبالحيوة موصوفا لم تحدث
له الحيوة بعد موت ولا يعتريه الموت بعد حياة وسائر الأحياء سواه يعتريهم الموت والعدم فكل شيء هالك إلا وجهه
سبحانه وتعالى القيوم قال مجاهد القيوم القائم على كل شيء وتأويله أنه تعالى قائم بتدبير خلقه في إيجادهم وأرزاقهم
وجميع ما يحتاجون إليه وقيل هو القائم الدائم بلا زوال الموجود الذي يمتنع عليه التغير وقيل هو القائم على كل نفس بما
كسبت والقيوم فيعول من القيام وهو نعت للقائم على الشيء لا تأخذه سنة ولا نوم السنة ما يتقدم
النوم من الفتور الذي يسمى نعاسا وهو النوم الخفيف والوسنان ما بين النائم واليقظان والنوم هو الثقيل المزيل
للعقل والقوة وقيل السنة في الرأس والنعاس في العين والنوم في القلب فالسنة هي أول النوم والنوم هو غشية ثقيلة
تقع على القلب تمنع المعرفة بالأشياء والمعنى لا تأخذه سنة فضلا عن أن يأخذه نوم لأن النوم والسهو والغفلة محال
على الله تعالى لأن هذه الأشياء عبارة عن عدم العلم وذلك نقص وآفة فإنه تعالى منزه عن النقص والآفات ولأن ذلك
تغير والله تعالى منزه عن التغير م عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس كلمات

فقال

فقال إن الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه ويرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل
عمل الليل حجابه النور وفي رواية النار لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه شرح ما يتعلق بلفظ
هذا الحديث منقول من شرح مسلم للشيخ محي الدين النووي قوله صلى الله عليه وسلم إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام
فمعناه الإخبار أنه سبحانه وتعالى لا ينام وأنه مستحيل في حقه لأن النوم انغمار وغلبة على العقل يسقط به الإحساس
والله تعالى منزه عن ذلك وقوله يخفض القسط ويرفعه أراد بالقسط الميزان الذي يقع به العدل ومعناه أن الله تعالى
يخفض الميزان ويرفعه بما يوزن فيه من أعمال العباد المرتفعة إليه وقيل أراد بالقسط الرزق الذي هو قسط كل مخلوق
ومعنى يخفض يضيق على من يشاء ويرفعه أي يوسعه على من يشاء وقوله يرفع إليه عمل الليل قبل النهار يعني إنه الحفظة (يقبض)
من الملائكة يصعدون بأعمال النهار بعد انقضائه في أول الليل قوله حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه
ما انتهى إليه بصره من خلقه سبحات بضم السين المهملة والباء الموحدة تحت وبضم التاء في آخره جمع سبحة ومعنى سبحات
وجهه نوره وجلاله وبهاؤه والحجاب أصله في اللغة المنع وحقيقة الحجاب إنما تكون للأجسام المحددة والله تعالى
منزه عن الجسم والحد فالمراد به هنا الشيء المانع من الرؤية وسمي ذلك الشيء المانع نورا أو نارا لأنهما يمنعان من الإدراك
في العادة والمراد بالوجه الذات والمراد بما انتهى إليه بصره من خلقه جميع المخلوقات ولفظة من في قوله من خلقه لبيان
الجنس لا للتبعيض ومعنى الحديث لو زال المانع وهو الحجاب المسمى نورا أو نارا وتجلى لخلقه لأحرق جلال ذاته جميع مخلوقاته
هذا آخر كلام الشيخ على هذا الحديث والله أعلم وروى الطبري بسنده عن ابن عباس في قوله لا تأخذه سنة ولا نوم أن موسى عليه
السلام سأل الملائكة هل ينام الله فأوحى الله تعالى إلى الملائكة وأمرهم أن يؤرقوه ثلاثا فلا يتركوه ينام ففعلوا ثم أعطوه
قارورتين فأمسكهما ثم تركوه وحذروه أن يكسرهما فجعل ينعس وهما في يده في كل يد واحدة قال فجعل ينعس وينتبه حتى نعس
نعسة فضرب إحداهما بالأخرى فكسرهما قال معمر إنما هو مثل ضربه الله تعالى له يقول فكذلك السموات والأرض ورواه عن أبي هريرة
مرفوعا قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكي موسى على المنبر قال وقع في نفس موسى هل ينام الله وذكر نحو حديث ابن عباس
قال بعض العلماء إن صح هذا الحديث فيحمل على أن هذا السؤال كان من جهال قوم موسى كطلب الرؤية من موسى لأن الأنبياء عليهم السلام
هم أعلم بالله من غيرهم فلا يجوز أن ينسب إلى موسى مثل هذا السؤال والله أعلم قوله تعالى له ما في السموات وما في الأرض
يعني أن الله تعالى مالك لذلك بغير شريك ولا منازع وهو خالقهم وهم عبيده وفي ملكه فإن قلت لم قال له ما في السموات (جميع)
ولم يقل من في السموات قلت لما كان المراد إضافة كل ما سواه إليه بالخلق والملك وكان الغالب فيهم من لا يعقل أجرى الغالب
مجرى الكل فعبر عنه بلفظة ما من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه أي بأمره وهذا استفهام إنكار والمعنى
لا يشفع عنده أحد إلا بأمره وإرادته وذلك لأن المشركين زعموا أن الأصنام تشفع لهم فأخبر أنه لا شفاعة لأحد
عنده إلا ما استثناه بقوله إلا بإذنه يريد بذلك شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم وشفاعة بعض النبيين والملائكة
وشفاعة المؤمنين بعضهم لبعض يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم يعني ما بين أيديهم من الدنيا وما خلفهم من الآخرة
وقيل بعكسه لأنهم يقدمون على الآخرة ويخلفون الدنيا وراء ظهورهم وقيل يعلم ما كان قبلهم وما كان بعدهم وقيل يعلم ما قدموا
بين أيديهم من خير أو شر وما خلفهم مما هم فاعلوه والمقصود من هذا أنه سبحانه وتعالى عالم بجميع المعلومات لا يخفى
عليه شيء من أحوال جميع خلقه ولا يحيطون بشيء من علمه يقال أحاط بالشيء إذا علمه وهو أن يعلم وجوده
وجنسه وقدره وحقيقته فإذا علمه ووقف عليه وجمعه في قلبه قيل قد أحاط به والمراد بالعلم المعلوم والمعنى أن أحدا
لا يحيط بمعلومات الله تعالى إلا بما شاء يعني أن يطلعهم عليه وهم الأنبياء والرسل ليكون ما يطلعهم عليه من علم غيبه
دليلا على نبوتهم كما قال تعالى فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول وسع كرسيه السموات
والأرض يقال فلان يسع الشيء سعة إذا احتمله وأطاقه وأمكنه القيام به وأصل الكرسي في اللغة من تركب الشيء بعضه

لأن بصره سبحانه وتعالى محيط بجميع الكائنات م

على بعض ومنه الكراسة لتركب بعض اوراقها على بعض واختلفوا في المراد بالكرسي هنا على اربعة اقوال احدها ان الكرسي هو العرش نفسه قاله الحسن لان العرش والكرسي اسم للسرير الذي يصح التمكن عليه القول الثاني ان الكرسي غير العرش وهو امامه وهو فوق السموات السبع ودون العرش قال السدي ان السموات والارض في جوف الكرسي مخلقة في فلاة والكرسي في جنب العرش مخلقة في فلاة وعن ابن عباس ان السموات السبع في الكرسي كدراهم سبعة القيت في ترس قيل ان كل قائمة من قوائم الكرسي طولها مثل السموات والارض وهو بين يدي العرش ويحمل الكرسي اربعة املاك لكل ملك اربعة وجوه واقدام على الصخرة التي تحت الارض السابعة السفلى ملك على صورة ابي البشر آدم وهو يسأل الرزق والمطر لبني آدم من السنة الى السنة وملك على صورة الثور وهو يسأل الرزق للانعام من السنة الى السنة وملك على صورة النسر وهو يسأل الرزق للوحوش من السنة الى السنة وملك على صورة البشر وهو يسأل الرزق للطير من السنة الى السنة وفي بعض الاخبار ان بين حملة العرش وحملة الكرسي سبعين حجابا من ظلمة وسبعين حجابا من نور غلظ كل حجاب مسيرة خمسمائة عام لولا ذلك لاحترقت حملة الكرسي من نور حملة العرش القول الثالث ان الكرسي هو الاسم الاعظم لان العلم يعتمد عليه كما ان الكرسي يعتمد عليه قال ابن عباس كرسيه علمه القول الرابع المراد بالكرسي الملك والسلطان والقدرة لان الكرسي موضع الملك والسلطان فلا يمتنع ان يكنى عن الملك بالكرسي على سبيل المجاز **ولا يؤوده** اي لا يثقله ولا يجهده ولا يشق عليه **حفظهما** اي حفظ السموات والارض **وهو العلي** اي الرفيع فوق خلقه الذي ليس فوقه شيء فيما يجب له ان يوصف به من معاني الجلال والكمال فهو العلي بالاطلاق في المعالي عن الاشباه والانداد والاضداد وقيل العلي بالملك والسلطنة والقهر فلا اعلى منه احد وقيل معنى العلو في صفة الله تعالى منقول الى اقتداره وقهره واستحقاقه صفات المدح جميعها على كل وجه وقيل معناه انه يعلو ان يحيط به وصف الواصفين **العظيم** يعني انه ذو العظمة والكبرياء الذي لا شيء اعظم منه وقال ابن عباس العظيم الذي قد كمل في عظمته وقيل العظيم هو ذو العظمة والجلال والكمال وهو في صفة الله تعالى يقرب من معنى المتعالي وعظمة الشأن وجلالة القدر دون العظيم الذي هو من نعوت الاجسام قوله تعالى

لا اكراه في الدين وسبب نزول هذه الآية فيما روى عن ابن عباس قال كانت المرأة من الانصار تكون مقلاة وهي التي لا يعيش لها ولد فكانت تنذر لئن عاش لها ولد لتهودنه فاذا عاش جعلته في اليهود فجاء الاسلام وفيهم منهم فلما اجليت بنو النضير كان فيهم عدد من اولاد الانصار فاراد ت الانصار استردادهم وقالوا هم ابناؤنا واخواننا فنزلت لا اكراه في الدين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خيرتم اصحابكم فان اختاروكم فهم منكم وان اختاروهم فاجلوهم معهم وقيل كان رجل من الانصار من بني سالم بن عوف يقال له ابو الحصين ابنان فتنصر اقبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ثم قدم المدينة في نفر من النصارى يحملون الزيت فلزمهما ابوهما وقال لا ادعكما حتى تسلما فاختصموا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ايدخل بعضي النار وانا انظر فانزل الله تعالى لا اكراه في الدين فخلى سبيلهما وقيل نزلت في اهل الكتاب اذا قبلوا بذل الجزية لم يكرهوا على الاسلام وذلك ان العرب كانت امة امية ولم يكن كتاب يرجعون اليه فلم يقبل منهم الا الاسلام او القتل ونزل في اهل الكتاب لا اكراه في الدين يعني اذا قبلوا الجزية فمن اعطا الجزية منهم لم يكره على الاسلام فعلى هذا القول تكون الآية محكمة ليست بمنسوخة وقيل بل الآية منسوخة وكان ذلك في ابتداء الاسلام قبل ان يؤمر بالقتال ثم نسخت بآية القتال وهو قول ابن مسعود وقال الزهري سألت زيد بن اسلم عن قول الله تعالى لا اكراه في الدين قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة عشر سنين لا يكره احدا في الدين فلما ان يقاتلوه فاستأذن الله في قتالهم فأذن له ومعنى لا اكراه في الدين اي دين الاسلام ليس فيه اكراه عليه **قد تبين الرشد من الغي** يعني ظهر ووضح

وتميز الحق من الباطل والايمان من الكفر والهدى من الضلالة بكثرة الآيات والبراهين الدالة على صحته **ومن يكفر بالطاغوت** يعني الشيطان وقيل هو الساحر والكاهن وقيل هو كل ما عبد من دون الله تعالى وقيل كل ما يطغى الانسان فهو طاغوت فاعول من الطغيان **ويؤمن بالله** اي ويصدق بالله انه ربه ومعبوده من دون كل شيء كان يعبده وفيه اشارة الى انه لا بد للكافر ان يتوب اولا عن الكفر ويتبرأ منه ثم يؤمن بعد ذلك بالله فمن فعل ذلك صح ايمانه فهو قوله تعالى **فقد استمسك بالعروة الوثقى** اي فقد تمسك واعتصم بالعقد الوثيق المحكم في الدين والوثقى تأنيث الاوثق وقيل العروة الوثقى السبب الذي يوصل الى رضى الله تعالى وهو دين الاسلام **لا انفصام لها** اي لا انقطاع لها حتى تؤدي الى الجنة والمعنى ان المتمسك بالدين الصحيح الذي هو دين الاسلام كالمتمسك بالشيء الوثيق الذي لا يمكن كسره ولا انقطاعه **والله سميع عليم** يعني انه تعالى يسمع قول من كفر بالطاغوت وآمن بالشهادتين عليم بما في قلبه من الايمان وقيل معناه سميع لدعائك اياهم الى الاسلام عليم بحرصك على اسلامهم قوله عز وجل **الله ولي الذين آمنوا** اي ناصرهم ومعينهم وقيل محبهم ومتولي امورهم فلا يكلهم الى غيره وقيل هو متولي هدايتهم **يخرجهم من الظلمات الى النور** اي من الكفر الى الايمان وكل ما في القرآن من ذكر الظلمات والنور فالمراد به الكفر والايمان غير الذي في سورة الانعام وهو قوله تعالى وجعل الظلمات والنور فالمراد به الليل والنهار وانما سمي الكفر ظلمة لالتباس طريقه ولان الظلمة تحجب الابصار عن ادراك الحقائق فكذلك الكفر يحجب القلوب عن ادراك الحقائق بالايمان وسمي الاسلام نورا لوضوح طريقه وبيان ادلته **والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت** يعني كعب بن الاشرف وحيي بن اخطب وسائر رؤساء الضلالة اي من الهدى الى الضلالة فان قلت كيف قال يخرجونهم من النور الى الظلمات وهم كفار لم يكونوا في نور قط قلت هم اليهود وكانوا موقنين بمحمد صلى الله عليه وسلم وصحة نبوته قبل ان يبعث لما يجدون في كتبهم من نعته وصفته فلما بعث كفروا بحمد ابنبوته وقيل هو العموم في حق جميع الكفار ومنع الطاغوت اياهم من الدخول فيه اخراج لهم من الايمان نهي صد هم الطاغوت عنه وحرمانا لهم خيره وان لم يكونوا دخلوا فيه قط فهو كقول الرجل لابيه اخرجني عن مالك اذا اوصى به لغيره في حياته وحرمه منه وكقول الله تعالى اخبارا عن يوسف عليه السلام اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله ولم يكن قط في ملتهم **اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون** يعني الكفار والطاغوت اهل النار الذين يخلدون فيها ابدا دون غيرهم **الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه** يعني هل انتهى اليك يا محمد خبر الذي خاصم ابراهيم وجادله لان لم ترد كلمة يوقف بها المخاطب على تعجيبها ولفظها استفهام وهو كما يقال الم تر الى فلان كيف يصنع ومعناه هل رأيت فلانا في صنعه والذي حاج ابراهيم هو نمرود بن كنعان الجبار وهو اول من وضع التاج على رأسه وتجبر في الارض وادعى الربوبية **ان آتاه الله الملك** اي لان آتاه الله الملك فعلى وتجبر بسببه وكانت تلك المحاجة من بطر الملك وطغيانه قال مجاهد ملك الارض اربعة مؤمنان وكافران فاما المؤمنان سليمان وذو القرنين واما الكافران فنمرود وبخت نصر واختلفوا في وقت هذه المحاجة فقيل لما كسر ابراهيم الاصنام سجنه نمرود ثم اخرجه ليحرقه فقال له من ربك الذي تدعونا اليه **اذ قال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت** وقيل بل كان هذا بعد القاء في النار وذلك ان الناس قحطوا على عهد نمرود وكان الناس يمتارون من عنده الطعام فكان اذا اتاه احد يمتار رسأله من ربك فيقول انت فيمير ه فجاء ابراهيم صلى الله عليه وسلم اليه يمتار لاهله الطعام فقال له من ربك قال ربي الذي يحيي ويميت **قال انا احيي واميت قال ابراهيم فان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذي كفر** فرده بغير طعام فرجع ابراهيم الى اهله فمر على كثيب رمل اغفر فاخذ منه تطييبا لقلب اهله اذا دخل عليهم فلما اتى اهله وضع متاعه ثم نام فقامت زوجته سارة الى رحله ففتحته فاذا هو بطعام اجود ما رآه احد فصنعت

منه خبزا فلما انتبه قربته اليه فقال ابراهيم من اين هذا وكان عهد اهله وليس عندهم طعام فقالت من الطعام الذي جئت
به فعلم ابراهيم ان الله قد رزقه فحمد الله تعالى ثم ان الله تعالى بعث الى نمرود الجبار ملكا فقال له ان ربك يقول لك ان آمن بي
واتركك في ملكك قال وهل رب غيري فجاءه الثانية فقال له مثل ذلك ثم اتاه الثالثة فرد عليه مثل ذلك فقال له الملك اجمع
جموعك فجمع الجبار جموعه فامر الله الملك ففتح عليه بابا من البعوض حتى سترت الشمس فلم يروها فبعثها الله عليهم فاكلت
لحومهم وشربت دماءهم فلم يبق الا العظام ونمرود ينظر ولم يصبه شيء من ذلك ثم بعث الله عليه بعوضة فدخلت في منخره
فمكثت في راسه اربعمائة سنة يضرب راسه بالمطارق وكان ارحم الناس به من يجمع له يديه ثم يضرب بهما راسه فكان كذلك
يعذب اربعمائة سنة مدة ملكه حتى اماته الله عز وجل ومعنى اذ قال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت هذا جواب سؤال غير مذكور
تقديره قال له نمرود من ربك قال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال يعني نمرود انا احيي واميت قال اكثر المفسرين دعا نمرود برجلين
فقتل احدهما واستحيا الآخر فجعل ترك القتل احياء فانتقل ابراهيم صلى الله عليه وسلم الى حجة اخرى لا عجزا عن نصرة حجته
الاولى فانها كانت لازمة لانه اراد بالاحياء احياء الميت فكان لابراهيم ان يقول لنمرود فاحي من امت ان كنت صادقا
ولكن انتقل الى حجة اخرى اوضح من الاولى لما راى من قصور فهم نمرود وضعف رايه فانه عارض اللفظ بمثله ونسي اختلاف
الفعلين قال ابراهيم فان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذي كفر يعني تحير نمرود ودهش وانقطعت
حجته ولم يرجع اليه شيئا وعرف انه لا يطيق ذلك فان قلت كيف بهت الذي كفر وكان يمكنه ان يقول لابراهيم سل انت
ربك حتى ياتي بها من المغرب قلت انما لم يقله لانه خاف ان لو سال ذلك دعا ابراهيم ربه فكان ذلك زيادة في
فضيحة نمرود وانقطاعه وقيل ان الله تعالى صرفه عن تلك المعارضة اظهارا للحجة عليه ومعجزة لابراهيم صلى الله
عليه وسلم وهو الصحيح والله لا يهدي القوم الظالمين يعني لا يرشدهم الى حجة يدحضون بها حجج اهل الحق
عند المحاجة والمخاصمة وعني بالظالمين نمرود وقوله عز وجل او كالذي مر على قرية هذه معطوفة على
الآية قبلها والمعنى الم تر الى الذي حاج ابراهيم او كالذي مر على قرية فيكون هذا عطفا على المعنى وقيل تقديره هل رايت
كالذي حاج ابراهيم وهل رايت كالذي مر على قرية وقيل الكاف زائدة والتقدير الم تر الى الذي حاج ابراهيم او الذي مر
على قرية واختلفوا في ذلك المار فروي عن مجاهد انه كان كافرا يشك في البعث وهذا قول ضعيف لقوله تعالى كم لبثت
والله تعالى لا يخاطب الكافر ولقوله تعالى ولنجعلك آية للناس وهذا اللفظ لا يستعمل في حق الكافر وقال قتادة وعكرمة
والضحاك والسدي هو عزير بن شرخيا وقال وهب بن منبه هو ارميا بن خلقيا من سبط هارون وهو الخضر والمقصود
القصة تعريف منكري البعث قدرة الله تعالى على احياء خلقه بعد اماتتهم لا تعريف اسم ذلك المار على القرية فجائز ان يكون
ذلك المار هو عزير وجائز ان يكون ارميا وفي هذه القصة دلالة عظيمة لنبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لانه اخبر
اليهود بما يجدونه في كتبهم ويعرفونه وهو نبي لم يقرا الكتب القديمة واختلفوا في تلك القرية فقيل هي بيت المقدس وذلك
لما خربها بخت نصر والمراد بالاحياء هنا عمارتها وقيل هي القرية التي اهلك الله اهلها الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف
وقيل هي دير سابراباذ وقيل سلماباذ وقيل دير هرقل وقيل هي قرية العنب وهي على فرسخين من بيت المقدس وهي
خاوية على عروشها اي ساقطة على سقوفها وذلك ان السقوف سقطت اولا ثم وقعت الحيطان عليها بعد ذلك
قال يعني ذلك المار انى يحيي هذه الله بعد موتها فمن قال ان ذلك المار كان كافرا وهو ضعيف انما حمله على
الشك في قدرة الله تعالى ومن قال كان نبيا حمله على سبيل الاستبعاد بحسب مجاري العرف والعادة لا على سبيل الانكار
لقدرة الله تعالى او كان المقصود منه طلب زيادة الدلائل لاجل التاكيد كما قال ابراهيم عليه السلام ارني كيف تحيي الموتى
ومعنى انى يحيي هذه الله من اين يحيي هذه القرية والمراد بالاحياء عمارتها فاحب الله ان يريه آية في نفسه وفي احياء
تلك القرية وكان سبب القصة في ذلك ما روي عن وهب بن منبه ان الله تعالى بعث ارميا الى ناشية بن اموص ملك

بني

بني اسرائيل ليسدده ويأتيه بالخبر من الله تعالى فعظمت الاحداث في بني اسرائيل وركبوا المعاصي فاوحى الله تعالى الى ارميا
ان ذكر قومك نعمي عليهم وعرفهم احداثهم وادعهم الي فقال ارميا يا رب اني ضعيف ان لم تقوني عاجز ان لم تبلغني
مخذول ان لم تنصرني فقال الله تعالى اني ألهمك فقام ارميا فيهم ولم يدر ما يقول فالهمه الله تعالى في الوقت خطبة بليغة
طويلة بين لهم فيها ثواب الطاعة وعقاب المعصية وقال في آخرها عن الله عز وجل اني احلف بعزتي لاقيضن لهم
فتنة يتحير فيها الحكيم ولاسلطن عليهم جبارا فارسيا البسه الهيبة وانزع من صدره الرحمة يتبعه عدد مثل
سواد الليل المظلم ثم اوحى الله تعالى اني مهلك بني اسرائيل بيافث ويافث هم اهل بابل وهم من ولد يافث بن نوح فلما
سمع ارميا ذلك صاح وبكى وشق ثيابه ونبذ الرماد على راسه فلما راى الله تضرعه وبكاءه ناداه يا ارميا اشق
عليك ما اوحيت اليك قال نعم يا رب اهلكني قبل ان ارى في بني اسرائيل ما لا اسر به فقال الله عز وجل وعزتي وجلالي
لا اهلك بني اسرائيل حتى يكون الامر في ذلك من قبلك ففرح ارميا بذلك وطابت نفسه وقال لا والذي بعث موسى
بالحق لا ارضى بهلاك بني اسرائيل ثم اتى الملك فاخبره بذلك وكان ملكا صالحا فاستبشر وفرح وقال ان يعذبنا
ربنا فبذنوبنا وان يعف عنا فبرحمته ثم انهم مكثوا بعد ذلك الوحي ثلاث سنين لم يزدادوا الا معصية وتماديا
في الشر فقل الوحي وذلك حين اقترب هلاكهم فدعاهم الملك الى التوبة فلم يفعلوا فسلط الله عليهم بخت نصر
البابلي فخرج في ستمائة الف راية يريد اهل بيت المقدس فلما فصل سائرا اتى الخبر الى ملك بني اسرائيل فقال لارميا اين
ما زعمت ان الله تعالى اوحى اليك فقال ارميا ان الله لا يخلف الميعاد وانا به واثق فلما قرب الاجل بعث الله تعالى
الى ارميا ملكا قد تمثل له في صورة رجل من بني اسرائيل فقال له ارميا من انت قال انا رجل من بني اسرائيل اتيتك استفتيك
في اهل رحمي وصلت ارحامهم ولم آت اليهم الا حسنا ولا يزيدهم اكرامي اياهم الا اسخاطا لي فافتني فيهم فقال ارميا
احسن فيما بينك وبين الله وصلهم وابشر بخير فانصرف الملك فمكث اياما ثم اقبل اليه في صورة ذلك الرجل فقعد
بين يديه فقال له ارميا من انت قال انا الذي اتيتك استفتيك في شان اهلي فقال له ارميا اما طهرت اخلاقهم بعد
لك فيهم فقال يا نبي الله والذي بعثك بالحق ما اعلم كرامة يأتيها احد من الناس الى رحمه الا قدمتها اليهم وافضل
فقال ارميا ارجع اليهم فاحسن اليهم اسأل الله الذي يصلح عباده الصالحين ان يصلحهم فقام الملك فمكث اياما ثم ان بخت
نصر نزل بجنوده بيت المقدس ففزع منهم بنو اسرائيل فقال ملكهم لارميا يا نبي الله اين ما وعدك الله تعالى فقال اني بربي
واثق ثم اقبل ذلك الملك الى ارميا وهو قاعد على جدار بيت المقدس يضحك ويستبشر بنصر ربه الذي وعده فقعد بين يديه
فقال له ارميا من انت قال انا الذي جئتك في شان اهلي مرتين فقال ارميا اما آن لهم ان يفيقوا من الذي هم فيه فقال الملك
يا نبي الله ان كل شيء كان يصيبني منهم قبل اليوم كنت اصبر عليه فاليوم رايتهم على عمل لا يرضي الله تعالى فقال ارميا
على اي عمل رايتهم قال على عظيم يسخط الله تعالى فغضبت لله عز وجل فاتيتك لاخبرك وانا اسالك بالله الذي بعثك
بالحق ان تدعو الله عليهم ليهلكوا فقال ارميا يا مالك السموات والارض ان كانوا على حق وصواب فابقهم وان كانوا
على عمل لا ترضاه فاهلكهم فلما خرجت الكلمة من فيه حتى ارسل الله عز وجل صاعقة من السماء على بيت المقدس
فالتهب مكان القربان وخرقت سبعة ابواب من ابوابه فلما راى ذلك ارميا صاح وشق ثيابه ونبذ الرماد على راسه
وقال يا مالك السموات والارض اين ميعادك الذي وعدتني به فنودي انه لم يصبهم ما اصابهم الا بفتياك ودعائك
عليهم فاستيقن ارميا انها فتياه وان ذلك السائل كان رسولا من الله تعالى فخرج ارميا حتى خالط الوحوش ودخل
بخت نصر وجنوده بيت المقدس وامر جنوده ان يملأ كل رجل منهم ترسه ترابا ويقذفه في بيت المقدس ففعلوا ذلك
حتى ملأوه ثم امرهم ان يجمعوا من كان بقي في بلدان بيت المقدس فاجتمع عنده من كان بقي من بني اسرائيل من صغير
وكبير فاختار منهم سبعين الف صبي فقسمهم بين الملوك الذين كانوا معه فاصاب كل رجل اربعة غلمة وكان في

عِظَامِ الْحِمَارِ وَقِيلَ اِنَّ اللّٰهَ تَعَالٰى لَمَّا اَحْيَا عُزَيْرًا اَوْ اَرْمِيَا عَلَى اخْتِلَافِ الْقَوْلَيْنِ فِيهِ ثُمَّ قَالَ لَهُ اُنْظُرْ اِلٰى حِمَارِكَ فَاِذَا هُوَ
وَبَلِيَتْ عِظَامُهُ فَنَظَرَ وَبَعَثَ اللّٰهُ رِيحًا فَجَاءَتْ بِعِظَامِ الْحِمَارِ مِنْ كُلِّ سَهْلٍ وَجَبَلٍ فَاجْتَمَعَتْ فَتَرَكَّبَ بَعْضُهَا عَلٰى بَعْضٍ حَتّٰى كَسَتِ الْكِسْوَةُ
مِنَ اللَّحْمِ وَرَجَعَتْ اِلٰى مَوْضِعِهَا فَصَارَ حِمَارًا مِنْ عِظَامٍ لَيْسَ عَلَيْهِ لَحْمٌ وَلَا فِيهِ دَمٌ ثُمَّ كَسَى اللّٰهُ تِلْكَ الْعِظَامَ اللَّحْمَ وَالْعُرُوقَ
وَالدَّمَ فَصَارَ حِمَارًا ذَا لَحْمٍ وَدَمٍ لَا رُوحَ فِيهِ ثُمَّ بَعَثَ اللّٰهُ مَلَكًا فَاَقْبَلَ اِلَيْهِ يَمْشِي حَتّٰى اَخَذَ بِمَنْخَرِ الْحِمَارِ فَنَفَخَ فِيهِ الرُّوحَ فَقَامَ
الْحِمَارُ حَيًّا بِاِذْنِ اللّٰهِ ثُمَّ نَهَقَ وَقِيلَ اَرَادَ بِالْعِظَامِ عِظَامَ هٰذَا الرَّجُلِ بِنَفْسِهِ وَذٰلِكَ اَنَّ اللّٰهَ تَعَالٰى اَمَاتَهُ ثُمَّ بَعَثَهُ وَلَمْ يَمُتْ
حِمَارُهُ ثُمَّ قِيلَ لَهُ اُنْظُرْ اِلٰى حِمَارِكَ فَنَظَرَ فَرَاٰى حِمَارَهُ حَيًّا قَائِمًا كَهَيْئَةِ يَوْمِ رَبَطَهُ لَمْ يُطْعَمْ وَلَمْ يُشْرَبْ مِائَةَ عَامٍ وَنَظَرَ اِلَى الرِّمَّةِ
فِي عُنُقِهِ جَدِيدَةٌ لَمْ تَتَغَيَّرْ ثُمَّ قِيلَ لَهُ اُنْظُرْ اِلَى الْعِظَامِ وَذٰلِكَ اَنَّ اللّٰهَ اَوَّلَ مَا اَحْيَا مِنْهُ عَيْنَيْهِ فَنَظَرَ اِلَيْهِ فَرَاٰى سَائِرَ جَسَدِهِ مَيِّتًا
وَفِي الْاٰيَةِ تَقْدِيمٌ وَتَاْخِيرٌ تَقْدِيرُهُ وَانْظُرْ اِلٰى حِمَارِكَ كَيْفَ نُنْشِرُهَا وَلِنَجْعَلَكَ اٰيَةً وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَغَيْرِهِ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ
لَمَّا اَحْيَا اللّٰهُ عُزَيْرًا بَعْدَ مَا اَمَاتَهُ مِائَةَ سَنَةٍ رَكِبَ حِمَارَهُ حَتّٰى اَتٰى اِلٰى مَحَلَّتِهِ فَاَنْكَرَهُ النَّاسُ وَاَنْكَرُوا هُوَ النَّاسَ وَاَنْكَرَ مَنَازِلَهُ وَ
فَانْطَلَقَ عَلٰى وَجْهِهِ حَتّٰى اَتٰى مَنْزِلَهُ فَاِذَا بِعَجُوزٍ عَمْيَاءَ مُقْعَدَةٍ قَدْ اَتٰى عَلَيْهَا مِائَةٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً وَكَانَتْ اَمَةً لَهُمْ وَلَمَّا خَرَجَ عُزَيْرٌ
عَنْهُمْ كَانَتْ بِنْتَ عِشْرِينَ سَنَةً وَكَانَتْ قَدْ عَرَفَتْهُ وَعَقَلَتْهُ فَقَالَ لَهَا عُزَيْرٌ يَا هٰذِهِ هٰذَا مَنْزِلُ عُزَيْرٍ فَقَالَتْ نَعَمْ وَبَكَتْ وَقَالَتْ
مَا رَاَيْتُ اَحَدًا يَذْكُرُ عُزَيْرًا مُنْذُ كَذَا وَكَذَا فَقَالَ اَنَا عُزَيْرٌ فَقَالَتْ سُبْحَانَ اللّٰهِ اِنَّ عُزَيْرًا فُقِدَ نَاهُ مُنْذُ مِائَةِ سَنَةٍ وَلَمْ نَسْمَعْ لَهُ بِذِكْرٍ
فَقَالَ اَنَا عُزَيْرٌ اِنَّ اللّٰهَ اَمَاتَنِي مِائَةَ سَنَةٍ ثُمَّ اَحْيَانِي فَقَالَتْ اِنَّ عُزَيْرًا كَانَ رَجُلًا مُجَابَ الدَّعْوَةِ فَكَانَ يَدْعُو لِلْمَرِيضِ وَصَاحِبِ
الْبَلَاءِ بِالْعَافِيَةِ فَادْعُ اللّٰهَ اَنْ يَرُدَّ عَلَيَّ بَصَرِي حَتّٰى اَرَاكَ فَاِنْ كُنْتَ عُزَيْرًا عَرَفْتُكَ فَدَعَا رَبَّهُ وَمَسَحَ يَدَهُ عَلٰى عَيْنَيْهَا فَصَحَّتَا
وَاَخَذَ بِيَدِهَا وَقَالَ لَهَا قُومِي بِاِذْنِ اللّٰهِ فَاَطْلَقَ اللّٰهُ رِجْلَيْهَا فَقَامَتْ صَحِيحَةً فَنَظَرَتْ اِلَيْهِ وَقَالَتْ اَشْهَدُ اَنَّكَ عُزَيْرٌ وَانْطَلَقَتْ
اِلٰى بَنِي اِسْرَائِيلَ وَهُمْ فِي اَنْدِيَتِهِمْ وَمَجَالِسِهِمْ وَابْنُ عُزَيْرٍ شَيْخُ ابْنِ مِائَةِ سَنَةٍ وَثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً وَبَنُو ابْنِهِ شُيُوخٌ فَنَادَتْ
هٰذَا عُزَيْرٌ وَجَاءَكُمْ فَكَذَّبُوهَا فَقَالَتْ اَنَا قَارِئَةُ مَوْلَاتِكُمْ فَدَعَا لِعُزَيْرٍ رَبَّهُ فَرَدَّ عَلَيَّ بَصَرِي وَاَطْلَقَ رِجْلِي وَزَعَمَ اَنَّ اللّٰهَ كَانَ
قَدْ اَمَاتَهُ مِائَةَ سَنَةٍ ثُمَّ بَعَثَهُ فَقَالَ النَّاسُ لَهُ وَقَالَ ابْنُهُ كَانَ لِاَبِي شَامَةٌ سَوْدَاءُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ فَنَظَرَ اِلَيْهَا فَرَاَهَا فَعَرَفَ اَنَّهُ عُزَيْرٌ وَقِيلَ لَمَّا رَجَعَ عُزَيْرٌ اِلٰى قَرْيَتِهِ وَقَدْ اَحْرَقَ بُخْتُ نَصَّرَ التَّوْرَاةَ وَلَمْ يَكُنْ مِنَ اللّٰهِ عَهْدٌ
بَيْنَ الْخَلْقِ يَبْكِي عَلٰى عُزَيْرٍ عَلَى التَّوْرَاةِ فَاَتَاهُ مَلَكٌ بِاِنَاءٍ فِيهِ مَاءٌ فَسَقَاهُ مِنْ ذٰلِكَ الْمَاءِ فَاُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ فِي صَدْرِهِ فَرَجَعَ اِلٰى بَنِي اِسْرَائِيلَ
وَقَدْ عَلَّمَهُ اللّٰهُ التَّوْرَاةَ وَبَعَثَهُ نَبِيًّا فَقَالَ اَنَا عُزَيْرٌ فَلَمْ يُصَدِّقُوهُ فَقَالَ اِنِّي عُزَيْرٌ فَدْ بَعَثَنِيَ اللّٰهُ اِلَيْكُمْ لِاُجَدِّدَ لَكُمُ التَّوْرَاةَ فَقَالُوا
قَالُوا فَاَمْلِهَا عَلَيْنَا فَاَمْلَاهَا عَلَيْهِمْ مِنْ ظَهْرِ قَلْبِهِ فَقَالُوا لَمَّا جَعَلَ اللّٰهُ التَّوْرَاةَ فِي قَلْبِ رَجُلٍ بَعْدَ مَا ذَهَبَتْ اِلَّا اَنَّهُ اِبْنُهُ فَقَالُوا
عُزَيْرُ ابْنُ اللّٰهِ وَسَتَاْتِي الْقِصَّةُ فِي سُورَةِ التَّوْبَةِ اِنْ شَاءَ اللّٰهُ تَعَالٰى وَقَوْلُهُ تَعَالٰى **فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ** يَعْنِي فَلَمَّا اَتْضَحَ لَهُ عِيَانًا
مَا كَانَ يُنْكِرُهُ مِنْ اِحْيَاءِ الْقَرْيَةِ وَرَاٰهُ عِيَانًا فِي نَفْسِهِ **قَالَ اَعْلَمُ** قُرِئَ مُخَبَّرًا مَوْصُولًا عَلَى الْاَمْرِ يَعْنِي قَالَ اللّٰهُ لَهُ اَعْلَمُ وَقُرِئَ
اَعْلَمُ عَلٰى قَطْعِ الْهَمْزَةِ وَرَفْعِ الْمِيمِ عَلَى الْخَبَرِ عَنِ الَّذِي قَالَ اَنَّى يُحْيِي هٰذِهِ اللّٰهُ وَالْمَعْنٰى فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ وَرَاٰى ذٰلِكَ عِيَانًا قَالَ اَنَّ اللّٰهَ
عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ يَعْنِي الْاِمَاتَةَ وَالْاِحْيَاءَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ **وَاِذْ قَالَ اِبْرَاهِيمُ رَبِّ اَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتٰى** اِخْتَلَفُوا
فِي سَبَبِ هٰذَا السُّؤَالِ مِنْ اِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقِيلَ اِنَّهُ مَرَّ عَلٰى دَابَّةٍ مَيِّتَةٍ وَهِيَ جِيفَةُ حِمَارٍ وَقِيلَ بَلْ كَانَتْ حُوتًا مَيِّتَةً
وَقِيلَ كَانَ رَجُلًا مَيِّتًا بِسَاحِلِ الْبَحْرِ وَقِيلَ بِحَضْرَةِ طَبَرِيَّةَ فَرَاٰهَا وَقَدْ تَوَزَّعَهَا دَوَابُّ الْبَحْرِ وَالْبَرِّ فَاِذَا اَمَدُّ الْبَحْرِ حَيَّاتُ الْحِيتَانِ
فَاَكَلَتْ مِنْهَا وَاِذَا اَجْوَزُ الْبَحْرِ حَيَّاتُ السِّبَاعِ فَاَكَلَتْ مِنْهَا فَاِذَا ذِئْبُ السِّبَاعِ جَاءَتِ الطَّيْرُ فَاَكَلَتْ مِنْهَا فَلَمَّا رَاٰى اِبْرَاهِيمُ
ذٰلِكَ تَعَجَّبَ مِنْهَا وَقَالَ يَا رَبِّ قَدْ عَلِمْتُ اَنَّكَ لَتَجْمَعُهَا مِنْ بُطُونِ السِّبَاعِ وَحَوَاصِلِ الطَّيْرِ وَاَجْوَافِ دَوَابِّ الْبَحْرِ فَاَرِنِي كَيْفَ
تُحْيِيهَا لِاَعَايِنَ ذٰلِكَ فَازْدَادَ يَقِينًا فَعَايَنَهُ اللّٰهُ تَعَالٰى فَ**قَالَ اَوَلَمْ تُؤْمِنْ** يَعْنِي اَوَلَمْ تُصَدِّقْ **قَالَ بَلٰى يَا رَبِّ**
قَدْ عَلِمْتُ وَاٰمَنْتُ **وَلٰكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي** اَيْ لِيَسْكُنَ قَلْبِي عِنْدَ الْمُعَايَنَةِ اَرَادَ اِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ اَنْ يَصِيرَ لَهُ
عِلْمُ الْيَقِينِ عَيْنَ الْيَقِينِ لِاَنَّ الْخَبَرَ لَيْسَ كَالْمُعَايَنَةِ وَقِيلَ لَمَّا رَاٰى الْجِيفَةَ عَلَى الْبَحْرِ وَقَدْ تَنَاوَلَتْهَا السِّبَاعُ وَالطَّيْرُ وَدَوَابُّ

اُولٰئِكَ الْعُظَمَاءُ اِنْبَالُ وَحَنَايَا وَعُزَيْرٌ وَفَوْقَ مَنْ بَقِيَ مِنْ بَنِي اِسْرَائِيلَ ثَلٰثُ فِرَقٍ فَقَتَلْنَا ثُلُثَهُمْ وَثُلُثَا سَبَاهُمْ وَثُلُثًا اَوْهَمْنَا بِالشَّامِ
فَكَانَتْ هٰذِهِ الْوَقْعَةُ الْاُولٰى الَّتِي اَنْزَلَهَا اللّٰهُ بِبَنِي اِسْرَائِيلَ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اَوْحَى اللّٰهُ تَعَالٰى اِلٰى بَابِلَ وَمَعَهُ سَبَايَا بَنِي اِسْرَائِيلَ
اَقْبَلَ اِرْمِيَا عَلٰى حِمَارٍ لَهُ وَمَعَهُ عُصَيْرُ عِنَبٍ وَزُكْوَةُ وَسَلَّةُ تِينٍ حَتّٰى مَشٰى اِيلِيَا وَهِيَ اَرْضُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ فَلَمَّا رَاٰى خَرَابَهَا
قَالَ اَنّٰى يُحْيِي هٰذِهِ اللّٰهُ بَعْدَ مَوْتِهَا وَمَنْ قَالَ اِنَّ الْمَارَّ كَانَ عُزَيْرًا قَالَ اِنَّ تَحْتَ نَظَرِهِ لَمَّا خَرَّبَ بُخْتُ نَصَّرُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ وَاَقَامَ بِهِ سَبْيَ بَنِي اِسْرَائِيلَ
وَكَانَ فِيهِمْ عُزَيْرٌ وَدَانْيَالُ وَسَبْعَةُ اٰلَافٍ مِنْ اَهْلِ بَيْتِ دَاوُدَ فَلَمَّا نَجَّا عُزَيْرًا مِنْ بَابِلَ اِرْتَحَلَ عَلٰى حِمَارٍ حَتّٰى نَزَلَ دَيْرَهُرْمُزَ قَرِيبًا عَلٰى شَطِّ
دِجْلَةَ فَطَافَ فِي الْقَرْيَةِ فَلَمْ يَرَ اَحَدًا وَعَامَّةُ شَجَرِهَا حَامِلٌ فَاَكَلَ مِنَ الْفَاكِهَةِ وَاعْتَصَرَ مِنَ الْعِنَبِ فَشَرِبَ مِنْهُ وَجَعَلَ
فَضْلَ الْفَاكِهَةِ فِي سَلَّةِ وَفَضْلَ الْعَصِيرِ فِي زِقٍّ وَلَمَّا رَاٰى خَرَابَ الْقَرْيَةِ وَهَلَاكَ اَهْلِهَا قَالَ اَنّٰى يُحْيِي هٰذِهِ اللّٰهُ بَعْدَ مَوْتِهَا
وَاِنَّمَا قَالَ ذٰلِكَ تَعَجُّبًا لَا شَكًّا فِي الْبَعْثِ وَرَجَعَ اِلَى الْحَدِيثِ وَهْبٌ قَالَ ثُمَّ اِنَّ اِرْمِيَا رَبَطَ حِمَارَهُ بِحَبْلٍ جَدِيدٍ وَاَلْقَى اللّٰهُ تَعَالٰى
عَلَيْهِ النَّوْمَ فَلَمَّا نَامَ تَرَعَ اللّٰهُ مِنْهُ الرُّوحَ مِائَةَ عَامٍ وَاَمَاتَ حِمَارَهُ وَبَقِيَ عَصِيرُهُ وَتِينُهُ عَلٰى مَا وَصَفَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ الْعُيُونُ
فَلَمْ يَرَهُ اَحَدٌ وَذٰلِكَ ضُحًى وَمَنَعَ لَحْمَهُ مِنَ السِّبَاعِ وَالطَّيْرِ فَلَمَّا مَضٰى مِنْ وَقْتِ مَوْتِهِ مُدَّةُ سَبْعِينَ سَنَةً اَرْسَلَ اللّٰهُ تَعَالٰى
مَلَكًا اِلٰى مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ فَارِسَ يُقَالُ لَهُ نُوشَكُ وَقَالَ لَهُ اِنَّ اللّٰهَ يَاْمُرُكَ اَنْ تَبْعَثَ مَعَهُ فَتَعْمُرَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ وَاِيلِيَا حَتّٰى
يَعُودَا اَعْمَرَ مَا كَانَا فَانْتَدَبَ الْمَلِكُ فِي اَلْفِ قَهْرَمَانٍ مَعَ كُلِّ قَهْرَمَانٍ ثَلٰثُمِائَةِ اَلْفِ عَامِلٍ وَجَعَلُوا يَعْمُرُونَهَا وَاَهْلَكَ اللّٰهُ
تَعَالٰى بُخْتَ نَصَّرَ بَعُوضَةً دَخَلَتْ دِمَاغَهُ وَنَجّٰى اللّٰهُ مَنْ بَقِيَ مِنْ بَنِي اِسْرَائِيلَ وَرَدَّهُمْ جَمِيعًا اِلٰى بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَنَوَاحِيهَا
فَعَمَرُوهَا ثَلٰثَ مِائَةِ سَنَةٍ وَكَثُرُوا كَاَحْسَنِ مَا كَانُوا فَلَمَّا مَضَتْ لِمِائَةِ اَحْيَا اللّٰهُ مِنْهُ عَيْنَيْهِ وَسَائِرُ جَسَدِهِ مَيِّتٌ
ثُمَّ اَحْيَا اللّٰهُ جَسَدَهُ وَهُوَ يَنْظُرُ ثُمَّ نَظَرَ اِلٰى حِمَارِهِ فَاِذَا الْحِمَارُ عِظَامُهُ تَلُوحُ بِيضٌ مُتَفَرِّقَةٌ فَسَمِعَ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ اَيَّتُهَا
الْعِظَامُ الْبَالِيَةُ اِنَّ اللّٰهَ يَاْمُرُكِ اَنْ تَجْتَمِعِي فَاجْتَمَعَ بَعْضُهَا اِلٰى بَعْضٍ ثُمَّ نُودِيَ اِنَّ اللّٰهَ يَاْمُرُكِ اَنْ تَكْتَسِي لَحْمًا وَجِلْدًا فَكَانَ
كَذٰلِكَ ثُمَّ نُودِيَ اِنَّ اللّٰهَ يَاْمُرُكِ اَنْ تَحْيَي فَقَامَ الْحِمَارُ بِاِذْنِ اللّٰهِ تَعَالٰى ثُمَّ نَهَقَ وَعَمَّرَ اللّٰهُ اِرْمِيَا فَهُوَ يَدُورُ فِي الْفَلَوَاتِ
فَذٰلِكَ قَوْلُهُ تَعَالٰى **فَاَمَاتَهُ اللّٰهُ مِائَةَ عَامٍ** اَصْلُ الْعَامِ مِنَ الْعَوْمِ وَهُوَ السِّبَاحَةُ سُمِّيَتِ السَّنَةُ عَامًا لِاَنَّ
الشَّمْسَ تَعُومُ فِي جَمِيعِ بُرُوجِهَا **ثُمَّ بَعَثَهُ** اَيْ اَحْيَاهُ وَاَصْلُهُ مِنْ بَعْثِ النَّاقَةِ اِذَا اَثَرْتَهَا مِنْ مَكَانِهَا **قَالَ كَمْ لَبِثْتَ**
يَعْنِي قَالَ اللّٰهُ لَهُ كَمْ قَدَّرْتَ الزَّمَانَ الَّذِي مَكَثْتَ فِيهِ مَيِّتًا قَبْلَ اَنْ اَبْعَثَكَ مِنْ مَكَانِكَ حَيًّا وَيُقَالُ اِنَّ اللّٰهَ تَعَالٰى لَمَّا اَحْيَاهُ
بَعَثَ اِلَيْهِ مَلَكًا فَسَاَلَهُ كَمْ لَبِثْتَ **قَالَ** يَعْنِي ذٰلِكَ الْمَبْعُوثُ بَعْدَ مَمَاتِهِ لَبِثْتُ يَوْمًا وَذٰلِكَ اَنَّ اللّٰهَ تَعَالٰى لَمَّا مَاتَ ضُحًى
فِي اَوَّلِ النَّهَارِ وَاَحْيَاهُ بَعْدَ مِائَةِ سَنَةٍ فِي اٰخِرِ النَّهَارِ قَبْلَ اَنْ تَغِيبَ الشَّمْسُ فَقَالَ **لَبِثْتُ يَوْمًا** وَهُوَ يَرَى اَنَّ الشَّمْسَ
قَدْ غَابَتْ ثُمَّ الْتَفَتَ فَرَاٰى بَقِيَّةً مِنَ الشَّمْسِ فَقَالَ **اَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ** يَعْنِي قَالَ اللّٰهُ تَعَالٰى لَهُ وَقِيلَ قَالَ لَهُ الْمَلَكُ
بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ اِلٰى طَعَامِكَ يَعْنِي التِّينَ الَّذِي كَانَ مَعَهُ قَبْلَ مَوْتِهِ **وَشَرَابِكَ** يَعْنِي ذٰلِكَ
الْعَصِيرَ **لَمْ يَتَسَنَّهْ** يَعْنِي لَمْ تُغَيِّرْهُ السِّنُونَ الَّتِي اَتَتْ عَلَيْهِ فَكَاَنَّ التِّينَ كَانَهُ قَدْ قُطِفَ مِنْ سَاعَتِهِ لَمْ يَتَغَيَّرْ
وَلَمْ يَنْتِنْ **وَانْظُرْ اِلٰى حِمَارِكَ** اَيْ وَانْظُرْ اِلٰى اَحْيَاءِ حِمَارِكَ فَنَظَرَ فَاِذَا هُوَ عِظَامٌ بِيضٌ فَرَكَّبَ اللّٰهُ تَعَالٰى الْعِظَامَ
بَعْضَهَا عَلٰى بَعْضٍ ثُمَّ كَسَاهُ اللَّحْمَ وَالْجِلْدَ وَاَحْيَاهُ وَهُوَ يَنْظُرُ **وَلِنَجْعَلَكَ اٰيَةً لِلنَّاسِ** قِيلَ الْوَاوُ زَائِدَةٌ مُعْجَمَةٌ
وَقِيلَ دَخَلَتِ الْوَاوُ وَفِيهِ دَلَالَةٌ عَلٰى اَنَّهَا شَرْطٌ لِفِعْلٍ بَعْدَهَا وَالْمَعْنٰى وَفَعَلْنَا مَا فَعَلْنَا مِنَ الْاِمَاتَةِ وَالْاِحْيَاءِ
لِنَجْعَلَكَ اٰيَةً لِلنَّاسِ عِبْرَةً وَدَلَالَةً عَلَى الْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ قَالَهُ اَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ وَقِيلَ اَنَّهُ عَادَ اِلٰى قَرْيَتِهِ وَهُوَ شَابٌّ
اَسْوَدُ الرَّاْسِ وَاللِّحْيَةِ وَاَوْلَادُهُ وَاَوْلَادُ اَوْلَادِهِ شُيُوخٌ وَعَجَائِزُ شُمْطٌ فَكَانَ ذٰلِكَ اٰيَةً لِلنَّاسِ **وَانْظُرْ اِلَى الْعِظَامِ**
كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا قُرِئَ بِالزَّايِ وَمَعْنَاهُ كَيْفَ نُحْيِيهَا يُقَالُ اَنْشَزَ اللّٰهُ الْمَيِّتَ اِنْشَازًا يَعْنِي اَحْيَاهُ
وَقُرِئَ بِالرَّاءِ وَمَعْنَاهُ كَيْفَ نَرْفَعُهَا مِنَ الْاَرْضِ وَنَرُدُّهَا اِلَى اَمَاكِنِهَا مِنَ الْجَسَدِ وَنُرَكِّبُ بَعْضَهَا عَلٰى بَعْضٍ وَاِنْشَازُ
الشَّيْءِ رَفْعُهُ وَاَنْزَعَاجُهُ يُقَالُ اَنْشَزْتُهُ فَنَشَزَ اَيْ رَفَعْتُهُ فَارْتَفَعَ وَاخْتَلَفُوا فِي مَعْنَى الْاٰيَةِ فَقَالَ الْاَكْثَرُونَ اَنَّهُ اَرَادَ

البحر تفكر كيف يجتمع ما تفرق من تلك الجيفة وتطلعت نفسه إلى مشاهدة ميت يحييه ربه ولم يكن إبراهيم عليه السلام شاكا
في إحياء الله الموتى ولا داخله ولكنه أحب أن يرى ذلك عيانا كما أن المؤمنين يحبون أن يروا نبيهم محمدا صلى الله عليه وسلم ويحبون
رؤيته الله تعالى في الجنة ويطلبونه ويسألونه في دعائهم مع الإيمان بصحة ذلك وزوال الشك عنهم فكذلك أحب إبراهيم أن
يصير الحق له عيانا وقيل كان سبب هذا السؤال من إبراهيم أنه لما احتج على نمرود فقال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت فقال
نمرود أنا أحيي وأميت فقتل أحد الرجلين وأطلق الآخر فقال إبراهيم أن الله تعالى يقصد إلى جسد ميت فيحييه فقال له نمرود
أنت عاينته فلم يقدر إبراهيم أن يقول نعم فانتقل إلى حجة أخرى ثم سأل ربه أن يريه كيف يحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى
ولكن ليطمئن قلبي بقوة حجتي فإذا قيل لي أنت عاينته فأقول نعم وقال سعيد بن جبير إنما اتخذ الله إبراهيم خليلا سأل ملك
الموت ربه أن يأذن له فيبشر إبراهيم بذلك فأذن له فأتى إبراهيم ولم يكن في الدار فدخل داره وكان إبراهيم من أغير
الناس كان إذا خرج أغلق بابه فلما جاء وجد في الدار رجلا قائما إليه ليأخذه وقال من أذن لك أن تدخل داري فقال
أذن لي رب الدار فقال صدقت وعرف أنه ملك الموت فقال له من أنت قال أنا ملك الموت جئت لأبشرك أن الله قد اتخذك
خليلا فحمد الله عز وجل وقال لما علمه ذلك قال أن يجيب الله دعاءك ويحيي الموتى بسؤالك فجاء قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي
الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي بأنك اتخذتني خليلا وتجيبني إذا دعوتك وتعطيني إذا سألتك

ق عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نحن أولى بالشك من إبراهيم إذ قال رب أرني كيف تحيي الموتى
قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي ورحم الله لوطا لقد كان يأوي إلى ركن شديد ولو لبثت في السجن ما لبث
يوسف لأجبت الداعي لقول على معنى الحديث وما يتعلق به اختلف العلماء في قوله صلى الله عليه وسلم نحن أحق بالشك
من إبراهيم على أقوال كثيرة فأحسنها وأصحها ما نقله المزني وغيره من العلماء أن الشك مستحيل في حق إبراهيم فإن الشك
في إحياء الموتى لو كان متطرقا إلى الأنبياء لكنت أنا أحق به من إبراهيم وقد علمتم أني لم أشك فاعلموا أن إبراهيم لم يشك
وإنما حمل إبراهيم بالذكر ليكون الآية قد سبق إلى بعض الأذهان الفاسدة منها احتمال الشك فنفى ذلك عنه وقال الخطابي
ليس في قوله نحن أحق بالشك من إبراهيم اعتراف بالشك على نفسه ولا على إبراهيم لكن فيه نفي الشك عنهما يقول إذا لم
أشك أنا في قدرة الله تعالى على إحياء الموتى فإبراهيم أولى بأن لا يشك وقال ذلك على سبيل التواضع والهضم من النفس
وكذلك قوله لو لبثت في السجن طول ما لبث يوسف لأجبت الداعي وفيه الإعلام بأن المسئلة من إبراهيم لم تقع
على وجه الشك لكن من قبل زيادة العلم بالعيان والعيان يفيد من المعرفة والطمأنينة ما لا يفيده الاستدلال
وقيل لما نزلت هذه الآية قال قوم شك إبراهيم ولم يشك نبينا صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
نحن أحق بالشك من إبراهيم ومعناه أن هذا الذي تظنونه شكا أنا أوجبه فإنه ليس بشك وإنما هو طلب لمزيد اليقين
وإنما رجح إبراهيم صلى الله عليه وسلم على نفسه صلى الله عليه وسلم تواضعا منه وأدبا أو قبل أن يعلم أنه صلى الله
عليه وسلم خير ولد آدم وأما تفسير الآية فقوله تعالى وإذ قال إبراهيم أي واذكر يا محمد إذ قال إبراهيم وقيل أنه معطوف
على قوله ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه والتقدير ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه ألم تر إذ قال إبراهيم رب أرني كيف
تحيي الموتى قال يعني قال الله لإبراهيم أولم تؤمن الألف في أولم ألف إثبات وإيجاب كقول جرير ألستم خير من ركب
المطايا أي لستم كذلك والمعنى أو لست قد آمنت وصدقت بأني أحيي الموتى قال بلى قد آمنت وصدقت ولكن
ليطمئن قلبي يعني سألتك ذلك إرادة لطمأنينة القلب وزيادة اليقين وقوة الحجة وقال ابن عباس معناه ولكن ليعلم قلبي
لأري من آياتك وأعلم أنك قد أجبتني قال فخذ أربعة من الطير قيل أخذ طاووسا وديكا وحمامة وغرابا
وقيل نسرا بدل الحمامة فإن قلت لم خص الطير من جملة الحيوانات بهذه الحالة قلت لأن الطير صفته الطيران
في السماء والارتفاع في الهوى وكانت همة إبراهيم عليه السلام كذلك وهو العلو في الأصول إلى الملكوت فكانت

معجزة مشاكلة لهمته فإن قلت لم خص هذه الأربعة الأجناس من الطير بالأخذ قلت فيه إشارة ففي الطاووس
إشارة إلى ما في الإنسان من حب الزينة والجاه وفي النسر إشارة إلى شدة الشغف بالأكل وفي الديك إشارة إلى شدة
الشغف بحب النكاح وفي الغراب إشارة إلى شدة الحرص ففي هذه الطيور مشابهة ما في الإنسان من حب هذه الأوصاف
وفيه إشارة إلى أن الإنسان إذا ترك هذه الشهوات الذميمة لحق على الدرجات وفاز بنيل السعادات **فصرهن** قرئ بكسر الصاد ومعناه قطعهن ومزقهن وقرئ بضم الصاد ومعناه أملهن **إليك** وجههن وقيل معناه
اجمعهن واضممهن إليك ومن فسره بالإمالة والضم قال فيه إضمار ومعناه فصرهن إليك ثم قطعهن
فحذفه اكتفاء بقوله **ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا** لأنه يدل عليه قال المفسرون أمر الله تعالى إبراهيم صلى الله
عليه وسلم أن يذبح تلك الطيور ويتف ريشها وأن يخلط ريشها ولحمها ودمها بعضه ببعض ففعل ثم أمره
أن يجعل على كل جبل منهن جزءا واختلفوا في عدد الأجزاء والجبال فقال ابن عباس أمر أن يجعل كل طائر أربعة أجزاء وأن
يجعلها على أربعة أجبل على كل جبل ربعا من كل طائر قيل جبل على جهة المشرق وجبل على جهة المغرب وجبل على جهة الشمال
وجبل على جهة الجنوب وقيل جزأه سبعة أجزاء ووضعها على سبعة أجبل وأمسك رؤوسهن بيده ثم دعاهن فقال
تعالين بإذن الله تعالى فجعل كل قطرة من دم طائر تطير إلى القطرة الأخرى وكل ريشة تطير إلى الأخرى وإبراهيم
ينظر حتى لقيت كل جثة بعضها بعضا في السماء يعير رؤوس ثم أقبلن سعيا إلى رؤوسهن كلما جاء طائر ما لرأسه فإن
كان رأسه دنا منه وإن لم يكن تأخر عنه حتى التقى كل طائر برأسه فذلك قوله تعالى **ثم ادعهن يأتينك سعيا**
قيل المراد بالسعي الإسراع والعدو وقيل المشي والحكمة في سعي الطيور إليه دون الطيران لأن ذلك أبعد من الشبه
لأنه لو طارت لتوهم متوهم أنها غير الطير أو أن أرجلها غير سليمة فمشى الله تعالى لهذه الشبهة بقوله يأتينك
سعيا وقيل المراد بالسعي الطيران وفيه ضعف لأنه لا يقال للطائر إذا طار سعى وقيل السعي هو الحركة الشديدة **واعلم أن الله**
عزيز يعني أنه تعالى غالب على جميع الأشياء لا يعجزه شيء **حكيم** يعني في جميع أموره قوله تعالى **مثل الذين ينفقون**
أموالهم في سبيل الله قيل أراد به الإنفاق في الجهاد وقيل هو الإنفاق في جميع أبواب الخير ووجوه البر فيدخل
فيه الواجب والتطوع وفيه إضمار تقديره مثل صدقات الذين ينفقون أموالهم **كمثل حبة** أي كمثل زارع حبة **أنبتت**
يعني أخرجت تلك الحبة **سبع سنابل** جمع سنبلة **في كل سنبلة مائة حبة** فإن قلت فهل رأيت سنبلة
فيها مائة حبة حتى يضرب المثل بها قلت ذلك غير مستحيل وما لا يكون مستحيلا فضرب المثل به جائز وإن لم يوجد
والمعنى في كل سنبلة مائة حبة إن جعل الله ذلك فيها وقيل هو موجود في الخبر وقيل إن المقصود من الآية أنه إذا علم
الإنسان الطالب للزيادة والربح أنه إذا بذر حبة واحدة أخرجت له سبع مائة حبة ما كان ينبغي له ترك ذلك ولا
التقصير فيه فكذلك ينبغي لمن طلب الأجر عند الله في الآخرة أنه لا يترك الإنفاق في سبيل الله إذا علم أنه يحصل له
بالواحد عشرة وبالمائة وسبعمائة **والله يضاعف لمن يشاء** يعني أنه تعالى يضاعف هذه المضاعفة لمن يشاء
وقيل معناه يضاعف على هذا ويزيد لمن يشاء من سبع إلى سبعين إلى سبعمائة إلى ما شاء الله من الأضعاف مما لا يعلمه
إلا الله **والله واسع** أي غني يعطي الغنى عن سعة وقيل واسع القدرة على المجازاة وعلى الجود والإفضال **عليم**
يعني بنية من ينفق في سبيله وقيل عليم بمقادير الإنفاق وبما يستحق المنفق من الجزاء والثواب عليه قوله عز وجل
الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله قيل نزلت في عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف أما عثمان
فجهز المسلمين في غزوة تبوك بألف بعير بأقتابها وأحلاسها فنزلت هذه الآية وقال عبد الرحمن بن سمرة جاء عثمان
بألف دينار في جيش العسرة فصبها في حجر النبي صلى الله عليه وسلم فرأيته يدحل يديه فيها ويقلبها ويقول ما ضر عثمان
ما عمل بعد اليوم فأنزل الله الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله وأما عبد الرحمن فجاء بأربعة آلاف درهم صدقة إلى رسول الله

صلى الله عليه وسلم وقال كان عندي ثمانية آلاف فامسكت اربعة آلاف واربعة آلاف اخرجتها لربي عز وجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما امسكت وفيما اعطيت والمعنى الذين يعينون المجاهدين في سبيل الله بالانفاق عليهم في حوائجهم ومؤنتهم ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى اى يتبع نفقته ايا انفقها عليهم بالمن والاذى وهو ان يمن عليه بعطائه فيقول قد اعطيتك كذا واكد انعيد نعمه عليه فيكدرها عليه والاذى هو ان يعيره فيقول كم تسئل وانت فقير ابدا وقد بليت بك واراحني الله منك وامثال ذلك والمن في اللغة الانعام والمنة النعمة الثقيلة يقال من فلان على فلان اذا اثقله بالنعمة وقد يكون ذلك القول ايضا منة ومنه قول الشاعر فمن علينا بالسلام فانما كلامك يا قوت ودر منظم ومن المن بالقول ما هو مستقبح بين الناس مثل ان يمن على الانسان بما اعطاه قال عدي بن زيد كان ابي يقول اذا اعطيت رجلا شيئا ورايت ان سلامك يثقل عليه فلا تسلم عليه والعرب تمدح بترك المن وكتم النعمة وتذم على اظهاره والمن به قال قايلهم في المدح بترك المن زاد معروفك عندي عظما انه عندك مستور حقير تتناساه كان لم تاتيه وهو في العالم مشهور كثير وقال قايلهم يذم المنان بالعطا اتيت قليلا ثم اسرعت منة فقليلك ممنون فذاك قليل واما الاذى هو ما يصل الى الانسان من ضرر يقول او فعل اذا عرفت هذا فقول المن هو المعروف الى الناس والمن عليهم به والاذى هو ان يشكي منهم بسبب ما اعطاهم فحرم الله تعالى على عباده المن بالمعروف والاذى فيه وذم فاعله فان قلت قد وصف الله تعالى نفسه بالمنان فما الفرق قلت المنان في صفة الله تعالى معناه المتفضل فمن الله افضاله على عباده واحسانه اليهم فجميع ما هم فيه منة منه سبحانه وتعالى ومن العباد تعيير وتكدير فظهر الفرق بينهما وقوله تعالى لهم اجرهم يعني ثوابهم عند ربهم يعني في الاخرة ولا خوف عليهم يعني يوم القيمة ولا هم يحزنون يعني على ما خلفوا من الدنيا قول معروف اى كلام حسن ورد جميل على الفقير السائل وقيل عدة حسنة يوعده بها وقيل دعاء صالح يدعو له بظهر الغيب ومغفرة اى ستر عليه خلته وفقره ولا هتك ستره وقيل هو ان يتجاوز عن الفقير اذا استطال عليه حالة رده خير من صدقة يعني هذا القول المعروف والمغفرة خير من الصدقة التي تدفعها الى الفقير يتبعها اذى وهو ان تعطي الفقير الصدقة وتمن عليه بها وتعيره بقول او تؤذيه بفعل والله غني اى مستغن عن صدقة العباد والغني الكامل الذي لا يحتاج الى احد وليس كذلك الا الله تعالى حليم يعني انه تعالى حليم لا يعجل بالعقوبة على من من على عباده ويؤذي بصدقته قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم يعني اجور صدقاتكم بالمن والاذى يعني على السائل الفقير وقال ابن عباس بالمن على الله والاذى لصاحبها ثم ضرب الله لذلك مثلا فقال تعالى كالذي اى كابطال الذي ينفق ماله رياء الناس اى مراءاة لهم وسمعة ليروا انفقته ويقولوا انه سخي كريم ولا يؤمن بالله واليوم الاخر يعني ان الرياء يبطل الصدقة ولا تكون النفقة مع الرياء من فعل المؤمنين لكن من فعل المنافقين لان الكافر معلن بكفره غير مراء به فمثله اى مثل هذا المراءي بصدقته وسائر اعماله كمثل صفوان اي هو الحجر الاملس الصلب وهو واحد وجمع فمن جعله جمعا قال واحده صفوانة ومن جعله واحدا قال جمعه صفى عليه تراب اى على ذلك الصفوان تراب فاصابه وابل يعني المطر الشديد العظيم القطر فتركه صلدا يعني ترك المطر ذلك الصفوان صلدا املس لا شيء عليه من ذلك التراب فهذا مثل ضربه الله تعالى لنفقة المنافق والمراءي والمؤمن المنان بصدقته ويؤذي الناس يرى الناس هؤلاء اعمالا في الظاهر كما يرى التراب على هذا الصفوان فاذا جاء المطر اذهبه واذا له وكذلك حال هؤلاء يوم القيمة تبطل اعمالهم وتضمحل لانها لم تكن لله تعالى كما اذهب الوابل ما على الصفوان من التراب لا يقدرون على شيء مما كسبوا اى لا يقدرون على ثواب شيء مما عملوا في الدنيا والله لا يهدي القوم الكافرين يعني الذين سبق في

علمه انهم يموتون على الكفر روى البغوي بسنده عن محمود بن لبيد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا يا رسول الله وما الشرك الاصغر قال الرياء يقال لهم يوم يجازى العباد باعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراؤون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى انا اغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا اشرك فيه معي غيري تركته وشركه قوله عز وجل ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله اى طلب رضى الله وتثبيتا من انفسهم يعني على الايفاء في طاعة الله وتصديقا بثوابه وقيل معناه ان انفسهم موقنة مصدقة بوعد الله اياها فيما انفقت وقيل احتسابا وقيل تصديقا والمعنى انهم يخرجون زكوة اموالهم ويفعلون اموالهم في سائر وجوه البر والطاعات طيبة انفسهم بما انفقوا على يقين بثواب الله وتصديق بوعده يعلمون انا ما انفقوا خيرا لهم مما تركوا وقيل معناه على يقين باخلاف الله عليهم وقيل معناه انهم يثبتون في الموضع الذي يضعون فيه صدقاتهم قيل كان الرجل اذا هم بصدقة تثبت فان كانت خالصة امضاها وان خالطه شك ورياء امسك كمثل جنة اى بستان قال الفراء اذا كان في البستان نخل وجنة وان كان فيه كرم فهو فردوس بربوة هي المكان المرتفع عن الارض السوي ولا ان ما ارتفع من الارض عن مسيل الماء والا فهو كان ثمرها احسن واذكى اذا اكلها من الماء ما يربوها وقيل هي الارض المستوية الجيدة الطيبة اذا اصابها المطر انبعثت وربت فاذا كانت الارض هي الصفة كثر ريعها وحملت اشجارها اصابها وابل وهو المطر الكبير الشديد قال بعضهم ما روضة من رياض الحزن معشبة خضراء جاد عليها وابل هطل اراد بالحزن ما غلظ وارتفع من الارض فاتت اكلها ضعفين اى فاعطت ثمرها مثلين قيل انها حملت في سنة من الربع ما يحمله غيرها في سنتين وقيل اضعفت فحملت في السنة مرتين فان لم يصبها وابل فطل اى طش وهو المطر الخفيف الضعيف والمعنى ان لم يكن اصابها وابل واصابها طل قيل ان حال هذه الجنة في تضاعف ثمرها فانها لا تعقص بالطل عن مقدار ثمرها بالوابل وهذا مثل ضربه الله تعالى لعمل المؤمن المخلص في نفاقه وسائر اعماله يقول الله تعالى هذه الجنة تربع وتزكو في كل حال ولا تخلف سواء كان المطر قليلا او كثيرا فكذلك يضعف الله صدقة المؤمن المخلص في صدقته وانفاقه الذي لا يمن ولا يؤذي سواء قلت نفقته او كثرت والله بما تعملون بصير يعني انه تعالى لا يخفى عليه نفقة المخلص في صدقته الذي لا يمن بها ولا يؤذي والذي يمن في صدقته ويؤذي قوله تعالى ايود احدكم ان تكون له جنة من نخيل واعناب هذه متصلة بما قبلها وهو قوله تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى ايود يعني ايحب احدكم ان تكون له جنة اى بستان من نخيل واعناب انما خصهما بالذكر لانهما اشرف الفواكه واحسنها ولما فيهما من الغذاء والتفكه تجري من تحتها الانهار يعني ان جرى الانهار فيها من تمام حسنها وسببا للزيادة ثمرتها له فيها من كل الثمرات لان ذلك من تمام كمال البستان وحسنه واصابه الكبر يعني لصاحب هذه الجنة وكثرت جهات حاجاته ولم يكن له كسب غيرها فحينئذ يكون في غاية الاحتياج الى تلك الجنة فان قلت كيف عطف واصابه الكبر على ايود وكيف يحسن عطف الماضي على المستقبل قلت فيه وجهان احدهما ان يكون له جنة حالما اصابه الكبر والوجه الثاني انه عطف على المعنى فكانه قيل ايود احدكم لو كانت له جنة واصابه الكبر وله ذرية ضعفاء يعني له اولاد صغار عجزة عن الحركة بسبب الضعف والصغر فاصابها يعني اصاب تلك الجنة اعصار فيه نار فاحترقت الاعصار ريح ترتفع الى السماء وتستدير كانها عمود وهذا مثل ضربه الله تعالى لعمل المنافق والمراءي يقول مثل المنافق والمراءي بعمله في حسبانه كحسن جنة ينتفع بها صاحبها فلما كبر وضعف وصار له اولاد ضعاف اصاب جنته اعصار فيه نار فاحرقها وهو احوج ما يكون اليها فحصل في قلبه من الغم والحسرة ما لا يعلمه الا الله لكبره وضعفه وضعف اولاده فهو لا يجد ما يعود به الى اولاده وهم لا يجدون ما يعودون به عليه فبقوا جميعا متحيرين عجزة لا حيلة لهم بايديهم فكذلك

حال من اتى يوم القيمة باعمال حسنة ولم يقصد بها وجه الله تعالى فيبطلها الله تعالى وهو فى غاية الحاجة اليها حين لا مستعتب ولا توبة وقال عبيد بن عمير قال عمر يوما لاصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فى من ترون نزلت هذه الاية ايود احدكم قالوا الله اعلم فغضب عمر وقال قولوا نعلم او لا نعلم فقال ابن عباس فى نفسى منها شىء يا امير المؤمنين فقال عمر قل يا ابن اخى ولا تحقر نفسك فقال ضرب الله مثلا لعمل قال لاى عمل قال لرجل غنى يعمل بطاعة الله تعالى ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصى حتى احرق اعماله كلها **كذلك يبين الله لكم الايات** يعنى كما بين لكم الله تعالى امر النفقة المقبولة وغير المقبولة كذلك يبين لكم من الايات سوى ذلك **لعلكم تتفكرون** اى فتتعظون وقال ابن عباس لعلكم تتفكرون يعنى زوال الدنيا واقبال الاخرة قوله تعالى **يا ايها الذين امنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم** اى من خيار ما كسبتم وجيده وقيل من حلال لان ما كسبتم بالتجارة والصناعة وفيه دليل على اباحة الكسب وانه ينقسم الى طيب وخبيث عن خولة الانصارية قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان هذا المال خضر حلو من اصابه بحقه بورك له فيه ورب متخوض فيما شاءت نفسه من مال الله ورسوله ليس له يوم القيمة الا النار اخرجه الترمذى المتخوض الذى ياخذ المال من غير وجهه كما يخوض الانسان فى الماء يمينا وشمالا **خ** عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتى على الناس زمان لا يبالى المرء ما اخذ منه امن حلال ام من حرام **خ** عن المقدام ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما اكل احد طعاما قط خيرا من ان ياكل من عمل يده وان نبى الله داود كان ياكل من عمل يده عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان اطيب ما اكلتم من كسبكم وان اولادكم من كسبكم اخرجه الترمذى والنسائى واختلفوا فى المراد بقوله تعالى انفقوا فقيل المراد به الزكوة المفروضة وقيل ان الامر للوجوب والزكوة واجبة فوجب صرف الاية اليها وقيل المراد به صدقة التطوع وقيل انه يتناول الفرض والنفل جميعا لان المفهوم من هذا الامر ترجيح جانب الفعل على الترك وهذا المفهوم قدر مشترك بين الفرض والنفل فوجب ان يدخل تحت هذا الامر فعلى القول الاول ان المراد من هذا الانفاق هو الزكوة فيتفرع عليه مسائل المسئلة الاولى ظاهر الاية يدل على وجوب الزكوة فى كل مال يكتسبه الانسان فيدخل فيه زكوة الذهب والفضة والنعم وعروض التجارة لان ذلك يوصف بانه مكتسب وذهب جمهور العلماء الى وجوب الزكوة فى مال التجارة وقال داود الظاهرى لا تجب الزكوة بحكم التجارة فى العروض الا ان ينوى به التجارة فى حال تملكه ودليل الجمهور ما روى عن سمرة بن جندب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامرنا باخراج الصدقة من الذى نعد للبيع اخرجه ابو داود وعن ابى عمرو بن حماس ان اباه قال مررت بعمر بن الخطاب وعلى عنقى ادمة احملها فقال عمر الا تؤدى زكاتك يا حماس فقلت ما لى غير هذا واهب فى القرظ قال ذاك مال فضعه فوضعتها فحسبها فاخذ منها الزكوة فاذا حال الحول على عروض التجارة تقوم فان بلغ قيمته عشرين دينارا او مائتى درهم اخرج ربع العشر المسئلة الثانية فى قوله **ومما اخرجنا لكم من الارض** فظاهر الاية يدل على وجوب الزكوة فى كل ما خرج من الارض من النبات مما يزرعه الادميون لكن جمهور العلماء خصصوا هذا العموم فاوجبوا الزكوة فى النخيل والكروم وفيما يقتات ويدخر من الحبوب واوجب ابو حنيفة الزكوة فى كل ما يقصد من نبات الارض كالفواكه والبقول والخضروات كالبطيخ والقثاء والخيار ونحو ذلك دليل الجمهور ما روى عن معاذ انه كتب الى النبى صلى الله عليه وسلم يسئله عن الخضروات وهى البقول فقال ليس فيها شىء اخرجه الترمذى وقال هذا الحديث ليس بصحيح وليس يصح عن النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا الباب شىء وانما يروى هذا عن موسى بن طلحة عن النبى صلى الله عليه وسلم مرسلا والعمل على هذا عند اهل العلم ان ليس فى الخضروات صدقة قلت وحديث موسى بن طلحة اخرجه الشيخ مجد الدين ابو البركات عبد السلام بن عبد الله بن تيمية الحرانى فى احكامه عن عطاء بن السائب قال اراد عبد الله بن المغيرة ان ياخذ من ارض موسى بن طلحة من الخضروات صدقة فقال له موسى بن طلحة ليس ذلك لك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول ليس فى ذلك صدقة رواه الاثرم فى سننه وهو اقوى المراسيل لاحتجاج من ارسله به وقال الزهرى والاوزاعى ومالك تجب الزكوة فى الزيتون وتجب الزكوة فى الثمار عند بدو الصلاح وهو ان تحمر البسر او يصفر ووقت الاخراج

بعد الاجتناء والجفاف وفى الحبوب عند الاشتداد ووقت الاخراج بعد الدياس والتصفية المسئلة الثالثة يجب اخراج العشر فيما سقى بالمطر والانهار والعيون ونصف العشر فيما سقى بنضح او سانية ويدل على ذلك ما روى عن ابن عمر ان النبى صلى الله عليه وسلم قال فيما سقت السماء او العيون او كان عثريا العشر وما سقى بالنضح نصف العشر اخرجه البخارى ولابى داود والنسائى قال فيما سقت السماء والانهار والعيون او كان بعلا العشر وما سقى بالسوانى والنضح نصف العشر قال ابو داود البعل ما شرب بعروقه ولم يتعب فى سقيه وقال وكيع هو الذى ينبت من ماء السماء قوله او كان عثريا اراد به العذى من الزرع وهو البعل وقد فسره فى لفظ الحديث والنضح وهو الاستقاء وكذلك السانية وهى الدابة التى يستقى عليها سواء كانت من الابل او البقر ولا يجب العشر فى الثمار والزروع حتى تبلغ خمسة اوسق والوسق ستون صاعا وقال ابو حنيفة يجب العشر فى كل قليل وكثير من الثمار والزروع واحتج الجمهور فى ايجاب النصاب بما روى عن ابى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ليس فيما دون خمسة اوسق صدقة وليس فيما دون خمسة اواق صدقة وليس فيما دون خمس ذود صدقة وفى رواية ليس فيما دون خمسة اوساق من تمر ولا حب صدقة اخرجاه فى الصحيحين ومن قال ان المراد بقوله تعالى انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا لكم من الارض صدقة التطوع احتج بما روى عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يغرس غرسا او يزرع زرعا فياكل منه طير او انسان او بهيمة الا كان له به صدقة اخرجاه فى الصحيحين ومن قال ان المراد بقوله تعالى انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا لكم من الارض صدقة التطوع احتج بما روى عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يغرس غرسا او يزرع زرعا فياكل منه طير او انسان او بهيمة الا كان له به صدقة اخرجاه فى الصحيحين وقوله تعالى **ولا تيمموا الخبيث** اى ولا تقصدوا الخبيث يعنى الردى من اموالكم **منه تنفقون** اى من الخبيث عن البراء بن عازب فى قوله ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون قال نزلت فينا معشر الانصار كنا اصحاب نخل فكان الرجل ياتى من نخله على قدر كثرته وقلته وكان الرجل ياتى بالقنو والقنوين فيعلقه فى المسجد وكان اهل الصفة ليس لهم طعام فكان احدهم اذا جاع اتى القنو فضربه بعصاه فيسقط البسر والتمر فياكل وكان ناس ممن لا يرغب فى الخير ياتى بالقنو فيه الشيص والحشف وبالقنو قد انكسر فيعلقه فانزل الله تبارك وتعالى يا ايها الذين امنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون **ولستم باخذيه الا ان تغمضوا فيه** قال لو ان احدكم اهدى اليه مثل ما اعطى لم ياخذه الا على اغماض وحياء قال فكنا بعد ذلك ياتى احدنا بصالح ما عنده اخرجه الترمذى وقال هذا حديث حسن صحيح غريب وقيل كانوا يتصدقون بشرار ثمارهم ورذالة اموالهم ويعزلون الجيد لانفسهم فانزل الله ولا تيمموا الخبيث يعنى الردى منه تنفقون يعنى تتصدقون ولستم باخذيه يعنى ذلك الردى الا ان تغمضوا فيه الاغماض فى اللغة غض البصر واطباق الجفن والمراد به هنا التجويز والمساهلة وذلك ان الانسان اذا راى ما يكره غمض عينيه لئلا يرى ذلك وقال ابن عباس معناه لو ان لاحدكم على رجل حقا فجاءه بهذا لم ياخذه الا وهو يرى انه قد اغمض عن حقه وتركه وقال البراء لو اهدى ذلك ما اخذتموه الا على استحياء من صاحبه وغيظ فكيف ترضون لى ما لا ترضونه لانفسكم اذا كان المال كله جيدا فليس له اعطاء الردى لان اهل السهمان شركاؤه فيما عنده وان كان كله رديا فلا باس باعطاء الردى **واعلموا ان الله غنى** يعنى عن صدقاتكم لم يامركم بالتصدق لعوز واحتياج اليها **حميد** اى محمود فى افعاله وقيل حميد بمعنى حامد اى اجركم على ما تفعلونه من الخير قوله عز وجل **الشيطان يعدكم الفقر** اى يخوفكم بالفقر يقال وعدته خيرا واوعدته شرا واذا لم يذكر الخير والشر يقال فى الخير وعدته وفى الشر اوعدته والفقر سوء الحال وقلة ذات اليد واصله من كسر فقار الظهر ومعنى الاية ان الشيطان يخوفكم بالفقر ويقول للرجل امسك عليك مالك فانك اذا تصدقت افتقرت **ويامركم بالفحشاء** يعنى يوسوس لكم ويحسن لكم البخل ومنع الزكوة والصدقة قال الكلبى كل فحشاء فى القران فهو الزنا الا هذا الموضع وفى الاية لطيفة وهى ان الشيطان يخوف الرجل اولا بالفقر ثم يتوصل بهذا التخويف

إلى أن يأمره بالفحشاء وهو البخل وذلك لأن البخل صفة مذمومة عند كل أحد فلا يستطيع الشيطان أن يحسن له البخل لأجل تلك المفسدة وهي التخويف من الفقر فلهذا قال تعالى الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء **والله يعدكم مغفرة** يعني مغفرة لذنوبكم وستراً لكم **وفضلاً** يعني رزقاً وخلفاً فالمغفرة إشارة إلى منافع الآخرة والفضل إشارة إلى منافع الدنيا وما يحصل من الرزق والخلف عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق وأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله ومن وجد الأخرى فليستعوذ بالله من الشيطان ثم قرأ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء أخرجه الترمذي وقال هذا حديث غريب قوله إن للشيطان لمة بابن آدم اللمة الخطرة الواحدة من الإلمام وهو القرب من الشيء والمراد بهذه اللمة التي تقع في القلب من فعل خير أو شر والعزم فأما لمة الشيطان فوسوسته وأما لمة الملك فالهام من الله تعالى **والله واسع** أي غني قادر على إغنائكم وإخلاف ما تنفقونه **عليم** بما تنفقون فلا يخفى عليه خافية **ق** عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من يوم يصبح فيه العباد إلا وملكان ينزلان يقول أحدهما اللهم أعط منفقاً خلفاً ويقول الآخر اللهم أعط ممسكاً تلفاً **ق** عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى أنفق ينفق عليك وفي رواية يد الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار وقال أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فإنه لم يغض ما في يده وفي رواية فإنه لم ينقص ما في يمينه وكان عرشه على الماء وبيده الميزان يخفض ويرفع وفي رواية وبيده الأخرى الفيض أو القبض يرفع ويخفض **ق** عن أسماء بنت أبي بكر الصديق قالت قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أنفقي ولا تحصي فيحصي الله عليك ولا توعي فيوعي الله عليك ولا تشحي فيشح عليك أي فيجازيك بالتقتير في رزقك ولا يخلف عليك ولا يبارك لك والمعنى لا تجمعي ولا تمنعي بل أنفقي ولا تعدي ولا تسحي قوله تعالى **يؤتي الحكمة من يشاء** قال ابن عباس هي علم القرآن ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وقال الضحاك القرآن والفهم فيه وإنما قال ذلك لتضمن القرآن الحكمة وقال في القرآن مائة وتسع آيات ناسخة ومنسوخة وألف آية حلال وحرام لا يسع المؤمنين تركهن حتى يعلموهن ولا لكونوا كأهل النهروان يعني الخوارج تأولوا آيات من القرآن في أهل القبلة وإنما نزلت في أهل الكتاب فتركوها وعلموها فسفكوا بها الدماء وانتهبوا الأموال وشهدوا على أهل السنة بالضلالة فعليكم بعلم القرآن فإنه من علم فيم نزل لم يختلف في شيء منه وقيل هي القرآن والعلم والفقه وقيل هي الإصابة في القول والفعل وحاصل هذه الأقوال يرجع إلى شيئين العلم والإصابة فيه ومعرفة الأشياء وإتقانها وأصل الحكمة المنع ومنه حكمة الدابة لأنها تمنعها قال الشاعر أبني حنيفة أحكموا سفهاءكم أي امنعوا سفهاءكم وقال السدي الحكمة النبوة لأن النبي يحكم بين الناس فهو حاكم وقيل الحكمة الورع في دين الله لأن الورع يمنع صاحبه من أن يقع في الحرام أو ما لا يجوز له فعله **ومن يؤت الحكمة** يعني ومن يؤته الله الحكمة **فقد أوتي خيراً كثيراً** تنكير تعظيم معناه فقد أوتي أي خير كثير **وما يذكر إلا أولوا الألباب** أي وما يتعظ بمواعظ الله إلا ذوا العقول الذين عقلوا عن الله أمره ونهيه قوله عز وجل **وما أنفقتم من نفقة** يعني فيما فرضته الله عليكم من إعطاء زكوة وغيرها **أو نذرتم من نذر** يعني به ما أوجبتموه على أنفسكم في طاعة الله تعالى فوفيتم به والنذر أن يوجب الإنسان على نفسه شيئاً ليس بواجب يقال نذرت لله نذراً وأصله من الخوف لأن الإنسان إنما يعقد على نفسه النذر من خوف التقصير في الأمر المهم والنذر في الشرع على ضربين مفسر وغير مفسر فالمفسر أن يقول لله علي صوم أو حج أو عتق أو صدقة فيلزمه الوفاء به ولا يخير غيره وغير المفسر هو أن يقول نذرت لله لأفعلن كذا ثم يفعله أو يقول لله علي نذر من غير تسمية شيء فيلزمه فيه كفارة يمين عن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال من نذر نذراً لم يسمه فكفارته كفارة يمين ومن نذر نذراً لا يطيقه فكفارته كفارة يمين ومن نذر نذراً فأطاقه فليف به أخرجه أبو داود وعن عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نذر في معصية وفي يمين لا يملك ابن آدم أخرجه النسائي **ق** عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن النذر وقال إنه لا يأتي بخير وإنما يستخرج به من البخيل **م** عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن النذر لا يقرب من ابن آدم شيئاً لم يكن الله قدره له ولكن النذر يوافق القدر فيخرج بذلك من البخيل شيئاً ما لم يكن البخيل يريد أن يخرج قال بعض العلماء يحتمل أن يكون سبب النهي عن النذر كون الناذر يصير ملتزماً ما لا يأتي به تكلفاً بغير نشاط ويكون سببه كونه يأتي به على سبيل المعاوضة عن الأمر الذي طلبه فيفصل جزء وشأن العبادة أن تكون متمحضة لله تعالى وقال بعضهم يحتمل أن يكون النهي لكونه قد يظن بعض الجهلة أن النذر يرد القدر أو يمنع من حصول المعذور فنهى عنه خوفاً من اعتقاد ذلك وسياق الحديث يؤكد هذا وقوله في بعض روايات الحديث أنه لا يأتي بخير فمعناه أنه لا يرد شيئاً من القدر وقوله فيخرج ذلك من البخيل ما لم يكن البخيل يريد أن يخرج معناه أنه لا يأتي بهذه القربة تطوعاً محضاً مبتدأ وإنما يأتي بها في مقابلة شيء يريده كقوله إن شفى مريضي فعلي كذا أو نحو ذلك مما يحصل بالنذر والله أعلم قوله تعالى **فإن الله يعلمه** أي يعلم ما أنفقتم ونذرتم فيجازيكم به وإنما قال يعلمه ولم يقل يعلمهما لأن رد الضمير على الأخير منهما هو كقوله ومن كسبه خطيئة أو إثماً ثم يرم به بريئاً وقيل إذا الكناية عادت على ما في قوله وما أنفقتم لأنها اسم هو كقوله وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به ولم يقل بهما **وما للظالمين** يعني الواضعين الصدقة في غير موضعها وقيل الذين يريدون بصدقاتهم الرياء والسمعة وقيل هم الذين يتصدقون بالمال الحرام **من أنصار** أي أعوان يدفعون عنهم عذاب الله تعالى فيه وعيد عظيم لكل ظالم قوله تعالى **إن تبدوا الصدقات** أي تظهروا الصدقات والصدقة ما يخرجه الإنسان من ماله على وجه القربة فدخل فيه الزكوة الواجبة وصدقة التطوع **فنعما هي** أي فنعمت الخصلة هي وقيل معناه فنعم الشيء هي وقيل معناه فنعم شيئاً إبداء الصدقات **وإن تخفوها** أي تسروا الصدقة **وتؤتوها الفقراء** أي تعطوها الفقراء في السر **فهو خير لكم** يعني إخفاء الصدقة أفضل من العلانية وكل مقبول إذا كانت النية صادقة واتفق العلماء على أن كتمان صدقة التطوع أفضل وإخفاؤها خير من إظهارها لأن ذلك أبعد من الرياء وأقرب إلى الإخلاص ولأن فيه بعداً عما تؤثره النفس من إظهار الصدقة وفي صدقة السر أيضاً فائدة ترجع إلى الفقير الآخذ وهي أنه إذا أعطي في السر نال عنه الذل والانكسار وإذا أعطي في العلانية تحصل له الذلة والانكسار ويدل على أن صدقة السر أفضل ما روي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل وشاب نشأ في عبادة الله ورجل قلبه معلق بالمساجد إذا خرج منه حتى يعود إليه ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وافترقا عليه ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه أخرجاه في الصحيحين ووجه جواز إظهار الصدقة أن يكون ذلك ممن قد أمن على نفسه من مداخلة الرياء في عمله أو يكون ممن يقتدى به في أفعاله فإذا أظهر الصدقة تابعه غيره على ذلك وأما الزكوة فإظهارها أحد وجهين أفضل من كتمانها كالصلوة المكتوبة في الجماعة أفضل وصلوة التطوع في البيت أفضل ولأن في إظهار الزكوة نفي التهمة عن المزكي وقيل إن الآية واردة في زكوة الفرض وكان إخفاؤها خيراً على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنهم كانوا لا يظنون بأحد أنه يمنع الزكوة فأما اليوم في زماننا فإظهار الزكوة أفضل حتى لا يسيء الظن به وقيل إن الآية عامة في جميع الصدقات الواجبة والتطوع والإخفاء أفضل في كل صدقة من زكوة وغيرها وقوله تعالى **ويكفر عنكم من سيئاتكم** قيل إن من صلة زائدة تقديره ويكفر عنكم سيئاتكم قال ابن عباس من جميع سيئاتكم وقيل إن

من التبعيض ليكون العباد على وجل ولا يتكلوا والمعنى وكفر عنكم الصغائر من سيئاتكم وأصل التكفير في اللغة التغطية والستر **والله بما تعملون خبير** يعني من اظهار الصدقة واخفائها قوله تعالى **ليس عليك هداهم** قيل سبب نزول هذه الآية ان ناسا من المسلمين كان لهم قرابات واصهار في اليهود وكانوا ينفعونهم وينفقون عليهم قبل ان يسلموا فلما اسلموا كرهوا ان ينفعوهم واراد وا بذلك ان يسلموا وقيل كانوا يتصدقون على فقراء اهل الذمة فلما كثر المسلمون نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التصدق على المشركين كي تحملهم الحاجة على الدخول في الاسلام لحرصه صلى الله عليه وسلم على اسلامهم فنزل ليس عليك هداهم ومعناه ليس عليك هداية من خالف حتى تمنعهم الصدقة لاجل ان يدخلوا في الاسلام فحينئذ يتصدق عليهم فاعلمه الله تعالى انه انما بعث بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه فاما كونهم مهتدين فليس ذلك اليك **ولكن الله يهدي من يشاء** يعني ان الله تعالى يوفق من يشاء فيهديه الى الاسلام واراد بالهداية هنا هداية التوفيق واما هداية البيان والدعوة فكانت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نزلت هذه الآية فاعطوهم وتصدقوا عليهم **وما تنفقوا من خير** اي من مال **فلانفسكم** اي تفعلونه فتنفعون به انفسكم **وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله** ظاهره خبر ومعناه نهي اي ولا تنفقوا الا ابتغاء وجه الله وقال الزجاج هذا خاص للمؤمنين اعلمهم الله انه قد علم مرادهم بنفقتهم ما عنده وقيل معناه وليستم في صدقاتكم على اقاربكم من المشركين تقصدون الا وجه الله وقد علم الله هذا من قلوبكم فانفقوا عليهم اذا كنتم انما تبتغون بذلك وجه الله في صلة الرحم وسد خلته مضطر قال بعض العلماء لو انفقت على شر خلق الله لكان لك ثوابا نفقتك واجمع العلماء على انه لا يجوز صرف الزكوة الا الى المسلمين وهم اهل السهام المذكورون في سورة التوبة وجوزا بو حنيفة صرف صدقة الفطر الى اهل الذمة وخالفه سائر العلماء في ذلك فعلى هذا تكون الآية مختصة بصدقة التطوع اباح الله تعالى ان تصرف الى فقراء المسلمين وفقراء اهل الذمة فاما زكوة الفرض فلا يجوز صرفها الى اهل الذمة بحال **وما تنفقوا من خير يوف اليكم** اي يوفر لكم جزاؤه وقال ابن عباس يجازيكم به يوم القيمة ومعناه يؤدى اليكم جزاؤه وهذا احسن دخل الى مع التوفية لانها تضمنت معنى التادية **وانتم لا تظلمون** اي لا تنقصون شيئا من ثواب اعمالكم قوله عز وجل **للفقراء الذين احصروا** اختلفوا في موضع اللام في قوله للفقراء فقيل هو مردود على موضع الامر من قوله فلانفسكم كانه قال وما تنفقوا من خير فللفقراء وانما تنفقوا لانفسكم وقيل معناه الصدقات التي سبق ذكرها للفقراء وقيل خبره محذوف تقديره للفقراء الذين من صفتهم كذا وكذا حق واجب وهم فقراء المهاجرين كانوا نحوا من اربعمائة رجل لم يكن لهم بالمدينة مساكن ولا عشائر وكانوا نأوون الى صفة في المسجد يتعلمون القرآن بالليل ويخرجون الى النهار وكانوا يخرجون في كل سرية يبعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم اصحاب الصفة فحث الله تعالى الناس على مواساتهم فكان من عنده فضل اتاهم به اذا امسى وقوله **في سبيل الله** يعني هم الذين حبسوا انفسهم على الجهاد في سبيل الله وقيل حبسوا انفسهم على طاعة الله **لا يستطيعون ضربا في الارض** يعني لا يتفرغون للتجارة وطلب المعاش والكسب وهم اهل الصفة الذين تقدم ذكرهم وقيل حبسهم الفقر والعدم عن الجهاد في سبيل الله وقيل هم قوم اصابتهم جراحات في الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فصاروا زمنى حصرهم المرض والزمانة عن الضرب في سبيل الله **يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف** اي يظن من لم يختبر حالهم انهم اغنياء من التعفف وهو تفعل من العفة وهي ترك الشيء والكف عنه يقال تعفف اذا ترك السؤال ولزم القناعة والمعنى يظنهم من لم يعرف حالهم اغنياء لاظهارهم التجمل وتركهم المسئلة **تعرفهم بسيماهم** السيما والسيمياء والسمة

والسيمة العلامة التي يعرف بها الشيء واختلفوا في معناها هنا فقيل هي الخشوع والتواضع وقيل هي اثر الجهد من الحاجة والفقر وقيل هي صفرة الوانهم من الجوع وردائة ثيابهم من الضر **لا يسئلون الناس الحافا** يعني الحاحا قيل اذا كان عنده غدا لا يسئل شيئا واذا كان عنده عشاء لا يسئل غدا وقيل لا يسئلون الناس اصلا لانه قال يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف وهو ترك المسئلة فعلم بذلك انهم لا يسئلون البتة ولانه قال تعرفهم بسيماهم ولو كانت المسئلة من شانهم لما كانت الى معرفتهم بالعلامة حاجة ومعنى الآية ليس يصدر منهم سؤال حتى يقع فيه الحاف فهم لا يسئلون الناس الحافا ولا غير الحاف

ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس ق عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس المسكين الذي ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان ولكن المسكين الذي لا يجد غنا يغنيه ولا يفطن به فيتصدق عليه ولا يقوم فيسال الناس لفظ البخاري خ عن الزبير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لان ياخذ احدكم احبله ثم ياتي الجبل فياتي بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها خير له من ان يسال الناس اعطوه او منعوه وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سال الناس وله ما يغنيه جاء يوم القيمة وشكله في وجهه خموش او خدوش او كدوح قيل يا رسول الله وما يغنيه قال خمسون درهما او قيمتها من الذهب اخرجه ابو داود والترمذي والنسائي عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سئل وله قيمة اوقيه فقد الحف اخرجه ابو داود وقال زاد هشام في حديثه وكانت الاوقية على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعين درهما وفي رواية عطاء بن يسار من سال منكم وله اوقية او عدلها فقد سال الحافا عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سال وله اربعون درهما فهو ملحف اخرجه النسائي م عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سال الناس تكثرا فانما يسال جمرا فليستقل او ليستكثر **وقوله تعالى وما تنفقوا من خير فان الله به عليم** يعني انه تعالى يعلم مقادير الانفاق ويجازي عليه فيه حث على الصدقة والانفاق في الطاعة **قوله تعالى الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار** قال ابن عباس في رواية عنه نزلت هذه الآية في علي بن ابي طالب كانت عنده اربعة دراهم لا يملك غيرها فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية وفي رواية عنه قال ما نزلت للمنفقين الذين حضروا في سبيل الله بعث عبد الرحمن بن عوف بدنانير كثيرة الى اهل الصفة وبعث علي بن ابي طالب في الليل بوسق من تمر فانزل الله تعالى فيهما الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار علي ينفقة الليل نفقة علي وبالنهار نفقة عبد الرحمن وفي الآية اشارة الى ان صدقة السر افضل من صدقة العلانية لانه تعالى قدم نفقة الليل على نفقة النهار وقدم السر على العلانية وقيل نزلت الآية في الذين يربطون الخيل للجهاد في سبيل الله لانهم يعلفونها بالليل والنهار سرا وعلانية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احتبس فرسا في سبيل الله ايمانا واحتسابا وتصديقا بوعده فان شبعه وريه وروثه وبوله وروثه في ميزانه يوم القيمة يعني حسنات وقيل ان الآية عامة في الذين ينفقون اموالهم في جميع الاوقات ويعمون بها اصحاب الحاجات والفاقات **فلهم اجرهم عند ربهم** اي جزاء انعامهم **ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون** يعني في الآخرة **قوله عز وجل الذين ياكلون الربا** اي يعاملون به وانما خص الاكل لانه معظم الامر المقصود من المال لان المال لا يوكل انما يصرف في المأكول ثم يوكل فمنع الله التصرف في الربا لما ذكر فيه من الوعيد م عن جابر قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم اكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه وقال هم سواء واصل الربا في اللغة الزيادة يقال ربى الشيء يربو اذا زاد وكثر فالربا زيادة في المال **لا يقومون** يعني من قبورهم يوم القيمة **الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان** اي يصرعه واصل الخبط الضرب والوطء وهو ضرب على غير استواء يقال ناقة خبوط للتي تضرب الارض بقوائمها وتطا الناس باخفافها ومنه قولهم خبط خبط عشواء للرجل الذي يتصرف في الامور على غير اهتداء وغير وتخبطه الشيطان اذا مسه بخبل وجنون **من المس** يعني من الجنون يقال مس الرجل فهو ممسوس اذا كان به جنون ومعنى الآية ان اكل الربا يبعث يوم

القيمة مثل المصروع الذي لا يستطيع الحركة الصحيحة لان الربا ربا في بطونهم حتى انفلتهم فلا يقدرون على الاسراع قال سعيد
بن جبير ذلك علامة اكل الربا اذا استحله يوم القيمة وروى البغوي بسنده الثعلبي عن ابي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم في قصة الاسراء قال فانطلق بي جبريل الى رجال كثير كل رجل بطنه مثل البيت الضخم منتفخين على سابلة ال فرعون
يعرضون على النار غدوا وعشيا قال فيقبلون مثل الابل المهيومة يخبطون الحجارة والشجر لا يسمعون ولا يعقلون فاذا الجنس
بهم اصحاب ذلك البطون قاموا فتميل بهم بطونهم فيصرعون ثم يقوم احدهم فتميل به بطنه فيصرع فلا يستطيعون ان يبرحوا
حتى يغشاهم ال فرعون فيردون وهم مقبلين ومدبرين فذلك عذابهم في البرزخ بين الدنيا والاخرة قال وال فرعون يقولون
اللهم لا تقم الساعة ابدا قال ويوم القيمة يقول ادخلوا ال فرعون اشد العذاب قلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء
الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس قوله بطنه مثل البيت الضخم اي العظيم
الكبير الغليظ وقوله مضطجعين اي موضوعين بعضهم على بعض والسابلة الطريق وقوله مثل الابل المهيومة التي بها الهيام
افراط في الشهوة في الطعام من الجوع قوله تعالى ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربا اي ذلك الذي نزل بهم
من العذاب بقولهم هذا واستحلالهم اياه وذلك ان اهل الجاهلية كان احدهم اذا حل ماله على غريمه فيطالبه به فيقول
الغريم لصاحب الحق زدني في الاجل حتى ازيدك في المال فيفعلان ذلك وكانوا يقولون سواء علينا الزيادة في اول
البيع بالربح او عند المحل لاجل التاخير فكذبهم الله تعالى وردّ عليهم ذلك بقوله واحل الله البيع وحرم الربا
يعني واحل الله الارباح في التجارة بالبيع والشراء وحرم الربا الذي هو زيادة في المال لاجل تاخير الاجل وذلك
لان الله تعالى خلق الخلق فهم عبيده وهو مولاهم يحكم فيهم بما يشاء ويستعبدهم بما يريد وليس لاحد ان يعترض
عليه في شيء مما احل او حرم وانما على كافة الخلق الطاعة والتسليم لحكمه وامره ونهيه وذكر بعض العلماء الفرق بين
البيع والربا فقال اذا باع ثوبا يساوي عشرة بعشرين فقد جعل ذات الثوب مقابلا للعشرين فلما حصل التراضي
على هذا التقابل صار كل واحد منهما مقابلا للاخر في المالية عندهما فلم يكن احدهما اخذا من صاحبه شيئا بغير عوض
اما اذا باع عشرة دراهم بعشرين فقد اخذ العشرة الزائدة بغير عوض ولا يمكن ان يقال ان العوض هو الامهال
في مدة الاجل لان الامهال ليس مالا او شيئا يشار اليه حتى يجعله عوضا عن العشرة الزائدة فقد ظهر
الفرق بين الصورتين **فصل** في حكم الربا وفيه مسائل **المسئلة** الاولى ذكروا في سبب تحريم
الربا وجوها احدها ان الربا يقتضي اخذ مال الغير بغير عوض لان من يبيع درهما بدرهمين نقدا كان او نسيئة
فقد حصل له زيادة درهم من غير عوض وهو حرام الوجه الثاني مما حرم عقد الربا لانه يمنع الناس عن الاشتغال
بالتجارة لان صاحب الدراهم اذا تمكن من عقد الربا خف عليه تحصيل الزيادة من غير تعب ولا مشقة
فيفضي ذلك الى انقطاع منافع الناس بالتجارات وطلب الارباح الوجه الثالث ان الربا هو سبب الى انقطاع
المعروف بين الناس من القرض فلما حرم الربا طابت النفوس بقرض الدراهم للمحتاج واستراح مثله لطلب
الاجر من الله تعالى الوجه الرابع ان تحريم الربا قد يثبت بالنص ولا يجب ان يكون حكم جميع التكاليف معلوما
للخلق وجب القطع بتحريم الربا وان كنا لا نعلم وجه الحكمة في ذلك **المسئلة** الثانية اعلم ان الربا في اللغة
هو الزيادة وطلب الزيادة بطريق التجارة غير حرام فثبت ان الزيادة المحرمة هو الربا وهو على صفة مخصوصة
في مال مخصوص بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم ق عن عمر ابن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الذهب بالورق ربا الا هاء وهاء والبر بالبر ربا الا هاء وهاء والشعير بالشعير ربا الا هاء وهاء والتمر بالتمر ربا الا
هاء وهاء وفي رواية الورق بالورق ربا الا هاء وهاء والذهب بالذهب ربا الا هاء وهاء م عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الذهب بالذهب وزنا بوزن مثلا بمثل والفضة بالفضة وزنا بوزن مثلا بمثل فمن زاد واستزاد

فقد ارتبا وفي رواية التمر والحنطة بالحنطة والشعير بالشعير والملح بالملح مثلا بمثل يدا بيد فمن زاد واستزاد فقد
ارتبا الا ما اختلفت ألوانه م عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذهب بالذهب
والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلا بمثل سواء بسواء يدا بيد فاذا اختلفت هذه الاصناف فبيعوا
كيف شئتم اذا كان يدا بيد فض رسول الله صلى الله عليه وسلم على جريان الربا في هذه الاشياء الستة وهي
النقدان واربعة اصناف من المطعومات وهي البر والشعير والتمر والملح فذهب عامة اهل العلم الى ان حكم
الربا ثبت في هذه الاشياء لاوصاف فيها فيتعدى الى كل ما وجد تلك الاوصاف فيه ثم اختلفوا في تلك الاوصاف
فذهب قوم الى ان المعنى في جميعها هو واحد وهو النفع فاثبتوا الربا في جميع الاموال وذهب الاكثرون الى ان
الربا ثبت في الدراهم والدنانير بوصف وفي الاشياء المطعومة بوصف اخر واختلفوا في ذلك الوصف فذهب الشافعي
ومالك الى انه ثبت في الدراهم والدنانير بوصف النقدية وذهب اصحاب الرأي الى انه ثبت بعلة الوزن فاثبتوا
الربا في جميع الموزونات مثل الحديد والنحاس والقطن ونحو ذلك واما الاربعة الاشياء المطعومة فذهب اصحاب
الرأي الى ان الربا ثابت فيها بعلة الوزن والكيل فاثبتوا الربا في جميع المكيلات والموزونات مطعوما كان او غير مطعوم
كالجص والنورة ونحوهما وذهب جماعة الى ان العلة فيها الطعم مع الكيل والوزن فكل مطعوم مكيل او موزون
ثبت فيه الربا ولا ينبت فيما سوى ذلك مما ليس بمكيل او موزون وهو قول سعيد بن المسيب والشافعي في القديم وقال
في الجديد ينبت الربا كوصف الطعم فانبت الربا في جميع الاشياء المطعومة من الثمار والفواكه والبقول والادوية
مكيلة كانت او موزونة لما روى عن معمر بن عبد الله انه ارسل غلامه بصاع قمح فقال بعه ثم اشتر به شعيرا فذهب
الغلام فاخذ صاعا وزيادة بعض من صاع فلما جاء معمرا خبره بذلك فقال له معمر لم فعلت ذلك انطلق فرده ولا تاخذ
الا مثلا بمثل فاتي كنت اسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الطعام بالطعام مثلا بمثل وكان طعامنا الشعير
قيل له فانه ليس بمثله فقال اني اخاف ان يضارع اخرجه مسلم فجعله مال الربا عند الشافعي ما كان ثمنا او مطعوما
المسئلة الثالثة الربا نوعان ربا فضل وهو الزيادة وربا نسيئة وهو الاجل فان باع ما يدخل فيه الربا بجنسه
مثل ان باع احد النقدين بجنسه كالذهب بالذهب او المطعوم بجنسه كالحنطة بالحنطة ونحو ذلك فيشترط فيه
التماثل والمساواة بمعيار الشرع فان كان موزونا كالدراهم والدنانير فيشترط فيه المساواة في الوزن
وان كان مكيلا كالحنطة والشعير يشترط في بيعه بجنسه المساواة في الكيل ويشترط التقابض في مجلس العقد
وان باع ما يدخل فيه الربا بغير جنسه نظر فان باع بما لا يوافقه في وصف الربا مثل ان باع مطعوما باحد النقدين
فلا ربا فيه كما لو باعه بغير مال الربا وان باعه بما يوافقه في الوصف لا في الجنس مثل ان باع الدراهم بالدنانير
او باع الحنطة بالشعير وكان مطعوما بمطعوم آخر من غير جنسه فلا يثبت فيه ربا التفاضل فيجوز بيعه متفاضلا
ويثبت فيه ربا النسيئة فيشترط في بيعه التقابض في المجلس لقوله صلى الله عليه وسلم الا يدا بيد وقوله ها وها
ففيه اشتراط التقابض في المجلس وتحريم النسيئة وقوله صلى الله عليه وسلم الا سواء بسواء مثلا بمثل
ففيه ايجاب التماثل وتحريم التفاضل عند اتفاق الجنس وقوله صلى الله عليه وسلم فاذا اختلفت هذه
الاصناف فبيعوا كيف شئتم ففيه اطلاق التبايع مع التفاضل عند اختلاف الجنس مع اشتراط التقابض
في المجلس وهو قوله صلى الله عليه وسلم اذا كان يدا بيد والله اعلم **المسئلة** الرابعة في القرض ومن اقرض
شيئا وشرط عليه ان يرد عليه افضل منه فهو قرض جر منفعة وكل قرض جر منفعة فهو ربا يدل عليه ما روي عن
مالك قال بلغني ان رجلا اتى ابن عمر فقال اني اسلفت رجلا سلفا واشترطت عليه افضل مما اسلفته
فقال عبد الله بن عمر ذلك الربا اخرجه مالك في الموطإ فان لم يشترط فضلا في وقت القرض ورد المستقرض

افضل مما اخذ جان ويدل عليه ما روى عن مجاهد ان ابن عمر استسلف دراهم فقضى صاحبها خيرا منها فاتى ان ياخذها وقال هذه خير من دراهمي فقال ابن عمر قد علمت ولكن نفسي بذلك طيبة اخرجه مالك في الموطا وقوله تعالى **فمن جاءه موعظة من ربه** اى تذكير وتخويف وانما ذكر الفعل لان تانيثه غير حقيقي فجاز تذكيره وذلك لان الوعظ والموعظة شئ واحد **فانتهى** اى عن اكل الربا **فله ما سلف** اى ما بقي من ذنبه قبل النهي معفوا له **وامره الى الله** يعني بعد النهي ان شاء عصمه حتى يثبت على الانتهاء وان شاء خذله حتى يعود الى اكل الربا وقيل معناه وامره الى الله فيما امره وبنهاه فيحل له ويحرم عليه وليس اليه من امر نفسه شئ وقيل ان الاية في من يعتقد تحريم الربا ثم ياكله فامره الى الله ان شاء عفا عنه وان شاء عذبه **ومن عاد** الى اكل الربا بعد التحريم مستحلا له **فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون** قوله عز وجل **يمحق الله الربا** اى ينقصه ويهلكه ويذهب بركته قال ابن عباس لا يقبل الله منه صدقة ولا حجا ولا جهادا ولا صلة **ويربي الصدقات** اى يزيدها وينميها ويثمرها ويبارك فيها في الدنيا ويضاعف اجرها في الاخرة ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تصدق احد بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله الا الطيب الا اخذها الرحمن بيمينه وان كانت تمرة فتربو في كف الرحمن حتى تكون اعظم من الجبل كما يربي احدكم فلوه او فصيله لفظ مسلم وللبخاري من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يصعد الى الله الا طيب وان الله يتقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربي احدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل **والله لا يحب كل كفار** يعني كل مصر على كفره مقيم عليه مستحل لاكل الربا **اثيم** يعني متماد في الاثم وفيما نهى عنه من اكل الربا لا ينزجر عنه ولا يتركه وقيل يحتمل ان يكون الكفار راجعا الى مستحل الربا والاثيم راجعا الى من يفعله مع اعتقاد التحريم فتكون الاية جامعة للفريقين قوله تعالى **ان الذين امنوا** يعني صدقوا بالله ورسوله **وعملوا الصالحات** يعني التي امرهم الله بها **واقاموا الصلوة** اى المفروضة باركانها وحدودها في اوقاتها **واتوا الزكوة** يعني المفروضة عليهم في اموالهم **لهم اجرهم عند ربهم** اى لهم ثوابهم في الاخرة **ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون** اى يوم القيمة قوله عز وجل **يا ايها الذين امنوا اتقوا الله** قيل نزلت في العباس بن عبد المطلب وعثمان بن عفان وكانا قد اسلفا في التمر فلما حضر وقت الجذاذ قال صاحب التمر لهما ان انتما اخذتما حقكما لم يبق لي ما يكفي عيالي فهل لكما ان تاخذا النصف وتوخرا النصف واضعف لكما ففعلا فلما حل الاجل طلبا منه الزيادة فبلغ ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم فنهاهما وانزل الله عز وجل هذه الاية فسمعا واطاعا واخذا رؤس اموالهما وقيل نزلت في العباس وخالد بن الوليد وكانا شريكين في الجاهلية يسلفان في الربا الى بني عمير بن عمير ناس من ثقيف فجاء الاسلام وهما اموال عظيمة في الربا وانزل الله تعالى الاية وقال النبي صلى الله عليه وسلم في خطبة حجة الوداع فيما رواه جابر من اول ربا موضوع ربانا ربا العباس بن عبد المطلب فانه موضوع كله وقيل نزلت في اربعة اخوة من ثقيف وهم مسعود وعبد يا ليل وحبيب وربيعة بنو عمرو بن عمير بن عوف الثقفي كانوا يربون بني المغيرة بن عبد الله بن عمير بن مخزوم وكانوا يربون فلما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم على الطايف اسلم هؤلاء الاخوة بنو عمرو الثقفي وطلبوا ربا هم من بني المغيرة فقال بنو المغيرة والله ما نعطي الربا في الاسلام فرفعوا ذلك الى عتاب بن اسيد وكان عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم على مكة فكتب عتاب الى النبي صلى الله عليه وسلم بقصة الفريقين وكان ذلك مالا عظيما فانزل الله يا ايها الذين امنوا اتقوا الله اى خافوا الله فيما امركم به والانتهاء عما نهاكم عنه **وذروا ما بقي من الربوا** اى واتركوا **ان كنتم مؤمنين** والمعنى

مابقي من الربوا

واتركوا اطلب ما بقي لكم من فضل رؤس اموالكم **ان كنتم مؤمنين** يعني ان كنتم محققين لايمانكم قولا وفعلا **فان لم تفعلوا** اى لم تتركوا ما بقي من الربا بعد تحريمه **فاذنوا** قرى بكسر الذال والمد على وزن اموا ومعناه فاعلموا غيركم انكم محاربون لله ورسوله وقرى فاذنوا بفتح الذال مع القصر ومعناه فاعلموا انتم واتيقنوا **بحرب من الله ورسوله** قال ابن عباس لا يقال لاكل الربا يوم القيمة خذ سلاحك للحرب قال اهل المعاني حرب الله النار وحرب رسوله السيف واختلفوا في معنى هذه المحاربة فقيل المراد بها المبالغة في الوعيد والتهديد دون نفس الحرب وقيل المراد منه نفس الحرب وذلك ان من اصر على اكل الربا وعلم به الامام قبض عليه واجرى فيه حكم الله من التعزير والحبس الى ان تظهر منه التوبة وان كان اكل الربا ذا شوكة وصاحب عسكر حاربه الامام كما يحارب الفية الباغية قال ابن عباس من كان مقيما على اكل الربا لا ينزع عنه فحق على امام المسلمين ان يستتيبه فان نزع والا ضرب عنقه **فان تبتم** اى فان تركتم اكل الربا ورجعتم عنه **فلكم رؤس اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون** يعني لا تظلمون انتم الغرماء بطلب زيادة على رؤس المال ولا تظلمون انتم بنقصان راس المال فلما نزلت هذه الاية قال بنو عمرو والثقفي ومن كان يعامل بالربا من غيرهم بل نتوب الى الله تعالى فانه لا يدان لنا بحرب الله ورسوله ورضوا برؤس اموالهم فشكا بنو المغيرة العسرة ومن كان عليه دين وقالوا اخرونا الى ان تدرك الغلات فابوا ان يوخروهم فانزل الله عز وجل **وان كان ذو عسرة** يعني وان كان الذي عليه الحق من غرمائكم معسرا والعسر نقيض اليسر وهو تعذر وجدان المال واعسر الرجل اذا صاق ولم يجد ما يؤدي في دينه **فنظرة** اى فامهال وتاخير **الى ميسرة** اى الى وقت زمن اليسار وهو ضد الاعسار وهو وجدان المال الذي يؤدي واختلفوا في حكم الاية وهو الانظار مخصص بالربا ام هو عام في كل دين على قولين القول الاول وهو قول ابن عباس وشريح والضحاك والسدي ان الاية في الربا وذكر عن شريح ان رجلا خاصم رجلا اليه ففضى عليه وامر بحبسه فقال رجل كان عند شريح انه معسر والله تعالى يقول في كتابه وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة فقال شريح انما ذاك في الربا وان الله تعالى قال في كتابه ان الله يامركم ان تودوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ولا يامرنا الله بشئ ثم يعذبنا عليه والقول الثاني وهو قول مجاهد وجماعة من المفسرين ان حكم الاية عام في كل دين على معسر واحتجوا بان الله تعالى قال وان كان ذو عسرة ولم يقل ذا عسرة ليكون الحكم عاما في جميع المعسرين **وان تصدقوا خير لكم** يعني وان تصدقوا على المعسر بما عليه من الدين فتركوا رؤس اموالكم للمعسر خير لكم وانما جاز هذا الحذف للعلم به لانه قد جرى ذكر المعسر وذكر راس المال فعلم ان التصدق راجع اليهما **ان كنتم تعلمون** يعني ان الصدقة خير لكم وافضل لان فيه الثناء الجميل في الدنيا والثواب الجزيل في العقبى **فصل** في ثواب انظار المعسر والوضع عنه وتشديد امر الدين والامر بقضائه م عن ابي قتادة انه طلب غريما له فتوارى عنه ثم وجده فقال اني معسر قال الله قال الله قال فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سره ان ينجيه الله من كرب يوم القيمة فلينفس عن معسر او يضع عنه م عن ابي اليسر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من انظر معسرا او وضع عنه اظله الله في ظله يوم لا ظل الا ظله ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان فيمن كان قبلكم تاجر يداين الناس فاذا راى معسرا قال لفتيانه تجاوزوا عنه لعل الله ان يتجاوز عنا فتجاوز الله عنه عن ابي موسى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان اعظم الذنوب عند الله ان يلقاه بعبد بعدها الكبائر التي نهى الله عنها ان يموت رجل وعليه دين لا يدع له قضاء اخرجه ابو داود خ عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اخذ اموال الناس يريد اداءها اداى الله عز وجل عنه ومن اخذ اموال الناس يريد اتلافها اتلفه الله ق عن ابي هريرة